

الثورة الفلسطينية

ايار (مايو) ١٩٧٥

٤٥



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

ايار (مايو) ١٩٧٥

رقم ٤٥

- شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
- تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

• **يشارك في التحرير :** محمود درويش .

• **سكرتير التحرير :** ابراهيم العابد **مدير التوزيع :** غازي خورشيد .

- جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برتقا مرابحات ، بيروت .

• ثمن العدد : ٣٧/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥. فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

• الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في امريكا واستراليا وآسيا .

• الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

| | |
|--------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| صفحة ٤ | في الذكرى الثانية للشهداء الثلاثة ، فاروق القدومي (أبو لطف) . |
| ٩ | حرب أكتوبر واحتمالات تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي ، الدكتور ابراهيم ابو لغد . |
| ٢١ | في سبيل حظر عالمي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، الدكتور محمد عادل الزعيم . |
| ٣٦ | الاساس الاقتصادي العالمي للحرب الخامسة ، أحمد شرف . |
| ٤٢ | آراء فولدمان في الصراع العربي - الاسرائيلي ، عبد الحفيظ محارب . |
| ٥٦ | مدخل لدراسة الدعاية الصهيونية واسلوب مواجهتها ، حسني خشبة . |
| ٦٨ | الصهيونية من زاوية التحليل النفسي : هل تعاني اسرائيل من عقدة الاثم والنزعة الانتحارية ، خالد القشطيني . |
| ٧٥ | انه الرمل ، محمود درويش . |
| ٨٢ | سعيد القروي وحلوة النبع ، مريد البرغوثي . |
| ٩٧ | الانعكاس المباشر وغير المباشر لفلسطين روائيا في السينما العربية ، فايز غالي . |
| ١١٤ | التروتسكيون المصريون وقضية فلسطين ، عبد القادر ياسين . |
| ١٢٤ | اليسار الاميركي والقضية الفلسطينية ، كارن فرسون والدكتور سميح فرسون وسميح عجي . |

- ١٦٤ **مراجعات** : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ — ١٩٧٠ ،
 حسين ابوالنمل . بيليوغرافيا فلسطين والصراع العربي — الاسرائيلي ،
 يونس احمد اسماعيل الخاروف . اضغاث احلام ، خ.ق. ورجا جورج .
 تعقيب على الملاحظات الواردة حول مقال صحافة المقاومة في عشر
 سنوات ، غازي الخليي .
- ١٨٧ **ثقافة** ، الياس خوري .
- ١٩٩ **رسالتان** : رسالة موسكو ، جلال الماشطة . رسالة لندن ، مأمون
 شلبي .
- ٢٠٣ **تقرير** ، ادريس الخالدي .
- ٢١٠ **مقابلة** ، هاني مندىس .
- ٢١٥ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخيني . (٢) القضية
 الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعبي .
 (٤) اسرائيليات ، صبري جريس ويوسف حمدان وسمير جريس وحنه
 شاهين . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، حمدان بدر والرائد الطيار
 حسين عويضة . (٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة
 الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من
 ٣/١٣ — ١٩٧٥/٤/١٠ ، غازي خورشيد .
- ٢٨١ **الذبحة في نيسان** ، عصام سخيني .

في الذكرى الثانية للسهداء الثلاثة

فاروق قدومي (ابو لطف)

رئيس الدائرة السياسية
في منظمة التحرير الفلسطينية

يقف الانسان في هذه اللحظات الدقيقة بخشوع أمام جلال الذكرى وهو يستذكر لحظات عاشها مع من سقطوا شهداء القضية والعدالة خدمة للوطن والشعب .

انها ذكرى قادة ثلاثة قدموا انفسهم قربانا على مذبح النضال ، فكانوا شموعا متقدة ، تسير طريق الحياة ، طريق النضال والمستقبل ، لجماهيرهم المشردة المحرومة .

انهم ثلاثة من القادة ، عانقوا البنادق في حياتهم ، وعانقوا القمة في شهادتهم ، هم ابو يوسف وكمال ناصر ، وكمال عدوان ، الذين رضوا لانفسهم في الحياة بشقاوة الكفاح ، وبمرارة الثورة ، لعلهم يتذوقون وشعبهم ، بعد طول كفاح حلاوة النصر ومذاق الانتصار ،

بعد عامين من سقوط هؤلاء الشهداء ، نهض نفر من تلامذتهم يحثهم العزم ، وساروا في درب الطويل كما علمهم الشهداء ، وقذفوا بانفسهم على شواطئ أرضنا المحتلة ، باصرار عنيد ، فصنعوا ملحمة الثار لقادتهم ولشعبهم حتى جعلوا الساعي الأمريكي كيسنجر يعلن بأبى سقوط مبادرته وفشل سياسة الخطوة خطوة ، وبالتالي هزيمة الامبريالية الأمريكية ،

ذهبوا يحملون البنادق والاصغان ، ويطالبون بتحرير اخوة لهم في الاسر ، ولكن المغزاة الضهائية اطلقوا الرصاص الجبان ، فسقط غضن الزيتون واحترق وتمزق السلام مرة أخرى على أرض السلام ، فانبرى تلامذة ابي يوسف يصلون العدو بحممهم ورماسهم ، فاتقنوا صناعة الموت كما قال الشهيد القائد ورسهوا على جدران سافوي وحوله كلمات الحرية والعدالة والسلام ،

لقد كانت اصواتهم تلعلع بزهو وكبرياء ، مرحبا بلقاء الشهداء !!

لقد ذهبوا الى السماء ، ليحتضنوا قادتهم الثلاثة ، وليرووا لهم كيف ادوا واجبهم الوطني بحرص واتقان .

نعم ، انهم افراد مجموعة الشهيد ابي يوسف الذي سارت على دربه ، والتي تعلمت الدروس من كلماته ، والتي حطت على جبين الزمن ، اكليل الغار .

لقد ناضل شهداؤنا الثلاثة من اجل قضيتهم ، فكانوا اعلاما شامخة ، ومنازل تهدي كل مناضل وكل نائر ،

لقد تركوا خلفهم ارتاكبيرا للاجيال من بعدهم عليها تعتبر من عبراتهم وتأخذ الدروس من حياتهم ، وحتى تستمر في مسيرتهم ، رافعة راية النضال والجهاد حتى النصر ، عاش قادتنا الثلاثة في مرحلة سادها الشك والبليلة ، بين الاشقاء ، وغطت سحب الهم المنطقة العربية بأسرها ، وكانت اصابع الامبريالية الامريكية تتحرك وتعبث في الخفاء ، وتجد لها بعض الصدى ، هنا أو هناك ، فدفع الشهداء نتيجة هذه الاوضاع دمهم ثمنا لعودة الوحدة والتضامن بين الاشقاء ، ففتحو الباب واسعا امام حرب تشرين .

لم يبخلوا بأرواحهم ، ولم يبخل شعبنا الشقيق في لبنان باكرامهم وتقدير تضحياتهم السخية ، فسارت مئات الالوف من هذا الشعب الصادق الوفي ، يودعونهم الى مثواهم الاخير ، ويعلنون بأعلى صوت وقوفهم مع الثورة الفلسطينية ، كدرع يحميها ، ويصونها ، ويدفع عنها كل من اعتدى عليها أو تعدى ،

كان شعب لبنان رائعا في انتفاضته ، وفي قدسية غضبته ، وفي مسيرة وداعه الطويلة لابناء فلسطين الشهداء ،

لقد كانت القوى الوطنية ، سيفا حادا يضرب الفتنة في مهدها ، وقد انبرت هذه القوى الوطنية من موفتها المعلن الشريف تدافع عن روابط الاخوة بين الفلسطينيين واللبنانيين ، حتى عاد الوئام الى ساحة لبنان وارتد الاخ الى أخيه يعانقه ويحتضنه من جديد .

وفي نفس العام ، انطلقت طلائع صائعي حرب تشرين ، حرب رمضان ، وقفزت جنود العرب الى مواقع جديدة ، فكان ذلك العام عام الشهداء ، على طول الارض العربية وعرضها ، فقد سقط فيه الالاف من شهداء العرب ، وهم يتصدون لقوى الينغي الاسرائيلي ، ويقاتلون جيوشا أعدتها امريكا بأحدث الاسلحة والمعدات .

لقد صنعت حرب تشرين لامتنا مجدا جديدا ، فقد حطم الجندي العربي نظرية الامن الاسرائيلي ، واسقط أسطورة هذه الدولة ، وهزم ولو الى حين ، جيشها الذي لا يقهر ، واصيب المجتمع الاسرائيلي بالتصدع ، وبحالة انعدام الثقة بقادته العسكريين والسياسيين على السواء ، وعاد العالم وشعوبه يحترمون من جديد ارادة العرب وحقهم العادل .

ولكن ، كان علينا ان نستثمر في اعدادنا واستعدادنا لجولة قادمة لا ان نكتفي بهذا القدر من الحرب والنزال ، حتى تتحقق كل اهدافنا الوطنية والقومية .

لقد حددت امتنا العربية اهدافها المرطية في مؤتمر القمة بالجزائر ، فكانت تنص على تحرير الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وتحرير القدس ، وعدم القبول بأي وضع يمس عروبتها ، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني كما تقررها منظمة التحرير وقامت منظمة التحرير بعد ذلك في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني بتحديد الاهداف المرطية فخرجت على الناس ببرنامجه المرطية ذي النقاط العشر ، وكان محور الارتكاز في هذا البرنامج هو هدف اقامة سلطة وطنية

مستقلة على كل شبر من الارض يتم تحريره ، وقد استقطبت هذه الاهداف المرحلية كل الجماهير ، فأيدتها وباتت تناضل من أجل تحقيقها ، وتمكنا بفضل ذلك من احراز المزيد من المكاسب والمنجزات ، والتزم الواقع العربي والدولي بتأييدها .

ولقد جاء مؤتمر القمة في الرباط مؤكدا ضرورة اقامة هذه السلطة ، ومساندة العرب لها ، عند قيامها ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني أينما وجد ، في الداخل أو الخارج .

وعملت منظمة التحرير الفلسطينية بالحوار على تطوير مواقف الاصدقاء في المعسكر الاشتراكي ، من مساندتهم لاماني شعب فلسطين ، الى دعمهم لمصلحة الحيوية ، الى تأييدهم حقوقه الوطنية ، ثم الى المناداة باقامة دولته المستقلة .

ووقفت دول عدم الانحياز تتبنى هذه المطالب الفلسطينية وجاءت مؤتمرات القمة الافريقية والاسلامية لتسير في هذا الاتجاه ، بل لتجاوزها الى المزيد من الدعم السياسي والمعنوي ، ولا شك ان انتصاراتنا هذه ، لم تتحقق بدون معارك وحوارات مضمينة شاقّة على المستويات الوطنية والعربية والدولية ،

لقد انتزعنا بايماننا وجهدنا الصابر المثابر الانتصار بعد الانتصار ، حتى شملت هذه الانتصارات الميدان الدولي ، فصدر القرار ٣٢٣٦ عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في نفس اليوم الذي كان قد صدر فيه قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في ٢٢/١١/١٩٦٧ .

وكان القرار ٣٢٣٦ ينص على تأكيد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين بما في ذلك حقه في تقرير مصيره وحقه في السيادة والاستقلال الوطني ، وحقه في العودة الى دياره وممتلكاته ،

كما نصت على ان الفلسطينيين هم طرف اصيل في اقامة سلام دائم وعادل في منطقة الشرق الاوسط .

وكان العالم بهذا القرار يضع القواعد والاسس التي يمكن ان ينطلق منها او يعتمد عليها اي بحث او مناقشة او معالجة للقضية الفلسطينية على كافة المستويات ، وفي مختلف الميادين والمحافل الدولية .

وكان هذا القرار تنفيذا للنقاط العشر التي ترفض القرار ٢٤٢ ، ولا تتعامل معه على اي مستوى كان .

لقد سارت الثورة منذ بدايتها على خطوط ثلاثة :

— كان أولها خط الكفاح المسلح ، خط واسع عريض تحكمه الضميمة في البقاء والاستمرار ويبقى ، بغض النظر عن تقلب الظروف والاضاع وتعدد المراحل واختلافها ، هو القاعدة الصلبة لاي عمل آخر .

— والخط الثاني خط سياسي يتعامل على المستويات الوطنية والعربية والدولية مع الجماهير والمؤسسات ينقل اليها اهداف العمل المسلح ومضمونه التحرري ومدلوله الانساني ويعالج كل القضايا والمشاكل بروح صابرة دائبة .

— وخط ثالث دبلوماسي يراعي اصول العلاقات الدولية بهدف استقطاب اعتراف كل الاطراف بشرعية نضالنا المسلح وانسانية اهدافه ، ويعمل على اتساع الدعم الدولي لنضالنا واهدافنا التي نناضل من أجل تحقيقها .

ان اعتمادنا على العمل المسلح ، واستعدادنا المستمر للاقتتال العدو ، هو الاساس لكل عمل سياسي ، ولا شك ان سير هذه الخطوط الثلاثة بمحاذاة بعضها بعضا يجعل النصر امرا واقعا لا محالة ، وهذا ما يدفعنا الى القول بثقة ، ان المساعي السياسية في المنطقة العربية التي تمارسها الاطراف العربية لا بد ان تركز على اعداداتنا العسكرية قبل كل شيء .

والا ، ستصطدم هذه المساعي السياسية العربية بمزيد من التعنت الاسرائيلي المؤيد بالتشجيع الامريكي لهذا الموقف الاسرائيلي ، وسوف تكون نتيجة كل هذه المساعي هي الفشل المحتوم .

كما يجب ايضا ان تفقد اسرائيل عنصر السلامة والامن ، حتى تبقى مستنفرة الاعصاب مرهقة العقل ، فاقدة القدرة على المبادرة .

يجب ان لا نتعامل مع اعدائنا او حلفاء اعدائنا بالنوايا الحسنة ، او اعتمادا على تطورات مرتقبة هنا وهناك تخدمنا او تغير من العلاقات المصرية بين امريكا واسرائيل ،

لان هذا الانتظار يفقدنا عنصر الزمن الذي نحن بأمس الحاجة اليه ، في هذه المرحلة الخطرة من مراحل نضالنا القومي المعاصر .

كما يجب ان نبتعد عن كل ما يمكن ان يمس تضامننا العربي ، على ان تحكم العلاقات العربية في هذه المرحلة على الاقل قرارات الجزائر والرباط ، فهي برنامج عملنا السياسي على المستوى القومي . ولا يجوز ان نتجاهلها او نتخطأها باسم المرونة السياسية او التكتيك او كسب الرأي العام العالمي .

كما يجب علينا ان نحافظ على الاوراق الرابحة بايدينا حتى لا نضيعها بلا ثمن او دون مقابل ،

وليس عيبا ان نختلف حول او في وسائل عملنا اليومي ، ما دمنا نتفق على هدفنا المرحلي وهدفنا الاستراتيجي ونلتزم بهما التزاما صادقا .

لنتعلم الدروس من اعدائنا وهم يختلفون فيما بينهم ، ولكنهم يحرصون على وحدتهم وضرورة الحفاظ على هدفهم .

يجب ان لا ننزلق من الخلاف في الرأي الى العداوة والتجريح والتشهير .

كما اننا مطالبون في هذه المرحلة بان نبتعد ما امكن عن طرح خلافاتنا القطرية او الاقليمية مهما كانت هذه الخلافات بالغة او هامة ، حتى لا تلهينا عن المعركة الاساسية مع عدونا الاسرائيلي ،

فواقع التجزئة ومنطقها في الحقيقة هو الذي يصور ان هناك خلافات جوهرية فيما بيننا كعرب ،

ولو تصورنا من خلال فهمنا القومي هذه الخلافات ، لشعرنا بتفاهتها ، ولاختفت من حياتنا اليومية باسرع مما نظن ،

والان ، اود ان اؤكد ان الثورة الفلسطينية ، ستبقى تحمل السلاح دفاعا عن القضية العادلة ، وسوف تبقى تعمل من اجل التضامن العربي والوحدة القومية

وازالة الخلافات ، لكي تقف هذه الامة بكل قواها موحدة الراي والعمل والهدف ، في مواجهتها للغزوة الصهيونية وللامبريالية الامريكية .

ولا شك أن مسيرة ثورتنا هي مسيرة الشهداء ولن تكون غير ذلك ،

انها مسيرة النصر بدءا باقامة السلطة الوطنية ، وانتهاء باقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية على كامل التراب الفلسطيني .

ان الصراع هو الصورة والعلاقة الجدلية بيننا وبين العدو الصهيوني ، ولا يمكن ان ينتهي هذا الصراع العدائي وان تعددت او اختلفت اشكاله وصوره ،

فهذه هي حقيقة العلاقة بيننا وبين اعدائنا ، فالتناقض مع الصهيونية تناقض رئيسي ،

ولا يمكن ان يصبح غير ذلك الا بهزيمة الصهيونية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية على كامل ترابنا السليب ،

ومن اجل ذلك ايها الاخوة ، سقط شهداؤنا الثلاثة ، وسقط الشهداء من قبلهم ومن بعدهم في هذه المسيرة الطويلة ،

لقد سقط هؤلاء الابطال واولئك القادة ، دفاعا عن فلسطين ومن اجل اقامة مجتمع تقدمي تسوده العدالة الاجتماعية والاخاء والمساواة بين كل المواطنين من عرب ويهود .

انهم شهداء من اجل الانسان وجزئته ، بغض النظر عن دينه او عرقه او عقيدته ، حتى يعيش مكسور القيد ، طليقا في هذا العالم الواسع ، بعيدا عن كل اضطهاد سياسي او استغلال اقتصادي .

لقد ذهب القادة الثلاثة ، شهداء يجسدون صورة العدالة والحرية والسلام ، وينقشون على اعمدة السماء وعلى جبين الشمس اسم فلسطين واسم شعبها الى الابد .

وثورة حتى النصر !!!

حرب أكتوبر واجتمالات تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي

الدكتور ابراهيم ابو لغد

اتجه قدر كبير من كتابات مرحلة ما بعد اكتوبر ١٩٧٣ ، الى تأكيد أن مجمل العوامل الاقليمية والدولية ، يلتقي على اجراء تسوية تفاوضية لنزاع أزعج العالم بأسره على مدى أكثر من جيل . ولقد قيل بصورة مقنعة نوعا ما ، القول بأن الفريقتين المعنيين مباشرة بالنزاع العربي - الاسرائيلي ، أصبحا ينظران الى الحل العسكري لنزاعهما على أنه أمر متعذر التحقيق ، وأن اطالة أمد النزاع نتيجة للافراط في الثقة ، والغطرسة ، أو سوء الفهم من قبل طرف أو أكثر من أطراف النزاع ، سوف يقود الى التورط المباشر لدولتي الثقل العظيمين وما يجره من عواقب فاجعة ، وأن اطالة أمد النزاع سوف تعني في الواقع ، وبلاستناد الى منجزات حرب اكتوبر ، أن حربا في الشرق الاوسط ، سوف تكون حربا شاملة بين أطراف النزاع المباشرين ، وسوف تعني بالضرورة تدمير المراكز السكانية المدنية في المنطقة ، واستخدام امدادات النفط بغية وقف الدعم الغربي ، والامريكي خاصة ، لاسرائيل ، وأن استخدام هذا السلاح الاقتصادي من جانب العرب ، الذي أصاب الانظمة الصناعية في الغرب بفوضى كبيرة ، سوف يؤدي الى كارثة شاملة لبنية الاقتصاد العالمي .

وبالاضافة الى ذلك ، فلقد اعتقد المراقبون الغربيون لمسرح الشرق الاوسط ، ان العالم العربي شهد تبدلات مهمة في السنوات القليلة المنصرمة ، وأن هذه التبدلات ساهمت في خلق مناخ أكثر مؤاتة للتسوية السياسية . ويقطع هؤلاء المراقبون ، بأن العالم العربي ، بالرغم من اية ظواهر معينة يمكن أن تدل على العكس ، قد خفف من قوته دفعه الثوري . وفي رأي هؤلاء المراقبين ، ان تولي الرئيس السادات للسلطة في مصر ، في أعقاب جمال عبد الناصر الذي كان أقوى نزوعا الى النضال ، قد خلق فعلا تغييرات مهمة في التوجه المصري في السياسات الداخلية والخارجية على السواء . ويشير هؤلاء المراقبون الى أن الثروة الجديدة في العالم العربي ، في مناطق تلتزم التطور القانوني الهادىء من خلال الارتباط بالغرب ، وتزايد نفوذ الانظمة الملتزمة بهذه الصيغ من التطور ، هذا كله ساهم بشكل هائل في الدعم الحثيث لعملية البحث عن تسوية يمكن أن تصون الكرامة العربية ، وتقوى الانظمة التي تسعى الى نظام عربي مستقر ، وتستبعد ، في الوقت ذاته ، من حلبة الصراع السياسي الداخلي ، أحد أبرز موضوعات الشقاق في العصور الحديثة ، أعني موضوع الصراع العربي - الاسرائيلي .

ويوازي هذا في الاهمية ، ان المراقبين ميالون الى تسجيل تحول أساسي في المواقف

العربية ازاء اسرائيل ككيان . فالاصوات التي كانت تدعو ، بنبرة خفيضة ، الى شيء من القبول باسرائيل مغيرة — بحيث تكون أكثر اعتدالا بمطامحها الاقليمية ، وأكثر ارتباطا بالمنطقة من حيث نزعاتها وارتباطاتها، وأكثر قبولا لمساواتها بالدول المجاورة — مثل هذه الاصوات أصبحت تجد جمهورا أكثر تقبلا في العالم المتغير في مرحلة ما بعد اكتوبر .

تستند هذه التحولات المهمة في حقائق الشرق الاوسط ، او في المفاهيم السائدة في الشرق الاوسط ، بشكل حاسم الى حرب اكتوبر . فلقد كشفت تلك الحرب بصورة قاطعة انه لم يعد من الممكن النظر الى القدرة العسكرية العربية ، بالازدراء الذي عوملت به في حرب حزيران وما لحقتها . كما انها اوضحت قدرة الدول العربية على استخدام طاقتها النفطية — بغض النظر عن المغالاة في المزاعم المتعلقة بذلك الاستخدام — في مساندة الغايات العسكرية — السياسية . وان حقيقة التضامن السياسي العربي لتحقيق أهداف محدودة ، جعلت تأكيد العرب على تحقيق تضامن أعظم في المستقبل ، من أجل أهداف قومية أوسع ، أمرا قابلا للتصديق . وهذا الامر يهدد جديا جميع القيود الراهنة أو المحتملة على السيادة العربية في جميع أوجه الحياة الوطنية .

بالنسبة لاسرائيل ، كانت حرب اكتوبر حدثا كاشفا . فلقد ابانت ليس فقط استحالة قدرة اسرائيل على السيطرة على جميع الدول العربية كل الوقت ، بل أيضا انه يمكن التصدي لسيطرتها على قطعة محدودة من العالم العربي . وكلما واصلت اسرائيل الاستناد الى مفهوم السيطرة المطلقة ، كلما عززت ، بالمقابل ، تحدي تلك السيطرة . وبينما يجادل الاسرائيليون في مدى أهمية الانجاز العسكري العربي وفي دلالاته النهائية بالنسبة لاستمرار الوجود الاسرائيلي ، فانهم قد استنتجوا ان تعاملهم مع الدول العربية على أساس الفرضيات القديمة ، يحمل في طياته مخاطر عظيمة عليهم ، انهم ما عادوا يستطيعون أن يؤكدوا سيظرتهم المقررة بدون وازع أو عقاب .

ولعل الأهم من هذا ، تطور ان ظهرا غداة حرب اكتوبر :

الاول ، ان الدعم السياسي والدبلوماسي المتزايد ، الذي حظي به العرب من المجتمع العالمي ، نبه اسرائيل الى عزلتها المتزايدة في العالم . وكان التحول الجذري في بنية العلاقات مع الدول الافريقية — وهي علاقات حرصت اسرائيل على تمثينها بكل عناية مسنودة بالدعم الأمريكي على مدى عقدين من الزمان — واحدا من الاضرار الهامة التي أصابت اسرائيل بسبب حرب اكتوبر ، على الرغم من أن هذا التحول كان رمزيا أكثر مما كان حقيقيا . لكن التحول ، ذا المغزى الأكثر أهمية بالنسبة لاسرائيل ، كان في العلاقات المتبدلة مع أوروبا . لم يكن هناك مناص من أن تدرك اسرائيل أن مواصلتها التعامل مع الفلسطينيين والعرب على أساس الفرضيات الموروثة من مرحلة الهيمنة الأوروبية / الأمريكية المطلقة ، سوف يبعد اسرائيل بصورة متزايدة عن أوروبا .

والتطور الثاني البارز الذي ظهر غداة حرب اكتوبر ، هو أصوات « المنشقين » داخل اسرائيل ، وهذه الأصوات المطالبة بقدر من التوفيق مع الفلسطينيين والدول العربية ، أصبحت أكثر ارتفاعا وصخبا . وهكذا مورست ضغوطات على المؤسسة الاسرائيلية كي تتوصل الى تفاهم مع العرب ، ليس على أساس الإنكار الكامل للوجود الفلسطيني ، والتفوق العسكري المطلق على الدول العربية ، وانما على أساس تلبية بعض المطامح الوطنية للفلسطينيين، وإعادة السيادة الوطنية الى بعض المناطق المحتلة

في حزيران ١٩٦٧ . وباتت المسألة بالنسبة للاسرائيليين يوما بعد يوم ، تأكيد شرعية إسرائيل ، وتوفير قدر معين من الامن ، وفي الوقت نفسه ، تأمين الوجود الوطني للفلسطينيين واعادة السيادة العربية على المناطق الواقعة تحت احتلال اسرائيل .

ان التحولات الاقليمية في علاقات القوى وفي مواقف الخصوم تبدو انها متجهة نحو التقارب والالتقاء ، ومن ثم ، فانها تتحرك بصورة حثيثة نحو ايجاد تسوية قائمة على التفاوض ، لا على التنازل . ولقد غدا السوفيات أكثر صراحة في الدعوة لحل سياسي للنزاع ، والاصرار على تضمين مثل هذه التسوية بنودا ملائمة لكفالة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

على ان الامريكيين ، الذين اتسموا بقدر من الجمود بدأ انهم ، من جهة أخرى ، وبسبب حرب اكتوبر فقط وما نتج عنها ، يتجهون الى اتخاذ موقف أكثر مرونة . ان هذه المرونة الجديدة ، هي التي اتاحت للولايات المتحدة — بالرغم من مواقفها السابقة المعرقله للتسوية — أن تتخذ مبادرة أكبر وجدت استجابة لدى معظم أطراف الصراع ، وهي مبادرة نجمت عنها اتفاقيات فصل القوات بين اسرائيل ومصر ، وبين اسرائيل وسوريا . وكان استئناف الولايات المتحدة العلاقات الدبلوماسية مع جميع الدول العربية باستثناء العراق ، وعودها بتقديم بعض العون الاقتصادي والتقني لمصر وسوريا ، مؤشرا للطبيعة المتغيرة للعلاقات بينها وبين الدول العربية . لقد تحولت الولايات المتحدة من كونها خصما رئيسيا للآمال العربية — وذلك عائد الى حد كبير الى التزامها الكامل باسرائيل — لتصبح وسيطا نشطا بين العرب واسرائيل ، بحثا عن تسوية تلمي — على الاقل — المطالب الدنيا لفرقي النزاع .

لا ريب في أن القضية الفلسطينية والصراع العربي — الاسرائيلي لا زالا يهيمنان على تفكير كل من العرب والاسرائيليين . ومع ذلك فان حقائق الموقف في فترة ما بعد حرب اكتوبر ، اتجهت الى احالة النزاعات الاقليمية في المنطقة ، الى أحداث عرضية لقضية أكبر بكثير . اذ غدا واضحا بصورة متزايدة ، أن اهتمام صانعي السياسة الامريكية يتوجه الى الاهمية العالمية لمسائل كشفت عنها المجابهة العربية — الاسرائيلية ، أكثر من توجهه الى هذه المجابهة ذاتها . هذه الضرورات الملحة للتعاظم مع المسائل الأكبر ، سواء منها الاقتصادية أو السياسية ، هي التي دفعت بصورة حثيثة المساعي الامريكية الجدية من أجل تسوية سياسية مقبولة . فمن المأمول فيه ، ان مثل هذه التسوية ستكون مدخلا لتعاون متزايد وممكن بين الدول العربية وبين الولايات المتحدة ، بما يكفل للولايات المتحدة تأمين سيطرتها العالمية . وهذه التسوية تقوم على ايجاد حل معقول لمسألة الطاقة ، ولتأمين تدفق الاموال العربية الى الولايات المتحدة بسهولة ، وكذلك ضمان تزايد تدفق السلع الصناعية الامريكية على أسواق جميع الدول العربية ، واثناء ذلك ، وفي الوقت نفسه ، الحفاظ على السلامة الاقليمية للدول العربية ، وكرامتها ، ونموها الداخلي .

ان ما أرمي اليه في هذه المقالة ، هو التعريف بمكونات مثل هذه التسوية التي يفترض أن تكون مقبولة لدى جميع الاطراف المتصلة بالنزاع العربي — الاسرائيلي . ومن الامور البديهية بالنسبة للعرب ومسانديهم في العالم ، ان الاطراف الرئيسية لا تشمل الدول العربية واسرائيل فقط ، بل أيضا وعلى الدرجة ذاتها من الاعتبار ، الفلسطينيين . ان رفض اسرائيل لهذا الامر ، ورفض الولايات المتحدة على درجة أقل ، هو جزء من السجل التاريخي . ومع ذلك ، ومنذ انتهاء حرب اكتوبر ، تزايد التسليم بأن أية تسوية يقدر لها الدوام في الشرق الاوسط ، يتحتم ان تشمل الفلسطينيين كجماعة وطنية قائمة بذاتها .

ان الدعم الذي ناله الموقف العربي على الصعيد العالمي ، تأكد بصورة ساطعة ، في أكتوبر ١٩٧٤ ، عندما لم تكف هيئة الأمم المتحدة بتوجيه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية لعرض وجهة نظرها في ما يريده الفلسطينيون ، بل بالاضافة الى ذلك ، أضفت على منظمة التحرير الفلسطينية الشرعية التي كانت قد اكتسبتها على الصعيد الاقليمي . ان عودة الأمم المتحدة ، في نوفمبر ١٩٧٤ ، الى تأكيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، أوضحت لجميع المعنيين ، ان ترضية الفلسطينيين شرط أساسي لتحقيق أية تسوية قابلة للحياة للنزاع العربي - الاسرائيلي .

[٢]

يحدد أطراف النزاع العربي - الاسرائيلي مطالبهم بصيغ مطلقة . لقد أصرت الدول العربية على الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع المناطق المحتلة ، كشرط ضروري لتسوية نهائية . (من وقت الى آخر تضيف بعض الدول العربية بعض الشروط الاضافية ، ولكن من المفترض ان واضعي هذه الشروط الاضافية ، لا ينظرون اليها بصورة جدية) . ولقد أصر الفلسطينيون على اعادة تكوين كلية لكيان اسرائيل ، ومنذ ان استهلوا نضالهم ضد الصهاينة الاوروبيين ، تمثلوا فلسطين في تصورهم على انها ينبغي ان تكون دولة واحدة يكون الحكم فيها ديموقراطيا . ان التبدل الجذري الذي طرأ على فلسطين في الوقت الحاضر ، والتغير الحاسم في الطبيعة السياسية والديموقراطية والاقتصادية للمجتمع الفلسطيني ، لم يغيرا الرؤيا الاساسية لفلسطين تشمل الفلسطينيين العرب واليهود الاسرائيليين .

وغيا يواصل الفلسطينيون تمسكهم برؤيتنا لاسرائيل محولة جذريا ، مورست عليهم ضغوط ذات شأن من قبل بعض الدول العربية ، والاتحاد السوفياتي ، وعدد من المساندين لهم من الافارقة والاسيويين والاروبيين لتعديل مخططهم . ينطلق هؤلاء الانصار والمؤيدون من فرضية ان ما يناضل الفلسطينيون من اجله حقا ، هو وطن خاص وهوية وطنية يمكن ان تكون معالجة بنساءة لاوضاع شعوب مشرد . ولهذا فان هذه الضغوط ترمي الى التخلي عن الرؤيا الفلسطينية لفلسطين علمانية ديموقراطية ، لصالح دولة فلسطينية في اجزاء من فلسطين عند جلاء القوات الاسرائيلية عنها .

فيما تبقى خريطة اسرائيل غير معلنة ، من المفهوم عامة ان من الضروري اجراء بعض التعديلات على خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ للقضاء على الشعور الاسرائيلي المزمع بان تلك الحدود غير آمنة . ولقد أعطى وزير الخارجية الامريكية السابق روجرز في اقتراحه في ديسمبر ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٠ ، فكرة عن نوعية التعديلات التي يوجد اعتقاد بضرورتها . وتتضمن الابحاث حول أشكال وجودها تجريد بعض المناطق من السلاح ، مع تخل عن السيادة . لكن مهما كانت هذه التعديلات الاقليمية ، فانه ينبغي اجراؤها من خلال توخي اقامة علاقات طبيعية او اعتيادية بين الدول العربية واسرائيل . وبشكل أو بآخر ، ان النتيجة المقصودة هي الاعتراف باسرائيل والتسليم بوجودها . ان تاريخ تفاعل فرقاء النزاع ، يدل على ان هذه المسألة موضع خلاف . لقد كررت بعض الدول العربية بصورة لا لبس فيها ان الاعتراف باسرائيل ممكن في اطار تسوية شاملة . ولا تزال اسرائيل تطعن في هذا الموقف المعلن بالاستناد الى الممارسات السابقة لهذه الدول العربية .

ان انكار الاسرائيليين المطلق للوجود الفلسطيني ، وما يقابله من مطالب الفلسطينيين المطلق باعادة تشكيل كلية للوجود الاسرائيلي ، يجعل من المحتم على هذين الفريقين

اللجوء الى الصراع المسلح . لا يوجد أي امكان لاقامة حوار على أساس هذه الفرضيات المطلقة . لقد أنتج التاريخ الطويل للنزاع العربي - الاسرائيلي ارتيابا متبادلا وهو اجس متبادلة بين الفريقين . ولهذا ينظر الى توكيدات اسرائيل لنواياها السلمية بالدرجة نفسها من الشك وعدم الثقة التي تنظر بها اسرائيل الى العروض السلمية العربية . ان غياب أي حوار هادف في الماضي ناشىء جزئيا عن هذه القراءة المتبادلة لنوايا كل من فريقى النزاع .

لم يكن هناك نقص في مساعي التوفيق في الماضي . لقد انبثقت عن هيئة الامم المتحدة لجنة توفيق في العام ١٩٥٠ . ولقد اتخذت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا مبادرات فردية في الخمسينات . وفي أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ قام وسيط الامم المتحدة غونار يارنغ بجهود أخرى ، وكذلك في ١٩٧٢ بواسطة بعثة رؤساء الدول الافريقية . ولم ينجح أي من هذه الجهود في التوصل الى التسوية المنشودة . وفي أعقاب حرب أكتوبر ، جاءت آخر المساعي وتولتها هذه المرة الولايات المتحدة الامريكية عبر وزير خارجيتها . ولقد خلقت هذه المبادرة حتى الآن * آمالا باحتمال أن يصبح هذا النزاع الذي طال ، وأخيرا ، قابلا للحل . وعلينا أن نتنظر لنرى كيف ستتطور الامور ، لكن الحاسم والملح في هذه اللحظة ، هو أن نعي فرضيات ونوايا الوسيط ، كي نفهم طبيعة التسوية التي قد يتم الوصول اليها .

على انه ينبغي التأكيد في هذا المقام بالذات ، على أن السياسة الخارجية لدولة عظمى ليست بالضرورة انعكاسا لافكار رجل واحد وجهوده . ذلك ان المصالح الاساسية للدولة العظمى ضمن واقع عالمي متغير ، أقوى وأبقى بكثير من ميول أي وزير للخارجية .

ومع ذلك فان وزراء الخارجية الامريكيين في الماضي ، خلفوا وراءهم علامات مميزة على عملية رسم السياسة وتطبيقها ، وفي كثير من الاحيان كانوا المقررين لنهج السياسة التي تسلكها الدولة العظمى . ولا حاجة بنا لان نشير الى أن رؤيا وزير الخارجية دالس للعالم ساهمت في الاستقطاب الحاد الذي شهده المجتمع العالمي ، وقادت الولايات المتحدة الى أن تنظر بامتعاض الى مجهودات اللامنحازين ، والى تبني سياسة الهوس بالاحلاف والتهديد بالانتقام الواسع النطاق .

وبالرغم من أن وزير الخارجية كيسينجر أكثر ميلا الى الدبلوماسية الشخصية مما كان عليه وزير الخارجية دالس ، فانه لا ينبغي افتراض ان أسلوبه غير قابل للتحدي أبدا ، او أن فرضياته هي الفاصلة . ذلك لان من الجلي ان ضغوطات من أجل تسوية تفاوضية تكون مقبولة لدى العرب ، قد وجهت من جماعات داخلية ، وهي جماعات مؤثرة في المجتمع الامريكي . ومن البين أن الشركات المتعددة الجنسيات والقطاع المصرفي ، قد مارست ضغوطا هائلة في هذا الاتجاه . ومع ذلك فان مكانة كيسينجر على امتداد السنوات الماضية ، والدور المنفرد الذي لعبه في التعامل مع الشرق الاوسط يسوغان اهتمامنا بنمط التسوية التي يتخيلها ، والفرضيات التي تهدي خطاه في جهوده نحو تلك التسوية .

* كتب هذا المقال قبل ظهور نتائج مساعي كيسينجر الخائبة من أجل تسوية مرحلية أخرى في سيناء .

[٣]

ينبغي النظر الى مساعي كيسنجر الحالية ، والسياسة التي تمثلها ، في ضوء خلفية سياستين مترابطين انتهجتهما الولايات المتحدة في الماضي وكان لهما نتائج مختلطة .

السياسة الاولى كانت أساسا سياسة مجابهة . وكانت قاعدة هذه السياسة ، فرضية ان القومية العربية كما تجسدت في السياسة النشطة للرئيس الراحل جمال عبدالناصر (وهي سياسة السعي لتغيير معتدل للبنية الداخلية للعالم العربي ، من بنية تبعية (غير مستقلة) ، وذات قاعدة زراعية ، واقطاعية — رأسمالية في نمط الانتاج ، وممزقة سياسيا ، الى بنية أخرى استقلالية ، تصنيعية ، اشتراكية في الاساس ، مع تحقيق درجة ما من التماسك السياسي) شكلت تهديدا خطيرا للمصالح الغربية ، وبالتحديد الامريكية ، الاقتصادية والاستراتيجية في الشرق الاوسط .

ان التعاضد المستمر في مكانة عبد الناصر في العالم العربي ، واندفاعه الدينامي واصرازه على أهدافه ، استتبع بالضرورة التزاما مصريا وعربيا جديا بالكفاح الفلسطيني ضد الصهيونية واسرائيل . أضف الى ذلك ، ان رؤيا القوميين العرب والتعهدات الداخلية كلاهما استلزما انتهاج سياسة دولية نشطة ، تتعاون مع دول النظام الاشتراكي وتدعم بصورة فعالة حركات التحرير على امتداد العالم برمته . وكان من المنطقي ان تعارض مثل هذه السياسات نظام الحكم الغربي الاستعماري .

على الرغم مما شهدته السياسة الامريكية على امتداد العقدين المنصرمين ، من تعرجات ، فان خط المجابهة الذي رسمته بقي ثابتا . ان الجهود الدؤوبة التي بذلها صانعو السياسة الامريكية بحثا عن حلفاء داخل العالم العربي ، بما في ذلك اقامة نظام تحالفي جهيضم ، ودعم اسرائيل والاعتماد عليها كمعقل محتمل ضد الاندفاع القومي العربي الفعال ، وغرض العقوبات على الانظمة العربية النشيطة ايدولوجيا ، وزرع الاشواك في طريقها ، كل هذا يكشف بوضوح عن خط المجابهة المشار اليه .

استلزم خط المجابهة قيام الولايات المتحدة بمساندة هجمات اسرائيل على الدول العربية ، ومساندة الانظمة التي كانت موضع تهديد الانظمة القومية العربية . ان حرب حزيران ١٩٦٧ ، وسياسة العداة المكشوف التي انتهجتها الولايات المتحدة في أعقابها ، كانت تصعيدا مثيرا لسياسة المجابهة . وكانت الغاية النهائية لهذه السياسة ، تقويض ومن ثم تدمير جميع أنظمة العالم العربي ذات الهوية القومية — الاصلاحية .

وتضمنت الفرضية الثانية الكامنة وراء خط الولايات المتحدة المجابهة ، عنصرين متناقضين : فمن ناحية كان الافتراض ان التعهدات العربية للفلسطينيين أو بدعم الانظمة المنخرطة في الصراع مع اسرائيل ، هي تعهدات مطلقة أو ثابتة . ومن الناحية الاخرى كان الافتراض خلال حرب حزيران ١٩٦٧ وما تلاها ان مثل هذه التعهدات العربية كانت تخضع في الواقع للمساومة من قبل تلك الانظمة التي استشعرت خطر القوميين ، وكان الافتراض ان هذه الانظمة سوف تدعمن للامر الواقع الذي سوف يحط من قوة وخطورة القوميين بقيادة عبدالناصر .

ان حقيقة اخفاق هذه الانظمة في توجيه أي ضغط على الولايات المتحدة في السنوات القليلة التالية لحرب حزيران ١٩٦٧ ، كان ينظر اليها باعتبارها دليلا ساطعا على ان النزاع العربي — الاسرائيلي ، على حديثه ، يوازيه في الوقت عينه نزاع عربي داخلي يعادله في الجدية . وهكذا اتيح للولايات المتحدة امكان ممارسة سياسة المجابهة المباشرة مع القوميين ، مع قدرتها في الوقت نفسه على تزويد اسرائيل بالعمون

الاقتصادي والعسكري دون خشية المجازفة بأية عقوبات قد تفرضها عليها تلك الدول العربية حيث تقع المصالح الاقتصادية الأمريكية .

والسياسة المساعدة الثانية التي انتهجتها الولايات المتحدة خلال هذه السنوات نفسها ، تمثلت في التحالفات الانتقائية مع أنظمة حكم كان المعتقد أنها موضع تهديد من القوميين العرب . ان تقوية الاردن امام بروز تهديد حركة المقاومة الفلسطينية ، وتقديم الدعم للعربية السعودية ، وتعزيز قوة ايران ، ودعم عمان ضد الجبهة الشعبية لتحرير عمان ، هذا كله يكشف ان التقويم الأمريكي للعالم العربي انه عالم ممزق ، وان لكل من دوله مصالحها الخاصة ، ومخاوفها الخاصة ، ومشكلاتها الخاصة .

من هذه الزاوية ، فان هذه الانظمة ، بالرغم من حرصها الى حد ما على توفير حل للنزاع العربي - الاسرائيلي وفق شروط تكون مقبولة لدى خصوم اسرائيل من العرب ، فانها - هذه الانظمة - مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة ، برغم دعمها الشامل لاسرائيل ، وذلك مقابل ما ستحصل عليه هذه الانظمة من مساندة امريكية في الصراع العربي الداخلي .

لقد أخفقت هذه السياسات على امتداد الاعوام في تحقيق غايتها الاساسية ، وهي شل ناصر مصر . ومثل ذلك كان فشلها في انتهاء النزاع العربي - الاسرائيلي بنسأء لشروط لصالح اسرائيل . ومع ان القوة المصرية والنفوذ المصري في العالم العربي قد انحسرا بصورة كبيرة للغاية بعد حرب حزيران ، فلقد بقيت مصر قادرة على أن تكسب الدعم للفلسطينيين وقضية كفاحهم ، ولسياسة دفاعية لمواجهة ترسيخ الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . ان المشاركة السوفياتية المتعاطفة في النظام الدفاعي في مصر ، مكن الاخيرة من الصمود امام الضغط الامريكي / الاسرائيلي المشترك والمتواصل .

أخفقت السياسات في منع النزاع العربي - الاسرائيلي من الانفجار في ١٩٧٣ ، وهذا هو الأسوأ ، ان معاداة الولايات المتحدة تزايدت في مناطق كانت فيها خافطة بعض الشيء . وكان الحظر العربي على النفط في اكتوبر ١٩٧٣ ، نذيراً بتدهور لاحق في علاقات جميع الدول العربية بالولايات المتحدة ، وأكد بجلاء كاف مركزية النزاع العربي - الاسرائيلي بالنسبة لجمل الهيكل السياسي للعالم العربي . ولهذا تطلبت الحاجة وضع سياسة جديدة من شأنها أن تؤدي الى تسوية شاملة والى اصلاح العلاقات مع جميع الدول العربية كهدف عاجل .

[٤]

تستهدف السياسة الأمريكية المعدلة ، تثبيت أوضاع المنطقة بتوفير الشرعية لنظام الدول بأسره ، واذا أمكن تأمين هذا الاستقرار « يصبح من الممكن لجميع الدول أن تضبط خلافاتها في اطار النظام بدلا من الاطاحة به » (١). يبدو ان تفسير الدكتور كيسينجر للنزاع العربي - الاسرائيلي كما يتجلى في الخطوات التي اتخذها توذلا الى حله ، يعزو عدائية اسرائيل وانفلاتها الى حد كبير ، الى افتقاد اسرائيل الى الشرعية داخل العالم العربي . وعلى هذا فان الواجب الرئيسي للسياسة الأمريكية هو تأمين الشرعية لاسرائيل التي طالما سبعت لنيلها دون جدوى . ولقد قامت السياسة الأمريكية منذ حرب اكتوبر على فرضية مؤداها ان تأمين الشرعية لاسرائيل أمر في متناول

الإمكان . وفي حال تحقق هذه الشرعية ، يصبح من الممكن لإسرائيل أن تفاوض الدول العربية حول النزاعات الإقليمية .

ومع ذلك فإن إسرائيل انتهجت حتى الآن سياسة خارجية تمزيقية في المنطقة ، بسبب احساسها بالتهديد . أو بلغة كيسينجر ، فإن إسرائيل انتهجت « سياسة خارجية ثورية ، لكن هدفها قد يكون دفاعيا . أنها قد تكون حقا مخلصه في ما تعلنه من الاحساس بالخطر . لكن السمة المميزة للسلطة الثورية ليس كونها تشعر بالتهديد ... بل الا يوجد ما يكفل توفير الطمأنينة لها . ان الامن المطلق — تحييد الخصم — هو وحده الممكن اعتباره ضمانة كافية ، وهكذا فإن رغبة دولة واحدة بالامن المطلق تعني عدم الامن المطلق لجميع الدول الأخرى » (٢) .

ان تاريخ العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل هو أساسا تاريخ التصادم بين دول تتناهبها المشاعر الثقلة لامتقاد الامان . ان سياسة إسرائيل في السيطرة المطلقة المنطلقة من اعتباراتها الامنية ، حالت دون وصول فريقى النزاع الى أية صيغة للتسوية . وعلى هذا فالواجب الآن هو التفاوض من أجل تسوية كفيلة بتوفير ما تفتقده إسرائيل من احساس بالامن ، انما دون أن تكون التسوية قائمة على مفهوم السيطرة . وكون دكتور كيسينجر قد سعى للتوصل الى تسوية بين الفريقين المتصلين بالنزاع يكشف بوضوح ان تفسيره للاحتياجات والمطالب المصرية يقوم على الاساس ذاته .

منذ عدة سنوات ، يلاحظ مراقبون ان مصالح مصر الاساسية قد تحولت بصورة بارزة . لقد قيل انه بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأت الطبقة التكنوقراطية والنخبة الصانعة للسياسة المصرية ، بالضغط من أجل سياسة التنمية الداخلية التي عرقلها في الماضي انغماس مصر المباشر في شؤون العالم العربي وعلاقتها العدائية مع الغرب . ان التراخي المتدرج لسياسة عبدالناصر النشطة في العالم العربي ، وتوصله الى التفاهم مع منافسيه وخصومه السابقين — مع ان هذا كان نابعا جزئيا من رغبته في الحصول على مساندتهم السياسية والمالية لدفاع مصر عن نفسها امام إسرائيل — والتشديد على هذا الخط في عهد الرئيس السادات ، أوجد وهما بأن مصر مهياة ، في ظل ظروف معينة ، لفك ارتباطها بالنزاع العربي — الاسرائيلي . وان هم الوسيط اذن ، هو أن يدبر تسوية تستهدف اعادة الكرامة الى مصر ، وفي الوقت نفسه توفير أمنها .

ومع ان تطور سوريا وارتباطاتها تختلف عن مصر ، الا أنه تم التوصل الى تشخيص مماثل لوضعها . لقد كان هناك توكيد على ان التزام سوريا المطلق بالكفاح الفلسطيني ، هو دالة على رفضها للتجزئة السياسية في العالم العربي ، وهي تجزئة ناتجة عن تأثير الكولونيالية الأوروبية . ومن ثم فإن عدااء سوريا لإسرائيل يمثل جزئيا دفاعها عن الوطن القومي العربي . ومع ذلك فإن صانعي السياسة الأمريكية يظنون بأن تطور السياسات السورية في العقد المنصرم يدل على ان سوريا توصلت الى التفاهم مع الحقائق الجديدة في العالم العربي ، وهي حقائق تعطي الشرعية للدول القائمة .

وبهذا يصبح جليا ان مقاربة كيسينجر للنزاع تقوم على محاولة لتلبية معقولة للآمال الوطنية لمصر وسوريا — طالما تميزت عن آمال أشقائهم من العرب — بأسلوب ذي شقين : من جهة اعادة كرامتهما ببرد مناطقيهما المحتلة من قبل إسرائيل ، ومن الجهة الأخرى بالاستجابة الايجابية لحاجتهما للنمو الاقتصادي عبر المساعدة الأمريكية الاقتصادية المباشرة والأمريكية — العربية . ان اتفاقيات فصل القوات ، ومتابعة السعي من أجل اتفاقيات مؤقتة أخرى تستهدف تحقيق انسحابات اسرائيلية أخرى ، تمثل جهودات للفصل بين فريقى النزاع والمباعدة بينهما بصورة كافية لتبديد المخاوف

من هجوم عسكري . ومهما كانت الصيغة التي ستتبلور فيها الاتفاقيات ، فمن الواضح بصورة معقولة أنه لا بد من تجريد المناطق التي تنسحب منها إسرائيل من السلاح ، ووضعها تحت رقابة محايدة .

بهذا الأسلوب يمكن إصابة عدة عصابات :

أولا : الأمن لإسرائيل وللدول العربية .

ثانياً : رد الكرامة الوطنية للدول العربية بإجلاء القوات المحتلة .

وثالثاً : صيغة ما من الشرعية السياسية لإسرائيل .

وسوف تكافأ الدول العربية بالعموم الاقتصادي والرساميل الخارجية المشتركة المنشودة بلهفة من أجل التنمية الداخلية الاقتصادية والاجتماعية . ان كون مصر قد عدلت سياستها الفعالة تجاه دول شبه الجزيرة العربية وتجاه الولايات المتحدة الأمريكية ، يبسر حصولها على ذلك العموم الاقتصادي الذي كان عبد الناصر قادراً على جلبه من الاتحاد السوفياتي . ان تحولا أساسيا في الخط الوطني للدول العربية التي ستانسحب إسرائيل من أراضيها ، هو اذن أحد الاهداف الرئيسية التي تريد السياسة الأمريكية الوصول إليها ، الامر الذي قد يغري إسرائيل بالتخفيف من سياستها السابقة إزاء العرب القائمة على السيطرة .

[٥]

إذا كان تحقيق اتفاقية قد ينتج عنها اسباغ الشرعية التي تريدها إسرائيل امرا ليس بالعسير من ناحية نظرية ، فان توجه مصر العربي يلقي عثرات ذات شأن في طريق تسوية كهذه . ان ارتباط مصر بالفلسطينيين تاريخي ، ولقد كان من المفهوم بجلاء ان التزام مصر ذلك ، يستوجب منها القبول بما يبلوره الفلسطينيون لانفسهم من اهداف وطنية ، ومع ذلك لوحظت بعض التبدلات في السياسة المصرية في السنوات القلائل الاخيرة . فمن ناحية بدأت وسائل الاعلام المصرية باثارة شكوك حول معقولية وامكان تحقيق الاهداف الوطنية الفلسطينية كما قررها المجلس الوطني الفلسطيني . ومن ناحية أخرى قيل ان المناخ الدولي لا يسمح بتحقيق هذه الاهداف الوطنية ، ومن ثم فانه يفرض على قدرة العرب لتحقيقها ، قيودا مهمة .

عندما أعلنت مصر استعدادها للقبول بإسرائيل كدولة ، اصبح من المستحيل عليها ان تتف وتقف متناقضة : وقفة تقبل بوجود دولة إسرائيل ، وقفة أخرى تلتزم فيها بدعم الهدف الوطني الفلسطيني وهو تحرير فلسطين . ومن هنا طرحت مصر موضوعة دولتين شرعيتين في فلسطين ضمن حدود الانتداب السابق . ولقد غدا واضحا بصورة متزايدة ان استعداد مصر للتعامل مع إسرائيل — مهما كان شكل التسوية المصرية — الاسرائيلية يتوقف على تحقيق الاهداف الفلسطينية بانشاء دولة في أجزاء من فلسطين . ان الضغط الذي مورس منذ حزيران ١٩٧٣ ، لاقامة دولة فلسطينية مستقلة في أجزاء من فلسطين ، يرتبط اذن بصورة مباشرة بالجهود المبذولة لانجاز تسوية مصرية — اسرائيلية . ومن زاوية النظر هذه ، ان مصر هي مفتاح التسوية . ومهما راودت سوريا من شكوك ، تفترض اميركا انها لن تخاطر بالبقاء وحيدة في الكفاح ضد إسرائيل . وهكذا فان تسوية ما بين إسرائيل وسوريا مرهونة بالترتيبات الجديدة لعلاقات القوى التي ستنبثق عن اتفاقية مصرية — اسرائيلية محتملة .

وهكذا غدت مشروعية المطامح الفلسطينية مسألة مهمة في السياسة الأمريكية . وكان من رأي البعض في وقت من الأوقات أن مصر قادرة على الوصول الى اتفاقية منفردة مع إسرائيل ، لكن الحقيقة الساطعة هي ان أية اتفاقية تعجز عن تلبية بعض المطامح الفلسطينية ، لن تنال أية تزكية . ان الضغط العربي المشترك لن يسمح بوجود مثل هذه الاتفاقية . واكثر من ذلك ، ان الالتزام القوي لبعض الدول العربية بالمطامح الفلسطينية ، واستعداد آخرين لاجراء تسوية معقولة لمسألة القدس ، يمنعان وصول تسوية ثنائية بين مصر واسرائيل الى نهاية الشوط .

وفيما أصر البعض على ان تحقيق تسوية بين اسرائيل والاردن قد يحل اشكالا معينا ، فان اتفاقية كهذه سوف تؤدي الى اطالة أمد النضال الفلسطيني ، وقد تتسبب في عواقب يصعب التنبؤ بها تؤثر على الاستقرار في المنطقة . ولهذا من المعتقد ان اسباب الشرعية على المطامح الفلسطينية ، الامر الذي يمكن للولوح اليه بخلق دولة اقليمية في اجزاء من فلسطين ، قد ينتج دولة فلسطينية محكومة بتعهدات ، دولة ستترسي القواعد الضرورية للملائمة لنظام سياسي مستقر . وهكذا يغدو تحويل خط سير المقاومة الفلسطينية الى دولة فلسطينية ، غاية مهمة لتحقيق تسوية نهائية تمنح الشرعية لجمال النظام السياسي في المنطقة .

وكما يفترض ان يكون لاسباب الشرعية على اسرائيل ضمن العالم العربي تأثير مهم على سياسة اسرائيل التمزيقية السابقة ، يفترض ان يكون لاسباب الشرعية على الفلسطينيين — بالمثل تماما — الى مجتمع فلسطيني أكثر اعتدالا . ويجب ان نعيد الى الازهان ان احتواء الدفع الثوري في العالم العربي ، كان باستمرار هدفا عزيزا على قلب السياسة الخارجية الأمريكية . وبناء لذلك الهدف ، فان تلك السياسة عملت طيلة السنوات القليلة المنصرمة اما لتصفية او لتحويل الثورة الفلسطينية . ان تعزيز الولايات المتحدة العسكري لاسرائيل في جهودها لتدمير المقاومة الفلسطينية ، ودعمها للاردن ، ومساعدتها الماكرة في لبنان ، ذلك كله استهدف انهاء الثورة الفلسطينية . الا ان التغير التدريجي في الموقف الأمريكي الذي يمكن ملاحظته في العامين الماضيين ، باتجاه الاستجابة لاحد المطامح الفلسطينية ، والذي استدعى بقوة تناولا مختلفا للمسألة الفلسطينية ، سوف يؤدي الى ضغط على اسرائيل والاردن معا . ومع انه لا يجري الاعتراف على نطاق عام بهذا التغير في الموقف الأمريكي ، الا ان من الجلي تماما من التصريحات الرسمية المؤيدة « لمصالح » الفلسطينيين ، وهي مصالح « يجب ان تنسج من قماش التسوية » ، ان اصحاب فكرة اقامة دولة فلسطينية في اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، نجحوا في اقناع صانعي السياسة بأن هذه الدولة ضرورية لاضفاء قدر من الشرعية على بعض المطامح الفلسطينية ، بغية ارساء دعائم الاستقرار في المنطقة . ومن هنا كانت الضغوط على اسرائيل من اجل ان « تتعامل » مع الفلسطينيين .

ولقد كان هناك احياء في وقت مبكر ، بان كل طرف من اطراف النزاع تنتظره بعض المكافآت ، بحيث ان كلا من الفرقاء أصبحت له مصلحة ما في تسوية تفاوضية . ما الذي يمكن ان يكسبه الفلسطينيون من سياسة قد تعترف بمشروعية بعض مطالبهم لاكلها ؟ يدافع البراغماتيون عن هذا التوجه بقولهم ان منافع الدولة هي في تقديمها حلا لمسألة الهوية الوطنية والمشكلات الانسانية الناشئة عن التشرذم . وعلى القدر نفسه من الاهمية ، مسألة ما يمكن ان يكون مصير الفلسطينيين فيما لو لم تخلق دولة فلسطينية ، لان من الجلي تماما انهم في احسن الاحوال لن يواجهوا منوى سياسة « الالهال اللطيف » ، الامر الذي سيجعلهم في وضع لا يختلف كثيرا عن الوضع الذي

كان سائدا بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وربما يدرك الفلسطينيون ان اقامة دولة في اجزاء من فلسطين تمثل أمل النجاة الوحيد لانقاذ هويتهم الوطنية .

وفيما يلي تحليل دكتور كيسنجر لمأزق مماثل تواجهه دولة مهزومة ، وهو تحليل قد يكون مناسباً ايضاً بالنسبة للمأزق الذي يواجه الفلسطينين . انه يتحدث عن الخيار الذي قد تلجأ اليه دولة مهزومة . انه يلاحظ انها « قد تتوصل الى الاقتناع بعمقها الطبيعي فتتنازل لانقاذ وجودها الوطني وذلك بالتكيف مع الفريق المنتصر . ان هذه ليست بالضرورة سياسة بطولية ، الا انها في ظروف معينة قد تكون أكثر السياسات بطولة على الاطلاق . أن تتعاون دون أن تفقد الروح ، ان تساعد دون ان تضحي بذاتها الخاصة ، أن تعمل من اجل انعتاقها وهي في رداء العبودية وفي ظل تكميم الاغواء ، فهل هناك أي اختبار اقسى من هذا للصلابة الخلقية ؟ » (٦) هل في وسعنا أن نفترض ان السياسة الامريكية ازاء الفلسطينيين اليوم ، تستهدي بهذا التقييم ؟

[٦]

وهكذا تصبح شروط وغايات تسوية نهائية ، واضحة : أولاً ، ان تسوية كهذه يقيض لها ان تصفي الشرعية على اسرائيل والفلسطينيين ، ليصبح كلاهما أعضاء في نظام الدولة في الشرق الاوسط . **ثانياً** ، ان الاتليم العربية التي يراد اجلاء اسرائيل عنها ، تصبح حاجزا لفترة من الزمن ، وبذلك ضمان للامن المتبادل لجميع الفرقاء . **ثالثاً** و أخيراً ، تضمين التسوية اتفاقية وضمانة عامتين للامن المتبادل لجميع دول المنطقة . ومع ان تسوية كهذه سيتم التوصل اليها أخيراً بين دول المنطقة نفسها ، فان كفالته قد تأتي أولاً من الولايات المتحدة الامريكية وربما من الاتحاد السوفياتي . ويبقى السؤال الذي يستحق البحث عن جواب : هل يمكن لتسوية مؤسسة على هذه الفرضيات والشروط ان تمر في العالم العربي المعاصر ؟

ان سياسة امريكية تقوم على ضم عدة دول عربية ، انما ليست جميعاً ، الى نادي أصدقائها ، ستواجه بالتأكيد مصاعب جدية . ولسبب وحيد ، ان الدول التي آثرت انتهاز الصراع طريقاً للتسوية النهائية ، تمتلك القدرة ضمن نظام الدول العربية لتسبب تمزيقاً خطيراً .

في ظل هذا التواجد المتزامن لدول تنتهج أساليب متباينة ، لا يكون التأثير الثوري للجهد القومي السابق وحركة المقاومة الفلسطينية قوة خائفة . وقد تفترض السياسة الامريكية ان الثروات الجديدة في العالم العربي ، واستراتيجية التنمية التي تتبناها النخبات التكنوقراطية الجديدة ، سوف تقود الى التسليم بالنهج البورجوازي للتنمية . على ان ما هو واضح ان الثروة الجديدة ، غير الموزعة بالتساوي بين الدول العربية ، وغير الموزعة او المنتفع بها بالتساوي داخل كل دولة منها ، ستخلق بالضرورة تناقضات أقوى داخل كل مجتمع عربي . ان كون الانظمة السياسية في العالم العربي قد قبلت استراتيجية للتنمية تستوحي أساساً النمط الأوروبي/الأمريكي ، في وقت نشدت فيه الحاجة الى تغييرات جسورة وجذرية في البنية القاعدية للمجتمع العربي ، هذا الامر سيفرز في الوقت الملائم اتجاهات جديدة للحركة الثورية العربية التي تتشد الاستقلال الكامل . اي ان تلك الانظمة التي تبدي استعدادها للموافقة على استلاب جزء مهم من الوطن العربي ، وعلى اضعاف الشرعية على الدولة التي ظهرت في ذلك الجزء ، سوف تؤدي ببساطة الى اذكاء اضافي لشعلة السخط والاستياء .

ان الرؤيا الامريكية لنظام سياسي شرعي في المنطقة ، يتألف من دول ذات سيادة ملتزمة بالحفاظ عليها ، وينهج كل منها ما كان قد جرى تعريفه على أنه مصالحها « الوطنية » بالترادف مع المصالح الامريكية ، يبدو منطقيا بما فيه الكفاية ، لكن العالم ليس عالما ميكانيكيا يتألف من مجموعة من الالات التي تنظم في مواضعها باحكام . ان مخططات امريكية اخرى لخلق نظام سياسي مستقر تحولت الى هباء : في كمبوديا ، وفيتنام ، واليونان ، والبرتغال ، واثيوبيا ، وقبرص . فلماذا يمكن ان يكون العالم العربي ، هذا العالم الذي تدرس في العقدين المنصرمين باختبارات ايديولوجية وتكوينية ذات شأن ، ان يكون استثناء ؟ ان تسوية من الطراز الذي شرحناه آنفا ، مع انها قد تبدو على المدى القصير جدا قابلة للحياة ، ستفرز بالتأكيد ، وفي النهاية ، نقيضها الجدلي الخاص .

-
- ١ - هنري كيسنجر ، عالم مرمم ، بوسطن :
 ٢ - المصدر نفسه ، ص ٢ .
 ٣ - المصدر نفسه ، ص ١٩ .
 هيوتن ميلن ، ١٩٥٧ ، ص ٥ .

في سبيل حظر عالمي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل

الدكتور محمد عادل الزعيم

لن يطول الزمن حتى تتوضح للرجل العادي في مختلف بقاع الارض فداحة الخطأ التاريخي الذي تتحمل مسؤولياته المجموعة الدولية كلها بتسرك الكيان الصهيوني « اسرائيل » ينمو ويتوسع على صورة دولة بغير حدود في منطقة حيوية هي من أهم مناطق العالم استراتيجيا واقتصاديا وحضاريا وروحيا ، فقد تطور هذا الكيان ، في داخله وفي خارجه على السواء ، ضمن مناخ المؤامرة والمغامرة وانتهاك الحقوق والاستهتار بكل ما توصل اليه العالم المتمدن من قيم ومبادئ ، وما زال يشكل بؤرة للعدوان والاضطراب والفساد وتهديد السلم والامن ليس في منطقة الشرق الاوسط وحدها بل في العالم كله .

وقد بدأت تظهر بوادر **الانفصام** بين الكيان الاسرائيلي وبين ما تعارفت عليه شعوب العالم من صفات « الدولة » وقيامها بما تفرضه الميثاق الدولية من واجبات ، فواجهت اسرائيل بصورة فعلية خلال التصويت الرسمي على قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (دورة ١٩٧٤) ، وعلى صعيد المواقف المنفردة للدول ، الملامح الصارمة لوجه المجتمع الدولي الذي ساعته تصرفات اسرائيل واستنكر أعمالها وأمرها باعادة الحق الى نصابه وتنفيذ متطلبات العدل والامن .

لا شك ان التطور الجديد في الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية يرجع في جزء كبير منه الى تعاطف الاحساس بمبادئ الحق وقواعد العدالة ، ولكنه لا يمكن — الى جانب ذلك — نكران **ادراك الدول — حكومات وشعوبا — للمخاطر العالمية** التي نشأت والتي ستنشأ عن مظاهر « الشخصية الاسرائيلية » ككيان دولي قائم على الغزو والعدوان والعنف ، وكخليفة استعمارية لها أطباعها القديمة الجديدة وارتباطاتها العضوية مع الصهيونية العالمية . ويضاف الى ذلك كله استخفاف اسرائيل بالمجتمع الدولي وانستهترها **بقرارات الأمم المتحدة** ورفضها الثابت والمستمر لموجبات السلم والعدالة في المنطقة .

ولعل أهم مظاهر الاستهتار الاسرائيلي بمبادئ السلم والامن الدوليين صس دور تهديدات رسمية عن الحكام الاسرائيليين **باستخدام الاسلحة النووية** في حرب مستقبلية في الشرق الاوسط ، وقيام اسرائيل بتجميع كميات هائلة من **الاسلحة المعروفة وغير المعروفة** استعدادا لاشغال حرب كبيرة مدمرة قد تلهب العالم كله ، وليس ذلك بالامر الذي يمكن لشعوب العالم ان تتهاون في عدم اعارته ما يستحقه من الاهتمام والحذر لانه سينسف بناء السلام الذي ظلت تعمل على تشييده حجرا حجرا منذ أن وضعت الحرب العالمية الاخرة اوزارها .

وقد حدا هذا الإدراك الواسع للخطر المحيق بالسلام العالمي بدول كثيرة كانت في الماضي أداة طيعة للخطط الامبريالية - الصهيونية لان ترفض استمرار الخضوع **للتحالف الاميركي - الاسرائيلي** ، فكشفت بجرأة وصراحة عن مواقفها المناهضة لسياسة العدوان والعنف والمؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني ، بل أصبح موقف اكثرية الدول الاوروبية - وهذا تطور هام في تاريخ القضية الفلسطينية - مخالفا لموقف الولايات المتحدة الاميركية في منح الدعم المطلوب لاسرائيل وتهيئة غطاء دائم لها من الحماية السياسية والعسكرية اقوى كثيرا من كل ما يمكن تصوره من أشكال التحالف المعروفة في العلاقات الدولية .

وانعكس هذا الإدراك على صيغة الروابط الدولية المعروفة من قبل ، سواء من حيث اتساع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني أمام مختلف أشخاص القانون الدولي ، أو من حيث علاقة العالم العربي المتضامن في مواجهة الخطر الاسرائيلي مع الكتل والدول والمنظمات العالمية ومؤتمرات الشعوب ، وأصبحت **القضية الفلسطينية** مرتبطة بصورة اكثر تلازما وأشد وضوحا مع مسائل انهاء الاستعمار ومكافحة التمييز العنصري واحترام حقوق الانسان والاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها - ليس على الصعيد الفكري والعاطفي بل على الصعيد القانوني أيضا - مما يعتبر نصرا كبيرا لهذه القضية على مستوى الامم المتحدة والتزامات الدول الاعضاء بمبادئها وادانة كاملة للكيان الصهيوني **لمخالفته أحكام الميثاق وخروجه على القواعد والاعراف الدولية وامتناعه عن تنفيذ مقررات الهيئة الدولية** .

ونتيجة لهذه التطورات كلها على صعيد الراي العام العالمي وعلى صعيد مهمات الامم المتحدة وصلاحياتها فقد أصبح لزاما على المجتمع الدولي ، بموجب مقتضيات النظام العالمي المتمثل في ميثاق الامم المتحدة ، وتنفيذا لمبادئ القانون الدولي والاعراف الدولية ، ان يبحث عن **وسائل قسرية** تكبح جماح اسرائيل وتضعها في المكان الذي يمكن فيه حفظ الامن والسلم الدوليين واحترام الموائيق الدولية وتنفيذ القرارات الصادرة عن الامم المتحدة وخاصة مسألة انسحابها من الاراضي التي احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني .

لقد طالبت أصوات كثيرة بفرض « عقوبات اقتصادية » على اسرائيل ، وقاطعتها فعلا على صعيد العلاقات الثقافية منظمة دولية كبرى هي الاونيسكو المنبثقة عن الامم المتحدة ، نتيجة استهتار الحكام الاسرائيليين بحقوق الانسان وبالقيم الروحية والثقافية للشعب الفلسطيني وللارض الفلسطينية - ولكن التعتنت الاسرائيلي يحتاج الى تدابير اكثر زجرا واشد فعالية وخاصة في موضوع **ردع اسرائيل عن العدوان المسلح** . فالامر الذي يجب ان يستأثر باهتمام المجموعة الانسانية ، كتلا دولية ومنظمات وشعوبا وحكومات - هو مسألة تقليص التسلح الاسرائيلي المتزايد المتقترن بالتهديد العسكري المستمر والحصول على اكثرية كبيرة من الدول لتلتزم بعدم **مد اسرائيل بالعتاد الحربي** وما ينفرع عنه من مساعدات فنية وخبرات عسكرية ومواد استراتيجيية . ان مثل هذا الحظر العالمي - متى توفرت امكانيات تحقيقه - سيقوم بجانب كبير من مهمة الردع المطلوب ، لان بعض الاجراءات الزجرية الاخرى - كالعقوبات الاقتصادية البحتة - قد يؤدي الى خلق ردود فعل سلبية ، وقد تحمل اسرائيل على الاسراع في الحرب ما دامت تملك وسائلها لتغيير المناخ القائم في المنطقة ومحاولة ضرب التضامن العربي واحراز مكاسب عسكرية تعوض سياسيا ونفسيا - وربما اقتصاديا ايضا - عن آثار ومفاعيل الاجراءات المتخذة .

سوف يقال أن مثل هذا الحظر العالمي على تصدير العتاد الحربي الى اسرائيل لن يكون مجديا عمليا ما دامت **الولايات المتحدة الاميركية** ستستمر رغم كل شيء في سد حاجات اسرائيل من الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية والخبرات الفنية في كل الاوقات ، الهادئة والعاصفة معا ، وقبل المعارك وأثناءها وبعدها ، فما الفائدة إذن من هذا الحظر الذي لن تعترف به الولايات المتحدة ، أكبر ترسانات العالم للأسلحة ؟ ان مثل هذا القول يمكن ايراده على كل صعيد وفي كل ميدان وليس على مسألة الحظر وحدها ، ويمكننا ان نتساءل إذن عن جدوى كل المساعي والجهود المبذولة في أروقة الأمم المتحدة وفي المحافل الدولية الأخرى منذ انشاء اسرائيل حتى اليوم : أكان يمكن الاستمرار في بذلها اذا كانت تواجه منذ البداية الشعور بالعجز والاستسلام أمام معارضة الولايات المتحدة لكل ما يمس اسرائيل . أكان ممكنا قيام حرب تشرين وما حققته من آثار عسكرية وسياسية واقتصادية على مستوى العالم كله ؟ أكان ممكنا الحصول على القرارات الأخيرة للأمم المتحدة في دورة عام ١٩٧٤ ؟

لنفترض بالمقابل استبعاد فكرة الحظر العالمي من قبل أكثرية دول العالم ، بما في ذلك الدول الأوروبية المنتجة للأسلحة الحربية والتي أصبح أغلبها مقتنعا بعدالة القضية الفلسطينية او على الأقل بعدم التورط مع الولايات المتحدة في معاداة العالم العربي ، فما الذي يمكن توقعه نتيجة لذلك ؟

اولا - سوف تستمر اسرائيل في تأمين جزء مهم من معداتها العسكرية التي لم تكن الولايات المتحدة تقوم ، لسبب أو لأخر ، بتوريدها في الماضي الى الكيان الاسرائيلي (١) .

ثانيا - سوف تتمكن اسرائيل من متابعة استخدام الاسلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية التي كانت قد استوردتها في السنوات الماضية من دول أوروبا عن طريق استمرار حصولها على الذخائر وقطع التبدل ولوازم الصيانة والتعمير .. وغير ذلك من المواد اللازمة للاستخدام المفيد للعتاد الذي ما زال يستعمله الجيش الاسرائيلي او ما يزال مخزونا في مستودعاتها (٢) .

ثالثا - سوف تعمل اسرائيل على اغراء الدول الأوروبية (٣) والدول الأخرى المنتجة للسلاح في العالم بشراء صفقات مهمة من العتاد الحربي مستفيدة من الازمة الاقتصادية الحالية ، وخاصة البطالة المتزايدة في أكثر الدول الصناعية (٤) .

رابعا - سوف يستمر استيراد الخبرات العلمية والفنية والعسكرية الى اسرائيل من الدول الأوروبية لخدمة أغراض التسليح الحربي تحت ضغط اغراءات المال (يستوي في ذلك قدوم اليهود الأوروبيين أو غيرهم من مواطني الدول الأوروبية) .

خامسا - سوف تكون بعض المراكز الصناعية والتجارية وخطوط المواصلات والتسهيلات الجبركية والمؤسسات المصرفية في الدول الأوروبية في خدمة التسليح الاسرائيلي سواء أقامت بمهمة المحطات او الروافد او كانت مراكز لاعادة التصدير للعتاد المتوجه الى اسرائيل .

سادسا - سوف تستطيع اسرائيل ان تناور بصورة أكثر حرية على مستوى علاقاتها الاقتصادية والمالية والسياسية مع الدول الأخرى بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها في مقابل حالة « الأسواق المفتوحة » للعتاد الحربي في دول أوروبا .

اننا نرى ان الظروف الحالية التي تمر بها القضية الفلسطينية تعتبر مؤاتية من جميع النواحي السياسية والقانونية والنفسية لقيام الدول العربية بمجهود جديد للحصول

من اكثرية دول العالم — وبشكل خاص من الدول الاوربية المنتجة للأسلحة(ه) — على قرارات **بالحظر على تصدير العتاد الحربي الى اسرائيل** رغم الصعوبات الكثيرة الممكن تصورهما — وهي أمر واقس يجب مجابته — نتيجة الدعم الامركي المطلوب لتسليح اسرائيل .

ولكي يكون هذا الحظر في خدمة السلام الحقيقي وتحقيق هدفه المشروع المتمثل في ردع اسرائيل عن العدوان والزامها بتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، ينبغي ان يكتسي هذا الاجراء ثوب **المشروعية الدولية** سواء من حيث شروط اصداره او من حيث طرائق تطبيقه ، وهذا هو ما سندرسه في النقطتين التاليتين :

النقطة الاولى — وسائل الحصول على حظر عالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل .

النقطة الثانية — اسلوب تنفيذ الحظر العالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل .

ونود ان نشير الى ان هذه الدراسة ستقتصر على بحث النقاط الموضوعية المتعلقة بانطباق الحظر العالمي المطروح بحثه هنا على قواعد القانون الدولي وانسجامه مع الاعراف الدولية وحقوق المنظمات العالمية ، فهي أزمة بمثابة بيان لخطة **مجهود حقوقي دولي** أكثر من أن تكون خطة عمل دبلوماسية ، فهذا الميدان الآخر هو المجال التطبيقي المتنوع الاساليب والاشكال للحصول على أهداف محددة بصورة مسبقة ، وبالتالي فإن تنظيم العمل على هذا الصعيد يتم بصورة مختلفة تماما عن منهج هذه الدراسة .

النقطة الاولى

وسائل الحصول على حظر عالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل

تحت ستار مبدأ **توازن القوى** في الشرق الاوسط استطاعت الولايات المتحدة ودول صناعية اخرى تعمل بتوجيهها وارشادها او تتصرف تحت ضغطها السياسي ان تجعل من اسرائيل ترسانة متخمة بصنوف الاسلحة المتنوعة اللازمة لكل العمليات الحربية البحرية والجوية والبرية ومختلف المواد والتجهيزات والمعدات الضرورية لاعمال جيش « الدفاع » الاسرائيلي في الداخل وتطويق العمليات الفدائية واضطهاد المواطنين الفلسطينيين ، وباقي الاعمال الاخرى المتممة للعمليات الحربية كالاختراق المحدود للحدود العربية الجسورة والتخريب والتجسس والمخابرات العسكرية والمواصلات وغيرها ...

وقد ظهر دور الولايات المتحدة في هذا المضمار واضحا منذ سنين طويلة سواء على صعيد علاقاتها المباشرة بالاحلاف العسكرية التي خلقتها ، وخاصة بدول اوربا الغربية المنخرطة في حلف الاطلسي ، او بالدول الاوربية منفردة ، كالمانيا الغربية مثلا في مسألة التعويضات الالمانية لاسرائيل(١) ، وحينما انقطعت فرنسا عن امداد اسرائيل ببعض الاسلحة الهامة ، كالمقاتلات المقاتلة مثلا ، هبت الولايات المتحدة لمساندة اسرائيل واصلاح هذا الخلل مباشرة ، كما انها لم تعد تخشى — بعد حرب تشرين التحريرية — ان تصبح المورد الرئيسي بل الوحيد لتسليح اسرائيل اذا اقتضى الامر ، مع دعم سياسة التسليح هذه بكل الوسائل المادية والعسكرية والدعائية .

وقد فضح هذا الموقف بصورة حاسمة الاكاذبية الامركية حول **التفاهم الامركي — السوفياتي** التي ارادت الولايات المتحدة ايهام العالم بوجوده حول مسألة توازن القوى

في الشرق الاوسط ، واصبحت عاجزة اليوم عن الادعاء انها تستطيع — بحكم هذا التفاهم المزعوم — أن تحد من كميات وأنواع السلاح الشرقي المتوجه لبعض الدول العربية من الاتحاد السوفياتي ، وأنه يمكنها أن تلتزم — من جانبها — بتحديد أنواع وكميات العتاد الاميركي المصدر الى اسرائيل . ان مثل هذا الادعاء لم يكن عليه اي دليل مادي محسوس ، بل على العكس فان تعبير « سباق التسلح » في منطقة الشرق الاوسط كان يشكل الوصف السائد للوضع منذ سنوات طويلة ، مما ينفي أي اتفاق دولي بين رأس العالم الغربي ورأس العالم الاشتراكي على حدود التسلح في هذه المنطقة (٧) .

وعلى فرض وجود حد أدنى من التفاهم السياسي الضمني بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة حول حدود التسلح في منطقة الشرق الاوسط ، فان مثل هذا الالتقاء في سياستي الدولتين الكبريين فيما يتعلق بتوازن القوى في المنطقة أصبح مستحيلا بعد أن أثبتت الولايات المتحدة انها لا تتقف عند أي حد في امداد اسرائيل بالعتاد الحربي الذي تحتاجه ولو أدى الأمر — كما حدث فعلا — الى فتح مخازن احتياطي الجيش الاميركي نفسه — بل تجريد بعض الوحدات العسكرية الاميركية من سلاحها كما كشفت ذلك بعض المجلات الاميركية (٨) لارضاء الاحتياجات الاسرائيلية . ولم يقتصر الأمر على تعويض اسرائيل عن العتاد الضخم الذي فقدته أمام المفاجأة العسكرية العربية منذ الأيام الأولى من حرب تشرين ، بل استمر جسر الامدادات العسكرية الاميركية طيلة الشهور التي تلت هذه الحرب وحتى في الاوقات التي كانت تسمح الولايات المتحدة لنفسها فيها بالظهور بمظهر المشرف على احلال السلام في الشرق الاوسط ، والوسيط الرئيسي بين القوتين المتصارعتين .

ان التناقض الاساسي — لوجهة النظر القانونية الدولية الصرفة — بين التزامات الحليف المناصر لجهة من جهات النزاع الدولي وبين موقف الوسيط الذي يفترض التجرد والحياد وعدم الانحياز يجعل دور الولايات المتحدة الحالي مشيرا للشكوك خاصة وأنها تقدم بصورة فعلية للرأي العام العالمي صورة مشوهة عن استعدادات الفريقين المتنازعين للسلام، وتجعل من سياسة « الحل على مراحل » واسلوب « خطوة خطوة » مركبا لوصول اسرائيل لاهدافها في ضرب التضامن العربي وزعزعة جبهاته . ولكن الدول العربية ادركت منذ وقت ليس بالقصير عقم الحلول المطروحة وزيف الاسلوب الاميركي في الوصول الى السلم في المنطقة ، وما دام الدعم الاميركي المطلق لتسلح اسرائيل يسير جنبا الى جنب مع المحاولات الدبلوماسية المشبوهة لايجاد حلول جزئية للصراع المتائم في منطقة الشرق الاوسط ، فان الولايات المتحدة ستتعري تدريجيا عن ثياب الوسيط الدولي لتتولى نهائيا التزامات الحليف تجاه متطلبات اسرائيل ومخططاتها العسكرية .

ويبدو ان هم الولايات المتحدة الرئيسي الان — في لعبة الوسيط والحليف معا — هو كسب الوقت ، وجعل اسرائيل قادرة على الصمود في معركة جديدة مع العرب عند فشل المحاولات الدبلوماسية الموضوعة طبقا لرغبات اسرائيل . والهدف المباشر الذي تسعى اليه الولايات المتحدة في المرحلة الحاضرة هو تمكين اسرائيل بما يحتويه جوفها من تكدسات السلاح من الاستمرار في المعارك الحربية لفترة من الزمن تتراوح بين اسبوع واحد وثلاثة اسابيع دون الاعتماد مسبقا على الجسر الجوي الاميركي الذي قد لا يتمكن من تادية المهمة المطلوبة في ظروف الحرب ، وضمن المناخ الدولي الذي سيكون قائما حينذاك ، بالاضافة الى ان حرب تشرين اثبتت ارتفاع تكاليف هذا

الجسر ، وأن له بعض التعقيدات الدولية ومنها اضطراب الولايات المتحدة الى أخذ موافقة دول أخرى على مرور العتاد فوق أراضيها او في أجوائها .

وهكذا فان مبدأ توازن القوى المزعوم لم يعد يصلح للدعاء به كوسيلة من وسائل السلم في منطقة الشرق الأوسط ولا يمكن ان يؤدي ، في أية صيغة ، الى الخدمة تنفيذ المخططات الأميركية — الصهيونية . ومن جهة فان تصريحات المسؤولين الكبار في الولايات المتحدة عن الاسراع في اغراق إسرائيل بالاسلحة ، مع الاصرار على عدم التكتف في هذا الامر ، لا ينسف هذا المبدأ من أساسه فقط بل ينبيء عن تمسك الولايات المتحدة بسياسة **ارهاب الدول العربية** ومؤيديها من جهة **وتأزيم الوضع الدولي** ووضعه على حافة الحرب من جهة ثانية .

لذلك كله لا بد من توقع حدوث ردود فعل عالمية كلما تقدم الزمن وبقي الوضع المتفجر في الشرق الأوسط على حاله . وبين ردود الفعل العالمية هذه يأتي بالدرجة الاولى ظهور الحاجة الى الاقلال مما يصل إسرائيل من **وسائل الدمار وآلات العدوان** ، وبالتالي الحصول على موافقة أكثرية الدول الراغبة في السلام العادل على حظر عالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى إسرائيل للحد من عدوانها واجبارها على سلوك طريق السلام .

فالخطر المقصود اذن هو **الحظر الارغامي** الذي يهدف الى اجبار إسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، وبمعنى اخر الزامها بالقيام بالواجبات التي تفرضها قواعد القانون الدولي وموجبات السلم والامن ، وهو يختلف عن **الحظر الوقائي** الذي لا يهدف الى الزجر والمعاقبة بل الى تأكيد التمسك بقواعد الحياد وعدم التدخل بين قوتين تمتلكان قدرا متساويا من الامكانيات الحربية . وهذا الحظر الاخير قد يصلح كمؤيد لمبدأ توازن القوى — لو أنه كان موجودا حقيقة — ولكنه في الظروف الحالية للوضع في الشرق الأوسط لن يكون الا في صالح إسرائيل سواء من الوجهة المادية او النفسية ، لان آثاره ستسحب ايضا على العالم العربي الذي يدافع عن قضية عادلة اعترف بها المجتمع الدولي نفسه ، في حين تنجو إسرائيل من وصمة العدوان والخروج على ميثاق الامم المتحدة وقواعد القانون الدولي .

ان المبادئ السائدة اليوم في القانون الدولي تجعل من الحظر عملا مشروعا تستطيع ان تقوم به **الدول منفردة** كعمل من اعمال السيادة ، كما يمكن ان تقوم به **المنظمات الدولية والاقليمية** ضد دولة تعتبر تصرفاتها واعمالها خارجة على قوانين المجموعة الدولية وقواعد الامن والسلم الدوليين .

والامثلة على الحظر الذي يمكن ان تقوم به الدول بصورة **منفردة** كثيرة نذكر منها :

— الحظر الذي فرضته بلجيكا وسويسرا على شحنات الاسلحة المتوجهة الى كل من فرنسا والمانيا في حرب عام ١٨٧٠ (وهو من قبيل الحظر الوقائي) .

— الحظر الذي فرضته دول اوربية متعددة على تصدير العتاد الحربي الى اسبانيا خلال الحرب الاهلية الاسبانية من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ (وهو ايضا من اشكال الحظر الوقائي) .

— الحظر السوفياتي على تصدير البترول الى إسرائيل عام ١٩٥٦ عقب الاعتداء الثلاثي على مصر (وهو حظر ارغامي بحت) .

— الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى الشرق الأوسط عقب حرب حزيران ١٩٦٧ (وقد دعي هذا الحظر بالحظر الوقائي — الارغامي) .

— الحظر الفرنسي على تصدير جميع أنواع العتاد الحربي الى اسرائيل في ٣ كانون الثاني ١٩٦٩ عقب عدوانها على مطار بيروت الدولي (وهو حظر ارغامي) .

وأما **الحظر الجماعي** فقد كانت له في عصرنا الحاضر أمثلة متعددة منها ما تم في ظل عصبة الامم ومنها ما تقرر في ظل هيئة الامم المتحدة ومن ذلك :

— الحظر الوقائي الذي فرضته عصبة الامم في عام ١٩٧٤ على تصدير العتاد الحربي الى كل من بوليفيا وباراغواي نتيجة النزاع المشهور بينهما بأسم نزاع شاكو .

— الحظر الارغامي الذي فرضته العصبة بعد ذلك ضد باراغواي وحدها لاعلانها الحرب على بوليفيا في قضية شاكو نفسها خلافا لمبادئ عصبة الامم ، في حين رفع الحظر السابق عن بوليفيا .

— الحظر الارغامي المفروض من قبل العصبة في عام ١٩٣٥ ضد ايطاليا لقيامها بالاعتداء على الحبشة .

— الحظر الارغامي الذي قرره منظمة الامم المتحدة على روديسيا وجنوب افريقيا بسبب سياسة التمييز العنصري وعدم تنفيذ مقررات مجلس الامن والجمعية العامة .

— الحظر الارغامي الذي فرضته الامم المتحدة على البرتغال لاستمرار استعمارها لشعب انغولا (في ظل العهد الديكتاتوري السابق) .

ونلاحظ في الامثلة السابقة وجود النوعين المتميزين من الحظر : الحظر الوقائي والحظر الارغامي ، في حين ان الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير السلاح الى منطقة الشرق الاوسط في عام ١٩٦٧ دعي في ذلك الحين **بالحظر الوقائي — الارغامي** ، وهو حظر كان مفروضا ان يوجه الى اسرائيل وحدها تطبيقا للتحذير الذي كان وجههه الجنرال دوغول الى كل من الفريقين قبل نشوب الحرب بفرض الحظر على الجهة البادئة بالهجوم . بينما ان الحظر الوقائي — الارغامي الذي فرضته فرنسا في ٥ حزيران ١٩٦٧ — والذي ألغته مؤخرا — كان يستهدف اسرائيل وكلا من مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق والكويت والسعودية . وكانت اسرائيل قد اعتبرت من جانبها هذا الحظر بمثابة قطع لعلاقات الصداقة التي كانت قائمة بينها وبين فرنسا قبل حرب ١٩٦٧ رغم علمها بان هذا الحظر ينطبق على الدول العربية المجاورة ايضا . الا ان فرنسا نفسها استخدمت فيها بعد ضد اسرائيل الحظر الارغامي او ما يدعى **بالحظر — العقوبة** وذلك عقب عدوانها على مطار بيروت الدولي ، وكان من نتائج هذا الحظر المفروض في ٣ كانون الثاني ١٩٦٩ ايقاف جميع أنواع العتاد الحربي الفرنسي الى اسرائيل بما في ذلك القطع التبديلية التي لم يكن يشملها الحظر السابق .

لقد أثبتت بعض أنواع الحظر الفردي جدواها في حين عانى الحظر الجماعي — وخاصة في ظل منظمة الامم المتحدة الحالية — محاولات كثيرة للتهرب من تطبيقه ، كما يحدث في تنفيذ قرارات الحظر الجماعي على تصدير الاسلحة الحربية الى روديسيا وجنوبي افريقيا ، وذلك لاسباب تتعلق بالنظام الدولي نفسه وعدم وجود رقابة فعالة على تنفيذ اجراءات الحظر .

ولا تعرف المنظمة الدولية الحالية اشكالا من الحظر غير الحظر الارغامي الممكن اتخاذه تطبيقا لاحكام المادة ٤١ من الميثاق . وفي الواقع فان هذا النوع من التدابير الزجرية لحماية الامن والسلام الدوليين كان احدي المسائل التي عهدت بها الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٥١ الى لجنة خاصة مكلفة بدراسة « العقوبات » التي

نص عليها الميثاق والتي يمكن ان تفرض على الدول المخالفة لاحكامه . ولم تطبق المنظمة اطلاقا الحظر الوقائي (٩) .

والواقع ان ميثاق الامم المتحدة ينص في المادة ٤١ منه على امكان اتخاذ « عقوبات اقتصادية » في حالة وجود تهديد للسلام أو خرق للسلام والقيام بعدوان ، أي بعد ان يكون العمل غير المشروع قد تم ارتكابه من قبل دولة ضد دولة اخرى . ولما كان تفسير هذه المادة يجب ان يتم في ضوء المادة ٣٩ من الميثاق التي تمنح مجلس الامن هذه الصلاحية من أجل الحفاظ على السلم ، فان الميثاق يكون قد اعتبر الحظر الارغامى هو الحظر الوحيد الممكن تطبيقه واستثنى بالتالي امكانية تطبيق الحظر الوقائي .

ويفهم من هذا النص أيضا ان مجلس الامن الدولي هو السلطة التي تستطيع اتخاذ قرارات الحظر باعتباره شكلا من أشكال « العقوبات الاقتصادية » ، ولكن سابقة دولية مهمة جرت في اوائل الخمسينات وغيرت مجدا هذا الحصر اذ تمكنت الولايات المتحدة الاميركية عقب اندلاع الحرب الكورية من التهرب من الفيتو السوفياتي في مجلس الامن واستطاعت جمع الاصوات اللازمة في الجمعية العامة للامم المتحدة لاصدار قرار في عام ١٩٥١ يتضمن حظر تصدير الاسلحة الحربية الى كل من الصين الشعبية وكوريا الشمالية . ومن الضروري ان يؤخذ بعين الاعتبار تشكيل الجمعية العامة في ذلك الوقت من الخمسينات حيث لم تكن دول كثيرة من العالم الثالث قد انضمت الى الامم المتحدة ، وحيث كانت الولايات المتحدة تمارس ضغطا شديدا على الدول الصغيرة في الجمعية العامة . وفي الواقع لم يكن قرار الحظر هذا الا حلقة من حلقات الحرب الشرسة التي قادتها الولايات المتحدة ضد الشعب الكوري المكافح في سبيل تحرره ، واستطاعت بذلك اكسائه صفة المشروعية على القرارات التي كانت قد اتخذتها مع اعوانها وحلفائها قبل اجتماع الجمعية العامة . وطبيعي ان مثل هذا القرار قد قلب رأسا على عقب الغاية الرئيسية من الحظر الارغامى الذي ينبغي ان يكون عوننا لحروب التحرير ودعمنا لحق الشعوب في تقرير مصيرها لا أن يكون أداة في يد الدول الاستعمارية تضغط به على الدول الصغيرة وتحرمها من حق الدفاع عن نفسها والنضال في سبيل وجودها .

ان المبدأ الذي يجب ان يحكم اجراء الحظر هو تطبيق روح الميثاق والمبادئ الاساسية للعدالة والحق التي ينص على احترامها ، وليس موضوع اختصاص هيئة من هيئات الامم المتحدة باصدار القرار هو وحده الذي يهم الشعوب في حماية هذه المبادئ وتطبيقها ، فعلى الرغم من اتخاذ قرارات دولية صادرة بصورة نظامية عن مجلس الامن بشأن حظر تصدير العتاد الحربي الى روديسيا وجنوبي افريقيا فان عددا من الاعضاء (الكبار) في مجلس الامن وفي مقدمتهم الولايات المتحدة لم تلتزم بصورة جدية وفعالة بموجبات هذه القرارات ، ولم يكن في مقدور الدول الاخرى — وخاصة دول العالم الثالث في الجمعية العامة — ان تراقب تنفيذ قرارات الحظر هذه لعدم وجود الوسائل الكافية لديها (١٠) .

ومن جهة اخرى فان الشركات الكبرى العاملة في انتاج العتاد الحربي وتجارته العالمية في الدول الغربية — وهي مؤسسات احتكارية عملاقة ذات نفوذ سياسي واسع — تمارس ضغطا شديدا في أكثر الاحيان على المسؤولين في الدول الصناعية كيلا يطول أمد الحظر المفروض ، أو على الأقل لتحديد الحظر واقتصراره على عدد معين من المنتجات ، وهو ما يدعى أحيانا بالحظر الانتقائي ، والغرض الاساسي منه هو

تخفيف عبء الحظر المفروض وتقليل آثاره الاقتصادية على الدول المنتجة للسلاح ، الا انه تحت سنار هذه الاعتبارات نفسها قد تتمكن الدولة المتعرضة للحظر من التآمر مع هذه الشركات الاحتكارية للمطالبة بالحظر الانتقائي لقاء أغراءات مالية كبيرة ، وقد كانت تسمع في فرنسا خلال السنوات الأخيرة الماضية مثل هذه المطالبات بالحظر الانتقائي والغاء الحظر الشامل الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة الى اسرائيل في عام ١٩٦٩ .

هذه الصعوبات كلها سوف تواجه بشكل او بآخر الجهود التي يمكن أن تبذل في سبيل استصدار قرار عالمي يحظر تصدير الاسلحة الشامل الى اسرائيل ، وخاصة ان الولايات المتحدة مستلجاً الى الضغط على الدول الأخرى بغية عدم اتخاذه لانه سيستهدف اسرائيل وحدها باعتباره خطراً ارغامياً . ومع ذلك فاننا نرى انه من الممكن تفادي الكثير من الصعوبات اثناء الجهود المبذولة لتحقيق الحظر المقترح وذلك عن طريق اتباع أسلوب تسلسلي يبدأ على صعيد الدول منفردة ، ثم على صعيد المنظمات الإقليمية لينتهي أخيراً في اكبر اجتماع دولي هو الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ونعتقد ان هذه الجهود سوف تستغرق مده من الزمن لا تقصر عن موعد اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة القادم في ايلول ١٩٧٥ .

والمنطلق الأساسي في هذا الأسلوب التسلسلي للحصول على قرار عالمي بالحظر على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل هو واقع أن أكثرية دول العالم قد اتخذت موقفاً محدداً من اسرائيل اضعف صورته هو مطالبته بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الأخيرة ، وقد ظهرت هذه المواقف بأشكال مختلفة منها التصريحات الفردية والبيانات الثنائية والبيانات الدولية المتعددة الاطراف (١١) ، ومنها قرارات بعض المؤتمرات الدولية والمنظمات الإقليمية وعدد من المنظمات والهيئات العالمية المنبثقة عن الأمم المتحدة (١٢) أو عن جمعيتها العامة (١٣) .

ويتطلب الحصول على قرارات الدول الفردية بالحظر مجهوداً دبلوماسياً كبيراً من جانب الجامعة العربية ، كمنظمة اقليمية ، ومن جانب الدول الاعضاء فيها بشكل افرادي ، لاقناع الدول الصديقة سواء في العالم الثالث أو في كتلة الدول الاشتراكية أو بعض الدول الأوروبية المؤيدة للحق العربي بضرورة الحظر المقترح . وسيكون لهذه القرارات الفردية أثرها الكبير على نجاح المراحل التالية ، ونعتقد أن الفرصة مواتية في الوقت الحاضر للحصول على عدد كبير من هذه القرارات .

وتأتي المرحلة الثانية بعد أن يتم الحصول على عدد معقول من قرارات الحظر الفردية لاقناع المنظمات الإقليمية باتخاذ قرارات بالحظر على المستوى الإقليمي ، وهذه القرارات التي تتخذ بالأكثرية يمكن من ناحية أن تزيد من عدد المشتركين في الحظر ، كما سيكون لها من ناحية أخرى صداها الدولي . وطبيعي أن ينصب الجهد الأساسي في هذه المرحلة على دول السوق الأوروبية المشتركة ، لان صدور قرار بالحظر من هذه السوق سيقطع من الناحية العملية على اسرائيل طريق الحصول على جزء مهم من العتاد الحربي ، وسيحقق نصراً كبيراً للقضية الفلسطينية من حيث مغزاه الأدبي .

وأما المرحلة الثالثة فهي عرض موضوع الحظر العالمي على الأمم المتحدة كمؤيد قانوني دولي لتنفيذ القرارات التي قامت الجمعية العامة باصدارها في دورة عام ١٩٧٤ والمتعلقة بالقضية الفلسطينية وأرغام اسرائيل على الالتزام بها . وفي هذه المرحلة الأخيرة ، وهي أدق المراحل وأصعبها ، يمكن لقرار الحظر الجماعي المتخذ بأكثرية الاصوات في الجمعية العامة ان يضمن النتائج التالية :

- أولاً - تجنب مشكلات التصويت في مجلس الأمن وخاصة الفيتو الأمريكي .
- ثانياً - تغطية قرارات الحظر الفردية المتخذة من قبل الدول الاعضاء افراديا .
- ثالثاً - دعم القرارات المتخذة في المنظمات الاقليمية .
- رابعاً - تشجيع الدول المترددة على الانخراط في تنفيذ القرار الجماعي .
- خامساً - الاطمئنان الى عدم تسرب الاسلحة الحربية الى اسرائيل عبر الدول التي لم تصدر قرارا فرديا بالحظر أو لم تنضم الى القرار الجماعي بحيث يجعلها هذا القرار الأخير رغم معارضتها له قبل التصويت أو عدم قيامها بالتصويت عليه مجبرة على تنفيذه ومسؤولة دوليا عن تسرب الاسلحة الى اسرائيل في حال حدوثه .
- سادساً - تأكيد صفة الارغام والعقوبة لقرارات الحظر على صعيد المجتمع الدولي ضد اسرائيل .

سابعاً - تحميل الولايات المتحدة اذا استمرت على تسليح اسرائيل رغم قرار الحظر العالمي مسؤولية كل النتائج التي قد تحدث نتيجة قيام اسرائيل بعدوان على الدول العربية أو الامتناع نهائيا عن الانسحاب من الاراضي التي تحتلها منذ عام ١٩٦٧ والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

اننا نعتقد ان هذا الاسلوب **بمراحله الثلاث** سوف يؤدي الغاية المطلوبة ، ولا يشترط التلازم بين هذه المراحل ، كما لا يشترط أن تتحقق كل هذه المراحل تباعا ، ولكنه يمكن احراز النجاح الكامل بتحقيق المراحل الثلاث كلها .

وفي الواقع فان بعض القرارات الفردية للحظر الممكن الحصول عليها في المرحلة الاولى لن تكون الا **تثبيتا لواقع فعلي** ، فالدول الاشتراكية لا تصدر الآن الى اسرائيل أية أنواع من الاسلحة ، رغم انها دول منتجة للعتاد الحربي ، واكثرية دول العالم الثالث سوف لن تتأخر عن اصدار القرارات الفردية بالحظر ، كما انها ستلتزم بوجهة النظر العربية اذا عرض موضوع الحظر الجماعي على الامم المتحدة . واما فرنسا التي تعتبر من اكبر مصادر العتاد الحربي في العالم فقد وقفت صراحة الى جانب الحق العربي ، واذا كانت قد ألغت مؤخرا قرار الحظر الوقائي الذي كانت قد فرضته في عام ١٩٦٧ على تصدير الاسلحة الحربية الى منطقة الشرق الاوسط فان موقفها الحالي يدل على انها ما زالت تمتنع عن تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، وسيكون استبدال الحظر الوقائي بالحظر الارغامي بالنسبة لاسرائيل أمرا يمكن مناقشته في مباحثات دبلوماسية مع المسؤولين الفرنسيين . واما الدول الاوروبية الأخرى فقد ينحو بعضها نحو الفرنسي ولكن بعضها الآخر قد يظل منعتا في تأييده للكيان الصهيوني كهولندا وسويسرا والدانمارك ، ويلاحظ بصورة خاصة أن بلجيكا ، وهي من كبريات الدول المنتجة للسلاح ، قد أبدت مؤخرا موقفا سياسيا مرنا مشابها ، الى حد ما ، للموقف الفرنسي ، وقد يؤدي **الحوار الاوروبي - العربي الحاضر** الى نتائج حسنة فيما يتعلق بالتعاون بين العالم العربي ودول أوروبا على المستويين السياسي والاقتصادي وسيساعد ذلك بالتالي على اتجاح الجهود المتعلقة بالحظر . أما بالنسبة لانكلترا فقد تكون هنالك صعوبات كبيرة لتفاهم معها حول مسألة الحظر ، الا أنه اذا أمكن الحصول على عدد من قرارات الحظر الاوروبية فقد يكون الموقف البريطاني اقل تصلبا، ونعتقد أنها لن تصدر مع ذلك قرارا فرديا بالحظر ، وقد تمتنع عن التصويت في الجمعية العامة عند بحث مشروع قرار جماعي بالحظر ، ولكنها لن تعارض في هذا

القرار إذا رأت أن أغلبية الاعضاء في الجمعية العامة ستوافق على هذا الحظر ، وستقبل ضمنا بتنفيذ القرار الجماعي الصادر بالأغلبية .

صحيح انه ينبغي التركيز في مسألة الحظر على الدول المنتجة للسلاح ، ولكن اشتراك الدول الأخرى في الحظر ، بأكثرية مناسبة ، سيكون له أهمية بالغة على صعيد السياسة الدولية وسيؤثر في مواقف الدول المنتجة للسلاح نفسها ، ونعتقد انه سيكون بين الثلاثة عشر دولة المنتجة للأسلحة على المستوى العالمي (١٤) سبع الى ثماني دول ستلتزم بهذا الحظر سواء بصورة صريحة عن طريق قرارات الحظر الفردية أو بصورة ضمنية عن طريق تنفيذ القرار المتخذ بالأغلبية في الجمعية العامة للأمم المتحدة .

النقطة الثانية

أسلوب تنفيذ الحظر العالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل

سواء اتخذ قرار فرض الحظر على الاسلحة الحربية المتوجهة الى اسرائيل بشكل فردي أو جماعي ، في ظل الأمم المتحدة أو خارجها ، فإن نجاح هذا الحظر سيكون متوقفا على تحقيق شروط معينة داخل دولة الحظر وعلى صعيد التعاون مع الدول الأخرى التي قامت باجراء تدبير مماثل .

ففي حدود الدولة التي نقرر هذا الاجراء يتجلى قرار الحظر كعمل منتج للحقوق والواجبات ، ومرتبطة من جهة بالنظام العام الداخلي ومن جهة أخرى بالقانون الدولي العام :

فهو منتج للحقوق والواجبات بحيث يرتب للسلطة العامة في الدولة التي فرضت الحظر حق منع تصدير أي نوع من أنواع الاسلحة الحربية بما في ذلك القطع التبديلية والذخائر وأدوات التدريب وأعمال الصيانة والتعمير والخبرات الفنية المتعلقة بذلك . وقرارات الحظر تتضمن غالبا ، بالإضافة الى منع التصدير ، إيقاف كل الخدمات والفعاليات التي يمكن أن تضعف من آثار قرار الحظر المفروض . وهكذا فإنه يمكن منع إعادة تصدير المواد الحربية المباعة الى دولة أخرى غير التي وجه اليها قرار الحظر ، وذلك عن طريق إيراد نصوص خاصة في العقود المبرمة مع هذه الدول تتضمن هذا المنع . ومن جهة أخرى فإن قرار الحظر يمكن أن يشمل جميع المواد المحظور تصديرها التي تماثل الاسلحة المصنوعة محليا والتي تتوفر لدى الشركات الصناعية والتجارية وبين أيدي تجار الاسلحة الفرديين ولو كان مصدرها خارجيا . وفي أغلب الأحيان يلحظ منع نقل المواد المحظورة عن طريق الترانزيت فوق أرض الدولة التي قررت الحظر باتجاه الدولة التي فرض عليها هذا الاجراء . وينبغي على الشركات والأفراد المتعاملين في هذا الميدان ، وعلى الموظفين العاملين في الدولة التي فرضت الحظر ، التقيد المطلق بقرارات الحظر المفروض تحت طائلة العقوبات التي يفرضها النظام والقوانين الداخلية لكل دولة .

ونذكر على سبيل المثال تعليمات أصدرتها السلطات الفرنسية عقب قرار الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل في ٣ كانون الثاني ١٩٦٩ والتي جاء فيها ما يلي : « بالنسبة لكل عملية تصدير الى اسرائيل أو إعادة تصدير إليها أو نقل بالترانزيت أو نقل من واسطة شحن الى أخرى ، للعتاد الحربي وما يماثله ، بما في ذلك قطع التبديل ، فإن جميع الاجراءات في الجمارك يجب أن تتوقف

وذلك بمجرد ظهور هذه البضائع ، ويجب ابلاغ ذلك الى السلطات ، وأن يذكر في التقرير المرفوع نوع وقيمة المواد ورقم رخصة التصدير .

ومن الجدير بالذكر أن قرار الحظر يلغي من تاريخ صدوره جميع رخص التصدير الممنوحة للسلاح المتوجه للجهاز حتى ولو كان هذا السلاح جاهزا للشحن في المرافئ أو في المطارات أو في مخارج الحدود البرية .

ومن جهة ثانية فإن قرار الحظر هو عمل من أعمال السيادة تستطيع الدولة أن تقرره بصورة منفردة وعلى مسؤوليتها الدولية على هدى قواعد القانون والعرف الدوليين ، كما أن عليها واجب تنفيذ الحظر الجماعي الصادر عن منظمة اقليمية أو منظمة عالمية تنخرط في عضويتها سواء اشتركت في التصويت على قرار الحظر أو كانت مخالفة له ، لأن قرارات المنظمات الدولية نادرا ما تنص على الإجماع ، كما أن قرارات المنظمة العالمية (الجمعية العامة) واجبة التنفيذ سواء أخذت بالإجماع أو بالأكثرية .

وأما على **صعيد التعاون بين دول الحظر** لتنفيذ القرار الجماعي ، فإنه يمكن اللجوء الى وسائل مختلفة لتحقيق هذا التعاون :

أ - فإذا كان القرار المتخذ بالحظر صادرا عن الجمعية العامة للأمم المتحدة أو كان صادرا عن إحدى المنظمات الإقليمية فإنه سوف يكون من الملائم تشكيل لجان خاصة تتولى **الإشراف على تطبيق قرار الحظر** ويكون لها حق الاتصال المباشر مع حكومات الدول الاعضاء للتعاون معها على ازالة الصعوبات التي تعترض تنفيذ القرار ، وعلى أن ترفع اقتراحاتها وتوصياتها مرفقة بتقاريرها عن مراحل تنفيذ الحظر بشكل دوري ومتتابع الى الجهة أو الهيئة التي أصدرت القرار .

ب - أما إذا كان الحظر مطبقا عن طريق قرارات فردية صادرة عن الدول بصورة مستقلة عن الأمم المتحدة ، فنرى أن واجبا أساسيا يقع على عاتق **جامعة الدول العربية** ، كمنظمة اقليمية ، وعلى عاتق **الدول العربية منفردة** ، لتتولى عن طريق الاتصال المستمر بحكومات الدول التي قررت الحظر ، وبالمنظمات الإقليمية والكتل الدولية التي تنتمي اليها ، وبحكومات الدول الأخرى أيضا التي لم تصدر قرارا بالحظر لسبب أو لآخر ، مهام انجاح الحظر المفروض والتعاون بين مختلف الجهات لتحقيق الغايات المشروعة التي طبق من أجلها الحظر وهي ارجاع اسرائيل على الانسحاب من الأراضي التي احتلتها بصورة مخالفة للقانون الدولي واعادة الحقوق المقتضية للشعب الفلسطيني .

ومن جهة أخرى فإن **منظمة التحرير الفلسطينية** نفسها ، بما لها من اتصالات مع الحكومات والشعوب تمتلك وسائل كثيرة لانجاح قرارات تنفيذ الحظر ، باعتبارها صاحبة العلاقة المباشرة وممثلة الشعب الفلسطيني الذي يتحمل بالدرجة الاولى الاضطهاد والعدوان والانتهاكات الاسرائيلية لحقوق والواجبات الدولية .

إن حملة من **الدعمية المنظمة** عن طريق الدول الصديقة والدول الاشتراكية وبعض الدول الأوروبية المؤيدة للعرب يجب أن تقترن بهذه الجهود كلها ، وينبغي أن يكون **شعار العمل** لتنفيذ الحظر هو « ارجاع اسرائيل على تطبيق قرارات الأمم المتحدة » لتظل مشروعية تنفيذ الحظر لاصقة بكل الاجراءات المتعلقة به من وجهة القانون الدولي ، والاي يكون هنالك تفريق بين الدول المنتجة للسلاح والدول غير المنتجة له ، لأن القصد هو حفظ السلام العالمي وتطبيق قواعد العدالة والحق ، وهذا يتطلب تعاوننا كاملا بين مختلف الدول ، لأن للحظر الارغامى مغزاه الادبي بالاضافة الى مفاعيله المادية ، كما

ان الدول غير المنتجة للسلاح والتي لا تتعاون مع الدول الاخرى في تطبيق قرار الحظر قد تشكل ثغرات أساسية في اجراءات التنفيذ لانها قد تصلح لان تكون ممرا او محطات مرور الاسلحة المحظورة في طريقها الى اسرائيل .

ولا شك ان اهم الصعوبات التي ستواجه تنفيذ قرارات الحظر الفردية او الجماعية على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل ستنشأ عن ردود الفعل الاميركية ، لانها ستسعى جاهدة لتطويق اجراءات الحظر عن طريق الضغط السياسي والمادي على الدول التي تنضم الى قرار الحظر وخاصة الدول المنتجة للسلاح الحربي ، كما قد تسعى في الامم المتحدة نفسها للحصول على قرار عكسي لقرار الحظر الجماعي المفروض ، مما يستوجب بذل جهود دبلوماسية كبيرة من جانب الدول العربية والدول الصديقة لاحتباط المحاولات الاميركية المرتقبة . ونرى ان احتمالات نجاح ردود الفعل الاميركية في خلق ثغرات في اجراءات تنفيذ قرارات الحظر الفردية ستكون أكثر من احتمالات نجاحها في حال صدور قرار جماعي عن الامم المتحدة لان ثلاث دول كبرى على الاقل من الدول الخمس الكبرى في مجلس الامن ستكون في جانب تنفيذ قرار الحظر بالاضافة الى أن أكثرية الاصوات ككل في هذا المجلس ستكون أيضا في جانبه . أما بالنسبة للجمعية العامة فقد أحرزت القضية الفلسطينية أصوات الأغلبية الساحقة عند مناقشة القرارات المتعلقة بهذه القضية ، وليس قرار الحظر ومتابعة تنفيذه ، بالنسبة للجمعية العامة ، الا مؤيدا قانونيا صرفا لقرارات الامم المتحدة ، لذلك فان من المستبعد كثيرا أن تنجح الولايات المتحدة في الاستحصال من الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار معاكس يعطل تنفيذ قرار الحظر المفروض .

أما اسرائيل نفسها التي سيكون الحظر الفردي او الجماعي موجها ضدها كعقوبة دولية فسوف تعمل على جميع المستويات وبمختلف الوسائل لضعاف مفاعيل الحظر ، سواء عن طريق الاغراءات المادية التي تستطيع الصهيونية العالمية أن تمولها تجاه بعض الدول الصناعية التي تعاني من أزمات اقتصادية ، او عن طريق التحايل على نظام الحظر المفروض من قبل الدول والاتفاق مع الشركات الخاصة والأفراد والموظفين على تهريب الاسلحة والذخائر والمواد الممنوع تصديرها اليها ، وان لاسرائيل خبرتها الطويلة ، منذ قيامها ، في عمليات تهريب العتاد الحربي ، وليست حادثة تهريب القوارب الخمسة من ميناء شربورغ الفرنسي ببعيدة ، رغم الحظر المطلق الذي كان مفروضا على تصدير السلاح الى اسرائيل . لذلك يتحتم على الدول العربية أن تعمل منذ البداية وحتى قبل صدور قرارات الحظر على أخذ الاحتياطات الضرورية ضد ردود الفعل الاسرائيلية ، وذلك بالمبادرة الى تقوية الصلات الاقتصادية مع الدول الصناعية التي يحتفل أن توافق على الحظر ، وان لم تتضمن هذه الصلات عقد صفقات أسلحة معينة ، فذلك يعود الى اختيار الدول العربية السياسي وأسلوب تعاملها الدولي في هذه الشؤون . ولا شك ان الدول العربية تمتلك اليوم أكثر من أي وقت مضى وسائل اقناع مادية ومعنوية هامة تمكنها من حماية نظام الحظر المفروض من محاولات التحايل والتسرب للأسلحة المتوجهة الى اسرائيل والتي قد تقوم في بعض الدول التي تفرض الحظر .

ومن المعدات والتجهيزات الاخرى من أكثر دول أوروبا الغربية كالمانيا الاتحادية وفرنسا (قبل الحظر الذي فرضته على تصدير العتاد الحربي الى منطقة الشرق الاوسط عام ١٩٦٧) وانكلترا

١ - من المعروف اعتياد اسرائيل في الوقت الحاضر ، وبصورة رئيسية ، على الدبابات والطائرات المقاتلة والصواريخ الاميركية ، ولكنها كانت تستورد جزءا كبيرا من هذه الاسلحة

ظل المنظمة الحالية يعود الى الضعوبات التي كانت قد واجهتها عصبة الأمم حينما أرادت تطبيق حظر وقائي على تصدير الاسلحة الى بوليفيا وباراغواي في نزاع شاكو . فقد كان لا بد للموافقة على مثل هذا الحظر من اجماع مجلس العصبة بما في ذلك صوتا الطرفين ذوي العلاقة ، لهذا عدلت العصبة عن اتخاذ توصية في المجلس يتضمن هذا الحظر ولجأت الى أسلوب آخر هو استشارة الاعضاء افراديا في موضوع الحظر ، وقر مجلس العصبة بتاريخ ١٩ ايار ١٩٣٤ تكليف لجنة من ثلاث دول للقيام باستشارة حكومات الدول الاعضاء لمعرفة ما اذا كانت توافق أم لا على اقرار حظر تصدير الاسلحة الحربية الى كل من بوليفيا وباراغواي . وفي الواقع فإن اغلبية اعضاء عصبة الأمم كانت قد اتخذت تدابير فردية بهذا الصدد ، ولم يبق الا عدد قليل من الاعضاء الذين اشترطوا لاتخاذ مثل هذا التدبير قيام الآخرين به ، وهكذا امكن التوصل الى قرار شامل فعلي بالحظر لمزيد من نوعه في تاريخ عصبة الأمم .

وبالعكس فقد كان من الممكن اتخاذ الحظر الارغامي بمجرد لجوء دولة السى العدوان واعتبارها بذلك مخالفة لصك العصبة وخاضعة بصورة آلية للمعقوبات التي نصت عليها المادة ١٦ من الصك بما في ذلك قطع كل العلاقات التجارية والمالية معها .

١١ - بما يؤسف له ان ميثاق الأمم المتحدة لم ينص بصورة محددة على قاعدة أو إجراء يمكن اتخاذها لمواجهة تقصير الدول في احترام قرارات الحظر والاجراءات الجزية الاخرى . وكل ما اتخذ في الأمم المتحدة بعد صدور قرارات المقاطعة والحظر في قضية روديسيا مثلا أن شكل مجلس الامن لجنة للمتابعة في حين كلف الامين العام للمنظمة بتلقي تقارير من الدول الاعضاء حول الاجراءات المتخذة وفقا لقرارات الحظر واعلام مجلس الامن بكل المعلومات المستقاة من هذه الدول عن الموضوع . وقد شعرت الجمعية العامة أن ذلك وحده لا يكفي لسد هذا النقص فشكلت لجانا خاصة للمتابعة تنفيذ اجراءات المقاطعة والحظر وخاصة اللجنة المكلفة بدراسة تطبيق الاعلان المتعلق بمنح الاستقلال للبلاد

وسويسرا وبلجيكا والدول الاسكندنافية .

٢ - ان لدى اسرائيل كميات كبيرة من الطائرات المقاتلة وطائرات الهلوكبتر الفرنسية والدبابات والعربات المصفحة الانكليزية ومدفعية ميدان ومدفعية مضادة للطائرات من صنع أوروبا .

٣ - كما قد تعمل على دفع الولايات المتحدة الى الضغط سياسيا واقتصاديا على هذه الدول لخدمة التسليح الاسرائيلي كما فعلت مع ألمانيا الغربية في قضية التعويضات التي استمرت حتى عام ١٩٦٦ .

٤ - تذكر بعض الاحصاءات ان في ألمانيا الغربية وحدها أكثر من مليون عامل عاطل عن العمل .

٥ - تأتي في مقدمة هذه الدول فرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا التي أظهرت خلال حرب تشرين التحريرية وبعدها مواقف مغايرة للسياسة الأميركية فيما يخص الشرق الاوسط ، أما دول أوروبا الغربية الأخرى فيمكن ان تنقسم الى مجموعات تتراوح مواقفها ودرجة تأييدها للحظر بالنسبة لعوامل مختلفة سياسية واستراتيجية واقتصادية ودعائية (ونظية) ، الا أنه لا يجوز استثنائها بشكل مطلق من امكانيات الحصول على قرار الحظر .

٦ - ان تقسما من التعويضات الألمانية لاسرائيل تجسد بشكل أسلحة ومعدات حربية ومواد استراتيجية مما تنتجه ألمانيا الغربية أو ما تشتريه من الدول الصناعية الأخرى ، بالإضافة الى ما كانت تبنيه ألمانيا الغربية من العتاد الحربي الى الكيان الصهيوني من طريق الاتفاقات الثنائية بالاسلوب التجاري العادي .

٧ - يشبه هذا الموضوع ادعاء الولايات المتحدة بالقبول الضمني للاتحاد السوفياتي بالسماح لليهود الروس بالهجرة كشرط لتنفيذ الاتفاق التجاري الطويل المدى الموقع بين البلدين في عام ١٩٧٢ ، وقد أدى هذا الادعاء الذي أكدته الكونغرس الأميركي في نهاية عام ١٩٧٤ الى انسحاب الاتحاد السوفياتي من هذا الاتفاق رغم أهميته الاقتصادية والسياسية .

٨ - يونانيد برسن نيوز في مقال نقلت موجزه صحيفة « الثورة » السورية في العدد الصادر بتاريخ ١٤/١/١٩٧٥ .

٩ - يبدو ان تجنب اللجوء الى الحظر الوقائي في

يؤيد الحق العربي واستنكار التعنت الاسرائيلي .

١٢ - كمنظمة اليونسكو .

١٣ - كلجنة حقوق الانسان .

١٤ - هذه الدول التي تاتي في مقدمة الدول

المتجهة للسلاح في العالم هي : الانتصاد

السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية والصين

الشعبية وفرنسا وانكلترا وبلجيكا وايطاليا

وسويسرا والسويد واليابان وكندا

وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا .

والشعوب المستعمرة ، غير ان الاجراءات تقف

عند هذا الحد ولا تتعداه ، وعندئذ لا بد من

العبل خارج المنظمة لاحكام عمليات الحظر عن

طريق بعض الهيئات والمجموعات الدولية كمنظمة

الدول الافريقية مثلا ، وبعض الهيئات المنفصلة

التي شكلت من بعض الدول الافريقية لتابعة

تنفيذ قرارات الحظر والمقاطعة .

١١ - في كثير من الاحيان لم تكن اي من الدول

العربية طرفا في مثل هذه التصريحات ، وهذا ما

الأساس الاقتصادي للعالمى للحرب الخامسة

احمد شرف

انعكس جو الشتاء المتقلب لهذا العام على الصراع السياسي في منطقتنا العربية . فتتالت موجات مناقضة ، بعضها تمارض وبعضها حار مترب . ومنذ تباشير فصل الشتاء ومن منتصف الخريف ، أخذ جو الصراع السياسي في منطقتنا يندثر ، هو الآخر ، بطول العواصف المصاحبة لحرب جديدة .

ان نظرة عامة على صحافة الغرب ، في الأشهر الماضية ، وتتبع تصريحات المسؤولين هناك ، ترسم — والى حد بعيد — ابعاد موقف أحد طرفي الصراع الممتد الى منطقتنا . وتوضح ما يدور في ردهات الدوائر الاستعمارية والصهيونية من تحركات ومخططات . وقبل الخوض في هذا السبيل ، علينا ان نذكر جميعا ، ان قيام دولة اسرائيل كان تنويجا لالتقاء مصالح الاحتكارات الاستعمارية العالمية بفصائلها المتعددة ، بما فيها الصهيونية ، باعتبارها فكر الدوائر الاحتكارية ليهود العالم ، كما ان تطور دولة اسرائيل وتوسعها ارتبط هو الآخر بالمصالح العامة الاقتصادية والاستراتيجية للدوائر الاستعمارية والاحتكارية ، وذلك بطريقة موقوتة ، هدفت دائما الى اجهاض دعائم الاستقلال والبناء الذاتي للدول العربية . لذلك ليس من قبيل الصدف ان نجد تلازما الآن بين أزمة النظام الرأسمالي ، المتمثلة في الركود والتضخم ، والتي يحاول زعماء النظام الرأسمالي ردها الى غلاء أسعار البترول ، وبين تهديداتهم بالحرب وتعدد تصريحاتهم بارسال مزيد من الاسلحة الى اسرائيل تارة ، او بالتهديد باحتلال منابع البترول تارة أخرى . ان هذه الأقوال لم تتف عند حد النطق بها فقط ، بل تعدت ذلك الى دلائل مادية واضحة على هيئة تدريب قوات للقتال في أراض صحراوية مشابهة لطبيعة اراضي دول البترول العربية ، او على هيئة تلويح بالقوة ، وبعث حاملات الطائرات والقطع البحرية العسكرية للمنطقة ، او على هيئة فتح ترسانات الولايات المتحدة العسكرية لامداد اسرائيل حتى نفاذها . ان كل هذه الاجراءات تهيئ بنا الا نقف مكتوفي الايدي ، متصورين ان هذه كلها حركات في مشاهد مسرحية يؤديها الغرب ضمن سياسة الوفاق ، فالتاريخ وحده هو الذي يجبرنا على ان نأخذ هذه الاجراءات مأخذ الجد ، ونضعها موضعها الصحيح .

في خطاب الرئيس فورد ، امام الجمعية العامة في اواخر سبتمبر (ايلول) الماضي ، المبح الى استخدام القوة لاحتلال منابع البترول . ثم جاء وزير خارجيته هنري كيسنجر وأكد ذلك بعد بضعة ايام . وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ أعاد كيسنجر نفس تصريحاته ، وبعد ذلك جاء فورد ليؤكد قول وزير خارجيته وكان الامر كرة متداولة بين الاثنين ، أحدهما يلقئها والاخر يتلقئها ، ثم يأتي دور الثاني في الالتقاء ، وهكذا .

في ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ علقت مجلة « جويش اوبزيرفر » البريطانية الاسبوعية على التصريحات الامريكية بقولها «وجهت أمريكا هجوما دبلوماسيا ضخما في محاولة لتخفيض أسعار البترول، ولقد بدأت الحملة بخطاب من الرئيس فورد في

الاسبوع الماضي، حذر فيه الدول المنتجة للبتترول من أن عدم تخفيض أسعار البترول التي ارتفعت بشكل كبير يمكن أن يؤدي الى كارثة اقتصادية على مستوى العالم أجمع. وزادت حدة الخطاب عندما تضمن تهديدا مقنعا باحتمال التدخل العسكري لتخفيض الاسعار. وذكر «فوردي» ان الدول عبر التاريخ كانت تخوض الحروب بسبب الموارد الطبيعية... ثم القى كيسنجر، بعده، خطابا يتسم بالخط المتشدد مؤكدا ان واشنطن قد عزمت أخيرا على أن تتصرف لمواجهة آثار زيادة أسعار البترول على اقتصاديات دول العالم الغربي... كذلك تحدث كثيرون في الولايات المتحدة من رجال الكونجرس الى جانب فكرة الاستيلاء بالقوة العسكرية الأمريكية على حقول البترول العربية» (١).

وإذا كان هذا اشارة لجملة من تصريحات مسؤولين غربيين، فان صحيفة «باري ماتش» الفرنسية كتبت تحت عنوان: «البتترول... انها ليست أزمة... ولكنها الحرب» تقول: «ان السبب الجوهرى للتضخم العالمى يكمن في زيادة سعر البترول، وهذه الزيادة تؤدي الى تفاقم أزمة التضخم والاسراع به. ان البلاد العربية وايران وفنزويلا قد أحاطت عنق الغرب بحبل لا بد حتما ان يطبق عليه ويخمد أنفاسه». واستطرد المقال من خلال الأرقام يبين حجم الفوائض البترولية، ومقارنتها بأرقام النواتج الدولية والمصرفات النقدية الأمريكية والأوروبية الى أن وصل الى القول «ان جيرالد فوردي ليس خطيبا مفوها. ولو ان خطابه خلا من المواهب الخطابية فانه يتضمن ان الزيادة المفرطة التعمسية لسعر البترول لا تشكل شيئا يقل عن العدوان في ذاته. اذ أنها تخلق بالنسبة للعالم الغربي موقفا مفاجعا لا يمكن تحمله. والعدوان يعني حق الدفاع الشرعي. وفي الاوساط الحاكمة الآن، كما هو الحال في دوائر الرأي العام، تسمع عبارات تردد أن الغرب في حاجة الى عملية تأديب وأنه سيكون من الصعب تفادي القيام بهذه العملية». وتساءلت الصحيفة «فهل يزعم السيد فوردي، وهو الحاكم الاول في أقوى أمة بالعالم، أن يمضي في طريقه، ولو أدى به الامر الى بلوغ هذه النتيجة؟».

الواقع اننا نستطيع ان نلمح شبح الحرب، بل الحرب نفسها، في تصريحاته، وهو يقول «يتعين في بعض الاحيان على الامم أن تختار بين الصدام والخنوع، ولا تستطيع الدول صاحبة السيادة أن تسمح بأن تقرر مصائرنا تدبيرات مضطعة أو تشويهات تجزي في السوق العالمية للسلع. وعبر التاريخ دخلت الامم حروبا من أجل المصادر الطبيعية، مثل الماء والمنتجات الغذائية، أو طرق المواصلات البرية والبحرية». ثم تستطرد الصحيفة، بعد هذا الاقتباس من خطاب فوردي، الى القول «ان هذا الخطاب يعطي، ولا شك، أمم الغرب الحق الشرعي في أن تفك بالقوة الوثاق الذي أطبق عنقها يريد خنقها» (٢).

ولكن ماذا عن بعد أزمة النظام الرأسمالي العالمى وعمقتها؟ وهل هي كفيلة حقا بالخروج الى حيز الحرب باعتبارها الحل الوحيد لكسر ضلوعها الحديدية المطبقة على أنفاس النظام الرأسمالي العالمى.

وفي سلسلة من المقالات حول تصدي أمريكا للازمة، تقول صحيفة «الأكسبريس» الفرنسية أن «كل شيء مترابط، من الدولار الى البترول، ومن البورصة الى القدس، وهذه هي الازمة الحقيقية... التضخم يتزايد بسرعة كبيرة... وانهييار البورصة وتفاقم البطالة لم يحدث أبدا من قبل... لقد أجمع الخبراء على ان التضخم هو أشد الاخطار جميعا، وفي رأيهم أن المجتمع الأمريكي يستطيع، لو قمت ما، أن يتحمل معدل بطالة يتعدى ٥ ٪، ونمو يقارب الصفر. ولكنه في مقابل ذلك لا يقوى على مجابهة

ارتفاع الاسعار التي وصلت الى ١٢ ٪ ، وذلك دون أن يتفسخ . ففي اشد الاوقات العسوية خلال حرب فيتنام لم تتجاوز هذه الاسعار ، في أي يوم من الايام ، أعلى من ٦ ٪ زيادة . بل لقد هبطت هذه الزيادة الى ٣ ٪ عام ١٩٧٢ لقد هبطت اسعار (وول ستريت) ، في ١٨ شهرا ، بما يقرب من ٤٥ ٪ ، وذلك يمثل خسارة بالنسبة للمدخرين تصل الى حوالي ٥٠٠ مليار دولار . ولكي ندرك ضخامة هذا المبلغ فعلينا معرفة ان الناتج الأمريكي كله ١٣٠٠ مليار دولار سنويا .

بعد ذلك اشارت الصحيفة الى اقوال المؤيدين والمعارضين للوفاق مع العرب ، فهذا ولیم فولبرايت ، السناتور الأمريكي السابق ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكي ، يقول قبل مغادرته للكونجرس مهزوما « ان التضخم يساوي البترول ، والبترول يساوي العرب ، والعرب يساؤون القدس ، اذن فاعطوهم القدس » . وازافت الصحيفة « اما في نيويورك فيمكن للمرء أن يلتقي ، اكثر من وشنطن ، بانصار القيام بعملية عسكرية ضد العرب ويقول هؤلاء (يجب الا ننظر الى عملية احتلال حقول البترول على انها عملية بالغة الصعوبة ، فالروس لن يتحركوا مثلما لم نتحرك نحن ازاء تشيكوسلوفاكيا) » (٣) .

وهكذا نرى كيف تتحرك ابعاد أزمة النظام الرأسمالي العالمي في كل دولة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، من أجل خلق جو الحرب كمتنافس آخر أمام طحن هذه الازمات ، من كساد وتضخم . ان الأمر ليس كما تصوره صحافة الغرب ، مجرد ارتفاع لاسعار البترول ، باعتباره سببا لازمة هذه الانظمة . فارتفاع اسعار النفط في حد ذاته ، بالإضافة الى عدم كونه السبب الرئيسي لازمات النظام الرأسمالي ، الا انه هو أيضا محل اختلاف لمصالح هذه الاحتكارات فيما بينها . فبينما تدخل الاحتكارات الأمريكية البترولية كمقتسم اساسي لهذه الزيادات — ومن ثم لا يضر الولايات المتحدة كدولة هذا الارتفاع في الاسعار — نجد أنظمة أوروبا الغربية تنوء بهذه الارتفاعات . لذا نجد ان تصريحات فورد تعدلت الى ما يسمى بعملية خلق النظام الرأسمالي .

ولكن ما صورة هذا العمل العسكري وبأي وسيلة سيكون !؟

اجابت صحيفة « لاکرو » الفرنسية على هذا السؤال ، بصراحة ، في مقال بعنوان « البترول بين الحرب والسلام » ، وذلك بعد تحليلها للوضع القيادي للنظام الأمريكي داخل النظام الرأسمالي ككل ، ومدى فاعلية الشركات المتعددة القوميات ، ودورها في ربط الانظمة الرأسمالية وتأثرها ببعضها ، كتبت تقول « . . . ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي اول دولة عسكرية في العالم ، فانها ستحاول أن تستخدم قوتها هذه اما بطريق مباشر واما عن طريق اسرائيل ، وذلك لتأديب الدول العربية الصغيرة . ومن هنا راجت في الاسابيع الاخيرة الشائعات حول استخدام السلاح » (٤) .

وعند هذا الحد ، نصل الى حقيقة خطيرة ، وهي اعتراف بان اسرائيل وارادة كطريق غير مباشر لاستخدامات القوة من قبل العالم الاستعماري ، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية . ان هذه الحقيقة التي قد تغيب عن ذهن البعض ، ما زالت ماثلة لدى خصمنا — الاستعمار وعميلته اسرائيل — فليتنا لا نغالط انفسنا . واذا كان الامر كذلك ، فما هي ابعاد هذا الموقف ؟

تعلق نشرة وكالة الانباء السوفييتية « نوفستي » على وضع اسرائيل الداخلي وموقفها من التسلح الأمريكي بقولها « تحتل اسرائيل الآن المركز الاول بين بلدان العالم بالنسبة لحجم النفقات العسكرية ، متقدمة بذلك على الولايات المتحدة التي تحتل المركز

الثاني في هذا المجال . وتبلغ النفقات العسكرية السنوية في اسرائيل بالنسبة للفرد الواحد ما يزيد على الف دولار امريكي ، ويعني ذلك أن حوالي نصف الانتاج القومي الاسرائيلي يخصص للانفاق على الاغراض العسكرية . ويبلغ الدين العام لاسرائيل الآن حوالي ستة آلاف مليون دولار ، أما احتياطها النقدي فقد تضاعف بشكل حاد . بينما تدهورت معدلات التنمية الاقتصادية ، وما زالت تتدهور ، في الوقت الذي يتزايد فيه العجز في الميزان التجاري ، حيث ينتظر أن يبلغ خمسة آلاف مليون دولار تقريبا هذا العام . ويؤدي سباق التسلح الى ارتفاع ، لم يسبق له مثيل ، في نفقات المعيشة داخل اسرائيل . ومنذ أوائل العام الحالي ارتفعت أسعار المواد الغذائية والاستهلاكية بمقدار ٣٠ - ٣٥ ٪ ، وازدادت أسعار الوقود والكهرباء والماء بشكل حاد وكذلك اجارات المساكن ، بينما تزداد الضرائب (٥) .

ولكن ما دلالة هذه الاوضاع الداخلية في اسرائيل ، وما علاقتها بموضوعنا المطروح ؟ تتولى مجلة « الاكسبرس » الفرنسية الرد عنا ، وذلك في دراسة عن احتمالات الحرب في الشرق الاوسط ، حيث قالت « لقد توفرنا كافة العوامل التي تكفل تطبيق القاعدة من جديد . فكلما شعرت اسرائيل انها في مأزق أصبح قيامها برد فعل عنيف أمرا ممكنا ، بل ومحتملا أيضا ، وفي الظروف الراهنة تحركها طاقة يولدها اليأس وليس ثمة اختيار آخر . . . انه أمر حتمي وذلك حين تواصل السحب تراكبها بالمعدل الذي تراكمت به خلال الاسابيع القليلة الماضية حتى تصل الى درجة التشعب . وتبدو الافاق اليوم ملبدة حيث يتعين أن يقع أو ينفجر شيء ما » (٦) . ثم تستطرد الصحيفة في وصف صورة الحرب القادمة ودرجة الاستعداد لها .

أما صحيفة « الايكونوميست » البريطانية فانها تستعرض في مقال بعنوان « هل تنشب الحرب ؟ » أهمية التوقيت بالنسبة لاسرائيل وذلك من الناحية العسكرية المحضة . ثم انتقلت الى حالة تسليح اسرائيل والبلاد العربية ، وكيفية سير المعارك في حالة حدوثها ، لتقول « والتكن بالطريقة التي قد يسير عليها القتال أمر تخميني بحت . . . ولكن البداية المرجحة هي توجيه ضربة مفاجئة من جانب اسرائيل ، ومن المرجح أن تتم في مرتفعات الجولان . إذ أن الاسرائيليين سيحاولون التقدم في عمق سوريا في محاولة لتدمير الجيش السوري ، وربما الاستيلاء على دمشق ، وسيتمثل أحد الاهداف في منع السوريين من استخدام صواريخ سكود ، الطويلة المدى ، ضد المدن الاسرائيلية - وبما أنه من المرجح أن يكون الجيش السوري أفضل تسليحا من جيش مصر ويعتبر أيضا أكثر قربا من اسرائيل فربما أدى ذلك الى قيام اسرائيل بمهاجمته أولا ، في الوقت الذي تقوم فيه باعانة تقدم المصريين في الجنوب . . . » واستطردت الصحيفة في التنبؤ ببيان سير العمليات حتى وصلت الى القول بأن النتيجة ستكون في صالح اسرائيل ، ما لم تشمل حركتها في الايام الاولى للقتال (٧) .

وهكذا وصلت الصحف الغربية الى حد وصف أحداث لم تقع بعد ، وأسهب فيها . ومع ذلك فإن الذي يشجعها على هذه الاستطرادات هو تطورات الموقف ، خاصة تصريحات ومواقف المسؤولين الامريكيين . ان هذا الامر ينعكس بأوضح ما يكون في مقال للفينانشيال نايمز البريطانية ، تحت عنوان : « هل تصبح المفاجأة هي القاعدة السائدة ؟ » اذ كتبت تقول « أعلن البنيتاجون انه ليس لديه تعليق على الانباء التي قالت أن الولايات المتحدة قد التزمت ببرنامج عاجل للمساعدات الى اسرائيل ، وكتب المعلق جوزيف السوب يقول - ان جيمس شيلزنجر وزير دفاع امريكا قد اعطى موافقته بعد موافقة الرئيس فورد على برنامج للأسلحة الى اسرائيل يتسم بقدر أكبر من الجراءة

والعجلة ، وسوف يتم تفرغ ترساناتنا اذا لزم الامر ، وسيتم الاقتراض من وحدتنا المقاتلة » . ثم استطرذت الصحيفة ، بعد هذا الانتباس من كلام السوب المعلق الامريكى المعروف ، الى مقارنة تسليح اسرائيل وسوريا ومصر ، وتحدثت عن عنصر المفاجأة وكيف انه العنصر الذي سيحاول كل طرف أن يصل اليه ، حيث قال فيما يختص باسرائيل « انه يجب تذكير المرء بأن اسرائيل اتبعت لمدة طويلة مبدأ ليدل هارت الخاص باتخاذ موقف الاقتراب غير المباشر ، وعنصر المفاجأة سيكون القاعدة المتبعة بعد ذلك » (٨) .

ولكي تكتمل ابعاد الصورة لا بد من استعراض ما قائلته صحيفة هآرتس الاسرائيلية ، حينما كتبت تقول « ان اسرائيل تعاني الآن من وضع اقتصادي صعب ، ولا أحد يختلف في ذلك ولا أحد يختلف على أعراض المرض . . . ان هناك عدم موازنة خطيرة بين التصدير والاستيراد وهذا يعرض وجود الاحتياطي من النقد للخطر ، ويعرض معه الدور السليم للاقتصاد للخطر أيضا . والخطر هو خطر فوري ويجب ان تكون هناك أعمال وقائية اصطناعية لمواجهة » (٩) .

وهكذا تتضح لنا جليا صورة الموقف : **في العالم الغربي** ، حيث السيادة لدوائر الاحتكارات الرأسمالية - تضخم وكساد والازمة خطيرة ، الاسعار في ارتفاع مضطرد ومعدل البطالة في تزايد والحركات العمالية والصراع الاجتماعي على أشده . وفي **اسرائيل** ، نفس الشيء ، وهنا يمكن - كما كان دائما - أن تتلاقى مصالح الاحتكارات العالمية بفصائلها المختلفة سويا ، من أجل شن حرب جديدة ، تكون بمثابة المنتفس لهذه الاوضاع المعقدة . ان هذا هو منطق التاريخ ولقد كان فورد صريحا حينما لم يغفل هذه الحقائق في خطابه . مما يوجب علينا نحن العرب الاصغاء لمنطق التاريخ واستيعاب تجاربه ، فنحن أصحاب حق ، وحركتنا حركة تتمشى في الاتجاه الصحيح لمسيرة التاريخ ، وعليه فالاجدر بنا ، ونحن كذلك ، ان نستوعب حقائق التاريخ اكثر .

ان القوى الراضة واليمينية الشرسة داخل الانظمة الغربية تحس بقبضة الصراع وقد أصبحت مطبقة عليها ، مما يجعلها تتصرف بهجوية ، وتضحى بمصالح هي أحوج ما تكون لها ، وليس أدل على ذلك من اعاققتها لنمو سياسة التعايش السلمي والانفراج الدولي . ان نفس هذه القوى ضالعة تماما مع الصهيونية العالمية ، أو بتعبير أدق : ان الصهيونية تشكل قلب هذه القوى المقامرة المتخلفة ، لذلك فانها تمد يدها لصنيعتها اسرائيل ، باسطة الكف ، فاتحة الخزائنة ، والترسانة ، بأوسع ما يكون الانفتاح ، لعل الاخيرة - أي اسرائيل - تجد لها مخرجا من العنت المطبق عليها . فربما تكون الحرب مخرجا لقوى الاحتكار ، أو وسيلة لتأمين المصالح الاحتكارية لهذه الدوائر في منطقة من أغنى مناطق العالم بأهم المواد حيوية الآن ، ألا وهي البترول . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فربما في هذه المنطقة بالذات لانها أضعف الحلقات التي يمكن أن تنكسر بلظى الحرب .

ان الامر ليس هذرا ، وليس أدل على ذلك من أن مجلة تايم الامريكية نشرت حديثا للرئيس فورد في يناير (كانون الثاني) الماضي أكد فيه ما قاله منذ بضعة أشهر والحق على ما قاله هنري كيسنجر ، وزير خارجيته ، في مجلة بيزنس ويك ، عن احتمالات التدخل العسكري الامريكى في حالة اختناق العالم الغربي بسبب أزمة الطاقة (١٠) .

ان الاحتمال يكاد يكون حقيقة ، ولا شك أن المستقبل لن يخرج في تخاطبه على لغة الحاضر والماضي . ان هذه اللغة لن تتغير الا في حالة واحدة ، ينقلب فيها النمر الى حمل وديع ، وهذا ليس من طبيعة الاشياء . الا اذا هدمت الغابة من أولها ، ونمت

جنان السلام والمساواة بين الدول ، وهذا لن يتم الا اذا قضى على الاحتكارات ، وأفلتت دولها من قبضتها ودخلت مرحلة الاشتراكية والتسليم بحقوق الغير في العيش الكريم المستقل .

-
- ١ - جويش اوبزيرفر البريطانية الاسبوعية ،
 . ١٩٧٤/١٠/٤
- ٢ - ريمون كارتيه ، « البترول انها ليست أزمة
 ... ولكنها الحرب » ، باري ماتش الفرنسية ،
 . ١٩٧٤/١٠/٥
- ٣ - مارك أولمان ، « كيف تتصدى امريكا
 للازمة ؟ » ، الاكسبريس الفرنسية ، ٢٣ - ٢٩
 سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ .
- ٤ - لاکروا الفرنسية ، ١٩٧٤/١٠/٧ .
- ٥ - نشرة نوفوستي للانباء ، ١٩٧٤/٩/٢٣ .
- ٦ - الاكسبريس الفرنسية ، ١٩٧٤/١١/١١ .
- ٧ - الايكونوميست البريطانية ، ١٩٧٤/١١/٩ .
- ٨ - الفينانشيال تايمز البريطانية ، ١٩٧٤/١١/٥ .
- ٩ - هارتس الاسرائيلية ، ١٩٧٤/١١/٣ .
- ١٠ - التايم الامريكية ، ١٩٧٥/١/١٣ .

آراء غولدمان في الصراع العربي الاسرائيلي

عبد الحميد محارب

تشير آراء وأفكار الدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ضجة في اسرائيل مشفوعة بالاستياء ، كما وتشير ، ربما بسبب تلك الضجة ، اهتمامات من قبل المتتبعين للنزاع العربي الاسرائيلي . ولعل الحديث الجم عن اتصالات جرت وأخرى لم يقدر لها أن تجري بينه وبين الحكام العرب قد أعطت نوعا من الاهتمام على الصعيد العربي بالأفكار التي يطرحها غولدمان . فقد ذكرت المصادر الاسرائيلية ان الدكتور غولدمان قد عقد اجتماعا مع الملك الحسن الثاني دون أن تفقد المصادر المراكشية ذلك . كما وقيل أيضا أن غولدمان تلقى عرضا للتوجه الى القاهرة باسم حكومة اسرائيل ، وقدم غولدمان العرض الى رئيس حكومة اسرائيل الأسبق ليفي اشكول ، الا أن الأخير درس الموضوع بحذر وفضل عدم الترويج له . وفي عام ١٩٧٠ عادت المصادر الاسرائيلية وذكرت أن غولدمان تلقى دعوة من قبل عبدالناصر لزيارة القاهرة بواسطة الصحفي المصري أحمد حمروش ، ونظمت على لسان غولدمان انه تلقى الدعوة في احدى الليالي عندما كان عائدا الى منزله في باريس بعد مشاهدته عرضا في دار الاوبرا هناك ، حين اتصل به الصحفي الفرنسي اريك رولو ، فثابته انه أت اليه مع شخصية مصرية موفدة من قبل عبدالناصر ، ويذكر بأن الاجتماع عقد في منزله حيث تلقى دعوة للاجتماع بعبد الناصر . وخلال تزايد الحديث عن احتمال سفر غولدمان الى القاهرة ومعارضة الحكومة الاسرائيلية لهذه الخطوة ، أنكر المتحدث الرسمي باسم الجمهورية العربية المتحدة بشدة ، ان تكون القاهرة قد وجهت دعوة الى غولدمان لزيارتها ، واتهم السلطات الاسرائيلية بأنها هي التي تقوم بترويج ذلك . (انظر هارتس ٧٠/٤/٨) .

وقبل مدة طلعت علينا وسائل الاعلام الاسرائيلية بعناوين بارزة ، على لسان غولدمان مثل « جرت ثلاث محاولات لعقد اجتماع بيني وبين عرفات » ويذكر غولدمان أنه رفض العروض للاجتماع برئيس منظمة التحرير الفلسطينية بعد ان استشار المسؤولين الاسرائيليين : « انني أؤيد تأييدا مطلقا موقف رابين المعارض للقاء كهذا ، طالما ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تعلن اعترافها بدولة اسرائيل » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/١٠) وقد فند مصدر فلسطيني مسؤول هذه الاقوال ووصفها بانها محض افتراء . وفي الحديث الصحفي الأخير مع غولدمان ، يتطرق الى ما اثير عن وساطة لاحداث لقاء بينه وبين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . ويذكر بأن الملك الحسن الثاني كان وراء ذلك ، الا انه يعرب عن رايه بأن الامر لم يكن « متفقا عليه » مع عرفات « لقد حاولوا عقد لقاء بيني وبين فلسطينيين ، ورجائي الملك الحسن وآخرون ان اجتمع بعرفات ولكن الامر لم يكن واضحا ، ولا مرة ، بان الموضوع متفق عليه معه . ولقد عارضت على الرغم من ان الطريق ممهدة . اما اليوم فبان الامر لا يزال غير ممكن لاجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، فطالما أنهم لم يلغوا

الارهاب بشكل تام ، وعلى غير استعداد للاعتراف باسرائيل ، فان اسرائيل لن تعترف بهم . بدون الاعتراف باسرائيل لا يمكن التحدث معهم » (ملحق عل همشمار ٧٥/١/٣١) .

وقبل التطرق الى افكار غولدمان التي تحدث استياء في اسرائيل ، ورغبة في المتابعة خارجها ، تجدر الإشارة هنا الى ان غولدمان الذي يناهز الثمانين من عمره قد امضى حوالي ستين عاما في خدمة الحركة الصهيونية وغدا في عام ١٩٣٦ رئيسا للجنة ادارة المؤتمر اليهودي العالمي الذي تأسس في ذلك العام ، ومن ثم اصبح رئيسا له عام ١٩٥٣ ، ولا يزال يحتفظ بمنصبه هذا حتى اليوم حين اعاد المؤتمر اليهودي العالمي الذي عقد في شهر فبراير (شباط) من هذا العام انتخابه لرئاسة المؤتمر ، وذلك بالإضافة الى شغله رئاسة المنظمة الصهيونية لفترة تمتد من ١٩٥٦ — ١٩٦٨ ، كما ويعود له الفضل الاكبر في اتفاق التعويضات بين المانيا الغربية واسرائيل .

هنالك ملاحظتان يجدر تسجيلهما :

١ — ان غولدمان الذي يحاول في مقالاته الاخيرة تصوير نفسه بأنه كان ضمن المجموعة « المعتدلة » في الحركة الصهيونية مثل وايزمان وماغنس ومارتن بوبر يتجاوز الحقيقة في هذا الموضوع ، اذ انه كان يتخذ حتى الستينات موقفا متذبذبا بين الجناحين المعتدل والمتطرف في الحركة الصهيونية ، وفي اواخر الستينات وبداية السبعينات بدأ يميل الى موقف « المعتدلين » .

٢ — ومن هنا فان الذي يود البحث عن الفكرة تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ومفاهيمه لهذا الصراع ، واهتمامه بالطرف العربي ، لن يعثر على شيء يذكر في كتبه ، وانما سيجد في المقابل افكارا في طور التطور في مقالاته التي درج على نشرها منذ خمسة اعوام في صحيفة هآرتس على شكل مسلسلات بين الفينة والاخرى ، تزيد على عشرين مثالا ، وفي تصريحاته ومقابلاته الصحفية منذ ذلك الحين . (فقد اعتمدنا في هذا المقال بشكل رئيسي على مقالاته آنفة الذكر) .

ان الطابع المميز لهذه المقالات هو الطابع النقدي الاصلاحى للسياسة الاسرائيلية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، كما وتتسم كتاباته بتكرار الفكرة ، ومن هنا ارتأينا ان نركز على افكاره تجاه ثلاثة موضوعات ، العامل الزمني ، وتجاهل القضية العربية ، ونظرته الخاصة للاتحاد السوفييتي ، لنصل بعد ذلك الى آرائه في حل الصراع العربي الاسرائيلي .

العامل الزمني : يكاد لا يخلو مقال او حديث صحفي للدكتور ناحوم غولدمان من التطرق الى عامل الزمن في الصراع العربي الاسرائيلي . ومن المعروف ان وجهات النظر الاسرائيلية تجاه هذا الموضوع مختلفة بعض الشيء ، فهناك من يرى بأن العامل الزمني هو لصالح اسرائيل في هذا الصراع ، ويقف مع وجهة النظر هذه معظم الزعماء الاسرائيليين ، ولذا فانها تكاد تكون هي السائدة ، وهناك من يرى بان العامل الزمني هو لصالح من يستغله ويعمل بدون كلل لتسخيره لخدمته ، ولا تختلف وجهة النظر هذه كثيرا عن وجهة النظر الاولى على أساس ان القائلين بأن العامل الزمني يعمل لصالح اسرائيل يعتقدون ان اسرائيل تعمل اكثر من الطرف الاخر على تسخير العامل الزمني لصالحها . اما وجهة النظر الثالثة وهي وجهة نظر يتبناها بعض الاشخاص وعلى رأسهم غولدمان فتعتقد ان العامل الزمني يعمل لصالح العرب ، او كما يقول غولدمان ، لغير صالح اسرائيل ، وبسبب نظرته هذه حظي بعدة القاب ونعوت مثل « المتشائم » و « نبي السوء » وما شابه . غير ان هذه النعوت لم تدفع

غولدمان الى تغيير وجهة نظره التي يرددها في كل مناسبة ، بل ويزداد اقتناعا بها مع مرور الزمن ، وقد درج على ترديد عبارة « ليت نبوعتي لم تصدق » او « ليت ان القائلين بغير وجهة نظري هم الذين صدقوا » . من بين الاسباب التي يركز عليها غولدمان في مقولته احتمال وصول العرب الى تفوق في الجودة والنوعية بالاضافة الى تفوقهم المضمون في العدد خاصة وانهم اصحاب حضارة . حول ذلك يقول في مقالة له في (هارتس ١٩٧٠/٤/٣) : « لقد قلت دائما بان الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل ومن هذه الناحية فانني لا اقف ضد تفكير بن غوريون فقط ، بل ايضا ضد تفكير كثير من الزعماء الاسرائيليين الحاليين ، كل واحد يعترف بان التفوق العددي للعرب سيزداد . ان التفوق الحقيقي لاسرائيل في الوقت الحاضر يتمثل في النوعية والطابع والقدرة والمعرفة . ولكن ينبغي علينا ان لا ننسى ان العرب هم اصحاب تاريخ طويل مع كثير من الاحداث المجيدة ، ذلك انهم لم يخلقوا فقط حضارات عظيمة وواحدة من اهم الديانات في العالم ، بل حققوا في فترات نفوقا عسكريا واحتلالات ، ولا يمكن لاي شخص معرفة المدة الزمنية التي يحتاجها العرب لكي يتساواوا مع اسرائيل في التكنولوجيا الحديثة ، ولا سيما فيما يتعلق بقطع السلاح . انني اعرف ان هنالك نظريات يعتمدها اخصائيون تنص على ان الهوة التكنولوجية ستزداد لصالح اسرائيل ، انني لست اخصائيا ، الا انني استخدم عقلي ، وبموجبه فانني ارفض هذه النظريات » وهناك تصريحات واقوال كثيرة اخرى شبيهة بهذا المعنى للدكتور غولدمان تشير كلها الى اعتقاده بان الكم العربي قابل للتحويل الى نوع ، وبما ان اسرائيل بعيدة كل البعد من ان تتساوى مع الكم العربي ، فان الخطر سيحدث بها حين يتحول هذا الكم الى نوع .

وهناك اسباب اخرى تتف وراى ايمان غولدمان بان العامل الزمني هو لغير صالح اسرائيل ، من بينها اتساع روح الكراهية تجاه اسرائيل بين اوساط الجيل الشاب والاحيال العربية المتلاحقة في حال عدم التوصل الى سلام نتيجة اتساع الهوة بين الطرفين المتنازعين . ويخالف بعض الزعماء الاسرائيليين ، ويذكر في هذا المجال انه كان قد أجرى في السابق نقاشات مع بن غوريون ومع آخرين من المترجمين على سدة الحكم في اسرائيل حول ما اذا كان الجيل الجديد اكثر استعدادا من الجيل القديم لقبول اسرائيل ، وانه كان يقف ضد وجهة النظر القائلة بان الجيل الجديد لم يعان من عقدة الهزيمة في عام ١٩٤٨ ، ولذا فانه على استعداد اكثر لنسيانها ، والنظر الى الصراع العربي الاسرائيلي بمنظور يتسم بواقعية اكثر ، ويرى غولدمان في ذلك افتراضا غير صحيح لان العالم العربي حسب رايه عانى ، بما في ذلك الجيل الشاب اليوم ، في حرب حزيران ١٩٦٧ من هزيمة اشد وامر (انظر هارتس ١٩٧٠/٤/٣) .

بالاضافة الى ذلك يرى غولدمان ان التقادم على المآسي التي ارتكبتها هتلر بحق كثير من الشعوب ، ومن بينها مآسي اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، من شأنه ان يضعف روح التعاطف والتأييد بين اوساط الراى العام الغربي تجاه اسرائيل . ومن المعروف ان من بين الاسباب التي عجلت وساعدت على قيام اسرائيل ظهور الحركة النازية في المانيا وارتكابها مجازر ضد اليهود ، ابان نمو الحركة الصهيونية ، الامر الذي دمع الاخيرة لاستغلال تلك المجازر بعد سقوط النازية ابشع استغلال بين اوساط الراى العام الغربي ، لتحقيق الجريمة في فلسطين من خلال التلويح بعقدة الذنب . حول ذلك يقول غولدمان « . . . يحظى الشعب اليهودي بمكانة ممتازة في الراى العام العالمي . وليس فقط ان الامم المتحدة صوتت باكثرية الثلثين الى جانب قيام دولة يهودية ، بل ايضا حظيت الاقلية اليهودية في بلدان مختلفة من العالم وخاصة في

الولايات المتحدة بنفوذ سياسي كبير للغاية . . واحد هذه العوامل التي كان العالم غير اليهودي بسببها يلتزم جانب التأييد والتسامح تجاه الاقليات اليهودية وتجاه اسرائيل ، يكمن في الضمير الشرير للعالم الديموقراطي عقب الكارثة . هذا العالم شعر ، وحتى لو لم يعترف بذلك ، بأنه تصرف بشكل غير اخلاقي وبجبن تجاه التهديد النازي للوجود اليهودي وانه لو اتخذ موقفا مختلفا تجاه هتلر ، لكان بإمكانه انقاذ مئات الالاف ، ان لم يكن الملايين من اليهود . هذا الضمير الشرير يفسر بما فيه الكفاية مسلك العالم تجاه الشعب اليهودي عامة وتجاه اسرائيل خاصة . الا انه يتلاشى بسرعة ، وحتى انه قد اختفى » (هارتس ٧٤/١١/١٠) اي انه يريد القول بأن عقدة الذنب التي لازمت الرأي العام الغربي بسبب تقصير دول الحلفاء في منع هتلر من تنفيذ مجازر ضد اليهود ، آخذة بالتلاشي مع مرور الزمن وخاصة بين اوساط الجيل الشاب ، ولذا فان التلويح أخذ يفقد مفعوله بفعل التقادم .

وهناك عوامل اخرى يعتبرها غولدمان بانها ستؤثر على اسرائيل لفترة طويلة ، العامل الاول يتمثل في دخول العالم الغربي في مرحلة من الضعف الاقتصادي ، مقابل تعزز اقتصاد المنظومة الاشتراكية والعالم الثالث « . . . ومن هنا ندرك التأثير الكبير المباشر علينا ، ذلك ان الدول الديموقراطية كانت طيلة عشرات السنين صديقة طبيعية للشعب اليهودي ، في الوقت الذي كانت فيه علاقاتنا مع البلدان الاشتراكية سيئة ، او في احسن تقدير ، علاقات تتسم بالامبالاة » والعامل الثاني يتمثل في الملل الذي أصاب العالم الغربي من تتبع الصراع العربي الاسرائيلي ، خاصة وان وسائل الاعلام الغربية درجت على اشغال الرأي العام الغربي بقضايا اسرائيل ، دون وجود اهل في التوصل الى سلام ، وبالتالي تخفيف حدة انشغال الرأي العام الغربي بقضايا الدولة الصغيرة ، او كما يقول غولدمان موجها سهامه ضد السياسة الاسرائيلية : « ان معظم اصدقائنا من الدول الديموقراطية ، غدوا ضيقي الصدر تجاه اسرائيل بسبب سياستها ، وملوا من المعالجة في قضية الشرق الاوسط التي لا نهاية لها ، وكذلك في العلاقات الاسرائيلية العربية . انهم لم ينحولوا الى مؤيدين للعرب ، ولا زال الجمهور في تلك البلدان متعاطفا باكثرية الكبرى مع اسرائيل ، الا ان هؤلاء الاصدقاء بداوا يسائلون انفسهم : لماذا ينبغي على هذه الدولة الصغيرة ان تشغول العالم في قضاياها ، بشكل دائم ، وبشكل اكثر من القضايا الخطيرة والهامة » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/٣١) .

اما العامل الثالث فيتمثل في رؤية غولدمان للتقدم الاقتصادي المرتقب للعالم العربي من خلال موارد النفط ، وارتباط الاقتصاد العربي بالنفط ، الامر الذي يعزز من تصاعد نفوذ العالم العربي في المستقبل ، وما يتجم عن ذلك من انعكاس سلبي على اسرائيل ، وفي هذا الخصوص يذكر غولدمان بانه « للاسف الشديد » قد صدق في نقاشه مع المسؤولين الاسرائيليين بالنسبة لعامل الزمن ، وبشكل اكثر مما كان يتوقع « يجب النظر في تأثير القوة المالية والاقتصادية والسياسية المتصاعدة للعرب ، وتعظيم قوتهم العسكرية ، لكي ندرك باي سرعة نما وزنهم . انني اعرف بان هناك اسرائيليين يحاولون الهرب من هذا الواقع المؤلم ، من خلال الامل بان يضعف ارتباط العالم بالنفط العربي بسرعة ، بينما يعيش آخرون في ايمان بليد بان الدول الغربية ستستخدم الوسائل العسكرية لكي تضع حدا لهذه السيطرة العربية . ان هذين الاملين بمثابة وهم » (هارتس ٧٤/١١/٨) .

نتيجة ايمان غولدمان بأن العامل الزمني لا يعمل لصالح اسرائيل ، نجدده يحذر

في كل مناسبة من تقوية فرص السلام ملوحا بالعامل الزمني ، فعندما كانت المفاوضات على أشدها بين سوريا واسرائيل حول اتفاقية فصل القوات ، حث غولدلمان اسرائيل للاسراع في السعي من اجل السلام ، مشددا على عامل الزمن ، قائلا بنوع من النقد الساخر : « اذا ما اجرينا مفاوضات حول كل مستوطنة في الجولان ، فاننا سنصل الى اتفاق بواسطة هذا الايقاع ، قبل يوم من مجيء المسيح » (معاريف ٧٤/٥/١٣) .

كما وأنه ينتقد اسلوب المراحل الذي يعتمده الدكتور كيسنجر لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، لان هذا الاسلوب حسب اعتقاده يحتاج الى وقت طويل ، مما من شأنه ان يعزز من قوه العرب ، ومن ثم يجعلهم يتخذون مواقف اكثر تطرفا « مع كل تقديري للدكتور كيسنجر وصبوره وثقافته المتألقة وفهمه التكتيكي ، فان اسلوبه يحتوي على نقطتي ضعف ، انه يطيل اكثر من اللازم سياق المصالحة والاتفاق ، ازاء حالة عدم الاتزان للعالم العربي ، وقوته المتصاعدة والتي ستدفعه ليكون اكثر تطرفا وعنادا في مطالبه ، كما وأنه يضعف المصالح السوفيتية في التسوية وبالتالي يضعف استعداد السوفييت للمساعدة » (هارتس ٧٤/١١/١١) .

ويعود ويؤكد باسلوب ساخر معارضته لطريقة كيسنجر مشددا على العامل الزمني بقوله : في المرة الأخيرة عندما كنت في اسرائيل ، وعندما كان الدكتور كيسنجر يجري مفاوضات حول فصل القوات السورية الاسرائيلية ، قلت في مؤتمر صحفي — بضحك مزوج بالجدية — انه اذا كنا بحاجة الى بضعة اسابيع لاتخاذ قرار بشأن بضع مئات من الدونمات ، فانني اتخيل بأن التسوية النهائية ستحل قبل فترة وجيزة من ظهور المسيح ، ومن الواضح حينذاك بأن جهود الدكتور كيسنجر من اجل السلام لا قيمة لها ، لان المسيح بدون شك سيقوم بالمهمة بشكل افضل منه » (نفس المصدر) .

وربما يبدو في ذهن المرء تساؤل حول الفائدة التي يجنيها العرب من التوقيع على اتفاق سلام مع اسرائيل والاعتراف بها ، ما دام العامل الزمني يعمل لصالح العرب ؟ لماذا لا ينتظرون حتى يقموا ثم يقومون بتصفية اسرائيل ؟ حول ذلك يجيب الدكتور غولدلمان في اخر مقال نشر له حين يذكر بان لا احد يستطيع الاجابة على ذلك بشكل قاطع ، ولكن من الافضل تقديم اقتراح السلام على شكل تجربة ، ويرى ان هنالك بعض الاسباب التي تعزز من احتمالات الرد الايجابي من جانب العرب ، منها ان « المعتدلين » من بين الحكام العرب يعتقدون انه لا يمكن تصفية اسرائيل حتى ولو تفوقوا عسكريا على اسرائيل لان دول اوربا وعلى رأسها الولايات المتحدة وكذلك الاتحاد السوفيتي ستبذل قصارى جهدها للحيلولة دون ذلك ، كما ويذكر ان هنالك سببا اخر يدفع العرب للاستجابة الى سلام حقيقي يتمثل في رغبتهم في التخلص من القضية الفلسطينية للتركيز على تطوير بلدانهم (انظر يدعوت احرانوت ٧٥/١/٣١) .

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان العامل الزمني في الصراع العربي الاسرائيلي وفق منظور غولدلمان لا يخدم اسرائيل ، بسبب التفوق العددي العربي والذي يمكن ان يتحول الى تفوق نوعي ، لان العرب هم اصحاب حضارة ، وان الكراهية تجاه اسرائيل تتصاعد مع الاجيال العربية المتلاحقة ، كما وان عقدة الذنب في العالم العربي آخذة بالزوال ، كما ويرى ان العالم العربي يسير القهقري في المجالات الاقتصادية بينما يخطو العرب والمجموعة الاشتراكية خطوات الى الامام في تلك المجالات .

التغاضي عن القضية العربية : من بين الامور التي تستحوذ على تفكير الدكتور غولدلمان ، تجنب الحركة الصهيونية منذ بدايتها عن الاهتمام بالطرف الآخر ، أي الطرف العربي ، وقد أدى هذا التجاهل حسب اعتقاده الى عدم تمكن الحركة

الصهيونية من تقييم العرب تقييما موضوعيا ، وبالتالي عدم التوصل معهم الى سلام يضمن اعترافهم بإسرائيل ، ويعتبر ذلك مرة نقطة ضعف في الحركة الصهيونية وتارة « خطيئة قديمة » لتلك الحركة . ففي مقال له في هآرتس (٧٠/٤/٣) يقول حول هذا الخصوص : « . . . أن إحدى نقاط الضعف والتغاضي الأساسي للحركة الصهيونية يتمثلان في عدم اهتمامها بالقضية العربية أو انها استخفت بشكل كبير في أهميتها ، ففي كتابات وأقوال المفكرين الايديولوجيين للحركة تحتل النظرة الى العالم العربي دورا لا يذكر . اننا نفكر بمفاهيم القرن التاسع عشر ، حين لم تشغل شعوب لم تصل بعد الى استقلال سياسي — مثل الغرب وآخرين — دورا ملموسا على الصعيد العالمي . لقد كانت الاهداف السياسية للحركة الصهيونية موجهة دائما وقبل كل شيء ، لدفع أكثرية الشعب اليهودي أو على الأقل قسم كبير منه لقبول الحل الصهيوني للقضية اليهودية ، وثانيا ، لنيل عطف الدول الكبرى » . وفي مقال آخر يتطرق الى هذا الموضوع ويصف تغاضي الحركة الصهيونية عن العامل العربي ومدى تأثيره في المستقبل بأنه بمثابة خطيئة « ينبغي على الجميع في إسرائيل — كما أمل — ان يدركوا بان القضية العربية اخذت تصبح القضية الأساسية والحاسمة بالنسبة لمستقبل إسرائيل ، وهي التي تقرر ليس فقط العلاقات بين إسرائيل والدول العربية ، بل أيضا بين إسرائيل وجميع دول العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة . ان المصدر الأساسي للضعوبات في هذا الموضوع تكمن بما أسميه « الخطيئة القديمة » للحركة الصهيونية . ولم نعمل جميعا ، بما في ذلك أنا بالذات ، طيلة سنوات كثيرة لكي نفهم المعنى المركزي لهذا الموضوع . ان تيودور هرتسل الذي قلص أبعاد الصهيونية الى قضية تقنية تتمثل في نقل أناس بلا أرض الى أرض بلا أناس ، ليس فقط انه لم يعرف شيئا عن القضية العربية ، بل وللأسف الشديد لم يفهم تعقيدات المشكلة اليهودية . ان هذا الجهل والتبسيط الزائد ، هما اللذان مكناه من كتابة « دولة اليهود » . » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/١) . ويرى غولدمان انه نتيجة هذا الاستخفاف من قبل منظري الحركة الصهيونية سواء السابقون أو اللاحقون منهم ، بالقضية العربية ، وعدم التعمق بنفسية العرب وتاريخهم ، انه لم يخطر مثلا على بال أحد من قيادة الحركة الصهيونية بان العرب « سيردون بحرب على قيام دولة يهودية » ومع ذلك فانه يذكر بأنه كان يوجد في الحركة الصهيونية أقلية صغيرة كانت دائما تنظر بجدية نحو القضية العربية ، ويؤكد في مقالات عدة انه هو كان من بين هؤلاء ، مثل مارتن بوبر ويهودا ماغنس وأرنست سيمون ، الا أن هذه الأقلية لم تكن تملك من قوة التأثير لدرجة تستطيع معها تغيير مجرى تفكير الأكثرية . ومن المعروف ان الحركة الصهيونية كانت ولا تزال يتنازعها تياران ، الاول متطرف وهو اليسائد ، ولا يعبر الرأي العام العالمي أو الطرف العربي اهتماما خاصا في حال الاقدام على اجراءات تخدم الهدف الصهيوني ، بينما التيار الثاني « المعتدل » يسعى لتحقيق تلك الاجراءات بشيء من الليونة والليبرالية . ويعتقد غولدمان أن استخفاف التيسار الاول بالقضية العربية كانت له نتائج خطيرة : « تأتي عن هذا الاستخفاف بالقبضية العربية نتائج خطيرة . لم نحاول أن نجعل من العرب في أرض إسرائيل مشاركين في بناء البلاد . حقا اننا لم نرد أن نمسهم ونأملنا أن نقيم معهم علاقات قلبية ، وصحيح أيضا اننا بذلنا في بعض الأحيان محاولات لاصلاح الوضع والتوصل الى أي اتفاق معهم . فقد حاولنا وايزمن الذي فهم المسألة أكثر من أي شخص آخر ، حاول تحقيق الأمر في مباحثاته الشهيرة مع الأمير فيصل وبعد ذلك كانت لدافيد بن غوريون وموشيه شناريت والدكتور فيكتور يعقوبسون ولي بعض الاتصالات مع العرب ، الا أن أي واحد من هذه الاتصالات لم يستمر طويلا بحيث يسفر عن شيء ، ولا حتى مباحثات بن غوريون مع موسى العلمي التي ربما تكون أخطر هذه المباحثات » (هآرتس ٧٠/٤/٣) . ويرجع سبب

فمثل هذه الاتصالات الى تصلب الموقف الصهيوني الذي كان يطالب باقامة دولة اسرائيلية على كامل التراب الاردني الفلسطيني ، بدل المطالبة باقامة دولة على فلسطين أو جزء منها ! ولذا فانه يرى بأن الزعماء العرب في ذلك الوقت لم يستطيعوا الاستمرار في المفاوضات للوصول الى تفاهم امام المطلب الصهيوني ، الامر الذي زاد من الهوة بين مواقف الطرفين ، وادى كما يعتقد غولدمان الى نشوب عدة حروب بين العرب واسرائيل . الا أن اهم شيء يريد الدكتور غولدمان قوله هو ان القوى السياسية في اسرائيل قد فشلت حتى الان في التوصل الى تسوية مع العرب لانها « تفقت الى فهم نفسيتهم » لان صعوبات الصراع بين العرب واسرائيل ، حسب رايه ، لا تتمثل فقط في المشاكل الموضوعية والواقعية ، بل في الناحية البسيكولوجية . يقول في هذا المجال : « ان الطابع الحقيقي والصعوبة الحقيقية للصراع العربي الاسرائيلي هما قبل كل شيء بمثابة امر ببيكولوجي ، فمن خلال الرغبة الصادقة يكون من الممكن حل معظم القضايا في العالم ، ولكن في غياب رغبة صادقة تصبح حتى أسهل القضايا ، قضايا مستعصية الحل . ان العرب هم أناس توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر مما يوجههم عقولهم ، انهم لا ينسون ولا يسامحون ، ولذا ، فان لديهم ميل قوي للتغاضي عن الواقع ، والعيش ضمن اطار الاماني والاهام . فالهزيمة لا تؤثر عليهم ، بل تدفعهم فقط الى تأجيل آمالهم بالنصر لبضع سنين اخرى . . . ان العرب لا يلتفتون بشكل حقيقي الى الهزائم المتكررة التي يلاقونها ، ويجدون تعزية وتبريرا في أحداث كثيرة من تاريخهم وخاصة حادثة الحروب الصليبية عندما نجح اجانب — كما يعتبروننا نحن أيضا — في اقامة دولة في سوريا وأرض اسرائيل طيلة فترة معينة ، وفي النهاية سقطت دولتهم وأبيدوا على يد صلاح الدين » (نفس المصدر) .

اذن يعتقد الدكتور غولدمان ان أحجية الجانب النفسي في الصراع التي لم تدركها الحركة الصهيونية وتتنعمق بها لايجاد حل للصراع نفسه ، تتمثل في الصفة الملازمة للعرب « ان لديهم ميلا قويا للتغاضي عن الواقع والعيش ضمن اطار الاماني والاهام » هذه الصفة الناجمة عن طبيعتهم « العرب هم أناس توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر بكثير مما يوجههم عقولهم » .

ومن الغريب والطريف حقا يرى أن اليهود أيضا يشاركون العرب في صفة الميل القوي للتغاضي عن الواقع ، والعيش ضمن اطار الاماني والاهام ، ولكنه في الوقت نفسه يعتقد بأن هذه الصفة في حالة كونها مرادفة لليهود فانه ناجمة عن « عبقرية » ، ففي نفس المثال يذكر غولدمان « لو ان الشعب اليهودي رضخ للواقع ، فانه لن يكون قائما اليوم ، هذا هو ايماني الصلب . ان الانجاز العظيم لعبقرية شعبنا يتمثل في محافظته على وجوده في ظروف غير قابلة للتحمل ، ولا يستطيع اي شعب آخر الصمود امامها . وقد تغاضى عن الواقع الفظيع وهرب الى داخل الاماني والصلوات والاهام . ففي الفترات التي كان يوجد فيها على أكثر تقدير مليون ونصف مليون يهودي في العالم يعيشون تحت المطاردة والتمييز والضييق والتحقير ، تناقش الزعماء الدينيين والروحانيون من شعبنا في حماس حول القوانين واللوائح الخاصة بالايام التي سيأتي فيها المسيح عندما يعيد بناء المقدس من جديد ، وتقام مرة أخرى دولة يهودية » أي ان غولدمان يريد القول بأن صفة التغاضي عن الواقع والعيش مع الاحلام مشتركة بين العرب واليهود ، الا أنها نابعة عن طبيعتين مختلفتين ، طبيعة « الغباء » بالنسبة للعرب ، وطبيعة « العبقرية » بالنسبة لليهود !

وللبرهنة على عناد العرب وعدم تسامحهم ورغبتهم في العيش ضمن اطار الوهم ، يستعين غولدمان بالمقارنة ما بين وضعين مختلفين ، يندم فيهما وجه الشبه « لقد

سبق لي وأن قلت في أحيان كثيرة بأن لو كان العرب انجليز لكانا منذ مدة نعيش معهم بسلام ، لأن الانجليز يتحلون بقدره عبقرية للماعمة أنفسهم مع الواقع . فقد أثبتت فترتنا الامر بشكل بارز للغاية ، ذلك ان الانجليز عندما فقدوا امبراطوريتهم الكبرى في العالم ، لم يصحبوا تعساء مكسوري القلب ازاء هذه الخسارة « نفس المصدر » .

من الواضح أن وجه الشبه بين الحالتين مفقود ومضلل ، الا أنه يمكن القول ، لو ان الحركة الصهيونية اقتطعت جزءا من بلاد الانجليز ، وأصبح وضع الانجليز كوضع العرب بالفعل ، فمن المشكوك فيه حينذاك أن يتحدث الدكتور غولدمان عن « عبقرية » الانجليز الذين يلائمون أنفسهم مع الواقع ، ومن غير المستبعد أن يلصق بهم صفة العيش مع الاحلام الناجمة عن طبيعة « الغباء » و« توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر مما توجههم عقولهم » .

ويعزو الدكتور غولدمان سبب تعزز بسيكولوجية العرب هذه — وفق مفاهيمه — الى وضع العرب الجيوبوليتي ، لاعتقاده بأنه « لا أمل » في أن تنجح الدولة اليهودية بابعاد العرب من الشرق الاوسط ، وان أي انتصار اسرائيلي جديد ، لن يغير من الحقيقة الاساسية بأن الدولة اليهودية قد حكم عليها بان تبقى الى الابد واقفة أمام تفوق عددي عربي حاسم أخذ بالتنامي ، ولذا فانه لا يرى بأن الهزائم المتكررة التي يلاقها العرب تنطوي على معنى مأساوي بالنسبة للعرب ، كما وان العرب يمكنهم أن يخسروا معارك كثيرة دون أن يخسروا الحرب النهائية في الوقت الذي يمكن أن تعرض فيه هزيمة واحدة اسرائيل الى الدمار ، ثم يقرر « ان هذه المقولة مبررة ، وتبشر بالسوء عندما يحظى العرب بموقف أفضل بكثير على المدى الطويل » .

لا يعتقد الدكتور غولدمان بأنه يمكن تغيير بسيكولوجية العرب بين عشية وضحاها ، لان ذلك حسب رايه يحتاج الى صبر ووقت طويل ، مع العمل خطوة خطوة لدفع الامور لصالح التغيير ، دون ان يفعل أو يشرح ماهية تلك الخطوات ، الا أنه يركز على نقيضها المتمثلة في سياسة الارغام والقوة « . . . لقد تأملنا الحصول على الامر (اعتراف العرب باسرائيل) بواسطة توجيه ضربات عسكرية ، أو بواسطة تدخل ومساعدة دول من الخارج ، ووفق رؤيتي للامور فان هذا الاسلوب خاطيء من أساسه » (نفس المصدر) .

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان الدكتور غولدمان يؤمن بإمكانية التعايش بين الحركة الصهيونية والعرب ، خاصة لو عملت الحركة الصهيونية منذ نشوئها على معرفة العرب وأشركتهم في أعمال البناء والمشاريع ، ونظرت اليهم نظرة مختلفة ، لكسبهم الى جانبها أو على الأقل عدم التصادم معها ، وكان يفضل لو ان الحركة الصهيونية حصلت على « وعد بلفور » عربي ، كما أعلن أكثر من مرة بدل حصولها عليه من بريطانيا ، ومع ذلك فانه لا يرى بأن السلام مستحيل بين اسرائيل والدول العربية ، بل يمكن تحقيقه لان الصراع ليس حتميا كما يعتقد ، وانه اذا ما ركزت اسرائيل اهتمامها بالقضية العربية وابتعدت عن الاستخفاف بالعرب وغيرت من سياسة التعنت فانه يمكن حينذاك الحصول على سلام .

النظرة تجاه الاتحاد السوفيتي : في الوقت الذي نرى فيه الدكتور غولدمان ينتقد الحركة الصهيونية وزعماءها ومن ثم السياسيين الاسرائيليين المتريعين على سدة الحكم حول نظرتهم تجاه العرب ، ويطالب بتغيير تلك النظرة التي تتسم بالاستخفاف الى نظرة موضوعية ، نجده أيضا ينظر الى الاتحاد السوفيتي بنظرة أخرى مغايرة لكثير من الاسرائيليين حيث نجد قسما منهم يعتقد بأن الاتحاد السوفيتي يعتبر من جبهة أعداء اسرائيل ويرى انه يجهز العرب بالاسلحة بغرض تدمير اسرائيل ، ويرى قسم

آخر فيه بأنه على اقل تقدير لا يمكن أن يصبح من أصدقاء إسرائيل ، أما الدكتور غولدمان فيعتقد بضرورة تغيير سياسة إسرائيل تجاه الاتحاد السوفييتي ، لاعتقاده بأن الاتحاد السوفييتي هو المستفيد الأول من وجود إسرائيل ، ولا يريد أن يسعى السوفياتي لتدميرها ، ولا يترك فرصة تفوته بسواء في حديث صحفي أو مقال دون أن يذكر مقولته تلك ويعطي غولدمان بعض الأسباب التي يعتقد بأن الاتحاد السوفييتي غير معني بالقضاء على إسرائيل من أجلها :

١ — ان الاتحاد السوفييتي يدرك بأن الولايات المتحدة والعالم الغربي لن يسمحوا بذلك ، ومن المؤكد انه معني بمنع حدوث المواجهة الكبرى بين الشرق والغرب الناجمة عن هذا الامر .

٢ — باستثناء ذلك ، ومن ناحية السياسة الواقعية للاتحاد السوفييتي ، فان قيام إسرائيل يعتبر بمثابة هدية من السماء بالنسبة له ، وقيل مدة بسيطة قال لي سياسي امريكي كبير عندما سألته عن رايه ، ليس هنالك ثمن لا يكون الاتحاد السوفييتي مستعدا لدفعه لكي يبقي إسرائيل على قيد الحياة . لقد كان حتى الآن المستفيد الأكبر على الصعيد العالمي من قيام دولة إسرائيل . . . » (هارنس ٧٠/٤/٦) . وفي مناسبة أخرى يذكر بأن الاتحاد السوفييتي معني باستمرار وجود إسرائيل ، لان هذا الوجود منحه فرصة « للتوغل » في المنطقة « . . . ومن ناحية أخرى فان الاتحاد السوفييتي يريد استمرار قيام إسرائيل ، ان لم يكن لاسباب اخلاقية فمن خلال دوافع انانية ، فلو لا إسرائيل لكان العالم العربي بأكثرينه مؤيدا لاميركا وللغرب . فبفضل ظهور إسرائيل فقط استطاع الاتحاد السوفييتي الذي سعى الى ذلك مئات السنين ولكن بدون نجاح ، استطاع ان يتوغل في الشرق الأوسط حتى بدون حرب ، وان يحظى بموقع نفوذ سياسي واقتصادي » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/٣١) .

ومن خلال هذه الرؤيا تجاه الاتحاد السوفييتي فانه يطالب إسرائيل مرارا بتغيير سياستها تجاه الاتحاد السوفييتي مع المحافظة على الصداقة الحميمة مع الولايات المتحدة والعالم الغربي ، ويوجه كثيرا من النقد لنتائج السياسة الاسرائيلية تجاه السوفييت .

وفيما يتعلق باحلال السلام وحصول إسرائيل على اعتراف عربي ، يرى غولدمان بأنه لا يمكن تحقيق ذلك بدون الاتحاد السوفييتي ، ولذا فاننا نراه من بين العناصر الصهيونية القليلة التي تطالب بالاسراع لعقد مؤتمر جنيف لكي يكون للاتحاد السوفييتي دور فيه ، ويساعد بذلك على تحقيق التسوية ، وقد مر معنا أنه يعارض اسلوب كيسينجر المعتمد على المراحل لسبيين ، العامل الزمني ، والآخر ابعاد السوفييت بواسطة هذا الاسلوب عن المساهمة في حل الصراع ، ويرى في ذلك بمثابة تضيق لفرص السلام ، لان السلام الذي يتأتى عنه اعتراف العرب بإسرائيل لن يحل في المنطقة « اذا لم توحد الدولتان الاعظم جهودهما ، ولم تتعاونتا على تقريب السلام ، وليس بوسع الولايات المتحدة لوحدها ، أو بوسع الاتحاد السوفييتي لوحده ، القيام بذلك . الا أنهما معا يمكن لهما أن تؤديا الى اتفاق ، ذلك انه بدون الدولتين الاعظم لا يمكن لإسرائيل أو للعرب أن يتقدما سواء على الصعيد السياسي والاقتصادي أو العسكري» . (يديعوت احرونوت ٧٥/١/٣١) .

وجهة نظر غولدمان تجاه السلام مع العرب : تأتي الآن الى شكل السلام الذي يتوخاه الدكتور غولدمان ويسعى اليه . وقبل التطرق الى ما يطرحه في هذا المجال لا بد من الإشارة الى أن غولدمان لا يتطرق الى اجراءات السلام أو ماهيته بنفس المقدار

الذي يتطرق فيه الى شرح وجهة نظره في الصراع العربي الاسرائيلي ، ولا يجد المرء برنامجا واضحا المعالم للسلام الذي يطرحه ، بل سيجد كلاما عاما حول شروط السلام ومبادئه . وتسهيلا للبحث ، ومن أجل القاء مزيد من الضوء على تصور غولدمان لشروط السلام ارتأينا تقسيم وجهة نظره تجاه هذا الموضوع الى قسمين ، الاول تصوره للتسوية بشكل عام مع العرب والثاني تصوره للتسوية مع الفلسطينيين .

بالنسبة للتسوية مع العالم العربي يرى غولدمان انه من الافضل ان تحيط التسوية بجميع القضايا الاساسية على شكل صفقة مع اتفاق تعاقدي رسمي وملزم ، مع ضمانات دولية . وقد أورد تصوره هذا في مجموعة مقالاته الا انه شرحها بشكل أوسع في مقال له نشر في هآرتس (٧٠/٤/٨) حين ذكر المبادئ التالية للتسوية :

« ١ - ينبغي أن تحيط التسوية بجميع القضايا الاساسية ، ولا يمكن ان تتم التسوية قطعة قطعة ، ومن المؤكد انه لا يمكن حدوث أي انسحاب اسرائيلي من المناطق المحتفظ بها قبل التوصل الى اتفاق تام .

٢ - اذ كان من غير الممكن التوصل الى سلام فوري ، فانه من الضروري أن توقع الدول العربية على اتفاق تعاقدي رسمي وملزم توافق بموجبه على انتهاء حالة الحرب ، وتعمل على الحفاظ على حرمة الحدود ، ومنع أعمال انتهاك من جانب مجموعات ارهابية . وسيقرر شكل توقيع واعلان هذا الاتفاق التعاقدي الذي يضع حدا لحالة الحرب من خلال الاستشارات مع الطرفين سواء بواسطة مجلس الامن او محكمة العدل العليا في لاهاي ، وستصر اسرائيل بعد انتهاء حالة القتال بشكل قانوني وتعيين الحدود بموافقة الطرفين ، على أن تكون هذه الحدود مفتوحة للحركة والاشخاص ومرور البضائع .

٣ - بعد تثبيت انتهاء حالة الحرب بشكل قانوني ، لن يكون لمصر حتى من وجهة نظرها هي ، حجة أخرى لمنع أو لحظر حرية الملاحة الاسرائيلية ، لا في خليج العقبة ولا في قناة السويس ومن الواضح انه بدون ذلك لن تكون هناك تسوية .

٤ - سيكون من الضروري تجريد المناطق المحتفظ بها من السلاح ، باستثناء بعض التعديلات الطفيفة مثل اللطرون وقلتيية ، أي انه فقط بواسطة اتفاق بين اسرائيل والدول العربية - في حال التوصل الى سلام - سيكون من الممكن اجلاء قوات الامم المتحدة بناء على طلب الطرفين . . . »

ومن الجدير بالذكر هنا ان هذه المبادئ يجب ان تطرحها اسرائيل ، كما يطالب غولدمان ، عند الاعلان عن موافقتها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

بالاضافة الى ذلك يشدد غولدمان على تفضية الضمانات الدولية ، اذ يعتبرها سواء على شكل ضمان الحدود التي يتم الاتفاق عليها بعد التوصل الى اتفاق ، او على شكل حماية تلك الحدود بواسطة مرابطة قوات على امتدادها ، ان تعمل على تعزيز السلام بين الاطراف . ومن المعروف ان المسؤولين الاسرائيليين لا يعطون هذا الموضوع أهمية ، بل وفي بعض الاحيان يسخرون من الضمانات مستشهدين بما حدث لقوات الطوارئ الدولية عشية حرب حزيران ، ومدعين ان الجانب العربي أبعد من ان يكون حريصا على احترام تلك الضمانات ، الا أن غولدمان يرى في أي اتفاق سلام مثلسه كالضمانات قابل للانتهاك من قبل أي طرف ، ولذا ، ومن خلال وقوفه على الصراع العربي الاسرائيلي ، وفهمه الخاص له ، فانه يعتقد بضرورة الضمانات التي يجب أن تكون حسب رأيه « رسمية وملزمة من الناحية القانونية » ، كل ذلك بغرض كسر حدة

العداء بين الطرفين المتنازعين ، وتقليص الهوة البسيكولوجية القائمة بينها ودفع المنطقة نحو السلام : « ان أفضل الامور لجميع دول المنطقة هو منح ضمانات مشتركة من قبل الدول الكبرى للحدود الجديدة التي سيتفق عليها بمفاوضات تنتهي بنجاح او ضمانات موسعة بتوقيع مجلس الامن ، لان ذلك سيخفف من حدة التوتر في الشرق الاوسط ، ويسهل تحسين العلاقات بين اسرائيل والدول العربية » (هآرتس ١٥/١/٧٤) .

وفيما يتعلق بمرابطة قوات دولية بين الاطراف استكمالا للضمانات الدولية ، يرى ان السلام يمكن ان يتعزز بذلك ، ويناقش اولئك الذين يعترضون على رايه ويدعون بأن القوات الدولية بين مصر واسرائيل لم تحرك ساكنا عندما أمرها الرئيس عبد الناصر بالانسحاب عشية حرب حزيران ، قائلاً بأن تلك القوات كانت ترابط في حدود طرف ، وكان هو يود مرابطتها على جانبي الحدود ، ويرفق ذلك بشروط من بينها عدم السماح بإبعاد القوات الدولية الا بموافقة الطرفين . ويذكر ان بن غوريون رفض ذلك بحجة ان من شأن مرابطة قوات في الجانب الاسرائيلي مس السيادة الاسرائيلية : « . . . ولاسباب تتعلق على ما يبدو ب « سيادة » اسرائيل رفض بن غوريون بصورة قاطعة السماح بوضع جنود الامم المتحدة على ارض اسرائيلية . وتحدثت معه حول ذلك مرات عدة بناء على طلب همرشولد ، وحاولت اقناعه بأنه من الافضل لاسرائيل الموافقة على الاقتراح ، ولكنه بقي مصراً على رايه » (نفس المصدر) .

ويخرج غولدمان من ذلك ، بانه من مصلحة اسرائيل ، بالاضافة الى اتفاق السلام الموافقة على ضمانات من قبل قوات دولية على جانبي الحدود ، وان ذلك افضل بكثير من تمسك اسرائيل بالمناطق المحتلة : « وباختصار ، فان اتفاق سلام رسمي يتضمن اعترافاً عربياً باسرائيل ، و ضمانات ملزمة ورسمية موقعة على الاقل من قبل الدولتين الاعظم ، وتشكيل قوة دولية يمكنها الانسحاب اذا طلب الطرفان ذلك ، هو افضل من تمسكها بالمناطق التي لن يتوقف العرب عن محاولاتهم لاحتلالها ثانية ، والتي ستحول دون اي اتفاق سلام » . (نفس المصدر) .

ان المتتبع لما يصدر عن غولدمان من افكار و آراء وتصريحات ، لا يستطيع الوقوف على جملة صريحة واضحة تنص على ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع المناطق المحتلة مقابل السلام ، بل يقف على بعض الجمل العامة التي تشير الى انه « يفضل » السلام على المناطق « المحتفظ بها » او على جمل غامضة مثل « انني لست خبيراً في الشؤون الامنية العسكرية ، وليس بوسعي ان اسدي النصيحة حول كم من المناطق يجب ان تنازل مقابل السلام ، الا انه مع ذلك يجب على اسرائيل ان لا تنازل اكثر من اللازم في اطر التسويات المؤقتة » . (يديعوت احرونوت ٢٩/١/٧٥) .

الا ان هناك شيئاً واضحاً عند غولدمان ، ولا يدع فرصة تفوته دون التأكيد عليه ، وهو ضرورة بقاء اسرائيل قوية مع جيش قوي بعد التوقيع على اتفاقية السلام مع العرب ، فهو يردد دائماً عبارات بهذا المعنى ، مثل « ينبغي ان يكون الامر واضحاً لاسرائيل . انني لا اقول بان منطقتنا ستعيش عقب التسوية في جنة عدن . بل ان الامر يتطلب ان تكون اسرائيل قوية مع جيش قوي لمدة طويلة » (٧٤/٥/٨) ومثل عبارة « بودي ان اضيف هنا ، لكي نمنع سوء فهم ، انه حتى اذا ما نجحت سياسة السلام ، فيجب على اسرائيل ان لا تعتمد عليها فقط ، بل ينبغي عليها ان تعمل كل ما في وسعها لكي تبقى قوية ، وتتابع تطورات اتفاق السلام ، لتتأكد اذا ما كان العرب على استعداد لاحترامه بكامله » (يديعوت احرونوت ٣١/١/٧٥) .

نظرة غولدمان تجاه حل القضية الفلسطينية : تتسم الحلول التي يطرحها غولدمان للقضية الفلسطينية بالفهموض ، الا ان المرء يمكن ان يقف على بعض الجوانب التي يطررها غولدمان بشكل واضح ، مثل قضية القدس والطرور وقليلية ، ومشكلة اللاجئين .

يعتقد غولدمان بضرورة ابقاء ثلاث مناطق من الارض الفلسطينية المحتلة حديثا تحت السيطرة الاسرائيلية ، عقب التوصل الى سلام . وهذه المناطق هي اللطرون وقليلية (ضمن اطار التعديلات الطفيفة) والقدس . وبالنسبة للقدس يطالب غولدمان بضرورة تمسك اسرائيل بوحدة المدينة ، وهذا يعني كما يقول المحافظة على ايجاد اكثرية اسرائيلية ثابتة في المدينة ، الامر الذي يتطلب توجيه قسم كبير من المهاجرين اليهود الى القدس . ومن الجدير بالذكر هنا ان غولدمان يشدد في معظم كتاباته عند تطرقه لمستقبل القدس على توحيدها باكثرية يهودية ، وليس على ضمها رسميا لتخوفه ليس فقط من رفض العرب لعملية الضم ، بل من احتمال عدم تمشي السدول الرابع الكبرى مع اجراء كهذا . ومع ذلك ، ولاعتقاده بأن القدس تعتبر المركز الروحي لليهود ، فإنه يطالب بضمها الى اسرائيل ليس بشكل رسمي ، اذا كان ذلك من شأنه اثاره المشاكل امام اسرائيل ، بل على مشكل توحيد المدينة : « الا ان قضية رسمية الضم لا تبدو امامي ضرورية ، ان الامر الضروري هو توحيد المدينة ، حيث تتمخض عنه اكثرية يهودية واضحة في ادارتها ، ومن حق اسرائيل ان تقيم هناك عاصمتها ، واذا كان من الضروري ، ففي القسم الجديد من المدينة ، حيث لا يوجد للعالمين الاسلامي والمسيحي شأن فيه » (هارتس ٧٠/٤/٨) . اما بخصوص الاقلية العربية ، فإنه يطالب بمنحها حكما ذاتيا ضمن التوحيد ، ويدعو كذلك للمحافظة على حرمة الاماكن المقدسة ، ويتوقع في حال قيام صفة دولية خاصة للقدس ، حدوث تطور عظيم في المدينة « الفريدة من نوعها » ، وبتمثل ذلك حسب توقعات غولدمان في تحول المدينة خلال فترة قصيرة الى مركز للمؤسسات الدولية الى جانب كونها مركزا للمؤسسات الدينية .

اما بخصوص قضية اللاجئين فإنه يعتبرها من القضايا الصعبة جدا ، ولكنه يشير بوضوح وبصراحة بأنه يتفهم الموقف الرسمي الاسرائيلي تجاه هذه القضية . يقول حول هذا الموضوع : انني اتفهم رفض اسرائيل للمطالب العربية المستندة الى قرارات الامم المتحدة ، والقائلة بمنح اللاجئين حرية الخيار بين العودة الى اماكنهم او قبول تعويضات . ان معنى عودة جماعية للاجئين الذين تربوا اكثر من عشرين عاما على كراهية اسرائيل ، يمكن ان يكون ليس كما يقال احيانا وضع حد لدولة اسرائيل ، بل خط عظيم متواصل . ومن الناحية الاخرى فإن العرب رفضوا بشكل قوي التنازل عن مبدأ حرية الخيار ، في الوقت الذي تعود فيه الامم المتحدة بالتصديق عليه ، ويقف الى جانبه كل من الشرق والغرب . كما وان الولايات المتحدة اتخذت موقفا شديدا من اجل الحفاظ على هذا الجدا . انني لا املك مقترحات حل عملية « (هارتس ٧٠/٤/٨) .

من الامور التي يعترف بها غولدمان عند حديثه عن القضية الفلسطينية مسألة وجود الشعب الفلسطيني ، وينتقد بشدة اولئك المسؤولين الاسرائيليين الذين درجوا على القول بأن الشعب الفلسطيني غير موجود . اما فيما يتعلق بقضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، فان غولدمان كان يود ويتمنى على الحكومة الاسرائيلية ان تعمل على خلق ممثلين من بين صفوف سكان المناطق المحتلة « خلال الاعوام السبعة منذ ان احتلت اسرائيل يهودا والسامرة ، كان عليها — بالاضافة الى امور كثيرة نفذتها بتعقل مثل فتح الجسور واعطاء فرص اقتصادية ومهنية للعرب — ان تحاول قبل كل شيء

خلق تمثيل رسمي للعرب في المناطق المحتفظ بها . الامر الذي قد يكون من شأنه الحيلولة دون أن تصبح منظمة التحرير الفلسطينية المثل المعترف به للفلسطينيين « (هارتس ٧٥/١/١٣) ولكن بما ان الفرصة ضاعت بسبب ما يسميه بتطرف السياسة الاسرائيلية ، وبما ان منظمة التحرير الفلسطينية غدت هي الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني في نظر الاكثرية الساحقة من دول العالم ، فانه يقترح على اسرائيل ان لا تضيع الفرصة ويدعوها الى اعلان استعدادها للتفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية مقرنة هذا الاستعداد بثلاثة شروط شجب منظمة التحرير للاعمال الارهابية ، واعترافها بحق دولة اسرائيل في الوجود ، والتنازل عن المطالبة باقامة دولة فلسطينية علمانية تضم عربا ويهودا وتلغي وجود اسرائيل . ومن المفيد هنا أن نقف على وجهة نظر غولدمان تجاه الدولة العلمانية في فلسطين والتي يتساوى فيها اليهود والعرب في الحقوق والواجبات . يرى غولدمان في الدولة العلمانية في فلسطين خطرا على المجتمع اليهودي ، ونقيضا للمشروع الصهيوني ، ويتمثل الخطر ، في التكاثر العربي ، اذ يعتقد بان نسبة الولادة عند العرب أعلى منها لدى اليهود كما وان اليهود لن يستطيعوا منافسة العرب في هذا المجال حتى لو بقي باب الهجرة مفتوحا الامر الذي يحول العرب الى اكثرية واليهود الى اقلية ، ويتمثل النقيض في ان هذه الدولة لن تكون دولة اليهود (انظر هارتس ٧٠/٥/٦) .

ما الحل الذي يطرحه غولدمان بالنسبة لمصير الضفة الغربية ؟ يقول غولدمان « بان هنالك حلا يمكن ان يقبله الطرفان : عقب الجلاء عن يهودا والسامرة ، او جزء منهما ، تتسلم الامم المتحدة بشكل مؤقت الادارة هناك ، وتقوم بتنظيم استفتاء شعبي للفلسطينيين هناك ليقرروا اذا كانوا يرغبون ليكونوا جزءا من الاردن ، او دولة متمتعة باستقلال داخلي ومرتبطة بالاردن باتحاد فدرالي ، او دولة مستقلة . وهنالك عدد من الدبلوماسيين الاميركيين والشيعوعيين يفكرون في هذا الاتجاه ، ويعتقدون ايضا بان هنالك احتمالا جيدا لتحقيق فكرة اتحاد فدرالي بين الدولة الفلسطينية والاردن . وهنالك من يعتقدون بان مسألة موافقة العرب على تجريد هذه الدولة من السلاح عقب قيام الدول الكبرى بضمان الحدود بين اسرائيل والدولة الفلسطينية لا تعتبر مسألة مستحيلة ، وبذلك لا تشكل خطرا دائما على اسرائيل الامر الذي يسبب قلقا عتيفا ومبررا لاسرائيل » (هارتس ٧٤/١١/١٣) .

الا ان غولدمان يشكك في مناسبة اخرى فيما اذا كان الفلسطينيون يقبلون باقامة اتحاد مع الاردن ، ففي مقابلة صحفية (ملحق همشمار ٧٥/١/٣١) يجيب على سؤال وجه اليه ، هل تدعو الى حل من خلال اقامة دولة فلسطينية ؟ بقوله : انني لا ادعو الى المركض لدولة فلسطينية . ليس من المستع ، على سبيل المثال ، تحقيق اتحاد فدرالي اردني . الا انه يبدو بانهم هم انفسهم لا يريدون ذلك . لقد حدثت مذبحه في الاردن ولا زالت ترافقتهم « . كتلخيص للحل الضبابي الذي يطرحه غولدمان تجاه القضية الفلسطينية يمكن القول ، انه بعد ان يسلخ ثلاثة اماكن من المناطق المحتلة حديثا ، القدس والطرور وقلقيلية ينصح حكومة اسرائيل ان تبدي استعدادها للتفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية بشروط ثلاثة ، اعتراف المنظمة بالكيان الاسرائيلي وشجبها لاعمال « الارهاب » وتخليها عن مطلبها في اقامة دولة فلسطينية علمانية في فلسطين .

لعل الدكتور غولدمان يعفينا من عناء تقييمه بعد ان وقفنا على افكاره الخاصة بالنزاع العربي الاسرائيلي ، فهو خير من يقيم نفسه ، اذ يرى بانه بمثابة « قفاز الحرير » للحركة الصهيونية وهذا القفاز مكمل « لليد الحديدية » التي تقود اسرائيل . ففي حديث مع صحيفة عل همشمار ٧٢/٢/٤ نسب غولدمان الى بن غوريون قوله : « . . . لن يصغي العرب إليك ، لانهم بحاجة الى يد قوية ، يد من حديد . وهذا ما اتولاه انا (اي بن غوريون) لا أنت . وقلت له : انك على حق ، ولكن يقال ان السياسة بحاجة الى يد من حديد والى قفاز من حرير ، يمكنك ان تكون أنبت اليد الحديدية وانا قفاز الحرير . . قال سيأتي يوم وادعوك ، ولم يأت هذا اليوم بعد » .

مدخل لدراسة الدعاية الصهيونية واسلوب مواجهتها

حسني خشبة

هذه الورقة* هي محاولة لطرح رؤوس افلام للبحث حول تحليل ومواجهة الدعاية الصهيونية ، وثمة تفرقة بديهية ولكن هامة يجب ان نضعها في الاعتبار بادىء ذي بدء تلك هي التفرقة بين الدعاية المعادية من ناحية ، والدعاية الصهيونية من ناحية ثانية ، والدعاية الاسرائيلية من ناحية ثالثة ، والدعاية اليهودية من ناحية رابعة فكل هذه المسميات وظائف متميزة بنائيا ، والعلاقة بينها - وظيفيا - هي علاقة حركة وليست علاقة سكنون ، فقد تتطابق هذه المسميات جميعها وظيفيا وقد تتكامل او تتنافس وتتضاد . كذلك قد تكون العلاقة علاقة تتابع (مراحل) او علاقة تزامن . وبعبارة أخرى ، الدعاية الصهيونية ليست هي الدعاية المعادية الوحيدة الموجهة للانسان العربي ، ولكنهما قد يتماثلان من حيث الاهداف والوسائل والاساليب ، كذلك فالدعاية الصهيونية ليست بالضرورة صورة طبق الاصل من الدعاية الاسرائيلية ، على سبيل المثال ذلك النزاع الشهير بين ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ، وجولدا مائير ، رئيسة وزراء اسرائيل السابقة . لقد كانت الوظيفتان في هذه الحالة اقرب الى التنافس ، وتحديد بعضهما البعض بدرجة قليلة على الاقل كذلك الدعاية اليهودية قد لا توجه للعرب ولكنها اساسا موجهة للناشئة اليهود ، وربما تكون العلاقة بينها وبين الدعاية الصهيونية علاقة مراحل . بمعنى ان الدعاية اليهودية قد تعد كوادر المستقبل للدعاية الصهيونية ومن ثم فان رصد التغير حال حدوثه في مضمون الدعاية اليهودية ، يكون مدعاة لتوقع تغير في مضمون الدعاية الصهيونية مستقبلا اذا جردنا كافة العوامل الاخرى .

وقد يبدو من هذه التفرقة انها نوع من الانفراط في التفاصيل ولكن ذلك سوف تتضح اهميته عند طرح رؤوس الافلام التالية ، والتي هي خلاصة مجموعة من الدراسات تقدمنا ببعض منها للجنة الدائمة للاعلام العربي التي تنمقد في اطار جامعة الدول العربية مرتين في العام .

ح ٠ خ

* قدمت هذه الدراسة كورقة عمل الى الحلقة الدراسية التي عقدت في بغداد في الاسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٧٤ حول الدعاية المضادة والحرب النفسية .

الاطار التصوري : (مفاهيم)

١ — **التعريف بالدعاية** : الدعاية هي محاولة التأثير في سلوك الآخرين . بعبارة أخرى الدعاية وظيفة اتصالية تهدف من خلال استخدام الرمز الى احداث نمط أو أنماط سلوكية لدى الآخرين .

٢ — **عناصر الوظيفة الدعائية** : يضم هذا التعريف الموجز كافة العناصر الداخلة في هذه الوظيفة الاتصالية فهي **أولا** محاولة قد تنجح بقدر ما قد لا تنجح بطبيعتها في احداث الاثر المطلوب ، **ثانيا** هذه المحاولة تصدر عن شخص (أو أشخاص) هو المرسل لقضية ما . **ثالثا** تهدف هذه المحاولة الى التأثير ، وهنا يكمن عنصر الغائية في العملية الدعائية ، اي أن الدعاية يعرف أو المفروض أنه يعرف أبعاد ما يريد تمامًا ، **رابعا** : هناك الرسالة الدعائية (أو القضية) وهي نسق رمزي بطبيعتها اي أن الرمز هو اداة الاتصال الوحيدة في الوظيفة الدعائية ويترتب على ذلك أن أي وسيلة تستخدم الضرب أو القهر المادي المباشر لا يمكن أن تدخل في اطار مفهوم الدعاية الا اذا كان الضرب أو القهر المادي يحدث لشخص (أو أشخاص) بهدف التوصيل الرمزي لشخص آخر . فهنا يكون الضرب دعاية (أو حربا نفسية) . **خامسا** : للدعاية هدف أو غاية هي التحكم في سلوك الآخرين ، هؤلاء هم جمهور الدعاية (أو المستقبل) .

٣ — **الدعاية عملية نفسية اجتماعية** : اذا كان الهدف من الدعاية هو التأثير في سلوك الآخرين ، فهي بالتالي عملية نفسية والدعاية تحدث اثرها فقط من خلال استخدام نسق من الرمزية الاجتماعية — اللغة مثلا — وفي اطار اجتماعي ، من حيث أن الهدف هو التأثير في السلوك الاجتماعي للفرد ومن ثم فالدعاية عملية نفسية اجتماعية . فلا وجود للدعاية دون مجتمع واذا كانت الدعاية اداة من ادوات السياسة تستهدف هدفا سياسيا — كما هو معلوم الا انها تعمل اساسا من اطار مجتمع ، والسلوك السياسي المستهدف هو اولا سلوك اجتماعي .

٤ — **المحددات الاجتماعية للدعاية** : الدعاية بوصفها محاولة للتأثير — هي بطبيعتها وظيفة مساعدة ، لا تخلق شيئا من عدم ولا تعمل في فراغ . فهي تستخدم مفاهيم مسبقة لدى الفرد ، وحالات التهيؤ النفسي ومحتوى الميثولوجيا الاجتماعية للفرد والجماعة اطارا لتوجيه سلوكه . فاذا كان الرمز هو اداة الاتصال الاجتماعي فهو كذلك النسق الحامل لمجموعة من الانساق الاجتماعية اي انساق القيمة والمعتقدات والميثولوجيا ، او مكونات ما يطلق عليه الاطار الدلالي للفرد والمجتمع هذا الاطار الدلالي هو اهم مكونات بيئة الوظيفة الدعائية فهو اطار التأثير بالقضية الدعائية .

٥ — **الاطار الدلالي وآلية الهيكلية** : لكي يتضح لنا مبلغ تأثير هذا الاطار الدلالي في نجاح أو فشل الوظيفة الدعائية (بعبارة أخرى قبول أو رفض أو تحوير القضية الدعائية) لنأخذ المثال التالي : — ان القطه أو الكلب الذي أربيه في منزلي هو ذلك الحيوان اللطيف الوديع الذي احس بسعادة في مداعبته على العكس تماما من الكلب الذي يربيه جاري والذي ربما ارى فيه حيوانا منفرا ومزعجا . والكلبين معا بالنسبة لشخص ثالث ربما يستويان ولا يختلفان كثيرا عن اي حيوان آخر من نفس النسيطة . ما مرجع وجود ثلاثة مستويات من التقييم لدى ثلاثة أشخاص ؟ ان الانسان يحكم على المواقف من خلال تجاربه الماضية ونمط تنشئته — اي من خلال اطاره المرجعي والذي يفعله الاطار المرجعي هنا انه يساعدنا على (هيكلية) المواقف الاتصالية أي اعطائها شكلا (أو بناء) .

٦ — **الإدراك** : ان الهيكله هي شق من شقي عملية الإدراك فالادراك عملية من شقين : آ — عملية الانتباه الى الأشياء او المواقف — اي وصولها الى دائرة انتباهنا من خلال حواس السمع او البصر أو اللمس . . . الخ . ب — عملية أضفاء المعنى على هذه المثيرات (اي المواقف والأشياء) وهنا تكمن أخطر امكانيات الدعاية والحرب النفسية فعلمية أضفاء المعنى هي عملية التفسير فالانسان في صدر عهده بالحياة وقبل ان يطور رصيذا كافيا من المفاهيم العلمية عن الظواهر الطبيعية كان يقف مشدوها امام ظاهرة هبوب الرياح وشروق الشمس وغروبها ليرجع ذلك الى فعل العفاريات والأرواح الشريرة واليوم هل تغيرت الظواهر ؟ بالطبع لا إنما ما تغير هو الاطار المرجعي للانسان .

الرمزية والواقع : الرمز هو علامة اصطلاحية تعني شيئا اخر متفق عليه اجتماعيا وليست ثمة علاقة بين الرمز وما يشير اليه سوى من خلال التواضع الاجتماعي فكلمة « قلم » مثلا بالنسبة لمن لا يعرف اللغة العربية لا تعني شيئا وهي تعني للمتكلمين بالعربية ذلك الشيء المسمى بها من خلال اتفاق جماعة العرب على هذه التسمية فيما بينهم فالكلمات اذن رموز اجتماعية واللغة هي نسق للرمزية الاجتماعية والرمز (او الكلمة) هو أصغر وحدات المعنى تنظم في وحدات أكبر هي الجملة او القضية ، فاللغة اذن هي أداة الاتصال الرئيسية بين جماعة البشر ولما كانت اللغة (او الرمزية الاجتماعية) شيء والواقع شيء اخر فثمة احتمالات هائلة امام الدعاية لطرح مستويات من التقييم تبعد عن الحقيقة وتكون أقرب لقيضتها بما يحدث الاثر السلوكي المستهدف وسوف نوضح ذلك تطبيقا على الدعاية الصهيونية فيما بعد . أما الان فلا مناص من ايضاح المقصود في عجالة ذلك ان الدعاية الصهيونية طرحت منذ بدء النزاع على أرض فلسطين مفهومي استطاعت بهما احتواء حجم غير ضئيل من المواطنين الاوروبيين ذلك هو قولها حق اليهود التاريخي في فلسطين وقولها حق العرب التاريخي في فلسطين ، فالقضية الاولى تعني ان لليهود حقا اقره التاريخ في فلسطين (او يقر التاريخ بأهميته) والقضية الثانية تعني ان للعرب ماضيا في فلسطين . هذه المشكلة في الخلط الناشء عن تعدد مستويات التقييم او الانفصال بين الواقع واداة الاتصال المستخدمة للحديث عنه هي ما يعالجه علم دلالة الالفاظ .

٨ — **نسق المعتقدات الاجتماعي والميثولوجيا الاجتماعية** : نسق المعتقدات هو مجموعة من الافكار والاتجاهات والقناعات تتمركز حول قيم الجماعة او مجموعة من الأشياء تعترز بها هذه الجماعة . ويتميز نسق المعتقدات باحتوائه على مجموعة من الافكار المنطقية ، وافكار العلوم ذات الطبيعة الامبريقية من ناحية ، وافكار الغيبيات والسحر من ناحية اخرى وهذه الاخيرة هي التي تكون الميثولوجيا الاجتماعية وليس بالضرورة ان تكون الميثولوجيا الاجتماعية افكار السحر والخرافة وإنما هي مجموعة المعتقدات الشعبية ذات السمة الغيبية اساسا .

مداخل نوعية نظرية ومداخل تطبيقية

اولا — **مداخل نوعية نظرية لدراسة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية واليهودية**

١ — على ضوء ما تقدم — وباعتبار ان الدعاية عملية اجتماعية اساسا — يجب ان تكون دراسة وتقييم هذه الانماط الثلاثة من الدعاية من المداخل التالية جميعا لكل نمط :
 آ — علم الاجتماع السياسي للصهيونية . ب — علم الاجتماع الاسرائيلي . ج — علم اجتماع اليهودية بشكل خاص ، وعلم اجتماع الدين بشكل عام .

هذه الفروع الثلاثة من علم الاجتماع سوف تعطينا الانماط التصورية الثابتة تقريبا ، او القوانين المتحركة في حركة ومحتوى الدعاية بابعادها الثلاثة (صهيونية واسرائيلية ويهودية) .

٢ — يقصد بعلم الاجتماع السياسي للصهيونية — لاغراض هذه الورقة — دراسة اوضاع الجاليات اليهودية والمنظمات الصهيونية في كل بلد على حدة (من بلاد العالم دون اسرائيل) بوصف هذه « الجاليات » والمنظمات تمثل بنيات اجتماعية لها تسدر من التميز النوعي بالمقارنة بالمجتمع « المضيف » ، وتشارك او تساعد على تحقيق اهداف سياسية فوق اقليمية ، بعبارة اخرى ، دراسة اوضاع اليهود في بلد ما — دون اسرائيل — للتحقق من درجة وجود هؤلاء اليهود « كجالية » او جماعة اقلية ذات بناء اجتماعي هادشي تعتمد على البناء الاجتماعي الاكبر لبعض وظائف بقائها ، وفي نفس الوقت تستقل بسمات ثقافية وبنائية نوعية . ومن ناحية اخرى مدى كون هذه البنية الاجتماعية الهامشية — في اطار العمل الصهيوني — جماعة ضغط ومصالحة متميزة اغراضها تحقيق اهداف سياسية فوق اقليمية — هي خدمة ودعم وجود اسرائيل .

هذا ، على مستوى الجالية المفردة . ويجري بعد ذلك دراسة شمولية لتبين درجة التماثل الاجتماعي والثقافي والبنوي بين الجاليات وبعضها وادوارها السياسية . كذلك يسعى البحث في هذا المجال الى الاجابة على سؤال : هل هناك بناء صهيوني ؟ وما هي وظيفته ؟

٣ — ويقصد بعلم اجتماع اليهودية التوصل الى انماط البعد الاجتماعي للدين اليهودي (بطوائفه المختلفة) . مثلا الى اي درجة تعد اليهودية السوفيتية بناء اجتماعيا متميزا برغم عدم وجود منظمات صهيونية وبالمقارنة بيهود انجلترا مثلا وفرنسا . بكلام اخر الى اي مدى يعتبر الدين اليهودي في كل بلد من البلاد التي بها عدد كبير من اليهود — يعتبر عامل تميز وابتعاد اجتماعي حتى ولو لم يكن للجالية بعينها — افتراضا — دور سياسي او ايمان بفكرة الدولة اليهودية في اسرائيل . على سبيل المثال اليهودية الاصلاحية في بريطانيا . فهي تتعاطف مع اسرائيل حقيقة انطلاقا من فكرة ان اسرائيل دولة من دول يمكن ان يعيش فيها اليهود . ولكن اليهودي لا يجب ان يكون التزامه تجاهها اكثر من التزام ادبي او وجداني وليس سياسي .

٤ — اما علم الاجتماع الاسرائيلي فتستهدف دراسته بشكل اساسي للتوصل الى مجموعتين رئيسيتين من الانماط الاجتماعية او القوانين : اولا : القوانين الاجتماعية الضابطة لحركة المجتمعات الاستيطانية . ثانيا : القوانين الاجتماعية الضابطة لحركة المجتمعات العقائدية .

فالجموعة الاولى تزودنا بالضوابط المتحركة في سلوك المجتمع الاستيطاني ، ومن ثم مداخل دعائنه في مجتمعات استيطانية اخرى واساليب منطقتهم استشهادا بهذه المجتمعات كسوابق . والجموعة الثانية تبين لنا قدر مساهمة الفكرة الصهيونية في خلق المجتمع الاسرائيلي . ومن ثم فان تعرض هذه الفكرة الصهيونية للحوار او الجدل او المراجعة من شأنه ان يغير من مداخل دعاية هذا المجتمع .

من ناحية اخرى ، تعطينا هذه المجموعة من القوانين الضابطة لحركة المجتمعات العقائدية حجم الانحراف بين التطبيق والفكرة ، فالمعروف — على سبيل المثال — ان العشيقة السائدة في سنوات خلق المجتمع الاستيطاني بفلسطين هي الصهيونية العمالية الاشتراكية ، او ايديولوجية الكيبوتز . وهنا يتبين لنا نوع من الانحراف — او التضاد . تضاد بين الصهيونية والاشتراكية ، من ناحية ، وتضاد بين دعوى

الاشتراكية والسلوك السياسي للمجتمع من حيث دوره الثابت في خدمة الاستعمار العالمي ، ومدى التماثل في اهداف المجتمع ، واهداف الاستعمار العالمي .

٥ - ان دراسة هذه الفروع الثلاثة في علم الاجتماع سوف تمكننا من الوقوف على مكونات نسق المعتقدات الاسرائيلي ، هذا النسق هو - بديهيا - اطار منطلقات الدعاية الاسرائيلية والصهيونية داخليا - في اسرائيل والجاليات اليهودية - وخارجيا لدى الراى العام العالمي والشعوب العربية . ونورد فيما يلي - على سبيل المثال بعض مكونات نسق المعتقدات الاسرائيلي التي يمكن الخروج بها من دراسة فروع علم الاجتماع المنوه عنها :

أ - صراع الازداد - او الجدلية ، تلك النظرة الفلسفية التي تمثل البناء الفكري للايديولوجية الصهيونية منذ نشأتها وحتى اليوم . ومؤداها ، ان اليهود صاروا أمة بفعل وجود عدو لهم هو عالم الاغيار . ولقد كانت فلسفة بن جوريون وغيره من مؤسسي اسرائيل ان عداا العرب لاسرائيل مطلوب لفترة تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة يتمكن فيها الاستيطان اليهودي من التبلور في شكل مجتمع له مقومات البقاء . وتسعى الصهيونية من بين ما تسعى اليه الى تأكيد الابعاد الاجتماعي بين اليهود والمجتمعات التي يعيشون فيها ، بهدف - ضمن اهداف اخرى - هو تغذية روح الاحساس بالتمايز او - الاختلاف لدى هذه المجتمعات بما يجره ذلك من عداا لليهود من شأنه ان يبقي على هويتهم المتميزة .

ب - الدارونية الاجتماعية ، وما نود ان نؤكد عليه قبل التعريف بهذا المفهوم ، ان استخدامه بخصوص المجتمع الاسرائيلي ليس من قبيل الترافة الفكرية - او اقتحام النظريات . بل ان الدارونية الاجتماعية هي فلسفة المجتمع الاسرائيلي وستظل لفترة غير قصيرة .

المقصود بالدارونية الاجتماعية قضية البقاء للاصلح في الحقل الاجتماعي . ولقد كانت هذه القضية هي ركن الفكر الاوروبي في اواخر القرن التاسع عشر واولائل العشرين ، ومنها تطورت نظرية الاستعمار وفتح المستعمرات كمصدر عظمة وفخر للدولة المستعمرة .

وفي هذا النصف الثاني من القرن العشرين نجد ان الفكرة المحورية في الايديولوجية الصهيونية والتي طرحها مؤسسات الاتصال الجماهيري في اسرائيل هي مبدأ « آين بريرا » « اي ليس لنا خيار - اما ان نقتل العرب واما ان يقتلنا العرب » . وهذا في رأينا هو الترجمة الاسرائيلية (العبرية) لفكرة الدارونية الاجتماعية .

ج - اللاسامية قائمة لا محالة في أي مجتمع يوجد به يهود ، بعبارة اخرى أن اللاسامية هي نتاج التضاد اليهودي / الاممي . ومن ثم فلا مناص من الفصل المكاني بين الطائفتين ، وذلك بابعاد اليهود الى دولة خاصة بهم .

ان فكرة اللاسامية والتي بدأت بها الصهيونية في دعوتها لاقامة الوطن اليهودي ، هي - في هذه الايام الاخيرة - خاصة بعد طرح قضية فلسطين للمناقشة كبنء مستقل على الامم المتحدة - اهم وأخطر منطلقات الدعاية الصهيونية . وسوف نعود لها فيما بعد .

٦ - كذلك تمكننا هذه المداخل من الوقوف على خصائص التميز البنائي لمؤسسات الدعاية فنستطيع مثلا تمييز مؤسسات الدعاية الصهيونية داخل اسرائيل من مؤسسات الدعاية الاسرائيلية . وتمييز مؤسسات الدعاية الاسرائيلية في دول العالم

من مؤسسات الدعاية الصهيونية . ثم تمييز مؤسسات الدعاية الصهيونية أو اليهودية عن بعضها البعض . خاصة وأن التطور الأخير الذي شهده الصراع العربي الإسرائيلي قد أعاد طرح الفكرة الصهيونية من جديد ، وربما تنشأ ثانية مجموعة « المدارس » الصهيونية التي كانت قائمة قبل قيام إسرائيل . هذا في حالة ما إذا تطور الصراع مرة أخرى — وبشكل حاسم — لغير صالح إسرائيل .

٧ — كذلك تفيدنا هذه المداخل في تبين خصائص التميز (أو الاختلاف) في المحتوى بين الوظائف الدعائية المختلفة (من معادية وصهيونية وإسرائيلية ويهودية) . بما ينعكس بدوره على زيادة فاعلية المواجهة الإعلامية العربية لهذه الدعايات ، واستثمار إمكانيه تحييد بعضها للبعض . ويجنبنا استخدام هذه المداخل الوقوع في الأخطاء التي من تسانها توسيع قاعده الدعايه المعادية . على سبيل المثال — هناك في الطوائف اليهوديه ما يصل في شدة رفضه للكيان الصهيوني درجة تقترّب من الرفض العربي له . ويديهي خطوره الجمع بين الطرفين في شريحة واحدة .

ثانياً — مداخل تطبيقية لدراسة الدعاية الصهيونية والإسرائيلية

٨ — تزودنا المداخل السابقة بمجموعة أطر نظرية ثابتة الى حد ما ، سواء من حيث مكونات بيئة الدعاية أو أهدافها ، أو منطلقاتها أو أساليبها . وثمة مجموعة أخرى من المداخل التطبيقية يمكن اعتمادها لدراسة الدعاية على النحو التالي — رغم أن هذا الفصل بين مداخل نظرية وأخرى تطبيقية لا وجود له بهذا الوضوح في النواقع وإنما هو فقط لأعراض التحليل) — أولاً : دراسة المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية . ثانياً : دراسة التطور في خصائص الدعاية انعكاساً لمتغيرات البيئة . ثالثاً : دراسة تطور أهداف الدعاية الصهيونية والإسرائيلية ، بما يتواءم مع متغيرات البيئة . رابعاً : دراسة تطور منطلقات الدعاية الصهيونية والإسرائيلية . خامساً : دراسة أساليب الدعاية الصهيونية والإسرائيلية بمنهج علم دلالة الالفاظ أساساً .

٩ — المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية ، تضم بيئة الدعاية مجموعتين من الثوابت والمتغيرات . تتمثل المجموعة الأولى في المكونات الأساسية للصراع على مستويين . المستوى الأول وهو مستوى السطح وهو الصراع العربي الإسرائيلي ، والمستوى الثاني ، مستوى الخلفية والمكون ، هو الصراع الغربي العربي . وليس ثمة ما يمنع أن يبرز هذا المستوى الأخير الى السطح — بين الحين والآخر — في شكل صراع مباشر ، كما اتضح مؤخراً من تهديدات الرئيس فورد ووزير خارجيته بالتدخل من أجل البترول .

أما مجموعة المتغيرات فهي إما تلك التطورات التي تطرأ على ثابت أو أكثر ، أو معطيات جديدة تحدث بالضرورة أثرها في حركة الدعاية، ومنطلقاتها ، أما بالتجديد أو درجة التشديد والتكثيف على منطلق دون الآخر .

فمننا بتحليل مادة الدعاية المعادية في فترتين تاليتين . حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتبين أهم المتغيرات المؤثرة في حركة الدعاية المعادية . وجاء ذلك في دراستين للعرض على اللجنة الدائمة للأعلام العربي . وكسنت الفترة الأولى هي فبراير — مايو ١٩٧٤ ، والفترة الثانية يونيه — نوفمبر ١٩٧٤ . واتضح ما يلي :

١٠ — المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية بعد حرب أكتوبر، من فبراير — مايو ١٩٧٤ :

١ — النجاح في الحرب — لجانب العرب — كرمز للنجاح الحضاري من ناحية ، وبصفته نجاحاً له من وجهة نظر التحليل الاجتماعي بعد ميتولوجي .

٢ — السلوك الدولي للدول العربية — ونقصد هنا القبول بمساعي السلام على الأقل من جانب اطراف المواجهة ، وقيمة ذلك من الناحية الدعائية في اسقاط مزاعم اسرائيلية وصهيونية .

٣ — تأثير الحرب في جانب العدو — اي الانشقاق على النفس او ما يقال عنه « حرب اليهود » ، والتصددع في الائتلاف الاسرائيلي الصهيوني ، وتأثير الحرب على علاقات اسرائيل بالدول الاخرى .

٤ — الاثر المكمل للحرب وعمليات المقاومة الفلسطينية (كبريات شمونة ومعلوت) في نفسية المستوطن الاسرائيلي ، بل والرأي العام الغربي . وذلك هو اعتبار المقاومة الفلسطينية أداة من أدوات استراتيجية عربية ، وما أحدثته من أثر تراكمي بعد الحرب مؤداه قناعة الاسرائيليين انه لا بد من حل يساهم فيه الفلسطينيون* .

١١ — المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية بعد حرب اكتوبر (يونيه — نوفمبر ١٩٧٤) :

١ — اتساع دائرة الشرعية الدولية للقضية العربية في اتجاه التطابق مع الشرعية القومية العربية (حيث تمثل ذلك في اتساع الاعتراف الدولي بالقضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية) .

٢ — اشتداد حدة ازمة المال العالمية والطاقة وتعاضل الارصدة العربية في بنوك الغرب .

٣ — استقالة (او تنحية) نيكسون ، ولاول مرة يأتي في تاريخ الرئاسة الامريكية ، رئيس ويسمى نائب رئيس كلاهما نتاج اللوب الصهيوني ودون أصوات الناخبين ، في وقت بدأت فيه مرحلة تقارب عربي امريكي .

٤ — اشتداد حدة الازمة الاقتصادية في اسرائيل .

٥ — تعاضل التراكم العسكري على كلا جانبي الصراع .

٦ — القول بتأثر اقتصاديات الدول الافريقية نتيجة ارتفاع اسعار البترول خاصة بعد الحرب .

٧ — مرور عام على أحداث الحرب ، بما يقلص البعد الميتولوجي فيها . وسوف نبين في فقرات تالية اثر هذه المتغيرات في السمات التي عكستها الدعاية المعادية في هاتين الفترتين . وقد انعكست هذه المتغيرات في شكل مجموعة من السمات الجديدة شهدتها حركة الدعاية المعادية في كل فترة على حدة .

١٢ — السمات المميزة للدعاية المعادية (فبراير — مايو ١٩٧٤)

١ — ميوعة موقف الدعاية المعادية ، وعدم وضوح المنطق الدعائي في كثير من الاحيان ، وعدم وضوح سمة الغائية في الدعاية .

٢ — التوازن النسبي في عرض القضايا من جانب الاعلام العالمي والذي كان في السابق دعاية معادية بتأثير الدعاية الصهيونية . بل ان الدعاية الصهيونية

* راجع تفصيل ذلك في : النشاط المعادي (فبراير — مايو ١٩٧٤) ، دراسة تحليلية مغارنة لاتجاهات النشاط المعادي في فترة الاعداد للسلام في الشرق الاوسط ، للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي دور الاعتقاد ٢٦ ، يولييه ١٩٧٤) .

والاسرائيلية ، كانتا في كثير من الاحيان تتميزان بهذا التوازن — ولا يجب ان يخدعنا هذا القول ، فالتوازن قد يكون مفروضا على جهاز الدعاية — وقد كان كذلك في هذه الفترة — بفعل الاحداث مما يضطر مؤسسات الدعاية بقبوله حتى لا تفقد مصداقيتها من ناحية ، وكدعاية ذكية غير مباشرة من ناحية اخرى .

٣ — اسقاط الانباء او فرض حالة من التعتيم الاعلامي على احداث الحرب تُدر الامكان من جانب الدعاية الصهيونية ، وقد حلت الصحافة العالمية محل الدعاية الصهيونية في مهمة عرض الاحداث وتحليلها . وابرار صورة طيبة للانسان العربي .

٤ — اثارة القضايا الجانبية (كالقول بالاسامية) ويهود سوريا والعراق والاتحاد السوفييتي) .

٥ — الاختفاء النسبي للتوجه الدعائي المباشر للمواطن العربي او حتى عنه ، واصبح التوجه الدعائي في معظمه اما للذات او لطرف ثالث هو الانسان الغربي واليهودية العالمية .

٦ — التحول عن المنطق الدعائي السابق للحرب والتالي لها مباشرة . هذا المنطق الذي كان اشبه باطار للحرب النفسية التي تهدف الى تفكيك البناء النفسي العربي . (راجع الدراسة السابقة الاشارة لها) .

١٣ — السمات المميزة للدعاية المعادية (يونيه — نوفمبر ١٩٧٤) .

١ — اتسمت بداية الفترة بحالة من الترقب ، ودرجة اقل من الميوعة في الموقف الدعائي سرعان ما اختفى عندما تبلور حجم الشرعية الدولية للقضية العربية على النحو الذي وصل اليه . فكان رد الفعل الدعائي اشبه بالفعل المنعكس الشرطي — او رد فعل الرجل الواحد ، فقد تبينا من دراسة الاعلام الاسرائيلي الداخلي بعد قرارات مؤتمر الرباط والتي اعترفت لمنظمة التحرير الفلسطينية بحقها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، تبينا انه ربما لأول مرة لا تطرح الصحافة الاسرائيلية جدلا حول موقف معين . وكان رد الفعل الاعلامي متطابقا تماما لرد الفعل السياسي الرسمي وغير الرسمي .

وتفسير ذلك بسيط اذا أخذنا البعد النفسي للمستوطن الاسرائيلي ، فهو يحس ان الكيان الاسرائيلي قد اقيم ليحل محل الكيان الفلسطيني ، وقد اقيم هذا الكيان بفعل تركيب الامم المتحدة في ذلك الوقت . ومن ثم فالان حين تتخذ الامم المتحدة ومؤتمر القمة العربي قرارات مثل هذه التي صدرت فان معناه امام الذهنية الاستيطانية عملية احلال جديدة ، اي تبادل الادوار .

٢ — أنتهاج الحكومة الاسرائيلية لسياسة حافة الهاوية كخط سياسي له ابعاده الدعائية الهامة . وكان المنطلق الاساسي المطروح هو « عقدة شمشون » ، اي « اذا كنت سأسقط فليسقط الجميع معي » . وكان في ذلك تلويح واضح بسلاح غير تقليدي .

٣ — اتجاه حجم كبير من مادة الدعاية للاهتمام بالوضع داخل اسرائيل واوضاع اليهودية العالمية والصهيونية العالمية ، في محاولة لاستدراار العطف عليها ، اكثر من مهاجمته الدول العربية (وهذا امر لم يكن يحدث قبل الحرب) .

٤ — تقلص حجم الحرب النفسية ضد العرب ، الا في شكل سياسة حافة الهاوية وعقدة شمشون . كذلك تقلص منطلقات التشويه بالطابع القومي العربي وصورة

الانسان العربي حضارياً ، ويستثنى من هذه السمة حركة الدعاية المعادية في افريقيا على وجه الخصوص .

٥ — اتسم الاعلام الغربي (والذي كان في السابق دعاية معادية) ، اتسم كثيرا بطابع تقرييري في عرض انباء الصراع العربي الاسرائيلي ، وغابت كثيرا الاتجاهات القومية .

٦ — الضيق الواضح في نطاق تغطية الدعاية المعادية ، حيث تميزت الفترة بتكثيف التغطية على منطلق واحد أكثر من غيره ، هو التهديد بوجود حركة لا مسامية عالمية* .

١٤ — التطور في أهداف الدعاية الصهيونية والاسرائيلية :

تبين الدراسة التبعية لاهداف الدعاية الصهيونية (والاسرائيلية فيما بعد) عن وجود المراحل التالية :

أ — مرحلة «تأميم» المشكلة اليهودية ، على النطاق الداخلي بين اليهود . أي اثاره المشكلة اليهودية كمشكلة « قومية » . وطرح في هذه الفترة منطلق الوطن القومي اليهودي في فلسطين . (من ثمانينات القرن ١٩ حتى ١٩٤٢ مؤتمر بلتيمور) . وقد شهدت هذه المرحلة كذلك كخط مواز عملية « تنميط مشكلة الاقليات القومية اليهودية » . أما على نطاق الغير فقد كانت هذه المرحلة هي **مرحلة تدويل المشكلة اليهودية** ، أي جعلها مشكلة عالمية يهتم بها العالم ويناقشها في حلقاته الدولية على حد تعبير هرتزل .

ب — مرحلة تكريس الفكرة القومية ذات البناء السياسي (الدولة اليهودية) ٤٢ — ١٩٦٧ ذلك أنه اعتباراً من مؤتمر بلتيمور دخل عنصر السيادة (الدولة) كمنطلق للدعاية الصهيونية .

ج — مرحلة تعزيز القوة الذاتية وانهاك الخصم ٦٧ — ١٩٧٣ . وكانت أهم منطلقات هذه الفترة هي « مساعدة ارتداد الخصم على الذات بفعل الهزيمة العسكرية ، وفك العالم العربي من خلال تكريس اليأس » .

د — مرحلة تكريس الحرب النفسية من خلال استثمار معطيات التهيؤ النفسي العربي (خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣) .

هـ — مرحلة الميوعة الدعائية (فبراير — مايو ١٩٧٤) ومحاولة راب الصدع في جهاز الدعاية الصهيونية ، وقد شهدت هذه الفترة عملية اعادة طرح الفكرة الصهيونية ، وفكرة الدولة اليهودية .

و — مرحلة امتصاص الصدمة واعداد تخطيط المواجهة الدعائية من خلال منطلق الردع المتمثل في « عقدة شمشون » (يونيه ١٩٧٤ حتى الآن) . وقد شهدت هذه الفترة منطلقاً هاماً للغاية هو اعادة طرح التهديد باللاسامية العالمية .

١٥ — التطور في منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية :

في دراسة عن منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية (سبق الاشارة اليها) أمكننا رصد مجموعتين من المنطلقات الدعائية : أ — منطلقات نوعية . ب — منطلقات مرحلية مساعدة .

* راجع تفصيل ذلك في دراستنا عن « منطلقات الدعاية المعادية في اطار المتغيرات الدولية — يونيه — نوفمبر ١٩٧٤ » للمرضى على اللجنة الدائمة للاعلام العربي دور الاعتقاد ٢٧ ، فبراير ١٩٧٥ .

المنطلقات النوعية ، هي تلك المنطلقات التي تعود باصولها للفكرة الصهيونية واسلوب العرض الصهيوني النوعي للتاريخ اليهودي وما تسميه بالمشكلة اليهودية . اما المجموعة الثانية ، فهي تلك المنطلقات المرحلية المساعدة .

ومع ذلك فالذي يتضح لنا ان الدعاية الصهيونية في فترات بعينها تجعل لمنطلق مرحلي سمة السيادة الدعائية على منطلقاتها النوعية كما يلي :

١٦ — منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية في الفترة بين يونيه ١٩٦٧ و اكتوبر ١٩٧٣ :

ذكرنا ان المنطلق الاساسي في هذه الفترة كان مساعدة الخصم على الارتداد على الذات بفعل الهزيمة ، بعبارة اخرى كثفت الدعاية على منطلق مرحلي مساعد — ونحت نسبيا تكثيفها على المنطلقات النوعية . فراحت الدعاية تؤكد على دونية الانسان العربي والثقافة العربية ، والطابع القومي العربي . (تقارير النشاط المعادي لادارة الاعلام للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي قبل حرب اكتوبر) .

في هذا الشأن ركزت الدعاية كذلك على قوة الردع الاسرائيلي من ناحية ، وعلى وهم القيادات السياسية العربية من ناحية اخرى ففي تصريح سابق لحرب يونيه ١٩٦٧ (يوليو ١٩٦٥) لآبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي السابق جاء قوله : « ليس من المستحيل ان نتوقع من الزعماء العرب ان يطالبوا في المستقبل بالعودة الى حدود ١٩٦٦ و١٩٦٧ مثلما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ التي سبق لهم ان رفضوها في حينه » .

ان هذا التصريح يذكرنا بمنطلق هام من منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية اسقطته حرب اكتوبر ذلك هو « قضية الهندي الاحمر » فاسرائيل كانت دائما تقارن نفسها بالمجتمعات الاستيطانية في العالم الجديد — الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلاندا أساسا . وتعتبر صراعها مع العرب هو نموذج محدث لصراع الانسان الاوروبي في امريكا مع الهندي الاحمر .

١٧ — منطلقات الدعاية الصهيونية الاسرائيلية بعد اتساع دائرة الشرعية الدولية للقضية العربية :

عادت في هذه الفترة السيادة الدعائية للمنطلقات النوعية ، وهذا ربما اهم ما نخرج به من دراسة حركة الدعاية المعادية اخيرا . فقد اعادت الدعاية طرح المسألة اليهودية وراحت تردد بوجود حركة لاسامية عالمية . وان العالم اليوم يمر على اعتاب أزمة اقتصادية طاجنة تذكر بما حدث في الانهيار الاقتصادي عام ١٩٢٩ . وان اليهود سوف يكونوا كبش الفداء لهذا الوضع الاقتصادي ، وان ثمة حركات يمينية تشهداها اوربا (وامريكا ايضا) تحمل اليهود مسؤولية الخراب الاقتصادي المتوقع وتنادي بنازية جديدة .

١٨ — أساليب الدعاية الصهيونية ، وأهمية منهج دلالة الالفاظ في معالجتها :

السمة الاولى المميزة لمنطق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية هو « التبرير » بعبارة اخرى احتواء أصل القضية بتفريعات حولها تصوغ منها مبررات وجود الدولة . هذه السمة هي المسؤولة عن استخدام الدعاية عددا كبيرا من « حيل البلاغة » نورد بعض نماذج منها على سبيل المثال وليس الحصر — حيث ان الغرض هو فقط طرح رؤوس اقلام . من هنا فان المنهج الامثل للتصدي للدعاية الاسرائيلية والصهيونية وتحليلها هو منهج دلالة الالفاظ الذي يكشف علميا الزيف في هذه الحيل .

من هذه الحيل ما يلي :

أ - **أسلوب المنطق المغالط** (او الترتيب غير المنطقي) وهو أسلوب تستخدمه الدعاية في المعادلة بين الصهيونية والسامية ، بحيث يصبح المعادي للصهيونية ، معاد للسامية . وخطأ هذا المنطق واحد ، فهو ترتيب نتيجة على مقدمات غير سلمية .

ب - **أسلوب افتراض ما هو واجب الإثبات** وذلك حين تردد الدعاية أهمية الحدود الآمنة . فالذي يجب طرحه اولاً من الذي في حاجة لحدود آمنة .

ج - **أسلوب الخلط بين القضية والإنسان** ، هذا الأسلوب من ابرع ما تستخدمه الدعاية الصهيونية في تاريخها ، والخطورة فيه هو قدرته اللاعقلانية على احتواء الجمهور المستقبل للدعاية . فحين تقتصر امكانيات الدعاية الصهيونية على توفير الدليل المنطقي على قضيتها تلجأ الى مناشدة الجمهور من خلال المكانة الاجتماعية او الجماهيرية للشخص الذي يعرض القضية . نذكر على سبيل المثال ابراز مجلة الجويش اوبزرفر لصورة ابا ايبان في الأمم المتحدة بعد حرب ١٩٧٣ وتحتها تعليق : « ان ابا ايبان ببلاغة تعبيره وما ناله من شهرة خطابية جعلته يدمغ كل حجج الطرف العربي . والقصد الدعائي هنا هو تحية القضية الأساسية والقضاء الضوء على شخصية الذي يعرض القضية . وهناك العديد من الامثلة على ابراز اعمال حايمم وايزمان في الكيمياء وغيره من الصهيوينيين بما يستتبع احداث الاثر ان الرجل « العظيم » في مجال معين لا به وانه يطرح قضية عادلة ... الخ .

د - **أسلوب المقابلة الخاطئة** كما يحدث كخط دعائي هام في المقابلة بين الصراع العربي الاسرائيلي ، والصراع الاوروبي مع الهنود الحمر كما سبق بيانه .

هـ - **القياس الخاطئ** كالقول مثلاً ان العرب يعادون الصهيونية فهم معادون للسامية ، والاتحاد السوفيتي يؤيد القضية العربية فهو بالتالي معاد للسامية .

و - الى جانب ذلك هناك العديد من حيل البلاغة كالتهمك (اي فن استخدام المدخل المعاكس او الكذبة الكبيرة او التقرير الحاسم والذي يهدف الى احداث الانطباع بأن الدعاية على قدر من الثقة لا يحتمل التشكك فيه . كذلك أسلوب روح القطيع حين تطرح الدعاية استفتاءات للرأي العام مبينة ان الغالبية تتعاطف مع اسرائيل والاثر هنا هو استثارة الرغبة الطبيعية في ان يكون الانسان مع الاغلبية ، او في جانب المكسب . ولا تطرح الدعاية بطبيعة الحال ان وجود الاغلبية هذا - ان افترضت صحته - مرده الى عوامل اخرى بعيدة تماماً عن عدالة القضية المطروحة .

خلاصة : الدعاية وظيفه مساعدة لا تخلق شيئاً من عدم ، ومن ثم راحت الدعاية الصهيونية توائم بين اهدافها ومنطلقاتها مع متغيرات بيئية الدعاية المعادية . وحتى اذا كانت هذه المتغيرات الاخيرة سياسية في معظمها ، الا ان استخدام الدعاية لها او تأثرها بها جاء اساساً في بعد اجتماعي . فالبعد الميتولوجي للانتصار العربي في الحرب هو الذي افقد الدعاية الصهيونية كثيراً من منطلقاتها امام المواطن الغربي . وبالنسبة للدعاية المعادية (حجم كبير من الاعلام الغربي) وجدنا انه تحول الى اعلام تقرير ييرصد الاحداث ويقتبس وجهات النظر دون محاولات مكثفة - كما كان في الماضي - لطرح اتجاهات قبيحة وحين تستخدم الدعاية الازمة المالية الحالية فانها تستخدمها ببعد اجتماعي كذلك امام المواطن الغربي ، بعد التهديد بانفجار المشكلة اليهودية ، وبعد كراهية الانسان العربي لخضارة الغرب وتقدمه . ومن ثم فان

مواجهة الدعاية الاسرائيلية والصهيونية يجب ان يتم بالدرجة الاولى من خلال التحليل الاجتماعي ودلالة الالفاظ .

ثالثا - توصيات مقترحة

اولا : التوصية لدى مراكز البحث المختصة بضرورة متابعة البعد الاجتماعي للصهيونية كبناء ، من ناحية ، والدعاية الصهيونية كوظيفة اتصالية من ناحية اخرى بهدف تبين مكان القوة والضعف في حركتها داخل مجتمعات الدول المضيفة لها .

ثانيا : ان السمة السائدة التي تميز منطق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية هي « التبرير » بما يستدعي ذلك استخدام حيل البلاغة والمنطق المغالط لاحتواء جمهور الدعاية . وعلى اجهزة البحث في الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، والاجهزة المنوطة بمتابعة هذه الدعاية والتصدي لها ، ان تكثف استخدامها لمنهج دلالة الالفاظ لكشف هذا الزيغ في الدعاية الصهيونية .

ثالثا : ان الدعاية الصهيونية والاسرائيلية في الايام الاخيرة ، وازاء حرجها امام اتساع دائرة الشرعية الدولية للقضية العربية راحت تستخدم اسلوبين عواقبهما وخيمة : (أ) اسلوب حافة الهاوية - وترديد ما تسميه « عقدة شمشون » لارهاب العالم بنوايا الانتحار لديها وتدمير الذات مع الخصم ، وتلوح في هذا الشأن باستخدام سلاح ذري . (ب) ان الدعاية الصهيونية والاسرائيلية اما أنها تضخم من حالات فردية مما تسميه باللاسامية (ان صح ادعاؤها) او أنها تعمل على احداث هذه اللاسامية المزعومة بهدفين : خلق حالة من الفوضى تحول انتباه العالم عن القضية المطروحة وتجعله درءا لخطر تصور يتحى عن مساندة العدل ، والضغط على المواطنين اليهود من خلال تهديد حياتهم حتى تتدفق موجة هجرة واسعة النطاق على اسرائيل ، وتضع العالم والعالم العربي امام امر واقع جديد يهدد بأخطار جسيمة .

الصهيونية من زاوية التحليل النفسي

هل تعاني اسرائيل من عقدة الاثم والنزعة الانتحارية ؟

خالد قشطيني

من الامور التي طالما اثار اليها العرب وشكوا منها المواقف والمعاملات الاستثنائية التي حظيت بها اسرائيل . انه امر اكدت عليه اسرائيل وشددت على حقها في المعاملة الخاصة . وسواء جاءت الادبيات من قلم يهودي او غير يهودي ، صهيوني او غير صهيوني ، فلا تلبث في مطالعنا للمشكلة اليهودية حتى نتعثر بكلمات « الاستثنائي » « انفرادي » ، « وحيد » ، « خاص » ، « شاذ » . وهي كلمات تنجم بسهولة في العبارة الدارجة في العيادات الطبية والنفسية : « حالة غير اعتيادية » .

وعندما نفكر بتعريف عملي للحالة غير الاعتيادية فيمكننا القول انها الحالة التي لا تستجيب لاساليب المعاملة والعلاج الاعتيادية . واذا ثقتنا بالبحث عن مثل تاريخي فهو المسألة اليهودية التي فشلت في حلها كافة المحاولات العسكرية والسياسية والاجتماعية والدينية من عهد بختنصر الى عهد لينين واخيرا بن غوريون . وقد شهد العالم على عهد الاخير فشل المحاولة الصهيونية في حل المشكلة وتحويل اليهود الى مجموعة كغيرها من الناس ، مجموعة غير شاذة .

ويعطينا الانغلاق الذي صاحب النزاع العربي الصهيوني جانبا آخر من الانغلاق غير الاعتيادي الذي ميز المصير اليهودي . بالطبع يعزو الصهاينة ذلك الى تصلب العرب وعنادهم مستفيدين من سكوتهم على الحقائق . ولكن الوثائق والتصريحات التي جاءت في السنوات الاخيرة كشفت عن سلسلة متواصلة من المحاورات بين زعماء الجانبين للوصول الى تسوية وتعطينا تعهدات الملك فيصل بن الحسين مثلا شائعا لاستعداد الجانب العربي . كما كشف المعتدلون في الحركة الصهيونية والمنشقون منها ان قادة المنظمة كانوا هم الذين انتكسوا عن المحاولات (١) . واتفق الجميع على ان حرب ١٩٦٧ اعطت تل ابيب احسن فرصة لانهاء النزاع . واستمر اولئك المتفائلون بعد خيبتهم بالامس يتفاعلون الان من محاولات كيسنجر . بيد ان غيرهم ممن لم يصل تفأؤلهم هذا الحد ، يئسوا من مواقف الحكومة الاسرائيلية وراوا القبر الذي تحسفره اسرائيل لنفسها مشيرين الى الطريق الانتحاري الذي سيؤدي اليه .

لقد نظر البعض بتحفظ الى ما كتبناه قبلا (٢) عن التوسع الاسرائيلي كجانب نفسي من العقدة الانتحارية لاسرائيل . لقد لاح لهم تشاؤميا و« غير ماركسي » . بيد ان الايام التي مرت كشفت لا عن تصاعد مد ثوري او ظهور جيل تقدمي متفهم وانما عن استقطاب يميني وجيل متشبث بالعنصرية والمدفع . ولم يجد المراقبون في الاخير غير الجري في فيافي النفس بحثا عن تفسير لما عز تفسيره بالمفاهيم الاعتيادية . ونشير هنا الى مثل هذه التحولات في كتابات شخص ثائر مثل اكيفا اور .

هذا ميدان محفوف بالمخاطر ، فان فهم الطبقات النفسية للفرد امر بحد ذاته عظيم الصعوبة وان محاولة الانتقال بالنظريات السايكولوجية من نطاق الفرد الى نطاق المجموعة تنطوي على مجازفة بينة ولا سيما عندما ن فكر بمشكلة الانتقال والوراثة . ولكن فرويد كان من اول من ذهب ، وبحق ، الى ان مشاكل الوراثة في البيولوجيا لا تنطبق على علم النفس الجماعي . وعلى كل فان صحة او بطلان التفسير لا يبطل وجود العلة وانما يؤكد على وجودها .

من الوقائع التي نجعلها منطلقا لنا ظاهرة الاثم التي تصاحب الوجود اليهودي (يجب ان نحاذر من الخلط بين نفسية المجموعة ونفسية الفرد فسلوك الافراد واقوالهم لا تعبر عن المجموعة بالضرورة) . لقد اشار الاسناذ ماكس فيبر بعد استعراضه للفضيلة والرذيلة في مصر ويهودا الى ان الفرق الاساسي بين اخلاقيتي الطرفين هو فكرة الاثم التي تطغى على الديانة اليهودية (٣) . واصبح الاثم الفكرة التي تلتقي عندها آراء اليهود وغير اليهود في حديثهم عن الوجود اليهودي ولم تفرق الا في التفسير . ففتش اعداء السامية عن مصدر الاثم في الاعمال الشريرة التي نسبوها الى اليهود . ورات الكنيسة ان صلب المسيح هو الاثم الابدي الذي يظل يحمله اليهود . وانبرى سيغموند فرويد ففتش عن تفسير جديد للظاهرة في رسالة « موسى والتوحيد » قائلا ان الذنب الابتدائي الذي وقعوا به هو قتلهم موسى في سيناء ، كما افترض . ونعطي فيما يلي تفسيراً اخر للمركب .

اولا لا بد للذهان* من استعداد نفسي وحساسية خاصة . وقد تكون ذلك عند العبريين اولاً من شئئين : ممارسة التجارة وتضخم الانا الاعلى او الضمير . فمن المسلم به ان التاجر بما يحيط به من قلق وتشرذم وحياة ارقامية ذهنية مجردة اكثر عرضة من الفلاح او الحرفي للهزات النفسية . وقد ولد هذا الشعب التجاري في ظروف قاسية اضطرته الى عبور الصحراء مرتين . القيام بذلك ومواجهة العدو تلو العدو تطلب خضوعاً مطلقاً لقيادة حكيمة ، لم تجد امامها غير ان تشد ازر تابعيها بسلسلة من التوجيهات الامرة والناهية بعضها عملي وبعضها خرافي تطري . بمرور الزمن استبدل الشعب عبء حياته اليومية بعبء التنظيم الاخلاقي الذي نسيت اصوله . لقد اصبح ضميراً لا شعوريا متضخماً .

ترتبط مأساة الشعب العبري ارتباطاً وثيقاً بفكرة الخلود التي رادها وهام بها انسان الشرق الاوسط . وبينما سعى ابن مصر وبابل الى تحقيق الخلود لذاته فاغبط الاول بعالم الاموات الرغيد وثيقي الثاني بادراكه عقم المحاولة ، اضطر العبريون تحت الضغوط والاحطار الى السعي وراء خلود المجموعة . لا يمكننا ان نتصور احدا يسعى للبقاء بنفسه في معزل عن المجموعة في متاهة سيناء . هناك غرست بذرة خلود الشعب وتغذت بروح العصبية القومية تحت الضغط العالي وانعكست في الفولكلور العبري . وما اظننا بحاجة الى شاهد فيكاد يرتبط اسم اسرائيل بالابد والخلود حيثما وجدناه في العهد القديم . انما يجدر بنا ان نشير الى مدى تأثير ذلك على قصة المسألة اليهودية والحركة الصهيونية . فقد اكد مفكرو الحركة الصهيونية على خلود الشعب اليهودي وضرورة ذلك وأشار حتى الملحدين منهم مثل سمولنسكي وللينبلوم الى « الشعب المقدس » . ودافع لوزاتو في القرن المنصرم عن اهمية خلود الشعب اليهودي لانها تنطوي على خلود الله نفسه . وبعد ان اعترف بان الشعوب تولد وتنبث ثم تموت نفى تلك القاعدة عن الشعب اليهودي لانه « التجسيم الكامل للذات الالهية » (٤) .

ولما كانت الآلهة القديمة مرآة لتفكير اتباعها فقد رأينا العبريين يسبغون على يهوه الخلود الذي منحوه لانفسهم مثلما اسبغت بابل الزوال والغير على الآلهة التي عبدتها. أصبح يهوه اله الحرب الذي لا يقهر أو يزول ، واصبح بقاء اسرائيل جزءا من بقائه . نشأت هنا علاقة وطيدة بين العابد والمعبود نستشف منها علاقة اشبه بعلاقة الابوة القبلية . اسرائيل هي التجسيم الكامل للذات الالهية كما قال لوزاتو . ونجد صدى لمثل هذه النظرة في مقاطع كثيرة من العهد القديم بينما دأب التلمود على تسمية اليهود بآبناء الواحد الاعلى . ومن الناحية الاخرى تؤيد العبادة الفيتيشية* التي اتبعتها اسرائيل حسب رأي ادوارد ماير(ه) والتنظيم المعبدي والقبلي مثل تلك النظرة اذا اقررنا بان تابوت الرب الذي تتوجه اليه الصلاة هو في الواقع فيئتس او طوطم لا اكثر وان الطوطم هو تقليديا روح او جسم اب او جد عظيم الشأن .

بعد اجيال قليلة تعرض هذا الشعب الناشيء المفرط الحس القلق النفسية الى صدمة رضية (تروما) في سني ترعرعه الاولى . لقد قدر له ان يخوض حروبا مستمرة ضد قدماء الفلسطينيين الذين تفوقوا عليه بمعرفتهم صهر الحديد ومن ثم صنع الاسلحة . وبعد هزيمة مرة في معركة بن عيزر وقع قادة اسرائيل بالخطأ المهلك بان قرروا سد الهوة التكنولوجية بشحنة دينية . قرروا اخراج تابوت الرب وتسليمه مقدمة الجيش ظنا بان اله الحرب سيكفي فعلا لكسب الحرب . كانت النتيجة سقوط التابوت اسيرا بيد الفلسطينيين بعد هزيمة دامية . وبالرغم من العفوية التي يروي بها سفر صاموئيل المعركة ، فان عباراتها مشحونة بالدلالات . يحمل النبا الى المدينة رجل شق ثوبه وغفر رأسه بالتراب — العلامات التقليدية على موت عزيز . يجسد في طريقته عالي (حاكم اسرائيل) متنكبا قارعة الطريق قلقا على تابوت الرب . فما ان يسمع عالي صراخ المدينة ويدرك الخبر حتى يسقط فيكسر رقبته فيموت . ويسرع المخاض الى كئنته فتلد ولدا تسميه اخابود قائلة « قد زال المجد عن اسرائيل لان تابوت الله قد أخذ » (٦) .

وغاشت اسرائيل الفترة التالية في وجوم وفوضى متخذة لنفسها آلهة اخرى . ولاول مرة شعرت بشذوذها فردد أبنائها نريد ملكا كبقية الشعوب . مات الرب عاش الملك . فكان ان نصبوا شاول على العرش ، ولا يخلو هذا من فحواه فقد كان اول ملك لامرائيل مبنل بنوبات دورية من الكآبة والالمنخوليا والبارانويا . وبالرغم من اعادة تابوت الرب اليهم فان هؤلاء تركوه منسيا في زاوية من بيت ابينادب كشيء من سقط المتاع . وعندما أعيد له اعتباره ، نهجوا تدريجيا على اسقاط اسمه والاشارة اليه بكلمة « ادوني » ، أي الرب أو السيد بدلا من اسمه الصريح « يهوه » الذي كان شائعا قديما . من تقاليد الحداد الشائعة عند الساميين الامتاع عن ذكر اسم المتوفى .

ولا بد من طرح السؤال بعد مأساة بن عيزر : ما الذي اودى بيهوه ، اله الحرب الابدي السرمدى ؟ ولا بد ان جاء الجواب بالكلمات التي طالما وردت كلما حلت كارثة باسرائيل . انه انقسامهم وعصيانهم وكفرانهم . لقد قصرنا بحق الرب فتركوه يسقط في المعركة . انها بعبارة اخرى جريمة قتل الرب (ديسايد) . وبالنظر اليها من الزاوية الاوديبية الفروييدية قتل الاب (بترسايد) نظرا لسمة الابناء — الاب التي وسموا بها علاقة اسرائيل بالرب .

وبرأي اهل التحليل النفسي ، ان مثل هذا التوهم يؤدي اخيرا الى مركب الاثم ، ومن ثم الكآبة ولا سيما عندما يجابه مواقف مساعدة . والتقى العبريون بكثير من هذه

المواقف . لم يمض غير بضعة أجيال حتى سقطت مملكة اسرائيل بيد آشور وتعرض التابوت لمصير مشابه . وتكرر الحدث في اورشليم وكأننا بالقدر يسخر من محاولة الانسان الخلودية فيمني الشعب الذي تمسك بخلوده وخلود الهه بأقصر الأجل . على يد الفلسطينيين سقط الرب في المعركة ، وعلى يد البابليين سقط الشعب . ويبدو لأول مرة ان صدمة سبي بختنصر هي الصدمة التي غرست الاثم ، وهي كذلك لو لم تكن أقرب الى الشعور الواعي . ان من الضروري لنا ان نفتش عن البذور في الاعماق المنسية من هذا التاريخ لنلتقي بحادثة بن عيزر . السبي هو الحدث الذي أطلق شجون الحادثة من عقالها فسمعنا العويل نغمة مكررة على السنة حكماء اسرائيل .

يبدو ما أوردناه باقتضاب تأملا نظريا صرفا وقد يبدو للبعض مغاليا في افتراضاته وتعليلاته . ولكن قبول التفسير او رفضه لن يؤثر في حقيقة الوقائع . لقد كانت الوقائع الموضوعية لظاهرة الاثم وذهانها الكآبي هي البداية ومنها خرجنا الى التعليل .

تعطينا الصور والرموز التي انهالت من السنة شخصيات العهد القديم الأبعاد الاثمية المعذبة بوضوح . تطالعنا هنا صور البغاء والعهر والمهانة والحقارة والقتل والغائط والدم والجيفة . عندما تزوج النبي هوشع بعاهرة لم يجد غير الاشارة الى امر الرب بأن يتزوج « زوجة زنى وينجب اولاد زنى لان البلاد اقترفت زنى عظيما » (٧) . وارتبط عذاب هوشع بخيانات زوجته بحالة اسرائيل . وعمد حزقيال بعده الى حلق شعره (رمز القوة وحلقه رمز حدادي) وأكل الغائط . ودأب ارميا على تطويق رقبتة بنير دابة وأحس بأن الرب قد اغتصبه كما تغتصب البنت البكر . وأوقع زكريا جروحا مؤلمة على بدنه .

ووجد الاثم تعابير متنوعة على لسان اشعيا : « صرنا كنجس وأعمالنا كثوب بال . لقد ذبلنا كالورقة وأصبحت آثامنا كريح تحملنا بعيدا » . وتتوالى الأفاعي جنباً الى جنب مع مشاهد الموت والعدم وعمة القبور وضباب الموتى . يجسم النبي اثم المجموعة قائلا « نفتش عن حكم بحقنا فلا نجد وعن خلاص لانفسنا فلا نصبه لان ذنوبنا استفحلت ووقفت تشهد ضدنا » (٨) . هناك كثير من الشكوك حول كتابة سفر اشعيا ويذهب الظن الى ان أكثر من شخص قد كتبه . ويعطي ذلك صورته الذهانية الملتخولية صفة فولكلورية واسعة تعبر عن ضمير الشعب ككل .

وقد وصف فببر الحالة النفسية للزعماء الروحيين بقوله : « الواضح ان الكاهن المعتاد في اسرائيل كان يجد نفسه في حالة توتر مستمر ويستغرق في تأملات كنيية تصبح خلالها أنفه الأشياء اليومية العادية الغازا مخيفة » (٩) .

والواقع ان حياة شخصيات العهد القديم تطالعنا باستمرار بأعراض الطيرة والهلع والقلق والهوس والتوهامات السمعية والبصرية والاحلام والكوابيس والتصرفات الشاذة والانتقال السريع المفاجيء بين شعور بعظمة وأهمية وشعور بتفاهة وحقارة وأخيرا الشعور بحمل رسالة مسؤولة تجاه البشر واداء واجب المنقذ . كل ذلك من الاعراض العيادية المألوفة في الكآبة . وظلت الاضطرابات النفسية من مميزات زعماء اسرائيل من شاؤول الى شبتاي تزفي وأخيرا هرتزل . ويعطينا أبو الصهيونية نفس التذبذب بين القداسة والدناسة وتضم يومياته النصف المألوفة المعبرة عن الحقارة « نحن جنود رديئون لاننا عارون عن الشرف » . وأيضا « الجمهورية لا تصلح لنا نظرا لنقص أخلاقنا » . ويذكرنا بأفاعي اشعيا في مقطع يصور فيه اليهود بالعقارب (١٠) .

وقد بذلت محاولات اصلاحية للاعتاق من الدوامة حديثا في الكينيس الاصلاحية وتقدمها بدعوة ارميا ولكن الذهان والظروف الموضوعية كانت أقوى من ذلك فقدر

للإهودية أن تأخذ شكلها المتكامل لا من أرميا وإنما من حزقيال الذي أعطانا صورة متكاملة للظاهرة النفسية . وفي سلسلة من الرموز والأحلام والكوابيس وأحلام اليقظة يعطينا كتابه سلسلة من صور العدم والقفر ، الأجسام العسارية المشينة ، الجنس الشاذ المروع ، النيران التي تلتهم الأطفال ، قهم الصخور المخرجة بالدماء ، القدور المليئة باللحم والعظام تحت طفاوة من الحثالة يرش عليها شيء من التوابل ثم تغلى حتى تتحول الجيفة إلى كتلة منسجمة (١١) . ويبدأ هذا السفر بتخيل يرى فيه حزقيال خلانق مربعة لها أربعة رؤوس وأجنحة يظهر بعدها الرب يتصاعد اللهب من منطقتة الجنسية فيخبر الكاهن بأنه يعيش بين عقارب ثم يسلمه كتاباً . يحتوي الكتاب مرثي يبادر حزقيال بالتصرف الأصلي للكتابة فيزدردها . هنا يأمره الرب بأن يأكل ويشرب بمقياس صغير وأن يخلط أكله بغائط إنسان . وعندما يحتج الكاهن يسمح له الرب بتبديل غائط الإنسان بروت بقر . وتتوالى الصور الابتاعية (Oral intiojection) الشرجية (anal) .

ثم تنجلي السحابة وتعود بارقة الأمل فاذا بها شمس ساطعة . وفي حالة المسعور بالمانيا يطل من الأفق خلاص إسرائيل وتسنمها المجد والسؤدد بين أكاليل الرموز الخلودية .

ويغرق الكهان في بحر من الأوامر والنواهي المفرطة التي يتعذر تفسيرها بشيء غير النفسية الذهانية المنطوية . ويقع التركيز على الإردراء الإكلي والايلاج الجنسي والتفريغ الشرجي ويقسم العالم برمته إلى نظيف وغير نظيف . لحم الحمل بلين أمه غير نظيف لا تقربه . المرأة الحائض غير نظيفة لا تقربها . الذكر بشظفته غير نظيف لا تقربه . الطير أكل اللحم غير نظيف وكذا الماشية التي لا تجتر والسمك بدون زعانف أو أصداف . أي عيب في حيوان يجعله غير نظيف . ولأول مرة أصبح جسم الإنسان العاري غير نظيف والجنس مكروه . وما ذلك في الواقع إلا جزء من ظاهرة العزوف عن اللحم والجنس عموماً التي تصاحب الكتابة . وأعطانا دانيال مشهداً مسرحياً عندما دعاه الأمير إلى أكلة لحم فالتجأ دانيال إلى شئ الحيل حتى استبدل اللحم بالجريش . أصبح الأكل المفضل البصل والثوم والحبوب .

ونستشف مما سبق هبوطاً بارزاً في الطاقة الجنسية (اللبيدو) إلى حد أصبح يميز التراث اليهود العبري عن بقية الحضارات القديمة التي اعتزت بالجنس وجمال الجسد . وتلفت النظر إلى أن اللغة العبرية لم تعرف كلمة العفة الجنسية حتى عهد السبي . وربما ألفت ظاهرة الختان ضوءاً آخر على هذه الناحية . فالثابت أن هذه العادة لم تكن شائعة بين العبريين حتى العهد اللاحق عندما أصبحت واجباً بعدد السبي (١٢) . وينظر علماء الاجتماع إليها كبديل لعملية الإخصاء التي كان البدائيون يوقعونها بالعدو ، وقد لاحظ هيربرت سبنسر أن القبيلة المنتصرة كثيراً ما تساهلت مع عدوها المهزوم فاكففت بختان رجاله بدلاً من ذبحهم . هل جاءت العادة أخيراً كبديل عن قتل النفس وأخصاء النفس وتعبيراً عن الفرقة الانتحارية ؟

ودخلت المجموعة في شرنقة تعيش فيها في عالم خاص بها معزول عن العالم . أصبح اليهودي يميل إلى السرية والعزلة لا يكلم أحداً عن دينه أو حياته ولا يريد أن يناقشك فيها . قال فرويد « الأمور اليهودية هي الأمور التي نتكلم عنها بين أنفسنا فقط » . وعندما تحاول أن تجره إلى المناقشة تلقى نفس المقاومة التي يلقاها الطبيب النفسي في جر المريض الذهاني إلى الكلام . خط الاتصال مقطوع ولا تجده ياباً إن اشترقت الشمس أو أغربت خارج عالمه الخاص . وإذا ألقى نظرة من نافذته إلى العالم الخارجي وقف شعره رعباً أنه عالم مخيف لا يبيت له غير الاضطهاد والإبادة . هذا هو

العالم الذي عاشته اليهودية عبر القرون الخالية . وعندما كتب احادها عام رسالته « قانون القلب » لم يجد بدا من التنديد بالحياة الشاذة التي عاشها اليهود وعجزهم عن الاستجابة للعالم الخارجي . ولكن الرائد الصهيوني نفسه وقع في نفس المركب الذهاني من زاوية المحافظة والنظر الى الوراء والحنين الى رحم الام بدعوته الى الرجوع الى ما قبل التوراة الى سني طفولة الشعب (حيث كان الشعب بريئا من الاثم) . « التهرب من الواقع » هو الصفة التي لفتت نظر اللجنة الملكية البريطانية في يهود فلسطين سنة ١٩٣٦ (١٣) .

لا يملك المختص بعلم النفس امام هذا الاستعراض الوجيز غير أن يجد نفسه حيال صورة من صور الكآبة الذهانية ولن يحدوه الى التردد سوى انها تتعلق بشعب لا يفرد . ومن رأينا أن معاناة المجموعة لعلل تربطها عادة بالافراد أمر لا يساعدنا فقط على تفسير سلوك المجموعة بل سيعين أيضا المختصين على فهم كثير من معاناة الافراد . وعلى كل فطالما لفت الجانب رواد الحركة الصهيونية سواء بن بوروخوف او برنر او بنسكر . تسأل برنر هكذا : « حقا ان أدبنا يعاني ما يعانيه الرجل العجوز من اضطراب . انه أدب باثولوجي جدا . أعصابه محطمة ومحيطه مزرق . وقد أصبحت حياتنا ذاتها حياة باثولوجية . أفيمكن أن ينجو احتقار النفس الذي نحمله من ان يكون هو أيضا باثولوجيا ؟ »

للموضوع طبعا بعده السياسي العملي الخطير . ويتجلى ذلك من فهم ميكانيكية مركب الاثم والكآبة . على الرغم من محاولة التخلص من الاثم يجد صاحبه نفسه يلف ويدور حول ذات النقطة التي يريد نسيانها . انه مركب ذاتي الحركة يوقد نفسه بنفسه الى أن يجد الشخص نفسه مضطرا الى إعادة تمثيل الصدمة الرضية . ولكنه ما ان ينتهي من اعادةها حتى يكون الاثم قد زاد عمقا وتفاقما . الموقف الطبيعي للشعوب هو قبول سنة الحياة : الولادة فالنمو ثم الموت والانحلال . ولكن العقدة التي أتينا الى ذكرها حالت دون قبول بني اسرائيل نفس المصير . فراحت آلية الاثم تعيد التجربة تلو التجربة . لا يملك القاتل غير ان يعود الى مشهد الجريمة . وفي عصرنا هذا تضافرت عوامل موضوعية لاعادة التجربة مرة أخرى على يد الحركة الصهيونية .

اذا قبلنا بذلك نستطيع ان نفهم لماذا استطاع زعماء الصهيونية تحقيق المعجزة تلو المعجزة الا معجزة واحدة ، أبسط المعجزات وأيسرها : الوصول الى تفاهم مع جيرانهم . انه يتناقض مع النزعة الانتحارية وآلية الصدمة الذهانية . طالما ادعت تل ابيب بأنها تريد ان تعلم العرب درسا . الدرس الوحيد الذي نجدها نجحت في تعليمه للعرب هو فن الحرب ، كيف يقاتلون ويباغتونها . هل كان ذلك مجرد صدفة ؟ ليس هناك شيء اسمه صدفة في سلوك البشر . هناك شيء اسمه لاشعوري .

طالما ادعت انها تعمل للسلام والسكينة . لثلاث سنوات تقريبا ساد السلام والسكينة جبهة الاردن بعد ان قامت عمان بتصفية العمل الفدائي العلني . وعندما بدأ كيسنجر بفصل القوات أصرت تل ابيب على عدم اعطاء أي شيء للاردن . قصرت تنازلاتها على مصر وسوريا ، الدولتين اللتين هاجمتها على حين غرة . هل كان ذلك تشجيعا للامان والسكينة ، أم مكافأة لمن يشحذ سيفه للأجهاز عليها ؟

البعد السياسي الاخر هو ان لذهان الكآبة جانبها مسعورا مانيا . وغالبا ما يتوالى الجانبان توالي الليل والنهار . وعندما نكون في الدور المائي نملىء حيوية ونشاطا وقدرة الى حد شاذ يكتسح كل من يقف في طريقها . ومن رأينا أن تاريخ المجموعة

اليهودية من بسلسلة من هذه الادوار انتهت بدور ماني في العصر الامبريالي . بيد انه ليس من شأن الحيوية المانية ان تستمر الى ما لا نهاية فسرعان ما تستنزف وقودها . وعندما سيحدث ذلك ستقع اسرائيل في هوة من القنوط واليأس يتعذر خلالها ان تحقق أي شيء . متى سيحدث ذلك موضوع يتوقف على مجموعة من العوامل المساعدة . وإذا كان زعماء اسرائيل يسخرون من مثل هذا التحليل فانهم بدون شك يسرون بهديه . أنهم يفعلون بشعبهم كل ما يحلو لهم ولكنهم يتهيبون بذعر من أي خدش يصيب معنوياته .

النقطة الثالثة هي ان عقدة الائم جوعى الى الحب والاعجاب . ويتحول هذا الجوع الى المعنى الحرفي للكلمة أحيانا ، الى حب ابتلاعي بشكل نهم في الاكل والجنس ، وحب تملكي بالتهالك على المال . ويؤدي الجوع الى الاعجاب الى انجاز المعجزات أحيانا والحماقات أحيانا والجرائم أحيانا . وعندما ينقطع حبل الحب والاعجاب تحدث موجة من اليأس والهلع . السياسة التوسعية لاسرائيل هي تجسيم لهذا المركب ومثل ذلك نقول عن دأبها في فرض ارادتها على الدول الكبرى . وربما سيعطي انسداد هذا الطريق من كل جوانبه ولدة كافية عاملا مهما في الاطاحة بالكيان النفسي واشاعة اليأس والانتقاض .

هذا أو ذاك ، ان المعارك العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية ستقوم بوظيفتها كعوامل مساعدة نحو المعركة النفسية — معركة اسرائيل مع نفسها — وليس العكس .

- ١ — أنظر مثلا ما ذكره نورمان بنتويتش، جوداس ماغنز ، لندن ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٢ .
- ٢ — أنظر « الى أين اسرائيل » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٦٨ .
- ٣ — فيبرز ، ماكس ، اليهودية القديمة ، نري برس ، غلينكو ، ص ٢٤٠ .
- ٤ — الفكرة الصهيونية، تنقيح هرتزبرغ، نيويورك، ١٩٦٠ ، ص ٦٧ .
- ٥ — نوث، م، تاريخ اسرائيل ، لندن ، ١٩٥٨ ، ص ١٢١ ، أيضا كاوتسكي ، اساس المسيحية .
- ٦ — صموئيل الاول ، ١٣ — ٢٢ .
- ٧ — هوشع ، ٢/١ .
- ٨ — اشعيا ، ٦/٥٩ .
- ٩ — فيبر ، ص ٢٩١ .
- ١٠ — يوميات هرتزل ، الجزء ١ ، ص ٦٢ و٧١ و٧٢ .
- ١١ — حزقيال ، سفر ، ٢٤ .
- ١٢ — نوث ، ص ٦٩ ، ٢٩٦ — ٢٩٧ .
- ١٣ — سي . م . د . د . ، ٥٤٧٩ ، ١٩٢٧ .

إنه الرمل ..

محمود درويش

إنه الرمل على الرمل . وأدعوك إلى هذا الرحيل
 في اتجاه الشمس ، ضدّ دليل .
 أبيض " هذا المساء
 ضيق " هذا المساء
 ونهائي ..
 ولا يشبهنا بحر
 وهذا جَسَدي
 يجرس الموت الذي نسكنه بعد قليل .

إنه الرمل على الرمل . وأدعوك إلى هذا الرحيل
 في طريق الخيل .. أدعوك إلى وقت النخيل .
 ووداعاً لغروب الشمس
 لا وقت لهذا الحقل في عاصفة الخيل
 ولا وقت لهذا العمر في ذاكرة النهر
 وقال الرمل : لا وقت لهذا الوقت .
 قلت : الآن كمرّت وردة " نحو مهبّ الشمس

قلت : الآن عاد الشرق من تابوته - الأمس
 وفرء البحر من شينخوخة الشاعر
 والنورس من قبعة التاجر
 نحو الشرق .. نحو الشرق .. نحو الشرق
 قلت الآن يأتي وقتنا من ساعة العثنب البدائي ومن ريش الحمام .
 من بخار الخندق السري في الغابة
 من سبعة أطفال يموتون على سبعة الغام
 ويحيون على سبعة أيام جديدة .

هكذا يتدىء البدء . وفي السابع يأتيك إله .. وقصيدة .
 وانتهى وقت المناديل التي تذهب في الغيم ، ولا تأتي مع الغيم .
 أنا الشاهد والعائد من متفاحة الأولى
 ومن أوّل مشروع اغتيال
 وأنا الشاهد والعائد
 مني وعلي
 بحث النهر عن النبع ، فمات البرتقال .

إنه الرمل على الرمل ...
 ولكن لم نسيء يوماً الى أحزانتنا
 نحن مطعونان بالعادة في هذا المساء الاعتيادي .. المساء الأبيض
 الآتي الى ميعاده

مثلما نختر شاي الصباح أو .. نوع الوفاة .
 كنت في الأمس الفضولي أسوء الظن بالصدفقة :
 هل كان ضروريا جنوني بالحياة
 ولماذا لم تكن أمي غزاله
 أو ندى أو برتقاله

ذكريات

ذكريات

ذكريات .

وأنا العائد والشاهد

منّي وعليّ

سأل النهر عن النبع ، فمات البرتقال .

إنه الرمل . وأدعوك الى هذا الرحيل

في طريق الخيل .. أدعوك الى وقت النخيل

إذهبي نحو الجهات الخمس

لا تبتعدي عنها كثيرا

تجديني

بين مندلين منسيين في درب الخيول

واذهبي نحو الحواس الخمس

لا تبتعدي عنها كثيرا

تجديني

بين عينين تضيئان على ظلّ النخيل

ووجدت البحر . لا تأتي الى الشّعر بلا موت .

ولا تأتي الى الموت بلا شعير

وجدت البحر في طيّبة منديل

ولا تقتربي مني . ولا تبتعدي عني

وجدت البحر

هل أمضي الى جلدي الذي تمضغه الشرطة والصفصاف والحب القديم

أيّ نهر يرتدي جلداً ويجيا !

كنت في الأمس الفضوليّ أسميك بأسماء النباتات . الصناعات

البدائية . أعضاء الفصول . العمل الجنسي . أشكال السموات التي أعرف

أو لا أعرف . السحر

وكنت النار في شكل صلاة

ذكريات

ذكريات

ذكريات .

ووجدت البحر . أطويه كما تطوى سجاجيد المصلين

على وقت النخيل .

وأسميك . ولا أسماء لي أو لك

لا أسماء للأشياء في هذا المساء الاعتيادي الجميل

إنه الرمل على الرمل على الرمل

ولكن لم نسي يوماً إلى أحلامنا

نحلم الشرق كما كنا ، وشبّاكين مفتوحين

للناي وللقمح ، ككل الفقراء

لم نسي يوماً إلى أحلامنا

فلماذا تلبس الأنهار جلداً من حرير ودماء

ولماذا يتعرى النسر في حوض الفضاء

ولماذا نلتقي المساء الاعتيادي طبيعيتين عاديتين

من دون لقاء وانتحار

مثلما نختار شكل الموت أو لون الرداء .

إنه الرمل على الرمل . وأدعوك إلى هذا الرحيل

في اتجاه الشمس .. ضد^٣ ودليل .

فسر البحر يدنا ، فاقتربنا من يدنا

أنت تهتمين بالورد كثيرا
وأنا اهتمُّ بالقيد كثيرا
وبلا وردٍ

تعودين الى النوم
وفي نومك أصحو
دون قيدٍ
وأرَبِّي الكلمات
ذكريات
ذكريات .

فسر البحرُ خطانا ، فابتعدنا عن خطانا
حبثكِ الواقعُ بين الماء والرملِ
تمنَّاكِ امتداداً لغزالٍ
وتمنَّائي سهوبٍ
هل تكونين نهايات الجنوبِ
أم تكونين بدايات الشمالِ
وقف البرقُ على عصفورة فاحترقتْ
وجمعتْ الكلمات
ذكريات .
ذكريات .

وانتهى وقتُ المناديلِ . ولكنَّ المناديلَ مناديلُ نسَمِّيها قماشَ
الحزنِ أحيانا .

وأحيانا نسَمِّيها عباءات العصافيرِ
وأحيانا نسَمِّيها بديلِ الكلمات .
وتغيَّرنا ..

تغيَّرنا على مرآة هذا البحرِ . عنواني مياهُ النهرِ . ماذا بعدُ ؟

عمري يتلاشى من يدي كالماء
 هل مئطت هذا الماء
 هل كنت ضغافاً أم يدين؟
 وتغيرنا مع العمر . ونادانا المساء الاعتيادي . وهذا الدم يجري
 هادئاً أو لاجئاً فوق جميع الطرقات
 والعصافير . بنت أعشاشها في حائط الاعدام ، في خاصرة الطفل
 الذي يمشي على سبعة ألغام .. على سبعة أيام جديدة
 كل موت يتهجأك شهيدة
 كل موت يتمتاك قصيدة .
 وتغيرت لكي أسأل قرب البحر : هل كان المساء الاعتيادي مسائي .
 وتغيرت .. تساءلت أمام البحر : هل كان المساء الأبيض الرخو

مسائي

وتغيرنا . تساءلنا
 وهذا دمنا
 هادئاً يجري
 هل الموت الذي نشهده فوق يدينا
 موتنا؟

لا !

إنه الرمل . وأدعوك الى هذا الرحيل
 في طريق الخيل . أدعوك الى وقت النخيل
 إننا نمشي الى مسقط رأس الشمس
 نمشي

في اتجاه الخطوات
 لم نكن أكبر ، أو أصغر ، من قبر
 لنحيا أو نموت

نحن نمشي في اتجاه الخطوات
 حاولي أن تخرجي من قبضة القلب
 تموتي .

حاولي أن تذهبي في قبضة القلب
 تموتي .

ووداعا لغروب الشمس

لم نذهب سدى

نحو نهر غامض . مر كثيرون

وما فرّ المدى .

والمناديل التي ضاعت مع الغيم

نهايات اليد المستسلمه

وبدايات اليد المقتحمه

ووداعا لغروب الشمس

ولتشتعلي

في طريق الخيل منديلاً من النار

ويد

إذهبي واشتعلي

واشتعلي

في طريق الخيل منديلاً

ويد !

سعيد القروي وحلوة النبع

مريد البرغوثي

افتتاحية

تتغيرُ ، يتغيرُ ماءُ النهرِ اذا نحنُ عبرناهُ
ولكلِّ الاشياءِ طفولتهاُ / أمطارُ الميلادِ تصبُّ بانهارِ الموتِ / لكن الأمطارُ أبدُ
من رحمِ الأمِ الأولِ تبدأ
من قبرك تبدأ
وتصيرُ الانسانَ الحجَرَ النارِ الريحِ العصفورُ
فانهضُ يا ابنِ الامطارِ الأبديةِ وازرعُ كلَّ الطُرقاتِ
وتناثرُ ،
ستجمَعُكَ مصابُ نائيةٍ لا تعرفُها
إنهضُ وابدأ ..
تُمسِكُ في كفيكَ دوائرُ
منها ينبثقُ الثديُّ المثلقُ والفهدُ الخارجُ من انثاهُ / وتعريجاتُ الغيمِ الأسودِ
والكلمةُ فوقَ الشاهدةِ الحجريةِ ، والأكتافُ العاريةُ ، البريةُ والبحرُ
وافخاذُ الخطابِ المشعرةُ ، وعدوُّ الافراسِ البيضاء ، ودلولُ البئرِ
وشيءٌ ما يكمنُ في الداخلِ / يحيا ويموتُ / وينقسمُ الى ضدَّينِ
وتكمنُ حربُ ، فَجَرَّ لحظتها خُصُها وابدأ
قم يدعوكِ الناقوسُ / فإمّا عرساً او موتاً
لكن قم ...!

أشواق سعيد القروي

دعني أخرجُ للرؤيا / أقفزُ في اللامعلوم / ودعني أطلعُ عاري الصدرِ
الى مملكةِ الوعرِ وهاتِ يديكَ الراعشتينِ وأبلغُ عنِّي

أني سأسمي الغيمة بجزاً
وأسمي الجذرَ المدفونَ بأعماقِ الأرضِ ثمراً في الريحِ
واذيبُ الأزمانَ جميعاً في زمنِ اللحظةِ
وأمرُ بعربيٍّ من قطراتِ الماءِ أبلُ بها حلقاً جففه رملُ الصحراءِ العربيّةِ
وعبارُ خيولٍ فقدت خلف الكُثبانِ أصالتها العربية ..
أبلغ عني أن الكونَ سؤالٌ متصلٌ
وأطالبُ ان أطرَحَ كلَّ الأسئلةِ ولا أُقتلُ
فاتسمي يا عينيّ تألق يا عربيٍّ في قطراتِ الماءِ
وامتدي يا كفتي كي يسقطَ بين خطوطِكَ نجمٌ لهيَّ يُفشي سر الطُرُقَات لقلبي
وأمرُ
أصيرُ الرحلةَ والراحلَ / وأصيرُ السرَّ وكشفَ السرِّ
وأبحثُ بين صخورِ الوعرِ
عن تلكِ الحاملةِ جميعَ الأضدادِ - فتاةِ النبعِ الأولِ
أفتحُ عينيَّ على شهواتِ حرَمها السلطانِ
وأبلغُ عنيّ أني امتلكُ الممنوعاتِ جميعاً / الأسئلةُ، الحبُّ، السيفُ، المنشورُ /
وتمرُّ بعينيّ قوافلُ جلاديّ ومَن حلَّلَ دمَّ الخارجِ عن طاعتهِ
والباعةُ والشارونُ وقناصةُ حرسِ الليلِ وأناتُ الغرقى
أبلغُ عنيّ أن الراحلَ قد يهلكُ لكن الرحلةَ تبقى !
أبلغُ عنيّ أني ساخوِّضُ في الماءِ وأني ساسمي حفارَ قبورِ الشهداءِ بإسمِ القابليةِ
وأدخلُ بين الأسودِ والأبيضِ / أرفعُ ألوانِ الطيفِ وأجعلُها علماً
في رحلةِ كسفي المغضوبِ عليها ،
أبلغُ ان خرائطنا لم ترسّم بعدُ / وأنى ساسمي النبعَ مصباً / وأسمي
الخطوةَ في الوعرِ بلاغاً أولُ ،
أبلغُ أني أخطو في العتمِ وأنى ابدأ
يتلوّى في دربي الأفعى وبني آوى ، يتجشأ ضبيعٌ وتُدبِدبُ من حولي
أجسادُ زواحفٍ تتلوّى
تختلطُ الأصواتُ الكاسرةُ على اذني وتنقُ ضفادعُ تنعقُ بوماتُ وأرى
أثرَ الخلبِ في الأرضِ

وأمضي ، أخطو ، ابدأ
يدعوني الغامض ، ابدأ / يدعوني الشائخ أن أتأمل ما يولد منه فتيتاً
أبلغ أن الفلقة نصفان / فنصف ضد النصف الآخر :
إن يتحطم جسر فوق النهر / يظل الشط الأيمن ، متصل بالشط الأيسر
ويواصل بينهما التيار هديره !
فانهض يا ابن الأمطار الأبدية ، وابدأ / إصعد كي تتعرف بالسفح الآخر
من جبل الدنيا

ما من نهر يشبه نهراً / لكن قبور القتلى في الحرب جميعاً تتشابه
ترسم صفوفاً في الصحراء وتحمل أرقاماً
لا تحفظ رقماً
فالقتلى ليسوا احصائية مصنع كبريت
غص في قاع القبر

اسأل كل قتيل عن قصته وأبحث عما لم يُحك قبيل دخول الطلقة
في صدره

إسأل عن ليلاه وعن فاطمته ..

اسأله عن الطين القروي ، عن الحلم ، وعن لقمة والده لما سقطت
- ساعة موته -

في الهوة ما بين الكف وبين الفم

إسأل عن حي زحف بكامله ينتحب بيت الجندي الغائب / ويعدد
كل محاسنه وحميد صفاته

لا تقرأ ما كتب الضباط الأحياء على الشاهدة -

إقرأ صلصلة اللطم أقرأ قد الثوب أقرأ وحشة غربته برد سريره

أقرأ كيف اهتزت معدته في الريح / أقرأ كيف تصلب كفاه على الرمل
أقرأ كيف يُحدق فيك

أقرأ لحظة نصر قد يصنعها تتقطر دماً ونشيداً وطنياً

أقرأ خفق العلم على أرض حين يجرها

أقرأ فرحة من عادوا من مهجرهم وشتات المنفى

أقرأ دورة مفتاح الشيخ بباب البيت المرود إليه بدم الميت

واقراً مزج الكماكي بالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر والأزرق
واقراً تاريخاً لا رقماً
وتنصت لمعلمة التاريخ تقول لأطفال القرية :
قد كان هنا في هذي الأرض عدو ، وهزمناه

سعيد القروي يبدأ الرحلة

(١) كلُّ أرضٍ تُقلِّني

ليدي بصمةٌ بها / ولخطوي بها أثرٌ
أمزجُ النار بالرياح / والمواعيد بالخطرُ
ولهذا أسميتها / موطناً لي أو كفي /
كلُّ أرضٍ تُقلِّني .

(٢) طالعاً من حلمٍ أطفالي ومن صوتٍ جدودي

حاملاً وعداً بموتي ووعوداً بالحياة
خادماً للبيرق الطيفي / فعلي سيّدٌ / وجبيني عبءٌ جيل
مزقتُ أطرافه من قبل ان آتي وضاعت / صارت الارضُ
عذاباً للذي يأتي

أتيتُ

وانا هذي الميزقُ / جمعتني ريحُ أهلي / جسدي صار الوطن :
كلُّ سوطٍ رسمَ الجرح على ظهري أنا / رسمَ الحدَّ على وجهِ الخريطة
وأنتُ

أعرف الشيء وضده / بادئاً من آخر الخطور وفي ريحِ الفصول
زارعاً شتلاتي الخضراء في ريحِ الفصول
تركتني حلوةُ النبع بلا وعدٍ وضاعت في الزمان
قلتُ من أجدرُ منِّي بالجميلة ؟
وخطوتُ

باحثاً عن وجهها الراضي ولم ترض ، ابتعدتُ
وألحَّ العشقُ في قلبي خطوتُ

صرتُ حُلماً ، حلوةُ النبع ، وقد ظالَ ارتحالي / وخرجتُ /
علَّني الملحُ عينيكِ وثنياتِ الجديلةِ

وأتيست

حلمُ عينيك ينادي كلَّ عاشقٍ
قلتُ ، من أجدرُ منِّي بالجميلة ؟ ..

(٣) أحملُ يومي كما يحملُ طفلٌ صغيرٌ

حقيبةَ الكتبِ التي ينوءُ بها / طولَ الطريقِ إلى المدرسةِ النائيةِ

أمشي مع الأيامِ والأصواتُ تتبعني :

« ان أنتَ لم تمشِ فالأيامُ ماشيةٌ وحدَها

وان رجعتَ فإنَّ الدربَ لا يرجعُ » .

سعيد القروي ، ايلول ١٩٣٥

سيدي القسام أحضرتُ رغيفاً ، فلتشارِكُنِي العشاءَ

سبع حباتٍ من الزيتونِ ، شارِكُنِي العشاءَ

وعليها سوف أقسمُ / أن سرَّ النارِ محفوظٌ بقلي / ان من حنطةِ أطفالي

نصيبٌ للرجال

هات كفتكُ / أيها الشيخُ وشارِكُنِي العشاءَ

ألمحُ الليلةَ نجماً لاح في الأفقِ كما قطرةُ فضةٍ / والعصافيرُ التقتُ بعد ارتحال

أسمعُ الليلةَ يا شيخُ صدىً / وأرى ما لا يُرى

هات كفيكُ وخذ مني القسَمُ / هات كفيكُ وشارِكُنِي العشاءَ !

سعيد القروي ، تشرين الاول ١٩٣٥

بندقية

خندقٌ ، ليلٌ ، وبردٌ

بندقية

شجراتُ البرِّ لا تعرفُ ما تبغي ولا هذي اليامة

ورذاذُ المطرِ الليليِّ لا يدري ولا أم البنين

ساحةُ الدارِ خلا منها الحطبُ

يسمنُ البردُ برعشاتٍ صغارِي الآن يا أمَّ البنين

هل توددتِ لهُ هذا المساءُ ؟

شاغليه / وافردني معطفيّ البالي على الأطفالِ إنْ ناموا
 وهل تقسو عليهم أيها البردُ الفلسطينيّ إذ يمضي أبوم للعراء
 خَفَّفَ الوطءَ عن الأطفالِ يا بردُ ، وغُصُّ في جَسَدِي
 وتسربُ بين أكتافي وصاحبني وعدَّ اللحظاتُ
 وأرقبِ الأعداءَ إن مرّوا وشدد وخزتكُ
 سيمرونُ فلا تبرحُ ، وشاهدُ موتهمُ ، في فجوةٍ ما بين كفتي والزناد ..
 بندقيّة

خندقُ ، ليلُ ، وصوتُ

بندقيّة

تعرف القصةَ من أولها :

سُفِنُ تلقي على الشطّة الغزاة / ونُعاسُ القومِ ميناءُ وريحُ في القلوع
 والطعاهُ الكثرُ يدرونَ ولكنْ ذَبَحوا طائرَ اليقظةِ فينا واستراحوا
 ها هو الشيطانُ قُدَّ اثنينِ ، في الداخلِ والخارجِ ، وانهاأ علينا بمواعيد الهلاكِ
 فاستفقتنا وبأيدينا حبالُ أجنبية / وحبالُ عربية
 صارت الأشجارُ والأنهارُ والأرضُ وما يحيا عليها ، بندقيّة
 بندقيّة

تعرف القصةَ من أولها ، وهي التي تروي البقيّة

بندقيّة

أبطيء الخطوةَ يا ليلُ سيأتونَ قريباً / واهدأي ، لا تفزعي من طلقاتِ
 النارِ يا هذي اليامة
 وضعتي معطفيّ البالي على الأطفالِ يا أمّ البنين ..

سعيد القروي تشرين الثاني ١٩٣٥

سيدي القسام قتلاهم بلا عدوّ ولكنْ هاهمو يأتونَ من كلِّ اتجاةٍ
 سيدي القسام حوصرتنا فما دربُ النجاة ؟
 زخةٌ من قَصْفِهِمْ تتبعُ زخةً / كشفوا موقعنا يا شيخُ هيا ننسحبُ
 زخةٌ في تلو زخة ...
 « سيدي القسام .. آه .. »

بَعَثَرَتْ صرختُه جسمَ الفضاء
 خَرَجَ القسامُ من خندقِه / صبَّ كل النار من رشاشِه نحو الغزاة
 « كشفوا موقعنا يا شيخ هيا نانسحب »
 جاء صوت الشيخ : « موتوا شهداء .. »

سعيد القروي ١٩٣٦

أمة يوقظها دمُ الرجال
 تبدأ القصةَ فيها بندقيةَ / تحتُم القصةَ فيها بندقيةَ
 أمة يوقظها دم الرجال .
 خرج الناسُ الى الساحاتِ واربدتِ البحَرُ
 جادت اللغمةُ يا قسام أضحى الدمُ حنّاءَ يغطي من ثرانا كل ركنِ
 هذه الأمةُ يا قسام من ماتها قامت تغني
 أمة يوقظها دم الرجال .
 حلوةُ النبعِ أشارتُ من بعيدٍ بيديها
 باركتُ من جاء يفدي مقلتيها
 والرجالُ / خَرَجُوا من كل بيتٍ وسفينة ، بالبنادق
 بعصي البرِّ والفاَسِ وبالجوع المقيم / حاربوا أعداءَ هذي الأرضِ يا شيخُ /
 وفي ستة أشهرٍ
 أقفرت كل الشوارعُ / بدأ الفعلُ دموعاً في وداعك / ثم صارَ الدمعُ
 اضراباً ، فمصيانياً فتورة
 أمة كاملة من قبرها قامت تقاثل ..
 منحتَها حلوةُ النبعِ يديها وابتسامه
 أوقدتُ في ليلها كل القناديلِ وقالتُ / وُلدتُ لي فيكمُ اليومَ علامة ..

سعيد القروي ١٩٤٨

إنقذَ الشيطانُ اثنينُ
 والأرضُ أنقذتُ أرضينُ
 والجرحُ سيوغلُ منذ اليومُ

وأناكَ زمانُ السبي ففتشُ عن خيمة
الكلُّ جريحٌ يا جدِّي ، الكلُّ جريحٌ
كلُّ الأيدي تقبضُ ريحاً / والأوجهُ تذروها الريح
سكت الصوت ، ومَرَّ بنا موتٌ مرسومٌ بأصابعهمُ وأصابعنا
سقطت كشهابٍ ممدودِ الذيلِ اللعبة
هزَمَ المهتوفُ لهم / وانتهكوا صفا صفا
وعميقاً غاصت في الأجساد نصالُ النكبة
فقدَ الأطفالُ طفولتهمُ من ذاك اليوم !
كانوا فقراء الأرض فصاروا فقراء المنفى !
جوعى الأرض وجوعى المنفى !
دم الأرض ودم المنفى !

خرجت للبرِّ وحوشُ البرِّ وأطبقَ كفُّ الأيام
يخنقُ من يطرحُ أسئلةً / وانسرقَ رغيفُ القسامِ
مَسَحُوا أسماءَ الشهداءِ المنقوشةَ فوقَ سلاحه / فُصِدَ الشريانُ وسالَ الدمُ
فقدَ الأطفالُ طفولتهمُ من ذاك اليوم
نثرتهمُ ريحُ الوجْهَاءِ فعاشوا جوعى الأرضِ وجوعى المنفى
دمَّ الأرض ودمَّ المنفى
وتعالَتُ صيحاتُ الأرضِ الدمَّ الدمَّ الدمَّ !

سعيد القروي ١٩٦٧

سقطَ الحلمُ وظلَّ الدمُ
أَلِفَتُ أعيننا شكلَ القضبانِ وزبيَّ الشرْطَةِ
لم يغمُرنا وهجُ الأرضِ الطيبِ / وانفطرَ فؤادُ الحلوةِ عندَ النبعِ
وامتدتُ بين وجوهِ الناسِ وبين يديها الصحراءُ
سرقوا منا الطرقاتِ وقالوا هذا الموت مبارك
تمتدُّ الصحراءُ ويمتدُّ القتلى / ينجزُرُ العمرُ ويعلو مدُّ الموتِ
قلنا إن الوطن رجالُ / قالوا ان الوطن بيان رسمي
قالوا هذا الموت مبارك / فخرجنا للريح وقلنا :

« كوني يارريح الصيفِ سلاماً فوق وجوه القتلى / ذودي عنهم وحشَ
البرِّ وجوعى الطير

وزيحي الكشبانَ على الأشلاءِ وغطَّيها

بأناةٍ يارريح الصيفِ فما من قبرٍ في هذي الأرضِ المنسيةِ نعرفُهُ ما من قبرٍ
لا تُحصي القتلى يا من تحصيهم في هذي الحربِ / فالقتلى ليسوا عدداً ..
أو أرقاماً تحملها الشاهدةُ الحجريةُ / لا تحفظُ رقماً ، غُصُ في قاع القبرِ
إسأل كل قتيلٍ عن قصتهِ وأبحثُ عمالم يُحكِّ قبيلَ دخولِ الطلقةِ في صدرهُ
اسأل عن ليلاهُ وعن فاطمتهُ / إسأله عن الطينِ القرويِّ عن الخُلُمِ
وعن لقمةِ والدِهِ لما سقطتْ ، ساعةِ موتهُ ، في الهوَّةِ ما بين الكفِّ وبين الفمِّ
إسأل عن حيِّ جاء بكامله ينتحبُ بيتَ الجنديِّ الذاهبِ

ويعدُّدُ كل محاسنهِ وجميلِ صفاتهِ ،

لا تقرأ ما كتَّبَ الضباطُ الأحياءُ على الشاهدةِ

أقرأ صلصلةَ اللطمِ ، أقرأ قدَّ الثوبِ أقرأ وحشةَ غرفتهِ بردَ سريرهِ
لا تقرأ رقمَ الشاهدةِ / أقرأ كيفَ اهتزتْ معدتهُ في الريحِ

أقرأ كيفَ تصلَّبَ كفاهُ على الرملِ

أقرأ كيفَ يحدِّقُ فيكُ يحدِّقُ فيكُ

أقرأ ، غُصُ في قاع القبرِ !

سعيد القروي — ايلول ١٩٧٠

سَقَطَ الحلمُ وظلَّ الدَمُ

يهوي من فوق جبالك يا عمان

يتجمَّعُ في الوادي نهرأ عربياً / تطفو فيه الأشلاءُ ، يباركُ ميتمها السيِّدُ

خرَجَتْ للبرِّ وحوشُ البرِّ وأطبقَ كفُ الأيامِ

يخنق من يطرح أسئلةُ / وانسرق رغيكُ يا عز الدين القسامُ

مَسَّحُوا أسماءَ الشهداءِ المنقوشةَ فوق سلاحِكُ يا جدِّي

فُصِّدَ الشريانُ وسال الدَمُ

كنا قتلى « يعبد »

فقدونا قتلى عمان

يا جدِّي الشيخ تعالَ وقُلْ ثانيةً « موتوا شهداء »
 متنا يا جدي شهداء ، ونهضنا ثانيةً قى الأرض .
 قدَّسني في الليلِ رغيفُك يا جدِّي الشيخُ
 وحمَلتُ سلاحِي في وجهِ الأعداءِ
 أرسلتُ بمهازي فرَسَ الخطَرِ الحمراء
 فراحتُ تصهَلُ في بريَّتِهِمْ باسمِكُ / واسمِ الأرضِ وجوعى الأرضِ
 وجوعى المنفى

لم أخطيءُ أنْ بأعينِهِمْ يتَّقيدُ السخَطُ الراعشُ والخوفُ
 فشهرتُ سلاحِي يا جدِّي الشيخُ / وقالوا العنْفَ فقلتُ العنْفُ
 والقصةُ عادت يا جدي الشيخ كما تدري
 فإذا بي منفردٌ عاري الصدرِ وعاري ظهري
 وتناثرَ من حولي القتلى وامتدَّ نزيفُك من « يعبد » / حتى عمَّانُ
 سقطَ اللحمُ وظلَّ الدمُ
 وخرجنا / وتركنا الدمُ يغطي كلَّ جبالِك يا عمَّانُ
 سيظلُّ الدمُ يغطي كلَّ جبالِك يا عمَّانُ !

× ×

خارجاً نحو المنافي
 في حفاقي وحشةِ البعدِ عن النبعِ وهذا الحزنُ أنشَى تلدُّ الحزنَ
 تساءلتُ لماذا خُطُّواتي لم تصل ؟
 جاءني صوتك يا شيخُ وقال :
 « كلُّ وقتٍ صالحٍ للبدءِ فابدأ
 انما الحاضرُ ماضٍ
 وإلى مستقبلِ الأيامِ نمشي » .
 جاءني صوتك يا شيخُ ابتدأتُ
 وانحنى طفلي يناديني ابتدأتُ
 ومن الأنقاضِ يا شيخُ ابتدأتُ
 خارجاً من نزفَى السبابِ مخفوضِ الجبينِ
 مَسَّني ريحُ بلادي ودعائي للمجيءِ

دلّني صوتٌ على سبعِ دروبٍ لحياتي
قلتُ ما دربُ الوطنِ؟ / قال دربُ البندقيةِ
فاتيتُ !

سعيد القروي يواصل الرحلة

أنا سيّدُ يومٍ لمْ يغمرني فيه الموتُ
أتناسخُ في كلِّ عناصرِ هذا الكونِ الهاربِ منّي / والاحقُّه،
اتعثّرُ أبداً ، أولدُ ،
إن تَنبُتُ سيفانُ القمحِ بأثلامِ البيدرِ أولدُ / إن تسقطُ شمسُ الصبحِ
على الحنطةِ أولدُ
إن يَصْهَلُ مهرٌ فضيُّ فوقَ التلّةِ أولدُ
أفتحُ في الريحِ ذراعيَّ وأرسمُ بالجسدِ دوائرَ شوقي للمحبوبِ وأولدُ
بجنوّي الفياضِ على إنسانِ العالمِ أولدُ
في طفلٍ يخرجُ من تحتِ الأنقاضِ ليجثَ عن والدِهِ أولدُ
إن تجبو النارُ أزدّها حطباً وإن وابتعدَ المرجوُّ دنوتُ
وأنادي شرّاً الكونِ بنبضِ القلبِ وأعلى صوتُ :
أنا سيّدُ يومٍ لمْ يغمرني فيه الموتُ .

× ×

- الوردةُ فاسُ وترابُ ويسدُ ومطرُ
- الدنيا مزرعةُ الموتِ ،
أما الموتُ ففلاحُ صخريِّ الكفتينِ ويضربُ في الصخرِ
- وأرى بين الصخرينِ ينابيعُ !

× ×

تلك قوافلنا / تتبدّلُ في دربِ مسيرتها أسماءُ الأمصارِ واسماءُ الموتِ
ويسقطُ من فوقِ الصهواتِ رجالُ / تتحطمُ مقادِمُ بعضِ الخيلِ

ويوماً ما ، بعضٌ منّا سوف يصلُ
وينادي في الناس تعالوا !

× ×

أرتقي لي جوربي ثم اتركيني
أفتحُ البابَ وأمضي / باحثاً عن عملٍ
عند الزوابع !
وأسأل ريحَ العَرَبِ / كيف تلقى من يهبون للقيها بأيام الحَظَرِ
بغبارِ السم أو حجبِ المطرِ / عصتَ الغيمةُ منشاها / فننذُ اليوم
إغضبُ وتكلمُ يا بحرُ !

× ×

هذه اجيالنا ترسي صفوف الصخرِ كي تبني بوحشاتِ الليالي مُرتجأها
عرقُ في الكفِّ والكتفِ وفي الظهرِ انحاءاً / وهي تبني ،
وعلى الراسِ هراوة / وهي تبني / وعلى الصدرِ دماء / وهي تبني
ثم تنهدُ صفوفُ الصخرِ صخرة

إثرَ

صخرة

إثرَ

صخرة

ويغطي الردمُ وجهَ الجبلِ من جيلٍ لجيلٍ
عصتَ الغيمةُ منشاها / فننذُ اليوم إغضبُ وتكلمُ يا بحرُ
إننا نأتيك مجلودين بالقانونِ / متبوعين من كلبِ الأثرِ
وحفاةٌ وبأيدينا شبكٌ قد دتها ألفُ كفٍ دبرتُ موتاً لنا في إثرِ موتٍ /
فرميناهما

وجئناك ، بأجسادٍ يهبُ الجوعُ فيها كالحاسينِ وأبجرنا
عبرنا موجك القاسي على جذعِ الشجرِ / وتوغلنا / فما لاحت لنا شطآنك الأخرى
ولا بانث لنا الأولى

... ولكننا نواصلُ فيك رحلتنا بما تُخفي وما تظهرُ
 سنأكلُ أردأ الأسماكُ / ونشربُ ماءكَ المالحُ / ونوقدُ نارنا في الليلُ
 ونحلمُ أن فوق الموجِ في يومٍ سنلقاها / ضياءَ سفائنٍ أخرى
 ونحلمُ أن بعد الموجِ في يومٍ سنبصرُها / طيورَ الشاطئِ الأخرِ .



يسلِدُ الدمُّ دماءً / وسعيدُ القروي / عادَ للبحرِ وأعطى الريحَ إسمه
 حلَّ في الأشجارِ والزهرِ وأعطى الريحَ إسمه / طار في الجوِّ عقابٌ جارحٌ
 وأتاه الصوتُ مشروخاً يقول :

— يا سعيد ارجع ستهزم !

« أصبح الموت بكفي قنبلة

كلما فجزتها أحميا / وان ظلت مواتا بين كفي انتهيت »

وتمادى الصوت مشروخا يقول :

يا سعيد ارجع ستهزم

— « دلني صوت على سبع دروب لحياتي

قلت ما درب الوطن ؟ / قال درب البندقية

فاتيت .. »

وأصر الصوت مشروخاً يقول :

يا سعيد ارجع ستهزم

— « بَعَثتُ ریحُ المنافي / صَوْرَ القتلى / وصرخاتِ

المواليدِ / أتيتُ

تركتني حلوةُ النبعِ فلمُ أحفظُ هواها ذاتَ يومٍ

فخرجتُ

قلْتُ من أجدرُ منِّي بالجميلة ؟

جَرَسُ الرحلةِ لم يصدأً وناداني أتيتُ

عُدْتُ لا أملكُ إلا ما قواتيه يدايُ / ومن الفعلِ الى

الفعلِ مَرَرْتُ

حلوهُ النبعِ ستاتيها العلامةُ / انني أجدرُ من يعطي

هواها عمرهُ

وينادي باسمِها في الغابةِ السوداءِ من موتٍ لموتٍ

آه من أجدرُ مني بالجميلة ؟

وهي تدري أنني العاشقُ إن لم أُعْطِها

قبلةَ الحبِّ فوتي في هواها قبلةُ الوجدِ الطويلةِ

جَرَسُ الرحلةِ لم يصدأً وناداني أتيتُ

كلما قالوا انتهى فاجأتهمُ أني ابتدأتُ .. »

× ×

- صوت (١) شاهدت سعيد القروي يواصل درس التدريب
- صوت (٢) شاهدت سعيد القروي يقاوم بالصمت خبير التعذيب
- صوت (٣) شاهدت سعيد القروي يعلم كنته درساً في التصويب
- صوت (٤) شاهدت سعيد القروي يقاتل ثانية في تل ابيب
- صوت (٥) شاهدت سعيد القروي يُخَبِّئُ مطبعةً في قبوٍ سرّي
- صوت (٦) شاهدت سعيد القروي يحولُ الزيتونَ بأطرافِ البلدةِ
- صوت (٧) شاهدت سعيد القروي يلممُ باقاتِ النرجسِ والوردِ البري^١ ويهدئها لبنات الحارة
- صوت (٨) شاهدت سعيد القروي يغنّي موالاً عند النبع
- صوت (٩) شاهدت سعيد القروي يدوسُ يحيتهِ الثلجَ الكانوني^٢ يجبلُ الشَّيْخَ
- صوت (١٠) شاهدت سعيد القروي بعكا
- صوت (١١) وبحيفا (١٢) والقدس (١٣) ووادي عربة (١٤) وكفرشوبا

(١٥) في راشيا الفخار وعمواس ويالو (١٦) . شاهدت سعيد

يقول :

/ إني سيدٌ يومٍ لم يَغْمُرْني فيه الموتُ / وينادي في الناس تعالوا !

الخاتمة

يَلِدُ الدَّمُ دَمَاءً / وسعيد القروي / طَلَعَ اللَّيْلَةَ من دمِّ الجميعِ
باحثاً عن حلوةِ النبع ، بكفيه دوائر / مرّاً من كلِّ الطَّرِيقِ / حَلَّ في
كلِّ العناصرِ

وسعيد القروي / طَلَعَ اللَّيْلَةَ من حلم الجميعِ / بادئاً من آخر الخطو
وفي ريح الفصول

زارعاً شتلاته الخضراء في ريح الفصول /

مزج الأزمان في اللحظة وامتدت خطاه

في حفافي الوعر ، صار الكاشفَ الباقي وعطشان الأزل

مزج الأزمان في اللحظة / أضحي رحلة السر وصار المرتحل

عدوً وأفراسٍ أصيلاتٍ بنظراتِ عيونهِ / حاملاً كلَّ طيوفِ اللونِ أعلاماً ،
وأوصافَ الجميلةِ

وسعيد القروي

خَرَجَ اللَّيْلَةَ من موتِ الجميعِ

ورأى فيما يرى

حملاً يرضع في المرعى

وفهداً لاحقاً انشأه في ضوءِ القَمَرِ

وفتاةً عجريّة

كَشَفَتْ في الوعرِ ثدييها النحاسيينِ

تعدو

لملاقاة الحبيبِ

اشارات :

« سعيد القروي » : وجه شعري تكرر ظهوره في بعض تصانيد الشاعر .

« يعبد » : القرية الفلسطينية التي استشهد عز الدين القسام بالقرب منها في تشرين الثاني ١٩٣٥ .

موتوا شهداء : صحبة القسام الشهيرة لرفاته المناضلين قبيل استشهاده .

الانعكاس المباشر وغير المباشر لفلسطين روائيا في السينما العربية

فايز غالي

ربما تكون قضية نضال الشعب الفلسطيني بل القضية الفلسطينية عموما مسن أخطر القضايا السياسية التي عاشتها الأمة العربية وتعيشها حتى اليوم بل تعلق فوق كل القضايا الأخرى التي عاشتها الأمة العربية (النضال من أجل الاستقلال - القضاء على الملكية والاقطاع) ففي هذه القضية تكمن مأساة الأمة العربية ليس فقط في معاناة الشعب الفلسطيني الذي تتألم من أجله هذه الأمة بل معاناة الأمة العربية كلها اليوم من مجرد ظهور كلمة (اسرائيل) على الخريطة السياسية في ١٥ مايو ١٩٤٨ وفي الأبعاد السياسية التي ترتبت على ظهورها في المنطقة والدليل على ذلك ان نضال الأمة العربية من أجل انهاء الاحتلال قد أتى إليها بالاستقلال وقضى على ملكيات ورجعية واقطاع ودفع ببعض الدول العربية الى التنمية والتقدم . الا ان بقاء قضية فلسطين خارج اطار الحل ومن ثم تثبيت اركان اسم (اسرائيل) على الخريطة جعل الاستقلال والتنمية والتقدم هذه تهتز وتفرغ هذا الاستقلال من معناه بشكل أو بآخر وجعل دولا أخرى تتوقف عند محاولة الخروج من التخلف بالتنمية والتقدم . أي أن وجود اسرائيل على أرض الشعب الفلسطيني المشرود قد غدا من حيث لا ندري أو حيث لم يدرب به المناضلون من أجل الاستقلال في الأمة العربية وفي غمرة حماسهم الوطني المحلي - تكرارا لنفس المأساة التي أفنوا أنفسهم من أجل الخروج منها بحيث وبعد تسعة عشرة عاما في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وجدوا أنفسهم في نفس موقع الخطر القديم بل وما هو اشنع ربما لأنه لم يكن في حساباتهم انه ببقاء اسرائيل فان الخطر يبقى كما هو أو لانهم لم يملكوا النظرة الشمولية والتكاتف والتساند والوحدة الحقيقية قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ والذي كان يعني الفهم الحقيقي لمعنى الوحدة بين النضال من أجل انهاء الاحتلال والحصول على الاستقلال كنضال وطني محلي وبين عدم ظهور اسرائيل كجزء من هذا النضال والذي كان لا بد ان يكون شاملا هذا الفهم الذي كان يعني بالضرورة ان النضال لا يتجزأ .

وإذا كانت هذه النظرة القاصرة المحدودة الرؤيا قد استمرت ردحا طويلا من الزمن على المستوى السياسي حتى تغيرت اليوم ليس في الدول العربية فحسب بل وفي كثير من بلدان العالم . . بعد أن أوضح الخامس من يونيو بنكسته الحقيقة كاملة عارية للجميع . فان ما انسحب على المستوى السياسي قد انسحب أيضا على السينما العربية كصناعة ومن بقيت هي الأخرى بمعزل حقيقي عن هذه القضية - ولحق فان السينما العربية قبل ظهور اسرائيل كانت بمعزل عن كل شيء وحتى على مستوى النضال المحلي قبل الاستقلال ثم بشكل محدود وتجاري ودعائي خاص بالمناسبات الوطنية أو عقب الحروب بعد الاستقلال - (وانا هنا أتحدث عن مصر على وجه

الخصوص باعتبارها السينما الوحيدة التي كان لها كيان وقدم راسخ كصناعة في المنطقة العربية والافريقية بعد ظهور هذا الفن بقليل حيث عايشت أحداث تلك المرحلة بكاملها بينما كانت دول عربية أخرى ما زالت تتعثر بها صناعة السينما أو غير موجودة على الإطلاق قد تكون السينما قد أصبح لها فيها شأن اليوم) - ومن هنا ظلت القضية مفقودة الرؤيا على الشاشة العربية حتى تفزت بكل ثقلها أخيرا كتعبير حقيقي عن الفهم والربط بين قضايا نضال الشعب العربي على المستوى المحلي في علاقته العضوية ككل لا يتجزأ ببقاء اسرائيل . بل خطت السينما العربية خطوة أبعد من مجرد الدعاية الفجة الى سينما متقدمة تفوز بجوائز . وكان فيلم المخدوعون - قصة الكاتب الفلسطيني الشهير (غسان كنفاني) . المنتج من سوريا والمخرج مصري وهو (توفيق صالح) - عن قضية فلسطين والحائز على جائزة لجنة تحكيم مهرجان قرطاج الاولى لخير مثل على هذه السينما المتقدمة . وتلك القيمة العضوية التي تضاعفت فيها جهود فلسطينيين وسوريين ومصريين في اظهارها . وهو ابلغ مثل للنظرة الشاملة المتضامنة التي حدثت عقب يونيو ١٩٦٧ والتي كانت يجب أن تكون منذ زمن طويل .

كذلك شتان بين الامس . (سعد الدين توفيق) ناقد سينمائي كتب كتابا كاملا عن تاريخ السينما في مصر وليس فيه ذكر لقضية فلسطين على الشاشة . واليوم ناقد سينمائي مثل (سمير فريد) لمع اسمه من خلال تمزق و نار النكسة ليسخر نفسه ومقالاته الناقدة من اجل نضال شعب فلسطين على الشاشة العربية والدعوة له . والفرق بين الاثنين لم يأت من مجرد وجود فهم ملموس من السينمائيين لقضية فلسطين اليوم بحيث ظهر المخرج السينمائي الذي يضع هذه القضية في عمل روائي سينمائي أو تسجيلي بحيث يأتي دور الناقد السينمائي بالحثية انما الفرق في المحل الاول انه قد ظهر الناقد الجاد ذو الرؤيا الشمولية التي جعلته يشعر بأن عليه دورا نحو هذه القضية حتى لو لم يوجد الفيلم الذي يتناوله بالنقد . هذا الدور الذي حدا بناقدا (كسمير فريد) ان يدعو دائما للقضية مؤكدا دور الناقد الملتزم سياسيا ومؤكدا النظرية التي تقول ان النقد الجيد والشريف يمكن ان يخلق الفن الجيد المتقدم . وربما تكون أيضا تلك هي الحقيقة التي واجهتها وأنا اكتب هذا البحث . ان حقيقة الرؤيا الشاملة التي ترى لها دورا ملتزما سواء من السينمائيين أو القائمين على نقدها . تلك الرؤيا التي كانت مفقودة على المستوى السياسي وعلى المستوى الفني قبل النكسة ثم انبلاجها بعدها . هذا الدور يعني عدم تجزئة النضال لان الخطر في النهاية واحد . والنضال يعني الاستقلال وهو بنفس الدرجة القضاء على اسرائيل التي هي أيضا معادل للاستقلال او هو الحد الأدنى لبداية مستقبل خارج دائرة التخلف والفقر لان الحرية هي الحرية الاقتصادية وأدمية الانسان . وهكذا فاننا يمكننا ان نقسم « فلسطين » من خلال السينما المصرية والعربية (١) الى عدة مراحل تتلخص في أربع فترات اولها قبل هزيمة الجيوش العربية حتى اعلان اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ ثم من اعلان اسرائيل حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم ١٩٥٢ حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ ثم مرحلة ما بعد نكسة ١٩٦٧ .

١ - قبل هزيمة الجيوش العربية و اعلان اسرائيل

في هذه الفترة وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ لم يكن لفلسطينيين اي ذكر على الشاشة العربية أو على الخصوص (السينما المصرية) وقد يبدو هذا القول غامضا بعض الشيء باعتبار ان القضية الفلسطينية لم تتفجر حقيقة الا بعد ظهور اسرائيل ثم تشرذ الشعب الفلسطيني . . . أو بمعنى أوضح انه بعد هزيمة الجيش المصري وعودته منتكسا

من الحرب عسكريا وسياسيا عام ١٩٤٨ وبعد أن اختلطت جماعات الفلسطينيين المشردة بشعوب الدول العربية المجاورة بتركها ديارها اكرهاها او سلبا واضطهادا نجد ان هذه الهزيمة قد ولدت من خلال الجندي والضابط المهزوم في الحرب والفرد الفلسطيني المشرد شعورا ساحقا بالمرارة ومن هنا تفجر المعنى الحقيقي لكلمة (اسرائيل) على المستوى الشعبي بحيث أصبح هذا الطرح الجديد نوعا من الوعي عن قرب والذي راح بشكل غير مباشر يضغط على وجدان تلك الشعوب فأدى في المرحلة الثانية في مصر الى ظهور أول فيلم عن فلسطين في أول نوفمبر عام ١٩٤٨ الا أنه حتى ظهور أول فيلم وبعد ستة أشهر ونصف من إعلان اسرائيل وهزيمة الجيوش العربية وتشرد الشعب الفلسطيني والذي كان بمثابة إعلان للوعي بالقضية لا يعفى السينما في مصر على الأقل من انها لم تتعرض من قريب أو من بعيد لهذه القضية الا في شخصية (الشامسي) الشهيرة التي كانت تظهر بكل فيلم مصري كنوع من التسلية والكوميديا والتي برع فيها الممثل الراحل (بشارة واكيم) . . وحتى وان كانت هناك أسباب موضوعية لا تتعلق كما قلت بقضية فلسطين وحدها بل بقضية النضال الوطني المصري نفسه في علاقته بالسينما الا اننا وحتى يصبح كل شيء في موقعه الحقيقي لا بد من تقديم تلك الاسباب كاملة وهذه الاسباب تتلخص في أسباب مباشرة وغير مباشرة متداخلة .

الاسباب المباشرة

● الاستعمار والملكية والاقطاع — كان لرضوخ الامة العربية تحت وطأة الاستعمار الانجليزي والفرنسي — وبخاصة في مصر التي كانت مناط تلك الفترة — اثرا بالغا في عدم مقدرة السينمائي المنتزم بل ظهوره أصلا . . ان يتناول قضايا الوطنية الملحة حتى على المستوى الاقليمي . ففي مصر مثلا كان اولى بالسينما ان تعالج نضال الشعب المصري من أجل التحرر من نير الاحتلال وكشف الفساد الطبقي وتحالف الملكية والاقطاع ضد الشعب المصري ومع ذلك باءت حتى المحاولات الاولى منها بالفشل . ففيلم العزيمة مثلا اخراج كمال سليم رائد الواقعية في مصر ، رغم أنه اعظم افلام تلك الفترة منذ عرفت مصر السينما من حيث واقعيته وصدقته نجد انه فشل على المستوى السياسي حيث حل التناقض الطبقي بشكل ملائكي بعودة البطل الى العمل في حظيرة الباشا رغم زواجه من فتاة فقيرة مثله . ورغم هذا الحل المهادن للسلطة الرجعية الاقطاعية الملكية فإن واقعيته من طرف آخر تسببت في عدم تكراره لان السينما كان لا بد لها ان تمضي في واد اخر في مصر هذا الوادي كان مرتبطا بالضرورة بفكر القصر والبورجوازية والاحتلال والتي كانت مهتمة بالسينما باعتبارها ترف فاذا ما كان هذا على المستوى الداخلي في مصر فان قضية الشعب الفلسطيني في علاقات صراعه على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي والتي كان يمكن من خلالها تقديم درامات هائلة والتي كانت تتكاثر داخل الارض المحتلة يوما وراء يوم من حيث جسامته وبشاعة ما يجري فيها من قمع وارهاب وتنكيل وسلب ونهب وطرد واستيلاء على أرض وبيوت هذا الشعب تصبح بالنظرة الضيقة موضوعا محليا جدا قياسا الى نضال الشعب المصري غير المطروح أصلا على الشاشة المصرية بالنظرة الاعم والاشمل المستمدة اصلا من هذه النظرة الضيقة .

● ان السينما السياسية وبصفة عامة السينما كوسيلة فنية لها مقدرة هائلة على التأثير السياسي والفني لم تكن قد تبلورت بعد الا على المستوى الفني بدرجة محدودة وكانت السينما الهوليودية هي النموذج السائد وهو المعتمد على الابهار والمطاردات والمغامرات والتخصص العاطفية التافهة ومن هنا كان مستحيلا على سينما

مصرية محدودة الامكانيات رغم انها كصناعة كانت الثانية في مصر بعد القطن من حيث الربح والامكانيات والنقل . . . امام سينما كهوليود الا ان تمضي في فلها .

الاسباب غير المباشرة

● خضوع السينما المصرية بالكامل لسيطرة التجار وبخاصة فترة ما بعد الحرب (٢) العالمية الثانية حيث زاد الانتاج السينمائي ، ودخل الانتاج عدد كبير من الذين اثروا ثراء سريعا بسبب الحرب ولم يكن معظمهم يهتم بالفن قليلا او كثيرا انما هدفهم الاول والاخير هو التجارة .

● عدم وجود سينما عربية مقارنة بل كلها كانت سينما بدائية متعثرة تصب كلها في السينما المصرية .

● عدم وجود اي شكل من اشكال السينما في فلسطين (وهو عامل من اخطر العوامل) رغم كل الظروف الموضوعية التي يمكن ان تكون وراء ذلك . . .

ومن هنا ورغم الاسباب الموضوعية والتي تجعل السينما مشتركة اشتراكا عضويا مع مناخ تلك المرحلة لكنها بنفس الوقت ومن خلال الحقائق الثابتة التي عرفها العالم كله فيما بعد عن فلسطين عن الصراع الانساني المرير والذي كان يمكن له ان يقدم درامات سينمائية رفيعة المستوى عن مأساة هذا الشعب مع اليهود الذين راحوا يتكاثرون على أرضه في صمت لم تكن هذه السينما لتظهر حتى لو كانت السينما المصرية تعالج بالفعل قضايا النضال الوطني في حرية في مصر لان السينما المصرية بعد الثورة المصرية طوال تسعة عشر عاما لم تفعلها حتى نكسة ١٩٦٧ بل حتى اليوم وتلك مأساة اخرى سنوضحها فيما بعد حينما نرى فلسطين قد طرحت في السينما السورية الوليدة وليس في السينما المصرية المخضمة العتيدة .

٢ - مرحلة ما بعد ١٥ مايو ١٩٤٨

كان لاعلان اسرائيل وهزيمة الجيوش العربية في حربهم الاولى وعودة الجيش المصري مهزوما الاثر الذي اسلفناه مؤذنا بانبلاج الحقيقة حيث استغلت السيدة « عزيزة أمير » وهي من رائدات الفن السينمائي في مصر الموقف الملتهب بعد عودة الجيش مهزوما فقامت بانتاج اول فيلم عن فلسطين عرض في اول نوفمبر عام ١٩٤٨ ، وهو « فتاة من فلسطين » وهو عن فكرة كتبها المنتجة وكتب لها الحوار يوسف جوهر وقام بالتمثيل فيه سعاد محمد ، محمود ذو الفقار ، حسن فائق ، زينب صدقي ، صلاح نظمي وقام بتصويره وحيد فريد وأخرجه محمود ذو الفقار .

ويحكي الفيلم (١٢٠ ملم) قصة فتاة (سعاد محمد) هاجرت من فلسطين بعد انشاء اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ واقامت عند أسرة مصرية في القاهرة ويقع ابن هذه الأسرة (محمود ذو الفقار) في حب الفتاة الفلسطينية ويهمل خطيبته وتتهم خطيبة الشاب الفتاة الفلسطينية بسرقة حبيبها فتحزن وتهرب من المنزل وفي النهاية يتمكن الشاب من العثور عليها والزواج منها . وهكذا خرج اول فيلم عن فلسطين يحوي عدة ملاحظات أساسية بعضها يتعلق بالجوانب الفنية والاخرى بالجانب النفسي لتلك المرحلة . بالنسبة للجوانب الفنية فقد جاء موضوع الفيلم والذي اختارته المنتجة موضوعا ميلودراميا وهو الموضوع الذي كانت تدور حوله مجموعة كبيرة من أفلام ما بعد الحرب العالمية الثانية وهو موضوع المراتين اللتين تتنافسان على حب رجل ، ولكن في هذه المرة جاءت احدى المراتين فلسطينية فظهر الفيلم وكأنه تأكيد للمناسبة بل يمكن اعتباره اول أفلام المناسبات الهامة والتي ظلت السينما المصرية تعمل بها حتى اليوم مع كل

مناسبة أو كارثة أو حرب الخ وآخرها فيلم (الرصاص لا تزال في جيبي) حيث ينتج فيلم أو فيلمين عنها اثباتا للوجود . ومثل الغالبية الساحقة من أفلام ما بعد الحرب تضمن الفيلم ثمانية أغانٍ للمطربة سعاد محمد مجموعة منها للاغاني السعيدة وأخرى للاغاني غير السعيدة الا ان الفيلم رغم سذاجته وبعده عن أي احساس حقيقي بما جرى وحتى أبسط الاشياء بالفهم ، مثلا لماذا هاجرت الفتاة أو موقفها من الهجرة ومن وطنها وهي في المهجر وتسليمه بهجرة كحقيقة عادية . . . الا انه عكس جانباً نفسياً غير مباشر إضافة الى ما يقول (سمير فريد) وهو يتعلق بتزويج الفتاة الفلسطينية المهاجرة من بطل الفيلم وهو وان أخذناه على هذا الاساس فإنه يعني النظرة العاطفية الساذجة لسيكولوجية السينمائيين المصريين بشكل غير مباشر في ذلك الوقت امام المؤسسة من حيث تقديم كل القضية بزواج مصر من الفلسطينيين واحتضانهم لقضية ثبت مع التاريخ انها كانت احدى المشاكل التي هددت عالمنا الانساني بالدمار وما زالت تهدده ولكن ما الحيلة امام السذاجة والتجارة والملكية والاستعمار . وتمتلك الفترة بكاملها حتى عام ١٩٥٢ الا من هذا الفيلم اليتيم ويبقى رمزا لتلك المرحلة مرحلة العاطفة الساذجة غير الواعية لشيء .

٣ - مرحلة عام ١٩٥٢ - ١٩٦٧

وهكذا يأتي عام ١٩٥٢ وتتفجر الثورة المصرية في الثالث والعشرين من يوليو . . . ويتطور الصراع الوطني المحلي بانتهاء الملكية ثم الجلاء الكامل عن مصر وتحدث أكبر خلخلة سياسية في المنطقة العربية . وتلوح في الافق الاعمال السينمائية الوطنية لكنها تخرج أيضا ساذجة محتفظة بنغمة الدعاية للثورة من القضاء على الملكية والاقطاع ومساوئ الاحتلال وابرار التناقض الطبقي الذي كان يسود مصر والذي أنتت الثورة وأنهته . وكان أبرز هذه الاعمال (مسمار جحا) اخراج ابراهيم عماره ، (صراع في الوادي) اخراج يوسف شاهين ، (حكم قراقوش) اخراج فطين عبد الوهاب ، (الله معنا) اخراج احمد بدرخان . وتظل أيضا هذه الفترة من ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ الى ١٨ يناير عام ١٩٥٧ خلوا من أي اهتمام بالقضية الفلسطينية في السينما المصرية بل تبدأ عملية انبلاج فصل القضية الوطنية من خلال السينما المصرية عن قضية فلسطين او على الأقل اعتبارها بشكل غير مباشر واردة في فكر السينمائيين المصريين كجزء من النضال وهو أخطر ما وجه لهذه القضية في مهد الثورة والتي كان يمكن للسينما المصرية معالجتها على انها جزء من حركة التحرر من الاستعمار أي أن تكون القاهرة بوقفا من خلال السينما لهذه القضية ولعل الاسباب التي حالت دون ذلك تكمن في نقطتين . اولهما عامة وهي تتعلق بالثورة ذاتها والتي لم يكن لها منهج فكري وسياسي واضح ازاء السينما كوسيلة اتصال بالجمهور ومن هنا يندرج تحت هذه النقطة عدم توظيف السينما ككل بشكل مخطط لصالح قضايا النضال الوطني الشاملة . أما النقطة الثانية فهي تتعلق باعتبارات الفهم للطرف الثاني الذي كان يتحرك بحرية والذي يعمل بلا أي هدف سوى الربح وهو السينمائيون المصريون بصرف النظر عن السياسة الرسمية للدولة والذين ظلوا حتى اليوم خارج فهم الثورة كجزء من فهمها الشامل لدور السينما ، بحيث بقي كثير من هؤلاء السينمائيين مرتبط بالملكية والاقطاع والنظرة الطبقيية الى الواقع وبقايا ورواسب افكارهم التجارية من أجل الربح تحركهم في كل شيء . بينما كان العدد القليل الذي اهتم بتقديم النضال الوطني المصري على الشاشة ظلت اعتبارات الفهم لهؤلاء القلة خالية من أي فكر محدد وواضح بحيث بدت الافلام الوطنية التي خرجت في هذه الفترة وحتى اليوم تقريبا مجرد دعاية على حسب المناسبة التي يطلب فيها العمل السينمائي أو تقتضيه الظروف الملحة .

وهكذا جاءت مثلا حرب عام ١٩٥٦ لتنتهي بخروج عدد من الافلام لظروف المناسبة وهي (سجين ابي زعبل) اخراج نيازي مصطفى ، (بورسعيد) اخراج عز الدين ذو الفقار ، (عمالقة البحار) اخراج سيد بدير . وفي ١٨ يناير عام ١٩٥٧ ولنفس المناسبة خرج الفيلم المصري الثاني والثاني بالنسبة للقضية العربية عن قضية فلسطين وهو (٤) (أرض السلام) الذي أنتجته شركة الفيلم العربي وأخرجه كمال الشيخ عن سيناريو لعلي الزرقاني ، وصوره محمود نصر ، وقام بالتمثيل فيه (فانت حمامه — عمر الشريف — عبد السلام النابلسي — فايدة كامل — عبد الوارث عسر — توفيق الدقن) .

في أرض السلام (٨٠ مم) يشترك أحمد [عمر الشريف] في فرقة فداوية وأثناء إحدى العمليات داخل الأرض المحتلة يتعرف على سلمى [فانت حمامه] التي تساعد في تنفيذ العملية وبعد صعوبات عديدة تنجح العملية وفي النهاية يتزوج احمد سلمى بعد العودة الى مصر وتكرر نفس المأساة ولكن هذه المرة بعد قيام الثورة المصرية بخمس سنوات ونصف ، فبدلا من ميلودراما الحب والزواج يتغير الحال الى ميلودراما المغامرة والشجاعة التي تنتهي أيضا بالحب والزواج دون تحليل لطبيعة العمل الفدائي أسبابه وأغراضه خاليا من أي محاولة لتحليل أبعاد الصراع . وكما كان (فتاة من فلسطين) قبل الثورة استغلالا للموقف المتهب عام ١٩٤٨ كان (أرض السلام) استغلالا للموقف المتهب بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ وقد عرض الفيلم بعد ثمانية أسابيع من خروج القوات المعتدية من بورسعيد في ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٦ (كما الفيلم استغلالا لقصة الحب الحقيقية التي تتحدث عنها البورجوازية المصرية في مصر والعالم العربي كله بين فانت حمامه نجمة عصرها الاولى وبين عمر الشريف الوجه الجديد الذي كان جديدا حقا على السينما المصرية) . لكن هذا الفيلم رغم كل ما يمكن أن يوجه اليه الا أنه من الناحية التاريخية قد أكد الحقيقة التي تقول أن الانفصال بين قضية النضال الوطني في السينما المصرية وبين قضية فلسطين شيء لا يمكن تجزئته ورغم أنه ادراك غير واع وغير متقدم وبسطحي الا أنه على أية حال لوح بأن هناك قضية فلسطينية سبجينة تحت السطح وان هناك اعمالا فداوية تتم داخل الأرض المحتلة بل ان هناك أرضا محتلة (٥) من قبل اسرائيليين حتى ولو كانت هذه الاعمال تتم بواسطة مصريين . كذلك فانه أكد جانبا نفسيا هاما ومضحكا وهو أن الفلسطينية دائما ما يتزوجها المصري في النهاية كحل لتخليص القضية الفلسطينية أو كخلاص لضمر أولئك البورجوازيين السينمائيين التجار الذين يهيمنون على السينما في مصر من مأساة فلسطين وهو جزء من تخليص الضمير العام في مصر تجاه أي مشكلة عاطفية أو غير عاطفية وطنية أو غير وطنية اقتصادية أو غير اقتصادية وذلك بتزويج البطل بالبطل وحل المشكلة .

وتمر السنوات ويسدل الستار على القضية الفلسطينية حتى عام ١٩٦٦ التي أنتج فيه فيلم تافه وهو بمثابة الفيلم الثالث باسم (جريمة في الحي الهاديء) (٩٠ مم) ولو أنه عرض في سبتمبر عام ١٩٦٧ أي بعد النكسة الا أنه كحقيقة تاريخية لا يمت لما بعد النكسة بصلة ليس لان النكسة غيرت من أفلام (حسام الدين مصطفى) هذا المخرج التاجر ولكنه ينتمي الى واقع تاريخي لا يمكن اغفاله . على ان اهم ما في هذا الفيلم انه من انتاج (المؤسسة المصرية العامة للسينما) أي انه من انتاج القطاع العام بعد أن سيطرت الدولة على الانتاج . والفيلم عن سيناريو من تأليف حسن رمزي ، والسيد زياده ، وصوره وديد سري ، وقام بالتمثيل فيه (ناديه لطفي ، رشدي أباطه ، زوزو نبيل) . وكان يمكن أن يكون هذا الفيلم أحد الافلام السياسية الهامة في خلال هذه الفترة وما سبقتها كلها إذ كان يدور حول حادثة اللورد (موين) عام ١٩٤٤ في القاهرة الذي اغتالته العصابات الصهيونية ، الا أنه جاء تأكيدا جديدا للمأساة التي ظلت تتبلور

حتى وصلت - بعد تجزئة النضال المصري من أجل التحرر والاستقلال والملكية والاقطاع وفصله عن قضية فلسطين وجعلها دائما غير واردة على الشاشة الا في المناسبات (١) - وصل الى حد استغلال الحقائق التاريخية التي تتعلق بالصهيونية كنوع من الحكايات البوليسية مستغلا الاشارة الرخيصة في عملية الاغتيال ومستغلا نجاح أفلام (جيمس بوند) التي كانت تنتجها وكالة المخابرات المركزية الامريكية . بل وصل الى حد استخدام المخرج موسيقى الفيلم الاول لبطل المخابرات الامبريالي الذائع الصيت .

وجعل الفيلم من اللورد (موين) من حيث لا يدري بطلا وطنيا وشهيدا من شهداء النضال المصري ضد الصهيونية رغم أنه كان من الواجب ابراز الخفايا السياسية التي تربط مقتل عدو لمصر بقاتله والذي في الوقت نفسه عدو آخر لمصر . . . حتى وان كان قد قال لحكومته (أنت غلطانه علشان تشجعي الصهيونية وتقفي ضد العرب) كما جاء في الفيلم . لكن الفيلم أوضح ما هو أبشع من مجرد استغلال الحادثة من الناحية البوليسية وهو أنه بعد أن آلت السينما المصرية الى الدولة في ذلك الوقت لم يتغير شيء بل زاد الامر سوءا حيث أصبحت الدولة أو الثورة في مصر تشارك القطاع الخاص بشكل سافر في تلك النظرة القاصرة العاجزة المقصودة أو غير المقصودة التي تسيء الى القضية الفلسطينية وقضايا النضال الوطني في مصر والعالم العربي عموما .

٤ - ١٩٦٧ النكسة وبدء الوعي

قد يبدو للناظر لاول وهلة بعد نكسة يونيو السوداء عام ١٩٦٧ ان الوعي بقضية فلسطين قد اتى الى السينما العربية والمصرية من خلال تدرج سياسي بمعنى أن السلطة في مصر مثلا قد وعت الحقيقة فأصدرت فرمانا بالوعي السينمائي لدى بعض السينمائيين بالعلاقة الديالكتيكية التي تربط قضية فلسطين بقضية النضال الوطني المصري والا لكان الجميع قد تغيروا لكن الذي حدث غير ذلك بكثير فقد كانت نكسة ١٩٦٧ في ضمير الشعب المصري وشعوب الامة العربية بمثابة خنجر فجر الدم في الصدور ومزق استارا كثيفة وحجبا سوداء ووضع كل شيء في موضعه الصحيح في قلوب الشباب المصري السينمائي الذي كان قد خرج للتو من المعاهد الفنية ومنها السينما التي أنشأتها الدولة والذي كان يجد نفسه ضائعا بين قطاع خاص فاسد وقطاع عام دخله من هم أكثر فسادا من القطاع الخاص فخربوه وكان يحارب بين جبهتين من أجل أن يخرج الى النور ملتزما جادا . وتكشفت أمام هذا الشباب الطلسم الذي ظل مختفيا تحت السطح بفعل التجار الذين استثمروا في الوسط السينمائي - هذا الطلسم الذي اختفى في ظل التناقضات الوطنية والذي لم يجعل للسينما المصرية طبيعة محددة تتسق مع الالتزام الوطني اذا ما جاز لنا مثل هذا القول والذي ، لو حدث ، لكننا اليوم ننقب عما كان يجري أو نقبنا منذ زمن طويل عما كان يجري في داخل فلسطين قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ بل ولنقبت مصر نفسها عن سبب النكسة قبل حدوثها لان هزيمة الشعب المصري كانت هزيمة لتناقضاته التي عاشت داخل كيان الثورة نفسه وترعرعت بل ما كانت النكسة قد حدثت أصلا وهذا ليس بقليل على مقدرة السينما التي صنعت مثلا مستقبل الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي والتي تستعملها الولايات المتحدة اليوم كأخطر سلاح موجه لفكر الشعوب بالقاء السم في الدسم اليها وقلب نظم الحكم الوطنية فيها وتخريب العقول فيها بثوة وذكاء . لكن الاماني شيء والواقع شيء آخر .

على انه كانت أول علامات هذا الوعي هو ظهور أول تجمع سينمائي شاب مع أحزان النكسة في عام ١٩٦٨ وهو « جماعة السينما الجديدة » كذلك جمع هذا التجمع بين

دفتيه عناصر كانت نائرة على واقع السينما المصرية من قبل وهم الذين كانوا قد اهتموا بالجمعيات السينمائية من خلال تقديمهم الافلام السينمائية المتقدمة بها وذلك منذ أوائل الستينات . ثم عناصر من معهد السينما ومنهم من أتى من الخارج كالمخرج الفلسطيني الشاب (غالب شعيت) الذي درس السينما في النمسا وجاء ليشترك في اقامة هذا التجمع ويخرج فيلما يتضمن القضية الفلسطينية بشكل متقدم وعقلاني . وهذا الفيلم لم يعرض حتى اليوم وهو ما سنتحدث عن اسبابه فيما بعد .

كذلك بدء سينما قومية في سوريا من مؤسسة السينما السورية التي عرفت دورها القومي والوطني عقب النكسة رغم انها قامت منذ عام ١٩٦٣ ، وذلك من خلال مجموعة المخرجين العائدين من دراستهم السينمائية في شرق وغرب أوروبا ، مما جعل هذه السينما تنفخ الى الصدارة في تعرضها للقضية الفلسطينية .

خلقت النكسة اذن عدة نتائج جوهرية في معرض تحليلنا هذا للحتمية التاريخية والتي صنعت هذا الوعي وهي :

أولاً : الرؤيا الشاملة للأبعاد العضوية ما بين حقيقة النضال من أجل تحرير فلسطين والتعرض لها سينمائيا وبين استقلال الشعوب العربية وطرح قضايا نضالها الوطني في السينما ، بعد أن ظهرت أبعاد الخطر الحقيقي والذي أكل جزءا جديدا من الاراضي العربية .

ثانياً : ظهور مجموعة من النقاد السينمائيين العرب الذين يدعون الى القضية الفلسطينية حتى دون أن تكون هناك الاعمال المصاحبة لدعوتهم ، بل أصبحوا يدعون الى ظهور مثل هذه الاعمال .

ثالثاً : ظهر المخرج الذي يعرف كلمة (الديالكتيك) ويفهمها فهما عميقا على المستوى الفني وعلى المستوى السياسي أي فهمه للعلاقة الديالكتيكية بين تمزق وطنه من الداخل من خلال تناقضاته وبين تمزق كيان شعب مشرد مرتبط به بالحتمية ، هذا التمزق الذي يصب أيضا في الآخر بقوة ، وان هذا لا بد أن يخرج الى الشائشة واضحا جليا سواء من خلال علاقة جدلية كفيلم « الظلال في الجانب الآخر » لغالب شعيت ، او مستقلة كفيلم « المخدوعون » لتوفيق صالح .

رابعا : ان هذه الرؤيا الشاملة انبجحت بشكل فردي في دولة وبشكل رسمي في دولة أخرى . فبينما كان القطاع العام في مصر قد وصل الى قمة فساده على أيدي تجار القطاع الخاص واللصوص الذين دخلوه كان الشبان يتجمعون بشكل فردي في شكل جمعيات للثقيف السينمائي أو ثقيف سينمائي وانتاج كجمعية الفيلم ، وجماعة السينما الجديدة . كان نضوج مؤسسة السينما السورية كمؤسسة حكومية رسمية هو الذي ساند وضوح الرؤيا في السينما السورية وذلك من خلال القطاع العام .

وان كان الشكلين قد صنعوا اخيرا وهو ما سنتحدث في اسبابه فيما بعد لكن الذي يهمننا من خلال هذا البحث اولا هو تلك الرؤيا الشاملة العميقة التي قدمت أول طرح حقيقي للسينما الفلسطينية على الشائشة العربية . وهكذا نجد أنفسنا فجأة امام السينما السورية .

فلسطين على الشائشة السورية

أحيانا يتساوى الشكل الفردي مع الشكل الجمعي الرسمي الذي تسانده الدولة في اخلاصه لقضية ما . فرغم ان « جماعة السينما الجديدة » وهي مجموعة صغيرة من الشبان جمعتهم أحزان النكسة وأحلام واحدة من أجل ايجاد سينما متقدمة — وكذا

مؤسسة السينما السورية (٧) تبنت نفس الاهداف تقريبا وتحرك الفريقان في اتجاه واحد في أعقاب النكسة . بل ان أعمالهم تكاد تكون ظهرت في أوقات متقاربة جدا ، حيث قدمت « جماعة السينما الجديدة » أول فيلم لها عام ١٩٧٢ وهو « أغنية على المر » اخراج علي عبد الخالق . وخلصت نسخة العمل لفيلم « الظلال في الجانب الآخر » في نوفمبر عام ١٩٧١ وهو من اخراج غالب شعث وان كان لم يعرض رسميا حتى الآن . وقدمت مؤسسة السينما السورية أول أعمالها الروائية الطويلة عن القضية الفلسطينية عام ١٩٧٠ وهو « رجال تحت الشمس » اخراج نبيل المالح ومروان مؤذن ومحمد شاهين ، ثم « السكين » اخراج خالد حمادة عام ١٩٧١ ثم « الخدوعون » اخراج توفيق صالح عام ١٩٧٢ .

الا ان الذي يفرق جماعة السينما الجديدة عن مؤسسة السينما السورية بحيث يجعلنا نقدم التجربة السورية على التجربة المصرية اولا يتمثل في عدة حقائق :

أولا : حقيقة مرتبطة ببحثنا هذا عن القضية الفلسطينية . فمؤسسة السينما السورية منذ انشائها لم يكن لها انتاج روائي ذو بال وعند أول محاولة جادة لصيغة عامة في المؤسسة نجدها قد تمثلت في طرح قضية فلسطين وليس في شيء سواها . أي ان قيمة الانتاج السينمائي السوري بقيمة عرض القضية الفلسطينية من خلال أفلامها باعتبارها أساس النضال وأي سينما تقدم للمتلقي . وهذا يعتبر في نظري شيئا أكبر من مجرد الادراك الواعي الشامل لعلاقة القضية الفلسطينية بالقضية العربية الى ادراك عالمي لنضال الانسان ضد الاستعمار وقوى الشر في العالم اجمع وفي العالم الثالث .

ثانيا : ان الشكل الانتاجي الذي اخرج فلسطين على الشاشة السورية بشكل جاد ومتقدم هو الدولة . فمع كل التقدير الذي يمكن أن يصاحب جهود الشباب في « جماعة السينما الجديدة » ومحاولتهم الرائعة والمخلصة الا ان الذي أكثر روعة هو الدولة لانه يصبح أكثر قيمة بالنسبة للقضية الفلسطينية ان يتطابق فكر الدولة وفكر مؤسساتها . وهذا فرق كبير بينه وبين جماعة من الشباب استطاعوا أن يضغطوا على الدولة بشكل ما ، كي تتبنى تحت الضغط نظاما انتاجيا (وهو نظام المشاركة أي أن تشترك الدولة مع الجماعة كمجموعة من الافراد بنسبة في الانتاج) بحيث أصبح الانتاج خارجا بدرجة ما من فم الدولة حيث بدأ ما تم نوعا من الأرقام وهو ما تثبته سجلات جماعة السينما الجديدة مع المسؤولين عن مؤسسة السينما في مصر وان كانت المحاولتان قد ضربتا فيما بعد بخنق جماعة السينما الجديدة ، وتغيير هيكل مؤسسة السينما السورية اداريا .

ثالثا : ان خروج فلسطين على الشاشة السورية كان خروجا متكاملا ومحددا وواضحا ومباشرا (والمباشرة هنا هي مباشرة القضية من خلال قواعد الفن) وهذا تابع من العوامل السابقة بينما خرجت اعمال جماعة السينما الجديدة ممثلة في (أغنية على المر) اخراج علي عبد الخالق ، في مس القضية الفلسطينية بشكل غير مباشر جدا ، في حدود اطار النضال العام ، أي نضال الجندي المصري اثناء انسحابه اثناء النكسة عام ١٩٦٧ . بينما مس فيلم (غالب شعث) « الظلال في الجانب الآخر » القضية بشكل غير مباشر ، أي من خلال شخصية فلسطينية (عمر) داخل اطار عام لبناء درامي لمجموعة من الشباب المصري ممزق نفسيا عقب النكسة .

رابعا : ان الفيلم الثاني للجماعة وهو (الظلال في الجانب الآخر) رغم ان نسخة العمل انتهت في نوفمبر ١٩٧١ الا ان هذا الفيلم لم يعرض تجاريا حتى هذه اللحظة رغم

عدم مباشرته للقضية الفلسطينية(٩)، وان كان قد تم عرضه في جمعيات سينمائية ومراكز ثقافية بشكل غير رسمي .

الأفلام السورية عن فلسطين

أنتجت سوريا عن فلسطين في الفترة من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٢ أي في أربع سنوات خمسة أفلام وهي (ثلاث عمليات داخل فلسطين) قطاع خاص - أخرج مروان صالح الكيالي عام ١٩٦٩ ، (رجال تحت الشمس) قطاع عام أخرج نبيل المالح - مروان مؤذن ، محمد شاهين عام ١٩٧٠ ، (عملية الساعة السادسة) قطاع خاص - أخرج سيف الدين شوكت عام ١٩٧٠ أيضا ، (السكن) قطاع عام - أخرج خالد حمادة عام ١٩٧١ ، (المخدوعون) قطاع عام - أخرج توفيق صالح عام ١٩٧٢ . أي أن مؤسسة السينما السورية والقطاع الخاص قاموا في خلال أربع سنوات . بانتاج افلام عن القضية الفلسطينية . رغم عمر السينما القصير فيها بما يساوي عدد الافلام التي أنتجتها مصر عن القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم أي ما أنتجته مصر في ربع قرن .

على انني سوف اتناول فيلمين فقط من التجربة السورية لانهما حققا الامال التي كانت مطلوبة في عرض القضية الفلسطينية والفيلمين من انتاج مؤسسة السينما السورية .

رجال تحت الشمس : (اخرج نبيل المالح - مروان مؤذن - محمد شاهين . انتاج المؤسسة العامة للسينما بسوريا عام ١٩٧٠ تصوير حسن عز الدين ، جورج خوري ، قيس الزبيدي ، مونتاج قيس الزبيدي ومروان عكاوي . وقام بالتمثيل رجبينه البريشت - عاطفة الخالدي - نبيلة نابلسي - يوسف جنا - خالد ناجا - سليم موسى - جورج كنعان) .

يتناول الفيلم ثلاث قصص او بالاحرى ثلاثة افلام قصيرة روائية داخل فيلم واحد يربطها ببعضها خيط درامي رفيع مستغل من الطبيعة وهو (الشمس) التي تتحرك من خلالها الشخصوخ في الثلاثة افلام والتي يمثل كل فيلم منها موقفا مستقلا له بداية ونهاية هذه الشمس التي يتحرك تحتها هؤلاء الشخصوخ تلفحهم حرارتها ونورها بكل ما يمثله هذا المعنى من ابعاد انسانية . . اي ان هذه القيمة الدرامية . . التي تمثلها الشمس بمثابة اللحن الناعم الذي في الخلفية والذي يترك مهداة على العمل كله بزمانه ومكانه وابطاله ومواقفه الثلاثة المستقلة . . .

والثلاث قصص هي المخاض ، اللقاء ، الميلاد ، ومن اول لحظة يقابلنا المعنى الفكري الديالكتيكي الذي يمثله الثلاثة أسماء اي أن الفيلم من خلال الثلاث قصص انما يقدم قضية فلسطين منذ لحظة مخاضها حتى ميلادها . . . حتى وان كانت الثلاث قصص مختلفة كل منها موقف درامي مستقل يمكن ان يحمل كل منهم في داخله المعنى العام . . وهو المخاض واللقاء والميلاد . . والثلاث قصص شخصوها مطاردون من قبل الاسرائيليين داخل الأرض المحتلة . . اي يتناول فلسطين وفلسطين وحدها من خلال سوريا . . الاولى لرجل يهرب مع زوجته مع اهل قريته بعد مدهامة الاسرائيليين لها والموقف يتطور من خلال المخاض السعيد الذي كان يعيش فيه الرجل وزوجته من خلال التدايمات بالصورة وبين الحاضر ببشاعته وهو يفر امام كلاب البوليس الاسرائيلية التي تتعقب اثرهم والام المخاض التي تعانيتها الزوجة اثناء ذلك حتى تضع وليدها لتلتفهم في النهاية دوريات المقاومة الفلسطينية . . والثانية موقف فتاة نرويجية جاءت

الى الارض المحتلة لتزور والدها الذي يعمل داخل اسرائيل ، وبدلا من مقابلته تلتقي بفدائي فلسطيني بعد عملية فدائية قتل فيها الفدائي الفلسطيني سائق السيارة التي تستقلها لتواجه النرويجية بواقع جديد من خلال العلاقة الوجيهة تقوم بينها وبين الفدائي والتي لا يكف فيها الاسرائيليون عن مطاردة الفدائي والفتاة معه حيث تعرف الفتاة فيها البعض عن حياة الفدائي وعن القضية من خلال الصورة ايضا بدلا من الحوار ليتركها الفدائي في النهاية في نفس لحظة احاطة القوات الاسرائيلية بالقرية التي كانوا يختبئون فيها داخل كنيسة حيث يخرج الاسرائيليون اهالي القرية منها ليفجروها بكاملها وحيث تقف الفتاة مروعة بما جرى . **والثالثة** لفدائي فلسطيني كان يعمل مدرسا قبل انضمامه للمقاومة الفلسطينية ومن خلال تداعيات مستمرة بالصورة لماضيه من خلال ذكرياته مع مدرسته واطفالها وزوجته وبين الحاضر بما فيه من شراسة المعارك التي يخوضها الفدائي ينتهي الموقف باصابته في احدى العمليات ... ثم قتله لاحد الجنود الاسرائيليين بالقاء قنبلة عليه حيث يطلق النار في النهاية محبوما .

وربما يكون اول ما يميز (رجال تحت الشمس) هو انه اختار ان ينسج نفسه عن الفلسطينيين وحدهم .. انه فيلم سوري مئة بالمئة وهذا هو الفهم الشامل لحقيقة ابعاد الصراع الوطني . فالفلسطيني بقضيته هو سيد الفيلم كله لا تفتيق ولا مزايده ولا اقحام لعناصر لا قيمة لها بالموضوع كأن تقحم سوريا في الحدث لاي سبب لمجرد انها الدولة المنتجة . كما جرت العادة في السينما المصرية مثلا ... كذلك فان الثلاثة مواقف التي ينسج عليها الفيلم درامته مواقف بسيطة من واقع حياة المواطن الفلسطيني دون فلسفة او تعقيد او دعاية او ادعاء ما هو غير مهلوك ... كذلك تلك العقلانية الشديدة في طرح القضية من خلال الصورة المرئية . بعيدا عن الميلودراميا والمأساويات وكذا الدعاية وتصوير البطولة . فالفيلم بكل شخصوه ليس فيه بطل الا القضية الفلسطينية والتي استطاع مخرجوها ان يعبروا عنها بشكل راق تنفذ الى العقل ثم الوجدان بمنتهى النعمومة التي تصدم في النهاية بحقيقة مروعة ، تماما كالنرويجية (آن) التي تقف مروعة بما ترى وهي تسمع صوت الانفجارات تنسف القرية والتي تبدو على ملامح وجهها فقط من خلال وجه جامد في كادر ثابت هو نهاية القصة الثانية . ولعل أقوى ما في (رجال تحت الشمس) ليس طرح القضية الفلسطينية بهذه الصورة من التركيز والقوة والعقلانية .. انما في شيء أشمل وهو تحرر الفيلم الروائي العربي من ديماجوجية الحوار والحدوتة والخطابية التي تميز مثل هذا النوع من الافلام الى الصورة السينمائية البليغة القادرة على تحريك الشخص مع اتصال المعنى العام من خلال هذه الصورة ولكن بشكل حاد ومؤثر يصل الى مستوى الصدمة .. على أن هذه العقلانية الراقية ترقى الى مستوى المثقف العربي ورجل الشارع في العالم المتقدم وذلك شيء افتقدناه زما طويلا وهو القدرة على مخاطبة الفكر المتقدم في صميم أسلوب تفكيره وقياسه للاشياء والاحداث والقضايا التي يعيش بعيدا عنها أو بمعزل عنها ..

على اننا يمكننا ان نخلص الى شيئين استطاع (رجال تحت الشمس) ان يدشنهما: **اولا** : فلسطين كاملة على الشائسة بالنسبة للسينما العربية . **ثانيا** : المستوى الراقى والمتقدم لاسلوب طرح القضية على المستوى الخاص والمستوى العام اي المحلي والدولي .. والذي نال بسببه الجائزة الاولى شركة مع فيلم يوسف شاهين (الاختيار) — في مهرجان قرطاج عام ١٩٧٠ . **ثالثا** : انه لم يكن يتسنى ذلك الا من خلال نار النكسة التي فتحت من بشاعة الحقيقة بابا لتنفيذ الفهم الكامل والرائع لابعاد الصراع الشامل والنظرة السينمائية المطلوبة ازاء كلمة (اسرائيل) . **رابعا** : العناصر

السينمائية الشبابية التي أخرجت هذا الفيلم والعائدة من الخارج والتي استوعبت كيفية الإستقبال والارسال الى العالم بنفس شفرته .

المخدوعون : سيناريو واخراج توفيق صالح . انتاج المؤسسة العامة للسينما السورية عام ١٩٧٢ . عن قصة « رجال في الشمس » للكاتب الفلسطيني الشهيد (غسان كنفاني) ومناظر لييب رسلان — تصوير بهجت حيدر — موسيقى صالح الوادي — تمثيل (محمد خير حلواني) — عبد الرحمن ال رش — بسام لطفي ابو غزالة — صالح خلقي) .

أول شيء تلمسته في عملية انتاج هذا الفيلم هو حقيقة اكثر روعة وهو ان المؤسسة في سبيل تأكيد القضية الوطنية الشاملة في المنطقة العربية ذاتها في داخلها الحدود الإقليمية للعناصر التي أخرجت الفيلم الى الوجود مع احتفاله بالمستوى الفني والفكري في عرض القضية المتصدى لها . فالمنتج هو مؤسسة السينما السورية — بينما الكاتب هو الكاتب الشهيد غسان كنفاني . والعاملون بالفيلم سوريون وكاتب سيناريو الفيلم ومخرجه مصري وهو توفيق صالح . والقضية هي واقع الشعب الفلسطيني المشرد في دولة عربية وهي الاردن .

ويقوم الموقف الدرامي في المخدوعون ممثلا في ثلاثة اجيال منه من شرائح مختلفة في العمر يمثلون القضية منذ بدايتها حتى اليوم يقدمهم توفيق صالح على التوالي (أبو قيس — أسعد — مروان) — ماضيهم ومعاناتهم حتى حاضرهم حيث يجمعهم هدف واحد وهو الانتقال الى الكويت سرا للعمل هناك حيث يأملون في بدء حياة أكثر آدمية في وسط مجتمع صنع البترول ثراءه حيث يسر العمل والنقود الكثيرة التي يمكن لهم بها أن يسدوا أودهم وأود عائلاتهم التي تركوها خلفهم كل منها في مأساة . وذلك بالنسبة (لأبو قيس ومروان) أما بالنسبة (لاسعد) فهو مطرود من الرملة صبياً صغيراً ويعيش في حلقة متصلة من الهرب فهو قادم من العراق خلصة هرباً من مطاردات الشرطة الأردنية واسمه مسجل في جميع نقاط الحدود لاعتقاله ... لكن الثلاثة يموتون أثناء توقف السيارة التي يختبئون داخل خزائنها الفارغ من البترول — والتي يعمل عليها فلسطيني وهو (أبو الخيزران) والذي يعمل لدى أحد الأثرياء الكويتيين في الفترة التي يقضيها هذا السائق الفلسطيني داخل نقطة حدود كويتية حيث تزيد الفترة الزمنية التي يقضيها السائق عن الحد المقرر لاختبائهم فيختنقون داخل الفنتاس من حرارة الشمس القائطة والتي تقلي البيض من شدتها . ويكون سبب زيادة الفترة الزمنية هو محاولة العاملين الكويتيين في النقطة المكيفة الهواء الهز مع السائق حول عشيقته له تعمل راقصة بالبصرة يتهموه بان له علاقة بها وتنفق عليه عشقا في مخولته . . . بينما هو في الحقيقة (ناقد للرجولة) لاصابته بشظية لغم اثناء نضاله ضد الصهاينة . ويخرج السائق ليلقي بالجنث الثلاثة على كوم قمامة على جانب الطريق .

على انه اذا كان « رجال تحت الشمس » كان أول فيلم عربي — سوري ينسج نفسه عن الفلسطينيين من خلال واقع المقاومة الفلسطينية . فان فيلم (المخدوعون) (١١) يعتبر أعمق تحليل للواقع الفلسطيني المشرد حتى الان . بل ان هذا الفيلم الفذ من ناحية أخرى (دعوة الى الثورة) . فالمخدوعون ليس مجرد فيلم يعرض لحادثة بل هو تشريح اجتماعي وسياسي لواقع القضية من خلال شخصياته الرئيسية (أبو قيس — أسعد — مروان — أبو الخيزران) الواقع الاجتماعي الذي أتى منه ومأساة كل منهم . أبو قيس الذي وعى نكبة الطرد لاجئا جاعا هو وأسرته ثم أسعد

الشباب المستثمر الهرب ومطلوب الاعتقال — ثم مروان الذي سبقه اخوه الى الكويت ثم قطع عن ابيه وامه واخوته النقود التي كان يساعدهم بها . فاضطر الاب الى الزواج بأثانية بفتاة مبتورة الساق تستعيز عنها بساق خشبية وتملك منزلا ليجد مروان نفسه أمام لهيب الحياة وجوع امه واخوته مضطرا هو الآخر الى النزوح الى الكويت حتى يعولهم . . ثم أبو الخيزران ذلك الرجل الذي خصته شظية لغم ويعيش هائما بين العراق والكويت بسيارة ثري كويتي لا يعرف معنى لحياته سوى جمع المال من اجل تأمين مستقبل لمن لا مستقبل له تأكله مأساة فقد رجولته .

ثم الواقع السياسي الذي تتحرك عليه الشخصيات والذي يتمثل في الجزء التسجيلي المأخوذ عن الصور الفوتوغرافية للحكام العرب الذين صنعوا واقع المأساة .

على أن جملة ما في هذا الفيلم لا يفيه هذا التحليل المقتصر لما يمتلىء به نسيجه . . . من رموز واشارات ودقائق للعلاقات الانسانية التي تقوم من خلال علاقاته . . . بحيث يصبح ما قدمت ان هو الا ضلوع العمل واركانه الذي بني عليها . وعندما نأز (المخدوعون) بالجائزة الاولى في مهرجان قرطاج لم يكن هذا بقليل عليه فهو فيلم استطاع ان يضع يده على نبض الحياة الفلسطينية المشردة والواقع الحافل المحيط بها ابتداء من ابيات شاعر المقاومة محمود درويش التي تقول :

وأبي قال / الذي ما له وطن / ما له في الثرى ضريح / ونهائي عن السفر .

الى الاية المتعلقة في الجامعة العربية « كنتم خير أمة اخرجت للناس » . الى اجهزة التكيف التي يجلس الى جوارها الكويتيون في نقطة الحدود والتي طغت بهديرها على طرقات الثلاثة الذين يخنقوا داخل الفئطاس وبسط اللهب .

وبهذا تكون السينما السورية قد قدمت الحقيقة بعد أكثر من عشرين عاما من الجهل والعجز قدمت الحقيقة في أقوى صورة كان الانسان يطم بانبلاجها بها وأن كان هذا ليس كل شيء . . .

جماعة السينما الجديدة

اذا كان (رجال تحت الشمس) و (المخدوعون) حتى الان يعتبران أعلى وأكمل فيلمين تعرضا لفلسطين حتى اليوم فإن فيلم (الظلال في الجانب الآخر) اخراج غالب شعث يكمل تلك الثلاثية ولكن من زاوية مختلفة .

وفيلم (الظلال في الجانب الآخر) من انتاج (جماعة السينما الجديدة) مشاركة مع المؤسسة المصرية العامة للسينما عام ١٩٧٣ . (لم يعرض بعد) . عن قصة (لمحمود دياب) وتصوير سمير فرج وسيناريو واخراج (غالب شعث) وقام بالتمثيل فيه (محمود ياسين — نجلاء فتحي — أحمد مرعي — محمد لطفي — محمد حمام — مديحة كامل — عايدة عبد العزيز) . « ما أكثر ما تخفيه الظلال من حقائق ولكي نرى واقعنا بدون ظلال لا بد أن نتعدد مصادر النور » تلك هي الرؤيا التي اقام عليها غالب شعث فيلمه . فمن خلال الحقيقة عن علاقة تقوم بين فتاة في السادسة عشرة (روز) (نجلاء فتحي) ومحمود (محمود ياسين) الطالب بكلية الفنون والتي يكون ثمرتها (طفلة) تموت ، بعد انجابها اثر مرض بعد أن تركها محمود وهي حامل . حيث تحكي تلك الحقيقة وجهات نظر مختلفة من خلال محمود نفسه . ثم من خلال زملائه بالكلية (مصطفى) (أحمد مرعي) ، ثم من خلال بكر (محمد حمام) ثم من خلال (روز) نفسها والاثنتين الاخيرين كانوا يقيموا في عوامة انتقل اليها محمود بعد تركه الفتاة حيث يقيم معهم زميل رابع وهو (عمر) الشاب الفلسطيني (محمد لطفي) . تبدأ في

استكشاف عالم بكامله من خلال تلك الشريحة من الشباب المصري الذي يعيش في ظل احزان النكسة وتمزقه حيث يعيش هذا الشاب الفلسطيني أيضا فيه يمزقه واقعين واقع قضية شعبه المشرذم والواقع الجديد لشعب ذاق بدرجة ما ذاق شعبه .. ويجد الشاب الفلسطيني نفسه في النهاية تاركا هذا الواقع الى واقعه الحقيقي حيث يرسل بعد رحيله إلى القدس خطابا الى (بكر) يقول فيه « انني وجدت الاسلوب الذي أستطيع به ان اعبر عن نفسي وعن قضيتي خصوصا بعد ان اصبحت للمرة الثانية بلا وطن . اننا لا نملك الا أن نخوض هذه الحرب قلم يبق لدينا ما نخشى ان نفقده » .

ونحن هنا امام مخرج اختار بشكل واع ومقصود ان يخرج الواقع المصري بعد النكسة في تلك المجموعة من الشباب الممزق ممثلا في (محمود ، ومصطفى ، وبكر) . الواقع الفلسطيني المعاصر من خلال شخصية (عمر) الفلسطيني الذي يدرس الفنون معهم في القاهرة .. (ومهم هنا ان نعلم ان هذه الشخصية لم تكن موجودة اصلا في قصة محمود دياب الاصلية) وتلك هي الزاوية المختلفة عن (رجال تحت الشمس) ، و (المخدوعون) .. فبينما كان كمال الفيلمين في انهما قدما القضية الفلسطينية دون جزع بينها وبين شيء اخر من الخارج وبشكل مباشر . فان غالب شععت قد قام بعملية المزج هذه من اجل رؤيا اكثر شمولاً .. لحقيقة النضال العربي ضد اسرائيل .. ولكن بشكل غير مباشر اي ان يدور لها من الخلف .. ومن هنا ايضا تتضح بعد الفكرة التي نسج عليها غالب شععت بناؤه الدرامي الذي يقدم من خلاله وجهات النظر المختلفة لكل شخصية في الاخرى بينما تبقى شخصية (عمر) الفلسطيني خارج اطار اللعبة معلقة لا رأى لها فيما يجري حيث نجدها فجأة تمارس دورها الحقيقي وسط اهلها .. لان الامر لم يعد يحتمل ان يكون الانسان بلا وطن مرتين .. حيث تتعالى على الواقع الذي عاشت فيه اخيرا تاركا اباه الى غير رجعة لتمزقاته .. التي ولدتها النكسة وراحت تأكله وتآكل شبابه .. هكذا كانت ايضا تلك الرؤيا المتقدمة للمخرج الفلسطيني (غالب شععت) .. عن واقع قضيته في أول افلامه الروائية الطويلة .. بعد أول فيلم روائي قصير أخرجه بالنمسا قبل مجيئه الى القاهرة حيث عمل بالتلفزيون كمخرج (فيديو) .. وحيث كون مع سمير فريد ، ورافت المهدي ، ومحمد راضي ، وفتحي فرج ، أول جمعية سينمائية شبابية جادة في مصر هدفها انتاج سينما جادة متقدمة ملتزمة .

على ان الاهتمام بفيلم الظلال يصاحبه اهتمام المخرج ليس لقيمة العمل الفنية والفكرية التي قدمها للسينما المصرية وانما الى هويته الفلسطينية ... وكما قلنا من قبل فان احد عوامل عجز الشعب الفلسطيني عن التعبير عن مأساته قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ وحتى ولوج هذا المخرج كان ممثلا في عدم وجود سينما فلسطينية داخل الارض المحتلة .. كان يمكن لها ان تعي الكثيرين قضاياها برغم الاسباب الموضوعية وراء ذلك .. وهكذا فقد كان ظهور هذا المخرج الشاب بمستواه السينمائي المتقدم هذا لهو ايدان ببداية تاريخ جديد للسينما الفلسطينية يقوم بها شبابها واصحابها باعتبار المخرج هو الاول ومن خلفه يتدلل كل شيء .

مستقبل السينما الجادة بالنسبة لقضية فلسطين وغيرها في مصر وسوريا

ربما يكون من الأوفق لنا ونحن نتعرض (لفلسطين) على الشاشة العربية ان نتوقف لحظة امام مستقبل السينما الجادة حول هذه القضية وغيرها .. لان التوقف هنا واجب قومي ليس من اجل فلسطين فقط على الشاشة العربية بعد صراع مريب من اجل تدشينها وانما من اجل مستقبل السينما العربية عامة لانه بهذه الصورة

الواعية والناضجة لهؤلاء الشبان الجدد فانه ليست هناك اي فصلة بين فلسطين والسينما الجادة في كل القضايا الاخرى في الدول العربية .

فان ما حدث اخرا من خنق جماعة السينما الجديدة وهي في المهد و فيلمها الثاني (الظلال في الجانب الاخر) ما زال حبيس علية لم يعرض رسميا وتجاريا من الان . . ثم بعد ان قام المسئولون السوريون بتغيير ادارة مؤسسة السينما السورية فان الموقف قد اصبح غامضا واقرب بالظلام منه الى النور .

فعندما عاد غالب شعث بعد عشر سنوات من النمسا عام ١٩٦٨ محملا بالامال الكبار في ان يقدم سينما على مستوى سياسي وغني حيث التقى بالناقد السينمائي لجريدة الجمهورية (سمير فريد) والسيناريسيت (رافت المهدي) و (محمد راضي) ، المخرج السينمائي و (فؤاد التهامي) مخرج الافلام التسجيلية ، و (فتحي فرج) مدير نوادي السينما بالثقافة الجماهيرية بالقاهرة و (احمد متولي) المونتير واخرين حيث اسسوا جماعة السينما الجديدة التي راسها في مرحلتها الاولى (محمد راضي) وجاهدوا من اجل ايقافها على قدميها ثم اجبروا الدولة من خلال صراع مرير وانساني ان تقدم لهم العون من خلال نظام المشاركة الذي ابتدعوه من اجل ايجاد صيغة مشتركة بينهم وبين الدولة حتى قدموا فيلهم البيتهمين . . . فماذا كانت النتيجة . . ؟؟ والاجابة كانت القضاء نهائيا على مؤسسة السينما المصرية كمؤسسة منتجة وتحويلها الى مجرد معرض لمنتجي القطاع الخاص . ومات بالتالي نظام المشاركة دون اصدار قرار . وانبلج عهد جديد للقطاع الخاص الذي قام بمهمة الاجهاز على كل شيء معقول قدمته المؤسسة ولتقتل السينما الوليدة الجديدة كما قتل من قبل (العزيمة) وكان التاريخ يعيد نفسه ولكن بادوار جديدة وعادت سينما الترف والتسلية تأخذ مكانها في الصدارة كما كانت دائما سينما العوالم (بمبة كثر) . وسينما المناسبات وكانت المناسبة هذه المرة هي عبور ٦ اكتوبر ممثلة في فيلم (الرصاص لا تزال في جيب) اخراج حسام الدين مصطفى . وهكذا رحل غالب شعث عن مصر تاركا اياها ربما لمستقبل أفضل وكذلك رحل (فؤاد التهامي) ذلك المخرج الشاب الذي كان مستقبله يبشر بالخير الى العراق ، وبقي رافت المهدي يصارع من اجل الاحتفاظ بكتابة سيناريوهات تملك الحد الادنى من الفن والتجارة وعلى دربه سلك محمد راضي في الاخراج بينما اصبح سمير فريد نهبا للهجوم عليه من التجار من اجل الترامه .

ثم كانت الطاقة الكبرى في المؤسسة العامة للسينما في سوريا بنقل مديرها الشاب المتفتح الافق عبد الحميد مرعي الى وزارة التخطيط ليأتي واحدا اخر من اجل مؤسسة للربح وليس للفن تمهيدا لاشياء اخرى قد يكون مالها كمال مؤسسة السينما المصرية . ومن هنا تبدو الامور اكثر قسوة وغطاعة من قبل لان الردة التي حدثت للسينما لا يعرف أحد حدودها ومن هنا فان الواجب الوطني والقومي يقتضي على كل اولئك الذين صنعوا مستقبل تلك القضية قضية فلسطين وغيرها من قضايا النضال عليهم ان يجدوا منفذا من جديد لكن على الاقل بالتجمع ضد تلك الردة الثقافية والتي بلا شك لا تمثل المنطلق الحقيقي لعنى النضال الثقافي وانما هي سقطة سوف ينهار القائمون عليها لان الذين فتحوا الباب لهؤلاء الشبان بوعي او بدون وعي وباحتمية التاريخ لن يستطيعوا ان يوقفوا ما فتحوه بردتهم الاخيرة لان التاريخ لا يرتد الى الوراء ابدا .

فلسطين في (لبنان والاردن والجزائر)

يبقى بعد ذلك تجربة لبنان والاردن والجزائر . ففي لبنان خرجت اربع تجارب وهي (الفلسطيني الثائر) اخراج رضا ميسر ، و (فداك يا فلسطين) اخراج انطوان

رعي ، و (اجراس الصورة) اخراج تيسير عبود . ثم (كلنا فدايون) اخراج جاري جرابتيان . عام ١٩٦٩ وهو الفيلم الوحيد الذي يستحق التنويه . فهو اول فيلم روائي عربي طويل عن المقاومة (٩٠ ق) عن سيناريو لانطوان غندور وصورة (سامي جو جاتيان) ومثله (سامي عطاره - ومنى سعد - وغسان مطر - وجوزيف ناتو - وبرج فازليان) وانتجه ادموند نحاس . (وقد لقي المخرج و ٢٢ اخرون بينهم المنتج والمصور والممثل الاول مصرعهم اثناء تصوير المشهد الاخير بسبب انفجار قنبلة حقيقية كانت مستخدمة فيه) .

الا ان النزعة الخطابية وبوليسية تنفيذ مشاهد الفيلم والدعاية السخيفة التي حوaha الفيلم ، كانت كلها ضد القيم الفنية والانسانية التي كان يحتويها الفيلم حيث كان الفيلم يحمل موقفا طيبا لشباب عربي يلجأ اليه بعض الفدائيين من اجل الطعام حيث يشي بهم تحت الضغط من حاكم القرية الاسرائيلي . وينتهي الموقف باستشهادهم جميعا ويتحول الشاب الى فدائي ينضم الى الثورة الفلسطينية . . لكن الفيلم بخلوه الا من مشاهد العنف والمطاردات واطلاق النار بهدف وبدون هدف . والكلمات الثقيلة على السمع من حيث غلط خطايتها قد أفقده كل المطلوب منه .

اما الافلام الثلاثة الباقية فهي جزء من الرخص الذي قدمت به القضية الفلسطينية من قبل وهو استمرار (لفتاة من فلسطين) و (أرض السلام) وغيرها في مصر .

وفي الاردن قدمت فيلما من نفس النوع بعنوان (الطريق الى القدس) من اخراج عبد الوهاب الهندي .

اما الجزائر ، فقد انتجت فيلماً بعنوان (سنعود) اخراج محمد سليم رياض عام ١٩٧٢ وكتبه مع أنياس فرانكوس واحمد رشدي وصوره رشيد مرابطين .

على ان اهم ما يميز هذا الفيلم هو تعبيره تعبيرا جليا عن (١٢) مبادئ الثورة الفلسطينية ربما اكثر من اي فيلم روائي طويل آخر . وتدور احداث الفيلم في الارض المحتلة ايضا عن عمليات الفدائيين . . ويستخدم الفيلم تكتيكا اقرب الى الافلام الحزبية التي انتجتها هولبود عن افلام العصابات في كوريا وغيرها من شكل الحركة واساليب المعارك التي يخوضها الفدائيون حيث النزعة التجارية من اجل الربح . من خلال مثل هذا النوع من الافلام رغم انه حاول محاولة جادة من اجل تقديم القضية الفلسطينية تقديمها واضحا .

خاتمة :

انه اذا كانت فلسطين على الشااشة العربية قد نالت حظها خلال الفترة الماضية وبالتحديد من الفترة عقب النكسة حيث تم فيها اكبر اعلام سينمائي فكري وفني روائيا . . بعد مرارة بدأت منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ . . . واذا كانت هذه السينما قد انبلجت في سوريا ومصر بقوة مع احزان النكسة ، في غير الارض المحتلة ومع الوعي الشامل بالقضية ثم بظهور المخرج الفلسطيني الواعي القادر على التعبير عن قضيته بمستوى راق ومتقدم . فان هناك دورا ما زال قائما مقصورا بليغا ربما لا بد ان يظهر في مدى قريب . اعتقد انه الحل الوحيد امام استمرار هذه السينما وهذه القضية لانه بالاحتمية هو الخطوة التالية وهذا الحل متمثل في اصحاب القضية أنفسهم وهم الثورة الفلسطينية . لا بد لها ان تدرك من اليوم البعد الحقيقي للسينما كما أدركها العالم كله من قبل كسلاح اخطر من القنبلة والمدفع عن النفاذ الى الرأي العام العالمي من خلال السوق والدولة والمهرجان .

٨ - الحقيقية للسينما السورية رغم انه كانت هناك بعض الافلام الطويلة والتي انتجها مولون مستقلون .

٨ - لا يتعلق اغنية على المر بقضية فلسطين بل بهزيمة عام ١٩٦٧ وبطولة عدد من الجنود المصريين اثناء انسحاب القوات المصرية من سيناء والفيلم مأخوذ عن مسرحية (ليلي سالم) بنفس الاسم .

٩ - ان الموقف المحزن الذي تقفه مؤسسة السينما المصرية والشركة في انتاج هذا الفيلم يتأجل عرض هذا الفيلم رسميا حتى الان وعدم مساندتها له بسبب الموقف العام الذي تأخذه وزارة الثقافة من هذه الجماعة لهو خير مثل لمساء المؤسسة والردة التي وقعت فيها السينما المصرية بسقوطها في برائن القطاع الخاص بتجاره ومنسقيه الذين يقدمون الان (بعبه كثر) ، و (الرصاصة لا تزال في جيبي) .

١٠ - سامي السلاوني ، نشرة نادي القاهرة للسينما ، العدد ١ ، الموسم الخامس ، تحليل فيلم (رجال تحت الشمس) .

١١ - سمير فريد ، نشرة نادي سينما القاهرة ، « السينما الفلسطينية » ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٩ .

١٢ - السينما الفلسطينية ، سمير فريد ، نشرة نادي السينما القاهرة ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٩ .

١ - أردت أن افصل بين السينما المصرية والسينما العربية لانه لا يمكن المقارنة بين سينما ظهرت ورسخت لصناعة منذ ظهور السينما نفسها وبين دول عربية لم يزد عمر السينما فيها عن عشر سنوات أو ما زالت السينما تتعثر بها أو قير موجودة .

٢ - قصة السينما في مصر ، تأليف سعد الدين توفيق ، أفلام ما بعد الحرب ، ص ٨٣ .

٣ - نشرة نادي القاهرة للسينما - السينما الفلسطينية بقلم سمير فريد ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٥ .

٤ - نشرة نادي القاهرة للسينما : السينما الفلسطينية بقلم سمير فريد ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٦ .

٥ - أحب أن أوضح أنني افصل بين القضية من حيث التعريف بها بين خلال السياسة الرسمية الى العالم وبين القضية معلنا عنها من خلال السينما لان السينما لها وسيلة دعائها ومقدرتها الوصول الى اقاصي الارض .

٦ - نشرة نادي القاهرة للسينما ، السينما الفلسطينية ، بقلم سمير فريد ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٧ .

٧ - انشئت المؤسسة العامة للسينما السورية عام ١٩٦٢ من قبل الدولة واعتبرت مؤسسة انتاجية مستقلة وهذه المؤسسة كانت البداية

التروتسكيون المصريون وقضية فلسطين

عبد القادر ياسين

نعم ، كان في مصر تروتسكيون* . ولهم مساهماتهم في الحركة السياسية المصرية ، ان نظريا أو عمليا ، وان اتسمت هذه المساهمات بالحدودية . كما كان لهم موقف من قضية فلسطين . سنعنى هنا بالقاء الضوء عليه .

ليون كاسترو هو أحد أبناء الطائفة اليهودية في مصر ، وصديق حميم لسعد زغول باشا — رئيس حزب الوفد المصري — ويبدو أن سعدا احتضنه درأ للاتهام بضرب المصالح الأجنبية في مصر . وكاسترو هذا صهيوني يساري ، أصدر بعد انضمامه للوفد مجلة « ليبرتي » باللغة الفرنسية ، وتعني « الحرية » ، وكانت تصدر عن الوفد .

وبعد وفاة سعد زغول ، عام ١٩٢٧ ، تراجع دور كاسترو في الحركة السياسية المصرية وداخل حزب الوفد على الأخص . وفي عام ١٩٣١ ، أسس كاسترو جمعية « Essayistes » وهي كلمة فرنسية تعني : المحاولون . وضمت هذه الجمعية ، في صفوفها ، اليسار اليهودي في مصر ، وجعلت هدفها المعلن : مقاومة الفاشية . وفي ١٩٣٣ — ١٩٣٤ ، انشقت عن هذه الجمعية مجموعة « Et puis » ، وتعني بالعربية « ثم ماذا ؟ » ، ولكن سرعان ما انشق عنها منظمتان أخريان ، الأولى « اتحاد أنصار السلام الدوليين » ، والثانية « الفن والحرية » . وهدف هاتين المنظمتين هو الوصول الى المثقف المصري . وضمت الأولى كلا من يوسف درويش وأحمد صادق سعد وريهون دويك ، الذين أسسوا وقادوا منظمة « الطليعة الشعبية » الشيوعية السرية المصرية في أواسط الأربعينات . وضم هؤلاء الى « الاتحاد » شوام ويونانيين ، وأصدروا مجلة « L'effort » ومعناها بالفرنسية « الجهد » . كما أصدروا مجلة أخرى باسم « La gerbe » وهي كلمة فرنسية تعني « الحزمة » . أما جماعة « الفن والحرية » ، فاتجهت الى المثقفين المصريين من خلال الفن والفن التشكيلي . ومنهم خرج لطف الله سليمان ، وأنور كامل ، ورمسيس يونان ، وغيرهم (١) ، و« غرض هذه الجماعة كان ينحصر في نشر الثقافة المتقدمة ، وإيقاف الشباب المصري على الحركات الفنية في العالم ، وتشجيع الآداب والفنون في مصر ، وذلك عن طريق إصدار المجلات ، والقاء المحاضرات ، وإقامة المعارض ، وما الى ذلك من مختلف وسائل النشر المشروعة » (٢) .

وكانت « الفن والحرية » أقرب الى التروتسكية منها الى الماركسية اللينينية

* التروتسكية ، نسبة لليون تروتسكي ، أحد زعماء البلاشفة في الربع الأول من القرن الحالي . وقد طرد من الحزب الشيوعي السوفييتي في عام ١٩٢٧ ، بعد دأبه على ممارسة العديد من الانحرافات ، وانتهى به الامر الى تبني أفكار مغامرة ، أهمها : « الثورة الدائمة » و « الثورة العالمية » وإدانته للحزب مع الفلاحين ، واعتباره إياهم طبقة رجعية ، وفي الأربعينات ، وبعد خروجه من الاتحاد السوفييتي ، كون تروتسكي ما عرف بـ « الاممية الرابعة » ، في مواجهة الاممية الثالثة .

الستالينية . وبذا يمكننا اعتبار عام ١٩٣٩ بداية النشاط التروتسكي في مصر ، الذي ابتداءً مصبوغاً بالطابع الفني والادبي ، ولم يكن اتجاهه السياسي واضحاً ، في حين كان ثمة اتجاه اجتماعي داخل الجماعه ، وكتبت بعض المقالات في هذا الاتجاه ، دون ان تحمل توقيع كاتبها ، في مجلة « التطور »* . وان لم يفهم صراحة ان مجلة « التطور » كانت تعبر عن التروتسكيين في مصر ، فطابعها الغالب كان الفن والادب ، وان كان الفن الرامي الى التغيير (٣) .

وفي افتتاحية العدد الاول من « التطور » ، قال أنور كامل : « نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغير المستمر . نحن نقاوم الاساطير والخرافات ، ونكافح القيم المتوارثة التي وضعت لاستغلال قوى الفرد في حياته المادية والروحية » . وترجم شعار « التطور الدائم والتغير المستمر » شعار تروتسكي الاساسي عن « الثورة الدائمة » ، كما عكس في الوقت نفسه لبيرالية في الفكر والتنظيم لدى جماعة الفن والحرية . وخلال صفحات المجلة انتشرت الشعارات الانثارية المختلفة ، مثل : « مجلة التطور تحارب الرجعية ، وتثور على القديم ، تدافع عن حقوق الافراد ، وتنادي بحق المرأة في الحرية والحياة » و « خلقت العرائيل لتكتسح » و « فلنأخذ المرأة حريتها بنفسها ، ولا نتنظر من أحد أن يمنحها هذه الحرية » و « المرأة التي تخدم الرجل ، والرجل الذي يخدم الرئيس ، كلاهما من طبقة واحدة : طبقة العبيد » و « سنكون أقوى في الغد . وأنت » و « نحن لا نريد منك أن تتبعنا ، وانما نريد أن نشق معنا الطريق » و « الفن كالحبز والجنس ، ضرورة يجب أن نكفلها الدول لكل فرد فيها » و « الدولة التي لا عدالة فيها ، خير لها ألا تكون » و « لكل فرد في الدولة الحق في أن يعيش حراً ٢٤ ساعة كل يوم » و « يجب وضع حد ادنى للاجور وحد أقصى لساعات العمل » و « كل قرش ينفق في غير موضعه ، اهدار لحقوق الفقير » و « الموت خير من الحياة في عالم لا يفتقر فيه الحلم والعمل » و « لسنا أحرار ، ما دامت هناك سجون » . . . وغيرها من الشعارات السياسية والاجتماعية العميقة والتحريضية .

ويقول أنور كامل : « كنا نجهد تكاليف الاعداد من اعضاء الجماعة » . وكانت « التطور » توزع نحو ألف نسخة . وباعتراف اقطاب الادب في مصر ، كانت « التطور » تضارع المجلات المتقدمة في أوروبا (٤) .

ولم تكن جماعة « الفن والحرية » منسجمة في تشكيلها ، اذ ضمت أكثر من تيار ، وأكثر من اتجاه ، وأفسحت المجال لكل شخص كي يعبر عن رأيه في اشتراط الجديد والتقدمية . وأبرز عناصر « الفن والحرية » كان : جورج حنين ، ورمسيس يونان ، وكامل التلمساني ، ولطف الله سليمان ، والدكتور مجدي وهبه ، وأنور كامل (٥) .

ومن داخل « التطور » برزت مجموعة لها اتجاه اجتماعي أكثر من غيرها ، على رأسها أنور كامل . وشكلت هذه المجموعة جماعة « الحبز والحرية » ، كتنظيم سياسي ، في سبتمبر عام ١٩٤٠ ، واتخذت مقراً لها في شارع محمد علي بعمارة المؤيد بالقاهرة ، وأبرز مؤسسيها هم : أنور كامل ، وعبد العزيز فهمي هيكل ، وأسعد حلیم جرجس ، وفتحي الرملي ، وصالح عرابي (٦) . ولم يكن لهذا التنظيم نشرات ، وان استعيض عنها باجتماعات صغيرة تناقش فيها القضايا العامة . وقد نظم المشتركون

* صدر العدد الاول من « التطور » في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ . ولم يصدر منها سوى تسعة اعداد فقط ، كان آخرها في ايلول (سبتمبر) من العام نفسه . وصاحب الامتياز ورئيس التحرير هو أنور كامل . وهي شهرية تباع بعشرين مليماً ، وتصدر في ٦٨ صفحة من القطع المتوسط (١٥ × ٢٠ سنتم) .

في التنظيم داخل حلقات سرية . ووصلت « الخبز والحرية » ، بتأثيرها ، الى الطلبة والعمال والمثقفين والجيش ، وبصفة خاصة سلاح الطيران ، وبشكل أدق الى صفوف صف ضباط الطيران . وفي صيف ١٩٤٢ ، ألقي القبض على نحو ستين شخصا من « الخبز والحرية » ، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم بالقوة ، وانتهى الامر الى تقديم نحو عشرين منهم الى المحاكمة ، الا ان المحكمة برأتهم جميعا . وظلت القضية تتأجل أمام المحاكم المصرية ، حتى نظرت نهائيا بعد قيام ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، حيث برىء الجميع عام ١٩٥٤ (٧) .

وفي مجال النشاط الفكري ، أصدرت « الخبز والحرية » العديد من الكراسات العلنية ، مثل « مشاكل العمال في مصر » ، ١٩٤١ ، بقلم أنور كامل ، و« أخرجوا من السودان » بقلم أنور كامل ولطف الله سليمان ، و« الصهيونية » بقلم أنور كامل ، ١٩٤٤ ، وكراس « لاطبقات » بقلم أنور كامل . واعتبر الكراس الاخير بمثابة البرنامج السياسي لجماعة « الخبز والحرية » (٨) .

هذا ، في الوقت الذي استمرت فيه جماعة « الفن والحرية » تمارس نشاطها الفكري ، فاشترت امتياز « المجلة الجديدة » الاسبوعية من الفكر الفايبي المصري المعروف ، سلامة موسى . ومنذ شباط (فبراير) ١٩٤٣ ، ثبت اسم رمسيس يونان كصاحب امتياز ، ووداع مينا كرئيس لتحرير المجلة الجديدة . وأخذنا نقرأ أسماء : جورج حنين ومصطفى كامل منيب وعادل مظلوم وعصام الدين حفني ناصف ولطف الله سليمان وعزمي الدويري ويوسف الشاروني وعبد الحميد الحديدي والبير قصيري وش . مان وسلامة موسى وأحمد عادل وفؤاد كامل وفتحي البكري ولويس عوض ضمن كتاب المجلة . وفي العدد ٤٣ ، الصادر في منتصف نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ، أصبح رمسيس يونان رئيسا للتحرير بالاضافة لكونه صاحب الامتياز . وفي العدد ٤٣٤ ، منتصف ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ ، قالت « المجلة الجديدة » في صفحتها الثالثة انها ليست « لسان حال حزب ، انها المنبر الحر حيث يجب ان يسمع خالصا كاملا ، صوت جميع العناصر المحددة وخاصة الشبيبة المثقفة » . واستمرت المجلة الجديدة في الصدور حتى أواخر عام ١٩٤٤ .

وفي أواخر ١٩٤١ ، ألقي القبض على أنور كامل ، وفتحي الرملي ، وعبد العزيز هيكل ، وأسعد حلیم ، وخضر محمود خضر ، ولبيب حنا ، وآخرين ، بتهمة الاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم بالقوة . الا ان هذه القضية حفظت لعدم وجود أدلة (٩) .

ثم أعيد اعتقال مجموعة كبيرة من « الخبز والحرية » في صيف ١٩٤٢ ، وأعاد أنور كامل في محضر التحقيق معه ، انه كان ينوي الدعوة الى اجتماع عام ، يعتقد في ١٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٢ ، يضم جميع العناصر ذات الميول الاشتراكية في مصر ، ليعلن تأليف « الحزب الاشتراكي » .

وعندما سأله وكيل النيابة عن مبادئ جماعة « الخبز والحرية » ، رد أنور كامل « ... توزيع عادل لوسائل الانتاج ، بمعنى ان تتولى الحكومة الاشراف على هذه الوسائل . فتستغل جميع الافراد من الدولة ، كل فرد منهم حسب مقدراته ، وتغطي أجرا لكل فرد حسب العمل الذي يقوم به » (١٠) . وبذا تكون مبادئ هذه الجماعة هي المبادئ الماركسية اللينينية نفسها ، والتي تدعو الى الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وتطبيق شعار « من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته » .

في مواجهة المسألة الفلسطينية

كان طبيعياً ، بسبب الحاح القضية الوطنية المصرية ، ان ينصب اهتمام القوى السياسية المصرية ، ومن جملتها التروتسكيين ، على قضيتهم الوطنية قبل غيرها . خاصة وان القضية الفلسطينية لم تكن قد اشتعلت في السنوات الخمس الاولى من الاربعينات . وهي سنوات اشتداد النشاط التروتسكي في مصر .

ولان التروتسكية في مصر انحصرت في شكل حلقة فكرية دون التنظيم ، لذا كان طبيعياً ان تقتصر اسهامات هذه الحركة على الجانب النظري دون العملي ، في القضية الفلسطينية .

وباستقراء مجلة « التطور » ، لم نصادف كلمة واحدة عن فلسطين ، بينما اكتظت الاعداد التسعة التي صدرت من المجلة المذكورة ، بمواضيع فنية وأدبية ، والقليل من المسائل السياسية والايديولوجية البحتة .

وحتى المجلة الجديدة ، التي اشرفت جماعة « الفن والحرية » على اصدارها اكثر من عام ونصف ، لم تحتو طوال هذه المدة الا على مقال واحد ل احمد عادل ، بعنوان « الصهيونية لا تحل مشكلة اليهود » . وفي هذا المقال يقول كاتبه : « ... لا نجد ما يبرر الدعوة للصهيونية ، بل على الضد نجد ما يبرر مقاومتها » . ويفسر المقال صعود الصهيونية « بنمو مركز صناعي جديد في فلسطين . وقد ساعد على هذا النمو ، من ناحية ، هجرة بضعة آلاف من مهرة العمال والأخصائيين من أوروبا اليه ، والحاجة الحربية الى زيادة الانتاج ، من الناحية الأخرى » . ويلاحظ أحمد عادل ان العالم يقترب « من نهاية الحرب في خطوات سريعة ، ومع اقتراب هذه النهاية يزداد النشاط بين الدوائر العالمية المسؤولة في الاستعداد وتدبير الخطط ورسم المشاريع لمواجهة مشاكل ما بعد الحرب ، وأولى هذه المشاكل ، ولا شك ، هو الانتقال من الانتاج للحرب الى الانتاج للسلام . والاختلاف من هنا ليس فقط في النوع ، بل هو اختلاف جوهري في الكم » . ويشير الكاتب الى عمل الحلفاء لرفع المستوى الاقتصادي للشعوب ، بهدف زيادة القدرة الشرائية لها ، لمواجهة هذا المشكل . الا ان كاتب المقال يستبعد نجاح هذا الحل ، مما يجعله يؤكد على حتمية توجه تفكير الدوائر المسؤولة « الى ضرورة القبض على زمام الانتاج وكبح غلوائه الحالي ، وتقعيد المراكز الصناعية الصغيرة التي نشطتها حمية الحرب » . وهذا - في رأي الكاتب - « أحد الاعتبارات العامة التي تكيف سياسة الدول الكبرى من المسألة الصهيونية » . وينتقل أحمد عادل بعد ذلك الى الحديث عن أمريكا ، فيشير الى أزمة الاقتصاد الأمريكي في أواخر الثلاثينات ، قبل حكم روزفلت ، ثم سياسة « نيوديل » التي استنها روزفلت ، والقاضية بتخفيض الانتاج والعمل على رفع القدرة الشرائية بين الشعب الأمريكي ، وهي السياسة التي انتشلت الاقتصاد الأمريكي . وبين كيف ان اعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة قد « نزع السدادة عن القارورة السحرية التي يكمن فيها الجن المارد » على حد تعبير إحدى نشرات الدعاية الأمريكية ، وكيف ان هذه الحرب تفزت بالانتاج الأمريكي قفزات واسعة الى الامام . ويعيد المقال الموقف الأمريكي القائم على ستر تأييده المحموم للصهيونية الى « اهتمام أمريكا بعطف شعوب الشرق الاوسط » الذي « لا يقل عن اهتمامها بعطف بقية الشعوب ، وقد كان لاكتشافها منابع البترول في المملكة السعودية ، وما أثاره من مشروعات عظيمة ، ما زاد في شدة هذا الاهتمام ، ومن هنا كان حذر الحكومة الأمريكية في تصريحاتها عن موقفها من هجرة اليهود » . وبعد هذا كله يعود كاتب المقال الى فلسطين ، حيث يلاحظ ان فيها « طائفة صغيرة من اليهود المثقفين

تنبهت الى سخف الفكرة الصهيونية . وتلاقي لذلك أشد العنت والاضطهاد من بقية اليهود — وادركت ان الحل الحقيقي للمسألة اليهودية — لا في فلسطين وحدها بل في العالم أجمع — لا يكون بالدعوة المدفوعة بعوامل الانانية القومية والتعصب العنصري ، بل بالأشتراك المخلص مع بقية البشر في الوصول الى المجتمع الذي يكفل الامن والرخاء للجميع . لقد استطاعت هذه الطائفة ان تغسل عقولها وتلويها من النظرة الصهيونية السقيمة الضيقة ، كي تعمل في تضامن حميم أمين مع جميع الساعين الى الإصلاح العميق ورفع المستوى الاقتصادي بين شعوب هذا الشرق» (١١) .

أما الاسهام النظري الذي يستحق هذه التسمية ، فكان لانور كامل ، الذي أصدر في ١٩٤٤ كتاب « الصهيونية » .

ويروي انور كامل قصة تأليف هذا الكتاب ، فيقول : « كانت تصلني بعض النشرات من الخارج ضد الصهيونية . وفي الداخل كان هناك غليان ضد الصهيونية ، وكشخص مهتم بقضايا الشعب المختلفة ، تصديت لدراسة هذه المسألة ، فجمعت بعض البيانات والاحصاءات والمعلومات ، وصغت منها هذا الكتاب . وكانت لي فيه وجهة نظر ، خلاصتها : ان اليهود لهم مشكلة فعلا ، لكن حل هذه المشكلة لا يجيء على حساب الشعب الفلسطيني . ثم وفي حالة قيام دولة يهودية في فلسطين لا تحل المسألة اليهودية ، وانما الحل في مجتمع عالمي ، قائم على الحرية والمساواة . وتحايلا على القريب ، استخدمت في كتابي جملة « مركب الحريات جمعاء » ، وقصدت بها الحريات السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية . وقلت ايضا ان المشكلة لا يحلها الا « جيش التحرير الافقي » ، وقد فسرت له للرتيب بأنه أحد جيوش الحلفاء ! في حين قصدت به « جيش الثورة العالمية » . وأذكر انني طبعت من هذا الكتاب الف نسخة ، لضيق ذات اليد» (١٢) .

وبعد ذلك ، قدم المؤلف عرضا اقتصاديا تاريخيا للمسألة اليهودية ، عبر المراحل العبودية والاقطاعية والراسمالية . فأشار الى « ان المسألة اليهودية كانت لا تبرز الى الوجود ... الا في فترات التقلص والانكماش » . ويضرب لذلك مثلا في الإمبراطوريتين اليونانية والرومانية ، حيث لعب اليهود في مرحلة نموها دورا بارزا في التجارة والاعمال المالية ، فكان « اليهود يمثلون هنا حاجة اجتماعية تاريخية . ساهموا في التوسع التجاري بأكثر نصيب ، وقدموا القروض الضخمة لاباطرة الرومان ، فمنحهم هؤلاء من الامتيازات ما نالوه في ظل الاسكندر » . وبعد تصدع الامبراطورية الرومانية « هنا ، وهنا فقط ، عمد هؤلاء السادة الى اتخاذ اجراءين : الاول التخلص من اليهود ، وقد كانوا دائنين لجزء كبير منهم ، والثاني خلق (كبش فداء) من اليهود ، يتحول اليه سخط الجماهير الثائرة . وهكذا ، بدأت حملات التطهير ضد اليهود ، ببدء التصدع في مجتمع العبودية القديم ... وهكذا بدأت تتولد لليهود (مسألة) ... لانهم كانوا قد بدأوا ، في ظروف التقلص الاجتماعي والانكماش التجاري ، يفقدون وظيفتهم ، او بتعبير آخر ، لانهم أصبحوا — في هذه الظروف — لا يمثلون الحاجة الاجتماعية التاريخية التي كانوا يمثلونها فيما مضى » (١٣) .

وواجه اليهود الدورة نفسها في المجتمع الاقطاعي ، في حين أدت الراسمالية الى تحزر اليهود التدريجي ، الا ان المجتمع الراسمالي — بعد الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ — ١٩٣٢) أخذ في التصدع ، وتممقت متناقضاته « وأذن ، فألى (كبش الفداء) التاريخي : الى اليهود ، كمركز للتصادم يمكن ان يتحول اليه سخط الجماهير الثائرة » . وهكذا بدأت ، منذ عام ١٩٣٣ ، في ألمانيا أشد الحملات تطرفا ضد اليهود ، بعد ان وصلت الفاشية الى الحكم (١٤) .

ويرى أنور كامل أن مفتاح المسألة اليهودية يجب أن يبحث عنه « في الاجتماع والتاريخ ، أي في تطورات الوضع الاقتصادي الذي احتله اليهود داخل المجتمع خلال مراحل التاريخ المختلفة وفي تطورات العلاقات الاجتماعية التي نشأت كانعكاس طبيعي لتطورات ذلك الوضع » . وأن المسألة اليهودية « تولدت خلال العصور كانعكاس للظروف الاجتماعية التاريخية ، التي شاهدها هذه العصور . فاليهود قد ظلوا يكونون جزءاً من المجتمع منذ حوالي ٣٥٠٠ سنة ، ومن هنا فإن مشاكل اليهود لا يمكن أن تكون منفصلة ، أقل انفصال ، عن مشاكل هذا المجتمع » (١٥) .

ويؤكد الكاتب أن الحركة الصهيونية أن هي « الا انعكاس لنحول النظام الرأسمالي من الحرية الى الاستعمارية ، انعكس على النهضة اليهودية ، فتحوّلت من الهسكالاً الى الصهيونية » (ص ٢١) .

ويشير الكاتب نفسه الى ان الوطن القومي « لم يتحول من مجرد فكرة تطوف برؤوس زعماء الصهيونية الى حقيقة سياسية واقعة الا في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) . . . ان هذا التحول لم يكن في اماكن اليهود تحقيقه الا اذا اعتمدوا على القوى الاستعمارية السائدة في فلسطين » . ويستعرض الكاتب التجاء الصهيونية المتكرر للقوى الكبرى ، كظاهرة ملتصقة بالصهيونية (١٦) .

ويبدأ الكاتب في الحديث عن وعد بلفور ، حين يؤكد ان التحالف الاستعماري الصهيوني لم « يصطبغ بالصبغة العملية الا في الحرب العالمية الاولى » . والتناقض بين القوى المتعددة التي كانت تتنازع على إعادة اقتسام العالم في هذه الحرب هو الذي عجل في تحقيق هذا التحالف . ومظهر من مظاهر هذا التناقض كان يتمثل في انقسام الحركة الصهيونية نفسها الى فرقتين : فريق قوي يؤيد ألمانيا « وفريق آخر يرى ان خدمة القضية الصهيونية ان تكون الا بوضع الحركة الصهيونية تحت تصرف بريطانيا بصفة خاصة والحلفاء بصفة عامة . ووجد رئيس الوزارة الانجليزية ، لويد جورج ، وزير خارجيته ، آرثر بلفور ، في هذا التأييد كسبا للحلفاء . وكان تصريح بلفور ، في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ « أحد مواليد هذه الظروف » (١٧) .

ويورد أنور كامل ، بعد هذا ، جملة تصريحات لزعماء صهيونيين ، تعكس مدى ارتباط الصهيونية بالامبريالية . ثم يعزز هذا المعنى بالاشارة الى حجم رأس المال الانجليزي والأمريكي المصدر الى فلسطين (الاول ٢٠ مليون جنيه ، والثاني عشرة ملايين جنيه استرليني) (١٨) .

ويرى مؤلف كتاب « الصهيونية » ان الحل الصحيح للمسألة اليهودية « يتمثل في كفاح الشعوب من أجل بناء مجتمع جديد ، لا اثر فيه لأي شكل من أشكال الاضطهاد » (٩) .

ويقتل الكتاب الى الصهيونية في التطبيق ، فيصنف دعوات زعماء الصهيونية الى التآخي مع العرب ، بالمخادعة والكذب . ويدلل على ذلك بأن « الهجرة اليهودية قد طردت عددا كبيرا من الفلاحين العرب من الأراضي التي كانوا يعيشون عليها . . . وان الاقتصاد الاسرائيلي اليهودي قد وقف عثرة في سبيل الإصلاح الزراعي في البلاد » . ويشير الى اعتراف الزعيم الصهيوني ، سميلانسكي ، بأن ٩٠ الى ٩٥ ٪ من الأراضي التي بيعت للصهيونيين كانت ملكا لكبار الملاك . ويصل الكاتب من ذلك الى استنتاج مؤداه انه « لو كان الفلاح العربي يمتلك الارض التي يرتبط بها ويعمل فيها مدى الحياة ، لما استطاع الصهيونيون اغراءه بأية وسيلة من الوسائل على ان يتنازل عنها . . . ومن

هنا مخاربة الصهيونية لاي اصلاح زراعي او أي تحسن في حالة الفلاح . . . ومن الواضح أن ظروف شراء الأرض ستسوء بتحسن الظروف الزراعية» (٢٠). ويرد انور كامل على اعلان الصهيونيين المستمر بأنهم حولوا فلسطين الى بلاد صناعية ، بأن الصهيونية تقاطع الصناعة العربية الفلسطينية ومنتجات الفلاح العربي واليد العاملة العربية (٢١).

ويدلل بجملة من الاحصائيات الرسمية، ليدحض ادعاءات الصهيونيين بأنهم ساهموا في التقدم الصحي والثقافي في فلسطين (٢٢).

ويشير المؤلف الى رفض الصهيونيين تحقيق نظام ديمقراطي في فلسطين ، ويستشهد بمقال لبن غوريون ، نشره عام ١٩٢٨ ، قال فيه : « من أجل المحافظة على السلم في البلاد ، ومن أجل حماية جماهير الفلاحين من مسلاك الأرض الكبار ، ومن أجل تأمين هجرة اليهود ، وصيانة حقهم في الوطن القومي ، يجب استمرار حكم الانتداب»! (٢٣). ويتحدث الكاتب — بعد ذلك — عن موقف الاقطاعيين العرب الفلسطينيين من الصهيونية ، فيشير الى ان « أغلبيتهم الساحقة معادية للصهيونية ، بل معادية لليهود كيهود . انهم بحكم طبقتهم يكرهون أي تغيير يطرا على حياة البلاد ، ويتوقون الى ظروف الماضي وأوضاعه : ظروف النظام الاقطاعي الآخذ في التصدع . ومن هنا حملات الارهاب والافناء التي يثيرونها ضد اليهود . ولكن هذا لا يمنع — بطبيعة الحال — من وجود فريق من بينهم مستعد لاتباع سياسة التوفيق اما مع الاستعمارية على حساب الصهيونية ، واما مع الاستعمارية والصهيونية معا» (٢٤).

والبورجوازيون العرب الفلسطينيون — في رأي المؤلف — « تابعون لرأس المال الاجنبي في معظم الحالات . فالرأسمالية العربية لم تنم بعد النمو الكافي ، ولم تستقل بعد الاستقلال الكافي ، اللذين يستحان لها بأن تضع يدها على مفاتيح الصناعة الفلسطينية ، أو أن تنزع هذه المفاتيح من بين يدي رأس المال الاستعماري . هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الصناعة الخفيفة بأكملها تكون في ايدي الصهيونيين . ومن هنا الصراع الاقتصادي ، ثم السياسي ، الذي تخوضه الرأسمالية العربية ضد رأس المال الاستعماري وضد رأس المال الصهيوني . ولكن نظرا لضعف الرأسمالية العربية من ناحية النمو الاقتصادي ، ونظرا لاعتمادها على رأس المال الاجنبي ، ونظرا لارتباطها بطبقة ملاك الأرض ، فان اقساماً منها يؤدي بها كفاحها الى المساومة ، ثم الى التعاون على نحو من الانحاء» (٢٥).

« وأما الطبقات العاملة . . . فان مقاومتها للصهيونيين أشد وأعنف . . . فالطبقات الدنيا في المجتمع العربي هي التي لاقت من التوسع الصهيوني أشد أنواع الضغط وأعنف ألوان الاضطهاد . يضاف الى هذا انه ليس في مصلحتها ، ولا من مصلحة فريق منها ، أن يتبع سياسة المساومة او التعاون . . . لقد كان لزحف اليهود الى فلسطين رد فعل طبيعي في عرب فلسطين . فالدعوة الى الزحف قابلتها دعوة أحد ضد الزحف . . . ولسوف يستمر الكفاح كأعنف ما يكون الكفاح ، حتى يتحقق للشعب العربي في فلسطين أمل الاستقلال والحرية» (٢٦).

ويلقى المؤلف الضوء على اتجاهين مكرين في الحركة الصهيونية ، وهما اتجاها « هاشومير هاتسعير » و « ايجود » ، ويحمل الاول شعار « من أجل الصهيونية ، من أجل الاشتراكية ، ومن أجل التضامن بين الشعوب » . وتمثل الاتجاه الثاني جماعة صغيرة من البورجوازيين الليبراليين أمثال الدكتور ماغنس وكالفاريسكي ، تدعو الى التبعاش بين العرب واليهود . ومن خلال كتابات وخطب زعماء هذين الاتجاهين ،

يصل المؤلف الى ان الاتجاه الاول يدعو الى المساواة العددية بين اليهود والعرب ليس في فلسطين فحسب بل مضافا اليها البلاد المجاورة . اما الاتجاه الثاني فينتق مع الصهيونية في الاهداف وان اختلف معها في الاساليب (٢٧) .

ويكشف أنور كامل سر الرداء الاشتراكي الذي ارتدته الحركة الصهيونية ، فيعيد ذلك الى دخول كثير من فقراء اليهود الى الحركة الاشتراكية، مما أفزع قادة الصهيونية، واقنعهم بضرورة ارتداء ثوب عمالي مزيف بهدف تضليل العمال اليهود ، والزعم لهم « ان الطبقات العاملة اليهودية لا يمكن ان توفق ما بينها والطبقات العاملة العالمية ، نظرا للهوة السحيقة التي خلقتها بينهما الظروف الاجتماعية والتاريخية » . ويعيد المؤلف وقوع قطاعات واسعة من العمال اليهود في فلسطين تحت تأثير الصهيونية الى الاسباب التالية : ١ - لانهم يتمتعون بامتيازات يتفوقون فيها على العمال العرب . ٢ - ولانهم يعيشون داخل اقتصاد صهيوني مغلق ، وفي احضان مجتمع صهيوني ، بينه وبين المجتمع العربي هوة بعيدة الغور ، الامر الذي كان له اكبر الاثر على تنمية الاحساس « الطائفي » بينهم . ٣ - وبسبب عدم اعتناء حكومات الحلفاء ، العناية الكافية ، بيهود أوروبا ، مما قوى الاعتقاد لدى يهود العالم بأن لا خلاص الا في فلسطين . ٤ - واخيرا ، بسبب نجاح قادة الصهيونية في تصوير الحركة الوطنية الفلسطينية كحركة رجعية ، معادية لليهود ، الامر الذي جعل اليهود يعتقدون ان في تقوية الصهيونية حماية لليهود من « الخطر العربي » ! (٢٨) .

وينتهي الكاتب التروتسكي المصري الى « ان الصهيونية حركة استعمارية مركبة . . . وان نجاح (الجيش الافقي) يتطلب القضاء النهائي على هذه الحركة » . وأوضح ان التقدميين يحاربون الصهيونية « هذه الحرب (لانها) حركة تعمل على تضليل (جيش اليهود الافقي) ، وتوجه كفاحه الى غير وجهته المنطقية الصحيحة ، بابعاده عن موجة (التحرر العام) » (٢٩) .

ولعل في هذا العرض الموجز الوافي لكتاب « الصهيونية » ، ما يوضح مدى تمسك كاتبه بالفكر الماركسي اللينيني ، والمنهج المادي . وانور كامل في كتابه هذا مخلص للموقف التروتسكي القديم من الصهيونية . فتروتسكي كان له موقف الماركسية اللينينية منها ، ولا يكاد يختلف في شيء عنها . اذ من المعروف انه تضدى للوند في مؤتمر حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، المنعقد في تموز (يوليو) ١٩٠٣ ، حين طالبوا بتنظيم مستقل لليهود . وراي تروتسكي ان حل المشكلة اليهودية « ليس في تأسيس دول يهودية ضمن دول أخرى غير يهودية ، ولكن في إعادة تركيب المجتمع تركيا اميبا متماسكا » . وضمن تروتسكي مقالا له ، نشره في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، هجوما قاسيا على الصهيونية حيث اتهمها بالافلاس . وظل تروتسكي على موقفه هذا من الصهيونية حتى عام ١٩٤٠ ، حين تراجع عنه ، وأقر - تحت ضغط تأثيره بالمذابيح التي نظمها النازية لليهود - بأهمية ان يكون لليهود وطن (٢٠) وعليه لا يكون أنور كامل مستجيبا للموقف التروتسكي الجديد من الصهيونية . مما يجعل كتابه عنها مطابقا - من الناحية الفكرية - للموقف الماركسي اللينيني ، لا التروتسكي .

وصدور كتاب أنور كامل عن « الصهيونية » ، في هذا الوقت المبكر ، وبهذا الفكر العلمي الواضح ، اعتبر - بحق - فتح جديد في مجال الابحاث والدراسات عن هذه الحركة الخطيرة . ويمكن اعتباره - دونما خشية من مبالغة - رائدا في هذا المجال في الوطن العربي ، اذ بعد صدور هذا الكتاب جاء كتاب فرج الله الحلو في لبنان ، وكتاب

قاسم حسن في العراق ، وكتاب صادق سعد في مصر ، في الموضوع نفسه وبالمنهج الماركسي ايضا .

وعانت المجموعة التروتسكية من الملاحقة الحكومية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وغابت مواقف هذه المجموعة الخاصة بالقضية الفلسطينية مع تقلص النشاط الكلي للمجموعة . وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين ، ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، أصدر أنور كامل كراس «أميون الشعب» ، معتبرا «موسكو أميون الشعب» ، حسب عنوان أحد الفصول . وقال انه يريد فقط إبراز « مدى المسخ الذي يمكن ان تعمد اليه — لتبرير أخطائها — طبقة حاكمة جديدة . ليس من العجيب ، مثلا ، ان يتهم تروتسكي بالجاسوسية ، حتى في الوقت الذي كان يتولى فيه وزارة الدفاع ، ويقود الجيش الاحمر ، ويقهر المحاولات التي بذلتها الدول الرأسمالية لسحق الثورة ؟ » وينتهي أنور كامل الى التنديد بما أسماها « البيروقراطية الكرميلينية » ، لموافقتها على تقسيم فلسطين ، والشيء نفسه فغله المؤلف عند حديثه عن ستالين وعن الاحزاب الشيوعية العربية . وفي نهاية الكراس يعتذر الكاتب « للاصدقاء الاعزاء ، الذين حاولوا ان يثبوني عن نشر هذه الاحاديث ، حرصا على مستقبلنا السياسي ، فيما يتصورون » . وكأنه أحسن بمدى رد الفعل والاستنكار لما أقدم عليه ! وانتهى أنور كامل — في كتابه هذا — الى مطالبة الشعوب بتكوين معسكر ثالث ، غير المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي (٢١) .

وبصدور « أميون الشعب » لفظت جماعة « الخبز والحرية » آخر أنفاسها . اذ اعتبر هذا الكراس ارتدادا من قائد الجماعة عن الماركسية . وبذا طويت صفحة التروتسكية في مصر الى يومنا هذا .

بالاشتراك في تدبير اضطرابات سيلان عام ١٩٧٢ . أما رمسيس يونان فكان أبرز النقاد التشكيليين في مصر ثم سافر الى باريس حيث عمل مذيعا في إذاعتها ، الا انه هجرها عام ١٩٥٦ ، بعد ان شاركت فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر . وعمل بعد ذلك ناقدا للفن التشكيلي في صحيفة « الاهرام » القاهرية الى ان وافته المنية في اواخر ١٩٦٦ . وكامل التلمساني من مخرجي الواقعية في السينما المصرية ، وتوفي في اواخر ١٩٧٢ . أما لطف الله سليمان فهو صاحب دار النديم للنشر في القاهرة والتي صادرتها الحكومة المصرية في اوائل عام ١٩٥٩ ، بعد ان قدمت طوال أكثر من ثلاث سنوات العديد من الكتب التقدمية ، ولطف الله الآن في باريس ، بعد ان ترك الجزائر حيث عمل ضمن مستشفى الريس الجـزائري السابق ، أحمد بن بيلا . والدكتور مجدي وهبة هو الآن وكيل وزارة الثقافة المصرية ونجل

١ — دة . رفعت السعيد : جلسة معه ، ١١/٨/١٩٧٠ . (ويعتبر الدكتور السعيد — بحق — مؤرخ اليسار المصري) .

٢ — النيابة العسكرية العليا (القاهرة) : اقوال المتهم الاول ، أنور كامل ، امام النيابة العسكرية العليا في قضية الاشتراكية ، المتهم فيها مع اعضاء جمعية « الخبز والحرية » ، بالاتفاق الجنائي على طلب نظام الحكم بالقوة ، حزيران (يونيو) ١٩٤٢ (مخطوط أطلعني عليه الاستاذ أنور كامل مشكورا) .

٣ — أنور كامل ، جلسة معه ، ١١/٢٢/١٩٧٢ .

٤ — النيابة العسكرية العليا ، مصدر سبق ذكره .

٥ — أنور كامل ، جلسة معه ، ١١/٢٢/١٩٧٢ . وقد توفي جورج حنين عام ١٩٧٣ في باريس ، وكان أحد أبرز قادة سكرتارية باريس ، احدى انشقاقات الامنية الرابعة ، واتهم قبل وفاته

- ١٥ - المصدر نفسه ، ص ٨-٩ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٤ .
- ١٧ - المصدر نفسه ، ص ٢٥-٢٦ .
- ١٨ - المصدر نفسه ، ص ٢٧-٢٨ .
- ١٩ - المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
- ٢٠ - المصدر نفسه ، ص ٢٩-٣٤ .
- ٢١ - المصدر نفسه ، ص ٣٦-٣٨ .
- ٢٢ - المصدر نفسه ، ص ٣٩-٤٠ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٠-٤١ .
- ٢٤ - المصدر نفسه ، ص ٤٢-٤٣ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ٤٣-٤٤ .
- ٢٦ - المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
- ٢٧ - المصدر نفسه ، ص ٤٥-٥١ .
- ٢٨ - المصدر نفسه ، ص ٥٢-٥٨ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، ص ٥٨-٥٩ .
- ٣٠ - ناجي ملوش: الماركسية والمسألة اليهودية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٦-٣٨ .
- ٣١ - أنور كامل ، أفئون الشعب ، القاهرة ، كائون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، ص ٢٢ ، ٣٧ ، ٦١ - ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ .

- مراد وهبة باشا . وبالإضافة الى كل هؤلاء كتب في « التطور » كل من : توفيق حنا ، فيصل عبد الرحمن شهيندر (سوري) ، زكي سلامة ، حسن محبوب ، زاهر غالي ، واحمد رشدي ، عبد العزيز هيكل ، محمد صادق دراج ، أنور شتا ، ومحمد العزاوي .
- ٦ - النيابة العامة العسكرية العليا ، مصدر سبق ذكره .
- ٧ - أنور كامل ، جلسة معه ، ١٩٧٢/١١/٢٢ .
- ٨ - المصدر نفسه .
- ٩ - النيابة العامة العسكرية العليا ، مصدر سبق ذكره .
- ١٠ - المصدر نفسه .
- ١١ - المجلة الجديدة ، العدد ٤٣٩ ، آذار (مارس) ١٩٤٤ ، ص ٦-٧ .
- ١٢ - أنور كامل ، جلسة معه ، ١٩٧٢/١١/٢٢ .
- ١٣ - أنور كامل ، الصهيونية ، دار المطبوعات الشعبية ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٤٤ ، ص ١٣-٤١ .
- ١٤ - المصدر نفسه ، ص ٩-١٢ .

اليسار الماركسي والقضية الفلسطينية

كارن فرسون
د. سميح فرسون
الكسي عجي

المنظم الوحيد لمواقف اليسار من الشرق الاوسط . وهكذا فان تقييم مواقف هذه الفئة يعرفنا الشيء الكثير عن اليسار الاميركي كله .

كانت أول تنظيمات يسارية ظهرت في الولايات المتحدة الحزب الاشتراكي (الذي سمي الديمقراطية الاشتراكية ، الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، والحزب الديمقراطي في مراحل مختلفة من نموه) ، وحزب العمل الاشتراكي (وهو محصلة الاحزاب العمالية التي أنشأها المهاجرون الالمان وغيرهم) ، وعدد من احزاب العمال التقدمية مثل عمال العالم الصناعيين ، حزب الفلاح والعمال في ميسوتا ، وحزب العمل الاميركي في ولاية نيويورك . وتلتزم معظم هذه الاحزاب تكتيكا ، ان لم يكن فلسفيا ، بالوصول الى السلطة السياسية عن طريق الانتخاب وبالاصول البرلمانية . كما ان معظم هذه الاحزاب اصلاحية في متابعة أهدافها الاقتصادية داخل اتحادات العمال ، وفي دعوتها لتأميم الخدمات والصناعات الاساسية ، وفي معارضتها لسياسة الولايات المتحدة الخارجية المتعلقة بالاستيلاء على أراضي الآخرين خارج اميركا ، وبالاشتراك في الحرب العالمية الاولى .

وتم انشاء الحزب الشيوعي الاميركي في اوائل العشرينات ، على اثر انتصار ثورة اكتوبر في روسيا . وقد ازدادت قوة هذا الحزب بسرعة في العشرينات (على حساب الاحزاب الاشتراكية

هدف هذا المقال تحليل مواقف وممارسات التنظيمات اليسارية في الولايات المتحدة من الصراع في الشرق الاوسط ، وخاصة ما يتعلق بحرب تشرين والقضية الفلسطينية* . وتعتبر هذه الدراسة على تحليل لمضمون منشورات هذه التنظيمات كالبرامج الحزبية والبيانات والاجابات على الاستفسارات المكتوبة(١) . وتعتبر التنظيمات المشمولة في هذا المقال نفسها ماركسية ومعادية للاستعمار ، وهي منظمة رسميا على نطاق وطني و/او اقليمي ، وهي تصدر برامج سياسية رسمية . وتشكل هذه التنظيمات ومطبوعاتها قطاعا عريضا من وجهات النظر حول اليسار ، وهي تشمل تقريبا كل التنظيمات اليسارية الرئيسية الاميركية الناشطة حاليا . ولكن تجدر الاشارة الى ان عضوية هذه التنظيمات والاحزاب تضم نسبة صغيرة لا تزيد على ١٥ - ٢٠ ٪ (٢) من مجموع اليساريين في الولايات المتحدة . وهكذا فان الغالبية العظمى من اليساريين لا ينتمون الى هذه الاحزاب ، وهم غير منظمين ومتفرقون في ارجاء البلاد . ورغم ذلك فان معظم اليساريين يقرأون مطبوعات التنظيمات اليسارية كما تدل على ذلك ارقام توزيعها(٣) . وهناك آخرون يقرأون صحفا سرية يقوم معظمها بتفسير الاحداث المحلية والعالمية من وجهة نظر تقدمية(٤) . ورغم ان هذه المنشورات والمطبوعات تمثل جزءا صغيرا من اليسار الاميركي ، فان مضمونها يعتبر المصدر

* كان من المفروض ان ينشر هذا المقال الذي وصلنا في صيف ١٩٧٤ في عدد اكتوبر من «شؤون فلسطينية» ، أي في الذكرى الاولى لحرب تشرين . الا ان رئاسة التحرير اضطرت الى تأجيله مرارا بسبب طوله بالنسبة الى الحجم المعتاد في دراسات المجلة .

وقد استمر اليسار القديم في أوروبا والولايات المتحدة في تأييد إسرائيل ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ . وكان هذا اليسار يعمل تحت تأثير خرافات كثيرة، كخرافة الديمقراطية الإسرائيلية (أ)، وخرافة كون إسرائيل بالنسبة للعرب كداود بالنسبة لجوليات . وهكذا فقد تجاهلت احزاب اليسار القديم الطبيعة الاستيطانية - الاستعمارية للصهيونية واسرائيل .

ومع ان اسرائيل مارست سياسات رجعية ، داخليا وخارجيا ، منذ انشائها ، فان اليسار الغربي - ربما باستثناء الاحزاب الشيوعية - اما تجاهل تلك السياسات او وجد لها تبريرا طبقا لخطوط الدعاية الصهيونية . فقد تجاهل اليسار الاوروبي تأييد اسرائيل لتدخل الولايات المتحدة في كوريا ، وتأنيدها لفرنسا في فيتنام مع معارضتها لضمال الشعب الجزائري الوطني التحرري ، واشتراك اسرائيل في الهجوم الاستعماري الثلاثي على مصر (حرب السويس عام ١٩٥٦) ، وموقف اسرائيل المؤيد للاستعمار الامريكى في حرب فيتنام ، وموقف اسرائيل الصريح المؤيد للاستعمار في مجال العلاقات الخارجية . اما في المجال الداخلي ، فان رفض اسرائيل عودة اللاجئين الفلسطينيين ، واضطهادها للاقلية العربية الفلسطينية التي لم تنزح ، ووضع هذه الاقلية تحت الحكم العسكري ، يبدو انها أمور لم تنقع من حواس وتأبيد اليسار القديم لاسرائيل .

ولم يحدث اي تغيير جذري في موقف اليسار من الصهيونية واسرائيل وفلسطين ، وبالتالي من العرب ، الا بعد بروز اليسار الجديد في الولايات المتحدة ومانيا في الستينات . وقد اتت حرب حزيران ١٩٦٧ ، مع تطور الحركة المعادية للاستعمار في الولايات المتحدة حول دور امريكا في فيتنام ، لتنفص خرافات اليسار الامريكى حول اسرائيل ، ولتنفض طبيعتها الحقيقية . وقد كانت تلك اللحظة نقطة تحول تاريخي في علاقة اليسار الامريكى (والاوروبى) بالصهيونية واسرائيل ، لدرجة ان الالتزام التام للمفكرين واليساريين - الليبراليين والديمقراطيين الاشتراكيين - قد انتهى منذ تلك اللحظة (٧) .

اليسار الجديد والاستعمار وتحرير العالم الثالث : ان المصادر البنيوية لليسان الجديد تأتي من المناقشات المتزايدة في الحدة للرأسمالية

والعمالية الى حد ما) ولكنه ما لبث ان انقسم على نفسه نتيجة للانقسام الستاليني - التروتسكي في الاتحاد السوفياتي . وقد تم انشاء حزب تروتسكي في اواخر الثلاثينات وهو حزب العمال الاشتراكي .

ولم يتمكن اليسار القديم من الانطلاق اثناء الازمة الاقتصادية الكبرى في اوائل الثلاثينات لان التحركات الشعبية (الى داخل والى خارج التنظيمات الاشتراكية والعمالية) ، و« صفقة روزفلت الجديدة » ، والتطهرات الستالينية ، قد اقتدت اليسار الكثير من رونقه . ومع ذلك فان تأثير اليسار في شكل ميول يمارية - ليبرالية قوية كان ملموسا في اوساط المفكرين والصحفيين والطلاب ومسؤولي « الصفقة الجديدة » ، والمستشارين ، واليهود الذين كان وجودهم في قوى اليسار لا يتناسب مع نسبتهم العددية (٥) .

ويبدو ان اليسار القديم كان متعاطفا مع الصهيونية ، ولكن موقفه المؤيد للصهيونية تطور اثناء تصاعد النازية في المانيا ، والارهاب النازي ، والحرب الفلسطينية التي ادت الى خلق دولة اسرائيل . والامر الذي ادى الى تقوية مشاعر اليسار القديم تجاه الصهيونية واسرائيل كان (وربما لا يزال) الشعور القوي بالذنب نظرا لعدم فعالية زده على الفظائع النازية . وبالإضافة ، فان كون حكومات اسرائيل خضعت باستمرار لسيطرة حزب يهينسي اشتراكي (اشتراكي ديمقراطي) ، ووجود اتحاد العمال الاشتراكي « الهستدروت » وحركة « الكيبوتزات » التعاونية قد دعمت من عطف اليسار على اسرائيل . وهذا يفسر جزئيا الدم الذي تلقاه اسرائيل من الاحزاب الاوروبية الاشتراكية الديمقراطية والتي كانت تسمى بالاحزاب العمالية او الاشتراكية . اما الحزب الشيوعي الامريكى فقد اتبع ، كالأحزاب الشيوعية في أوروبا ، موقف الاتحاد السوفياتي في الاعتراف بدولة اسرائيل .

ويبدو ان اليسار القديم لم يكن يعتبر الفلسطينيين العرب بشرا ، أو ربما تكون الدعاية الصهيونية التي ركزت على « فلسطين ارض بلا شعب » قد قبلت بدون أي تساؤل . وفي كلا الحالتين ، ومع قيام دولة اسرائيل وتشقت الفلسطينيين اتخذ الصراع في الشرق الاوسط شكل صراع بين دول : اسرائيل من جهة والدول العربية من جهة اخرى .

مثل اقامة وحماية العيادات الصحية المجانية او الزهيدة التكاليف ، والاحتجاج على تلويث البيئة بمشاريع الاعمار ، واقامة المهرجانات السياسية المحلية المعادية لاجهزة البلديات الحكومية الفاسدة ، وانشاء التعاونيات المختلفة للبقالة والمؤن والاسكان ورعاية الاطفال ، وتنظيم مظاهرات احتجاج للمستهلكين ضد التضخم المالي . وهم يعملون أيضا على بناء حركة من صغار الموظفين والعمال داخل النقابات(٨) ، ويساعدون على تنظيم حملات تأييد للنقابات التقدمية . ومن الأمثلة على ذلك ، تأييد اتحاد عمال الزراعة الاميركي ، واتحاد عمال الحياكة ، واتحاد عمال المستشفيات رقم ١١٩٩ . وتهدف كل هذه الحملات الى تنظيم القطاعات العمالية المستقلة اكثر من غيرها والتي لم تنضم الى النقابات .

ويشارك الماركسيون ايضا في التنظيمات الطلابية الجامعية ، بما فيها التحالف المعادي للاستعمار بين الاقلية الاميركية والطلاب الاجانب . وقد أنشأوا العديد من الحلقات التعليمية الصغيرة في معظم الجامعات لدراسة الماركسية وتطبيقها على الوضع الحالي في امريكا . وقد نشط الماركسيون بشكل خاص في تطوير « الصحافة السرية » ، وهي تقنية لتكاثر الصحف المحلية المناهضة للمؤسسة الحاكمة والموجهة الى الفقراء والبروليتاريا . وتقوم « الصحافة السرية » باعطاء معلومات عن الصراعات المحلية (مثل نضال العمال والمدافعين من البيئة اللذين ذكرا قبالا) وتحليلها وتقديم تفسيرات بديلة للاخبار المعالية(٩) . ومن الأمثلة على الصحف السرية صحيفتا سبارك التي تصدر في منطقة واشنطن ، و « أون ذي لاين » التي تصدر في بلتور ، ماريلاند . وهناك جانب أساسي من اليسار المعاصر في الولايات المتحدة يجب ان نشير اليه وهو انه مهزق وان كل فئة من فئاته متعصبة لنفسها ولفكرها كثيرا . فكل فئة تنتقد غيرها انتقادا مريرا وقالبا ما تشبته هذه الفئات مع بعضها بعضا . وقد يكون هذا المهزق عاملا حاسما من عوامل عجز اليسار الاميركي بشكل عام . وهكذا يجب ان يبقى واضحا في ذهن القارئ ان اليسار الاميركي ما يزال نسبيا قوة هامشية في امريكا رغم الزيادة الكبيرة في حجمه مؤخرًا . وسنعالج في هذا المقال كل فئة او تنظيم

الاميركية والاستعمار الاميركي . وتعد جذور اليسار الجديد الى فترة الستينات الحرجة والدقيقة التي ولدت عدة حركات احتجاج وحركات تقدمية: الحزق المدنية والقمونية السوداء ، الحضارة البديلة (الهيبون) ، الحركة الطلابية (وخاصة الطلاب من اجل مجتمع ديمقراطي) ، وحركات السلام والعداء للحرب (فيتنام) ، والحركة النسائية(١٠) . وقد نمت كل هذه الحركات عقائديا باتجاه تأييد نضال السود في امريكا ، وضد التدخل في فيتنام ، ومن اجل تحرير النساء .

وقد تطورت هذه الحركات باتجاه تجمعات ذات وجهات نظر سياسية ثورية تشدد على التحليل المادي للمجتمع الاميركي ، والى عقيدة معادية للراسخالية ومعادية للاستعمار تعمل للتضامن بين البروليتاريا ، وفي العالم الثالث وبين الشعوب المضطهدة الاخرى . وعلى اساس هذه العقيدة ، بدأت حركة المقاومة الفلسطينية - التي بعثت بمد حرب ١٩٦٧ - وحركة التحرر العربية المعادية للاستعمار الغربي الجديد - وخاصة الاستعمار الاميركي الجديد - بدأت تحظى بعطف اليسار الاميركي بسرعة متزايدة ، وكذلك بعطف بعض فصائل اليسار القديم التي اعيد احياؤها ، وخاصة الفصائل المهتمة بمركية حركات التحرر الوطني في العالم الثالث بالنسبة الى التطور الثوري العالمي . بعث اليسار : أدى اليسار الجديد في امريكا الى خلق عدة منظمات جديدة رسمية وغير رسمية . وتشكل هذه المنظمات ، بالاضافة الى منظمات اليسار القديم التي اعيد تنشيطها ، بعث اليسار في الولايات المتحدة واوروبا . وهذا اليسار الجديد ماركسي الاتجاه الى حد كبير ، وقد وجه انتقادات خطيرة الى اليسار القديم الليبرالي والى الميول الديمقراطية الاشتراكية . ولكن هذه التنظيمات ليست كبيرة من حيث عددها وعدد اعضائها وتوزيع مطبوعاتها . وهي لم تستطع لان تغيير مواقف عدد كبير من الناس من العقيدة الليبرالية المسيطرة ، كما انها لم تبعث القراء عن متابعة الصحافة الليبرالية والتجارية السائدة . ولكن من ناحية اخرى يقوم الذين يعتقدون افكار اليسار الجديد ، وخاصة الماركسيون ، بنشر افكارهم من خلال نشاطات اجتماعية وسياسية عديدة . فهم يشاركون وغالبا ما يقودون نشاطات لها قاعدة جماهيرية ،

تورث ، والحلف الاسبرطي ، وفرعه للشبان
المسمى سبارتكوس الصغير (يونغ سبارتكوس) ،
وهو يصدر وركز فانكارد ، وعصبة العمال ،
الذي يصدر ذي بوليتين ، وعصبة الصراع الطبقي،
الذي يصدر كلاس سترافل .

وقد ابتعد حزب العمال العالمي ، وهو انشقاق
قديم عن حزب العمال الاشتراكي ، عن العقيدة
التروتسكية - وخاصة حول الصين وفيتنام - الى
درجة يمكن معها اعتباره التيار الثالث المستقل .
ولكوادر هذا الحزب ومؤيديه ، وخاصة في جناحه
الشبيبي المسمى «الشبان ضد الحرب والفاشية» ،
نشاط ملموس من اجل عدة قضايا بما فيها قضية
فلسطين ، وبكافة الاشكال كالنظواهرات والحلقات
الدراسية والمحاضرات وأيام التضامن الخ . اما
صحيفة الحزب فهي وركز وولد .

اما التيار الرابع فقد ظهر على المسرح الاميركي
منذ الستينات فقط . وهو يضم مجموعة من
المنظمات الماركسية - اللينينية التي تستوحي
افكارها من الفلسفة الثورية الصينية ، ولكنها
منقسمة على نفسها . وهذه المنظمات المناوئة
لليسر القديم تشكل تيارا رئيسيا من تيارات اليسار
الجديد . وتنتمي كوادر هذه المنظمات الى العمال
والطلاب والمثقفين ، وهي تضم «عصبة أكتوبر»
التي تصدر صحيفة ذي كول (النداء) ، و«الاتحاد
الثوري» وتنظيمه الطلابي «كتيبة اتكا» ولهما
صحيفتا ريفوليوشن (الثورة) و فايت باك . ويجب
أن نذكر ان هناك عددا كبيرا من المجموعات
الدراسية ومجموعات العمل الجماهيري التي تلزم
فلسفيا بهذا التيار ، ولكنها غير منظمة ضمن الاطر
الحزبية . وأوسع مطبوعة معروفة لهذا التيار هي
ذي غارديان ، والتي لا تصدر عن اي حزب معين .
ولكن ذي غارديان تنشط في محاولة تجميع هذا التيار
كله في حزب وطني . وينشط كوادر ومناصرو هذا
التيار في تنظيم العمال والطلاب وفي اظهار تضامنهم
مع نضال حركات التحرر في العالم الثالث بما فيها
فلسطين .

اما حزب العمل التقدمي ، وهو انشقاق يساري
عن الحزب الشيوعي الاميركي ، فقد كان يؤيد صين
ماو في بداية عهده ، لكنه اخذ - منذ العام
١٩٧٠ - ينتقد بشدة ما يراه على انه اتجاه وسطي
ويميني في جمهورية الصين الشعبية . وهذا الحزب

على حدة .

التيارات الرئيسية الحالية

في اوساط اليسار عدة تيارات رئيسية حاليا .
ورغم اننا سنفصل بين هذه التيارات لتسهيل
التحليل ، فهناك في الواقع بعض التطاق والتبادل
فيما بينها ، لان التطور الجدلي للافكار والخبرة
التاريخية تخلق تغييرا او تحولا في العقيدة
والعضوية والتحالفات فيما بين هذه التنظيمات
المختلفة .

هناك اولا الحزب الشيوعي الاميركي الذي يتبع
خط موسكو . وهذا الحزب يتألف من اجنحة يسارية
من تنظيم «عمال العالم الصناعيين» ، و«الحزب
الاشتراكي» اللذين كانا قائمين في اوائل العشرينات.
وقد كان هذا الحزب المنظمة الماركسية الاولى في
الولايات المتحدة ، وخاصة في العشرينات واثنا
الازمة الاقتصادية الكبرى . وهو ما يزال يتبع
خط موسكو ، ويصدر صحيفة يومية ذي دايلي وولد
(والتي كانت تسمى سابقا ذي دايلي وركز) وهي
اوسع مطبوعات اليسار الاميركي انتشارا .

يتألف التيار الثاني من عدد من التنظيمات
التروتسكية . ومن بين هذه التنظيمات : «حزب
العمال الاشتراكي» وتنظيمه الشبيبي ، و«التحالف
الاشتراكي الشباب» . والتنظيم الاخير هو اكبر
واقدم التنظيمات التروتسكية ، على الاقل من حيث
حجم توزيع صحيفته ذي ميليتانت . وقد نشأ حزب
العمال الاشتراكي في العشرينات على اثر انشقاق
تروتسكي عن الحزب الشيوعي الاميركي بعد المؤتمر
الشيوعي العالمي الرابع . وقد تم تأليف الحزب
رسميا في اواخر الثلاثينات (وشكل جناحه الشبيبي
في الستينات) ، وهو ما يزال التيار التروتسكي
المهيمن . وحزب العمال الاشتراكي ، ككل التنظيمات
التروتسكية ، هو حزب كوادر ، وكان يتألف من
عمال صناعيين ما بين ١٩٤٠ و ١٩٦٠ . ومنذ عام
١٩٦٠ عهد الحزب الى توسيع القاعدة الطبقيّة
لكوادره .

وقد أدت تيارات فرعية داخل التيار التروتسكي
العام الى انشقاقات من حزب العمال الاشتراكي
والاحزاب الاخرى في الخمسينات مثل الاشتراكيين
العالميين ، الذي يصدر وركز ساور وفي السنوات
الاخيرة مثل الحلف الثوري الاشتراكي، الذي يصدر

ومن بين اعضاء هاتين الحركتين عدد كبير من المتقنين الذين اتوا مباشرة من حركة « الطلاب من اجل مجتمع ديمقراطي » ، ومن الحركة المناهضة للحرب.

ويضم التيار السابع « حزب العمل الاشتراكي » القديم الذي يصدر ذي ويكلي بيبول . وتمتد جذور هذا الحزب ، مثل «الحزب الديمقراطي الاشتراكي» الى الحركات العمالية في القرن التاسع عشر . وهو يعتمد على الاسلوب البرلماني لكسب السلطة السياسية ، ولكنه ، على عكس « الحزب الديمقراطي الاشتراكي » ، يدعي انه ماركسي . وقد كان هذا الحزب قويا في السابق وله اطراف في كافة انحاء الولايات المتحدة ، غير انه محصور الآن في مدينة نيويورك .

وهناك مجموعة من بقايا المنظمات التقدمية التي جاء بعض اعضائها من العسكريين وبعضهم الاخر من حركات الاحتجاج في الستينات ومن اليسار الجديد . وتضم هذه المجموعة « قدامى محاربي فيتنام ضد الحرب » التي تصدر « ونتر سولدجر » و« هاي واي ١٢ » ، و« اتحاد العسكريين الاميركيين » الذي يصدر ذي بوند .

وفيما يلي نقدم تقييما مفصلا حول مواقف التيارات والفئات المختلفة خلال وحتى مرور ثلاثة شهور على حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

الحزب الشيوعي للولايات المتحدة الاميركية :
يظهر من صحيفة الحزب ، ذي دايلي ورلد (سابقا ذي دايلي وركر) ان الحزب يتبع الخط السياسي للاتحاد السوفياتي . وهذا يعني ، من ناحية ، تأييد سياسة الوفاق والتعايش السلمي مع الغرب الرأسمالي ، وتأييد دور الاتحاد السوفياتي في الشؤون الدولية « كقوة سلام » . . . مثل السماح لقرار وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ بالمرور في الامم المتحدة (١٢) . وهو يعني ، من ناحية اخرى ، الموافقة على دعم السوفيات لنضال حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار الغربي . والحزب ينظر الى الدعم الاقتصادي والعسكري السوفياتي للدول العربية ، على وجه الخصوص ، على انه بناء لمواجهة الاستعمار الاميركي هناك (١٢) . وقد كان ذلك الدعم بالإضافة الى الدبلوماسية السوفياتية العامل الذي اجبر نيكسون على التراجع عن انذاره العدواني والضغط على اسرائيل لكي تشارك في مفاوضات وقف اطلاق النار . ويرجع الحزب في

بالتالي يشكل التكتل الخامس المستقل ، وهو يحاول حاليا تنظيم مؤتمر عالمي جديد لليسار . وهذا الحزب ينشط في تنظيم العمال وفي اظهار تضامنه مع نضال الشعوب المضطهدة في الولايات المتحدة وخارجها . وهو يصدر صحيفة ذي تسالنج .

أما التيار السادس فيتألف من المنظمات والمؤتمرات الحزبية داخل التنظيمات العريضة للاقلييات المضطهدة في امريكا ، كالسود والبورطوريكيين وغيرهم . ويضم هذا التيار على وجه التحديد المنظمات الراديكالية السوداء « كالفود السود » ، و« مؤتمر العمال السود » ، و« حلف العمال السود الثوري » ، و« عصبة العمل في المدينة » . وتقوم هذه المنظمات بالاشتراك مع « الحزب البورتوريكي الاشتراكي » ، و« منظمة العمال البورتوريكيين » ، و« حركة الهندود الاميركيين » ، باظهار تضامنها مع حركات التحرر في العالم الثالث بما فيها الحركة الفلسطينية . وقد فوجئت حركة «تشيكانو» المؤيدة تماما للفلسطينيين ، وخاصة فرقتها المسرحية ، حين أعلن سيزار تشافز سزعيم منظمة « عمال الزراعة المتحدون » المناضلة تأييده العلني لاسرائيل (١١) .

أما التيار السابع فيتألف من الديمقراطيين الاشتراكيين ومن مجموعات تقدمية أخرى لم تتخذ لنفسها أسماء . ويعتقد الجناح اليميني لهذا التيار على « الحزب الاشتراكي » السابق وعلى امتداداته التي تحولت بتأثير ميشال هارنغتون الى « الحزب الديمقراطي الاشتراكي » ، الذي يصدر صحيفة نيو امريكا . وقد طور هذا الحزب عقيدة اصلاحية ليبرالية - يسارية تنادي بدولة الرفاهية ، ويدعم على الصعيد المحلي بيروقراطية اتحاد العمال ، وليس له مواقف سياسية واضحة - اذ ينتقد سياسة امريكا في الهند - الصينية ويؤيدها في الشرق الاوسط . و« الحزب الديمقراطي الاشتراكي » على عكس الاحزاب اليسارية الماركسية التي تعتمد على الكوادر ، هو حزب جماهيري .

ومن الحركات التي تحاول بناء احزاب جماهيرية « الحركة الاميركية الجديدة » التي تصدر مطبوعة بالاسم نفسه ، و« حزب الشعب » الذي يصدر غراس روتنس . ويمكن اعتبار هاتين الحركتين الجناح اليساري للتيار الديمقراطي الاشتراكي .

الواقع الفضل في جعل « انتصار » العرب في أكتوبر ١٩٧٣ وفي تهديم اسطورة اسرائيل التي لا تقهر ، الى الدعم السوفياتي لمصر وسوريا ، وخاصة في مجال التخطيط العلمي والتخطيط العسكري العقلاني(١٤).

ويؤيد الحزب الشيوعي الامريكى مظاهر التضامن في العالم الثالث، مثل قطع الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، والتضامن الذي أظهره العرب في مؤتمر الجزائر وحظر شحن النفط(١٥).

ويرى الحزب ان الفائدة النهائية لهذا التضامن تكمن في توسيع المعسكر المعادي — للاستعمار بقيادة الاتحاد السوفياتي ، وفي الوقت نفسه زيادة عزلة الولايات المتحدة واسرائيل(١٦). ويتعرض الشيوعيون ان التعايش السلمي سيصبح مضمونا أكثر عندما تعلم امريكا واسرائيل حدود قوتها .

وينظر الحزب الشيوعي الامريكى الى حرب أكتوبر على انها نضال عادل من جانب مصر وسوريا لاستعادة الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧(١٧). وبالتالي فنكك الحرب في نظر الحزب كانت حرب تحرير وطني محدودة (لا تشمل اهداف الفلسطينيين في استعادة كل الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٤٨ وما بعد) . ويلقي اللوم في الحرب على سياسة الضم الاسرائيلية في الاراضي المحتلة مما حدا بمصر وسوريا الى التقسام برد عسكري(١٨). وهم يشيرون الى قول السادات « كان هدف مصر تحرير الاراضي المصرية المحتلة وليس تدمير اسرائيل »(١٩). ويوافق الحزب الشيوعي الامريكى على رغبة مصر واسرائيل في قبول وجود دولة اسرائيل ، وفي تطبيق قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، وفي دعوة مصر الى قيام قوات اجنبية بتطبيق وقف إطلاق النار ، وعلى تحركات السادات للوفاق مع الولايات المتحدة(٢٠). ولم تكن أي من تلك الخطوات ممكنة لولا النصر المحدود الذي حققته مصر وسوريا في الحرب المحدودة .

ويرجع الحزب السياسات التوسعية لاسرائيل في الاراضي المحتلة الى زمرة دايان العسكرية العدوانية الحاكمة(٢١). وهو يعتبر قادة تحالف حزب العمل الاسرائيلي الحاكم عملاء للاستعمار الامريكى ولبدأ نيكسون في الشرق الاوسط ، وانهم كانوا يلعبون دور البوليس في المنطقة لحماية مصالح النفط الامريكى ، ولتخ العرب من تحقيق تحررهم

القومي ، ولتصفية الحقوق المعادلة للشعب الفلسطيني(٢٢). ويتقوم الحزب بتدعيم نظريته هذه بتقارير حول المساعدة العسكرية الامريكى الضخمة لاسرائيل وبناء ترسانة سلاح هناك ، وحول مدى اعتماد اسرائيل اقتصاديا على الولايات المتحدة(٢٣). ويركز الحزب على ان دولة اسرائيل والشعب الاسرائيلي قد عانوا من عدم تمكنهم من التمتع بالسلم والاستقرار نتيجة لسياسة مائت — دايان . وان معنويات الاسرائيليين منخفضة نتيجة لارتفاع نسبة الاصابات بينهم في حرب أكتوبر ، ولاتعزل اسرائيل الدبلوماسية على نطاق عالمي . كما ان الاقتصاد الاسرائيلي مرهق نظرا للاتفاق الكبير على المتطلبات العسكرية والذي يقتطع من ميزانية الخدمات الضرورية ، ونتيجة لانخفاض نسبة الانتاج بسبب تعبئة الطاقة العمالية في القوات المسلحة . كما ان الصبال وعائلاتهم لا يجدون ما يتفقون بسبب التضخم المالي وارتفاع الضرائب وشراء الاسهم الوطنية اجباريا ... وهذه الامور كلها ترجع الى حالة الحرب المستمرة او الدائمة(٢٤). ونقلت ذي دايلي ورلد عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي (ملكي) قوله: « ان العقيدة والممارسة الصهيونيتين (اشارة الى استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧) تتعارضان مع المصالح الاشتراكية والتقدمية في العالم ومع رغبة الشعوب في التحرر الوطني . ونحن نود في ان نشدد على ان العقيدة والممارسة الصهيونيتين تتناقضان مع مصالح العمال اليهود في كل مكان ، ومع المصالح الوطنية لشعب اسرائيل »(٢٥).

ويرى الحزب الشيوعي الامريكى ان الطريق الوحيد للسلام ولتحقيق مصالح اسرائيل الوطنية هو من خلال تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ومن خلال المفاوضات مع العرب(٢٦). وهذا الطريق سسيوفر الامور التالية : (١) انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، (٢) الاعتراف بالسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة ، بما فيها اسرائيل ، على اساس حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ (مع ضمانات دولية لهذه الحدود) ، و (٣) تحقيق حقوق الفلسطينيين(٢٧). وينقل عن شيوعي امريكى بارز اسمه هيريت ابشكر قوله : « العدوان في الشرق الاوسط يأتي من حكومة تل — ابيب ، ويمول

وينظر الحزب الشيوعي الامريكى الى حرب أكتوبر على انها نضال عادل من جانب مصر وسوريا لاستعادة الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧(١٧). وبالتالي فنكك الحرب في نظر الحزب كانت حرب تحرير وطني محدودة (لا تشمل اهداف الفلسطينيين في استعادة كل الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٤٨ وما بعد) . ويلقي اللوم في الحرب على سياسة الضم الاسرائيلية في الاراضي المحتلة مما حدا بمصر وسوريا الى التقسام برد عسكري(١٨). وهم يشيرون الى قول السادات « كان هدف مصر تحرير الاراضي المصرية المحتلة وليس تدمير اسرائيل »(١٩). ويوافق الحزب الشيوعي الامريكى على رغبة مصر واسرائيل في قبول وجود دولة اسرائيل ، وفي تطبيق قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، وفي دعوة مصر الى قيام قوات اجنبية بتطبيق وقف إطلاق النار ، وعلى تحركات السادات للوفاق مع الولايات المتحدة(٢٠). ولم تكن أي من تلك الخطوات ممكنة لولا النصر المحدود الذي حققته مصر وسوريا في الحرب المحدودة .

ويرجع الحزب السياسات التوسعية لاسرائيل في الاراضي المحتلة الى زمرة دايان العسكرية العدوانية الحاكمة(٢١). وهو يعتبر قادة تحالف حزب العمل الاسرائيلي الحاكم عملاء للاستعمار الامريكى ولبدأ نيكسون في الشرق الاوسط ، وانهم كانوا يلعبون دور البوليس في المنطقة لحماية مصالح النفط الامريكى ، ولتخ العرب من تحقيق تحررهم

ويرجع الحزب السياسات التوسعية لاسرائيل في الاراضي المحتلة الى زمرة دايان العسكرية العدوانية الحاكمة(٢١). وهو يعتبر قادة تحالف حزب العمل الاسرائيلي الحاكم عملاء للاستعمار الامريكى ولبدأ نيكسون في الشرق الاوسط ، وانهم كانوا يلعبون دور البوليس في المنطقة لحماية مصالح النفط الامريكى ، ولتخ العرب من تحقيق تحررهم

ويرجع الحزب السياسات التوسعية لاسرائيل في الاراضي المحتلة الى زمرة دايان العسكرية العدوانية الحاكمة(٢١). وهو يعتبر قادة تحالف حزب العمل الاسرائيلي الحاكم عملاء للاستعمار الامريكى ولبدأ نيكسون في الشرق الاوسط ، وانهم كانوا يلعبون دور البوليس في المنطقة لحماية مصالح النفط الامريكى ، ولتخ العرب من تحقيق تحررهم

عنه . وقد جاء في افتتاحية لصحيفة الحزب دايلي وولد : « ان الطريق الى السلم الدائم يكمن في التقيد التام بوقف إطلاق النار الحالي وبقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . فذلك ، وليس القوة العسكرية ، سيضمن السيادة والوحدة الاقليمية لمصر واسرائيل وسوريا وشعوب الشرق الأوسط الأخرى . كما ان تطبيق القرار رقم ٢٤٢ سيساعد على إيجاد حل عادل للحاجات الملحة للشعب الفلسطيني » (٢٥) .

ويؤجل الحزب الشيوعي الاميركي احقاق الحقوق الفلسطينية الى ما بعد تأمين حقوق الامم الأخرى ، وخاصة اسرائيل . وهو يفترض انه بينما تخضع التطلعات الوطنية الفلسطينية للمساومة ، فان الحقوق الوطنية الاسرائيلية لا تقبل اية مساومة (داخل حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧) . والحزب يوافق على منح اسرائيل كل الاراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ ، والتي زادت كثيرا عن مساحة حدودها التي نص عليها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وأخرا ، لا يهتم الحزب بمعالجة مسألة اين يقيم الفلسطينيون دولتهم (خارج اسرائيل) ولا بمسألة طبيعة الاستغلال والعداء الذي ستتعرض له هذه الدولة سواء من اسرائيل او من الاردن .

ويشجب الحزب الشيوعي الاميركي الصهيونية لانها عنصرية واستعمارية من حيث استمرار احتلالها للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ (٢٦) ، ولكنه لا يصف الصهيونية التي أدت الى خلق دولة اسرائيل بهذه الاوصاف . ولا ينظر الحزب الى صلب الصراع في الشرق الاوسط بأنه جاء نتيجة لقيام أوروبا بإنشاء دولة يهودية استيطانية - استعمارية في فلسطين وما نتج عنها من طرد السكان الفلسطينيين العرب ، ثم فيما بعد المواجهة الفلسطينية - الصهيونية . بل هو ينظر الى الصراع على انه نتيجة العداء الذي يظهره العرب تجاه اسرائيل (بين قبيهم فلسطينيو الضفة الغربية) (٢٧) .

وتدعم صحيفة دايلي وولد وجهة النظر هذه بتقارير عن الاستيطان الاسرائيلي والاضطهاد الاسرائيلي لسكان الضفة الغربية وغزة ، مثل الاستيلاء على الاملاك العربية ومحاوله « تصفية الوجود الوطني الفلسطيني هناك » (٢٨) . وتوحي الصحيفة الى ان اسرائيل تشجع اليهود السوفييات على الهجرة اليها لكي يساهموا في المخطط

ويدعم من حكومة الولايات المتحدة ... التي تمثل بدورها قلب الاستعمار . ففي الشرق الاوسط ، لا يقف العربي ضد اليهود ، وانما الاستعمار ضد التحرر الوطني ، ودعاة الاحتلال ضد من يطالبون بأملهم وبيوتهم ... والسلام يتطلب قبول اسرائيل بقرارات الامم المتحدة ، ويتطلب اعادة اراضي الآخرين ، ويتطلب العدالة للشعب الفلسطيني ... وعندما توافق حكومة اسرائيل على هذا ستتوقف عن كونها حكومة مجرمة وستتمكن من العيش بسلام وكرامة وسط جيرانها » (٢٨) . ولا ينكر ايشكر وجود الفلسطينيين وأهميتهم اذ يقول : « ... كما ان اصحاب تلك البلاد الذين سيقوا بمئات الالف من ديارهم ومنعوا بالقوة من العودة اليها ، يعتبرون عنصرا اساسيا في النزاع في الشرق الاوسط » (٢٩) .

ولكن الحزب الشيوعي الاميركي يؤيد « حق اسرائيل » في الاراضي التي كانت تسيطر عليها قبل حزيران ١٩٦٧ (٣٠) . وهذا هو الموقف السوفيياتي ايضا ، وهو موقف تشير تقارير الحزب الشيوعي الاميركي الى انه كان ثابتا منذ نشوء المسألة الوطنية في فلسطين (٣١) . وقد رفض الاتحاد السوفيياتي باستمرار تمسك العرب بحقهم في اقامة فلسطين عربية مستقلة ، وصوت الى جانب مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ، واعترف بدولة اسرائيل في منتصف ايار ١٩٤٨ من اجل الحفاظ على « الاعتراف بحق كل الامم وحماية السلم والامن » (٣٢) . وقد لخص هذا الموقف خطاب ألقاه احد قادة الحزب الشيوعي الاسرائيلي امام الكنيست في ١٨ تموز ١٩٧٣ حول « الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني » : « كان الاساس لقرار التقسيم الاعتراف بوجود شعبين في البلاد : الشعب اليهودي والشعب العربي في فلسطين ، وحق كل منهما في تقرير مصيره وفي اقامة دولته المستقلة » (٣٣) . وأوصى القائد الشيوعي بـ : « ... بعد اقامة حدود معترف بها وآمنة ودائمة بين اسرائيل والدول العربية ، يبقى حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ... اما باقامة دولة مستقلة او بالعيش مع الاردن ضمن دولة واحدة » (٣٤) .

اذن فالحزب الشيوعي الاميركي يعتقد ان القضية الفلسطينية قابلة للحل من خلال تطبيق قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ومن خلال المفاوضات التي تنتج

تحطيمها للاسطورة القائلة بأن اسرائيل لا تقهر ، ولاظهارها بالبرهان المموس ان « ابناء » الغالخين الذين كانوا يخضعون لسلطة الاتطاع يستطيعون القيام باتجاز كبير ضمن اطار حديث(٤٤).

وحتى الانظمة الملكية تنال علامات جيدة من الحزب الشيوعي الاميركي ، فهو يصف الكويت بأنها « نظام لقطاعي مرتبط بالاستعمار الاميركي والبريطاني » ، ولكنه يظهر ميولا تقدمية من خلال اتحاداته ونقابات التي تحت الحكومة على تأميم النفط(٤٥). اما الملك فيصل فيقال عنه انه وافق على حظر النفط خوفا من القوى التقدمية في الجيش السعودي والدول العربية المجاورة ، واحتراما للانتصار العسكري الذي حققته مصر وسوريا بفضل المعونة السوفياتية ، وكاعتراف باحتمال اقامة علاقات اقتصادية مع دول غير الولايات المتحدة كنتيجة للمنافسة فيما بين القوى الاستعمارية(٤٦). كما ان الحزب قد أثنى على كل الدول التي شاركت في حظر النفط لانها ساعدت على اظهار درجة عالية من الوحدة العربية(٤٧). وقد نقلت دايلي وولد عن جريدة النهار البيروتية قولها ان محادثات سوفياتية - سعودية سرية تجري الان(٤٨).

ويبدو ان الاعتماد « بالتحضر الوطني » او بسيادة الدولة(٤٩) كشرط مسبق للنضال من أجل الاشتراكية بند رئيسي من بنود النظرية السوفياتية والسياسة الخارجية السوفياتية . ويشكل هذا البند بالاضافة الى الارتباط السوفياتي بدولة اسرائيل والتحرك السوفياتي الاخير نحو الوفاق والتعايش السلمي ، العوامل الاساسية لموقف الحزب الشيوعي الاميركي من مسألتي الصراع الفلسطيني - الصهيوني والعربي - الاسرائيلي .

ويعترف الحزب الشيوعي الاميركي ، مثل الاتحاد السوفياتي ، منذ العام ١٩٤٧ على الاقل « بالحقوقي القومية للشعب اليهودي - الاسرائيلي » في فلسطين ، لدرجة انه لا يعتبر اسرائيل بحدودها السابقة لعام ١٩٦٧ دولة صهيونية . واذا تنبنا الخط السوفياتي - الشيوعي الاميركي نجد انه يتعامى عن التناقض الرئيسي بين الصهيونية والشعب الفلسطيني ، وانه يعتقد ان المشكلة يمكن ان تحل من خلال نظرية القوميتين (العربية - الفلسطينية والاسرائيلية - اليهودية) ومن خلال اقامة دولتين متجاورتين واحدة عربية وأخرى

الاستيطاني هذا(٣٩). كما ان الصحيفة تستشهد ايضا بتقارير عن الوحشية الاسرائيلية في منطقة القناة ، وعن انتهاكاتهما في سيناء والجولان(٤٠).

ويتوقع الحزب الشيوعي الاميركي مستقبلا باهرا لاسرائيل بعد اتمام المفاوضات وتطبيق قرار ٢٤٢ . ويعترف الحزب بأن اسرائيل مجتمع رأسمالي له نظام حكم بورجوازي ديمقراطي(٤١) ، ولكن الحزب لا يقوم بأي تحليل للتكوين الطبقي او للصراع الطبقي في اسرائيل ، كما انه لا يدعو الى قيام نظام اشتراكي او شيوعي في اسرائيل . وانما يتوقع الحزب ان يزدهر الاقتصاد الاسرائيلي بعد اقرار السلام بسبب الدعم الخاص والحكومي المستمر من الولايات المتحدة ، والدعم المتوقع من الدول الاشتراكية ، واقامة علاقات تجارية طبيعية مع الدول العربية . وعند بحث البند الاخير لا يشير الحزب بتاتا الى ان التعاون الاقتصادي بين اسرائيل ومصر سيكون ، مثلا ، ذا طبيعة استغلالية واستعمارية - جديدة(٤٢).

أما موقف الحزب الشيوعي الاميركي من امكانية التحول الاجتماعي في اسرائيل فيظهر في تقديمه لموقف « حزب العمال الاشتراكي » التروتسكي الاميركي . ويقول توم فولبي(٤٣) ان عدم الاعتراف « بحق اسرائيل القومي » سيؤدي الى ان يشن العرب حربا لتدمير اسرائيل تدميرا كاملا . وهذا التهديد الخطير يعطي الصهاينة والاستعماريين التبرير الانضلل للاستمرار في عدوانهم . كما ان لهذا التهديد تأثيرا كبيرا على توحيد كافة الطبقات في اسرائيل للدفاع القومي ، وبالتالي يساعد على تفعلية النزاعات الطبقيّة ويؤخر نمو الصراع الطبقي .

ومن ناحية أخرى ، يقوم الحزب الشيوعي الاميركي والاتحاد السوفياتي بتأييد الدول العربية لانها تمر في مرحلة صراع داخلي ولانها تقاوم من أجل التحرر الوطني من الاستعمار . فهما يعترفان ان مصر وسوريا والعراق واليمن الجنوبية دول تقدمية . كما انهما يثنيان على العراق والجزائر وليبيا لتأميم صناعاتها النفطية . ويلقى العراق ثناء خاصا لمساهمته في حرب اكتوبر ، ولان الحزب الشيوعي العراقي شكل تحالفا مع حزب البعث في جبهة وطنية . اما مصر فنقلت آيات الاعجاب من الشيوعيين على انتصارها في حرب اكتوبر ، وعلى

الشرق الاوسط . وان مراجعة موقفهم ، بشكل عام ، يدل على موقف تقديري ليس للاستعمار الاميركي وانها لسياسات الاتحاد السوفياتي وتواياه حول الشرق الاوسط ، وعلى انتقاد للتأثير السلبي للثقتين العظيمين على الثورة الاشتراكية للجباهر العربية والفلسطينية(٥٢).

فالتروتسكيون لا يؤيدون اي نظام اشتراكي قائم في العالم وبالتالي ليس لهم ارتباطات عقائدية خارجية . وهم ما زالوا على طرفي نقيض مع الاتحاد السوفياتي منذ الانشقاق الستاليني - التروتسكي . وهكذا فان شكهم وعداءهم الطويل للاتحاد السوفياتي يقفان خلف موقفهم المشكك بالسياسة السوفياتية والموقف السوفياتي في الشرق الاوسط . وهم ينتقدون ايضا جمهورية الصين الشعبية .

سنركز في تحليلنا في هذا الجزء من الدراسة على مضمون مطبوعة ذي **ميليفانت** التي يصدرها حزب العمال الاشتراكي ، ثم سراجع موقف الاحزاب التروتسكية الاخرى كمجموعة واحدة(٥٣).

حزب العمال الاشتراكي : بينما يركز الحزب الشيوعي السوفياتي تحليله وتعليقاته حول العلاقات بين دولة ودولة في الشرق الاوسط ، ويرى ضرورة وامكانية ايجاد تسوية سياسية للصراع ، فان حزب العمال الاشتراكي يشدد على دور الاستعمار والصهيونية وعلى التناقضات الطبقة الكائنة خلف الصراع الدائم في المنطقة . فقد جاء في تحليل للحزب : « لم تحل أي من التناقضات التي أدت الى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل بالعكس فقد زادت الحرب من حدة كل هذه التناقضات . فاسرائيل خرجت من الحرب وهي تحتل اراض عربية اكثر مما كانت تحتل قبلها ، وحقوق الفلسطينيين ما زالت مهلهلة ... حتى ان الانظمة العربية خفضت مدى التزامها الكلاسيكي بهذه الحقوق، وتعمرت هذه الانظمة التي دخلت الحرب نتيجة لضغط داخلي كبير لمتابعة النضال ضد العدوان الاسرائيلي وكشف انها عاجزة عن شن تلك الحرب »(٥٤) « ومهما كانت نتائج دبلوماسية كيسنجر او نتائج جولة اخرى من القتال في الشرق الاوسط ، فان امثال نيكسون وكيسنجر لن يتوصلوا الى ايجاد حل عادل ، ولن يمكن تحقيق سلام دائم . فالحرب هناك ستستأنف طالما ان الاستعمار يسيطر على المنطقة ، وطالما ان اسرائيل قادرة على ترسيخ نفسها على حساب

اسرائيلية . ولا يبدي الحزب أي اهتمام بالحل الذي قدمه الفلسطينيون انفسهم وهو اقامة دولة علمانية ديمقراطية واشتراكية في فلسطين يعيش فيها العرب واليهود بسلام .

ويعتقد السوفييات والحزب الشيوعي الاميركي بأن الفلسطينيين انفسهم في طريقهم للوصول الى هذا الاستنتاج « الواقعي » . فقد ذكرت **دايلي ورلد** ، مثلا ، في تقريرها حول مؤتمر السلم في موسكو ما يلي : « ... فمن لجنة الشرق الاوسط (مجموعة نقاش) يقول رجل اسرائيلي كبير في السن انه مع السلم لكنه يختلف مع العرب حول عدد من المسائل . وبعد قليل يقول شاب ناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية (لم يكشف اسمه) انه لا يتفق مع الاسرائيليين على كل المسائل ، ولكنه يتفق معهم بأن ايجاد حل سياسي لمشاكل الشرق الاوسط افضل من القتال لحصل الخلافتات القائمة »(٥٥).

فلاعتقاد بأن التسوية السياسية افضل من النضال المسلح يعطي فكرة خاطئة عن الفرق في القوى بين الاسرائيليين والفلسطينيين . كما ان الاعتقاد بأن الحل السلمي للصراع بين المضطهد والمضطهد امر ممكن يجعلهما متساويين وغير متعاديين . وهذه المعتقدات ، في وضع الشرق الاوسط ، تحصل الافتراض بأن الفلسطينيين سيقتنعون في النهاية بحل جزئي للتناقض . وهذا يقود الى السؤال الاكبر وهو هل يعترف السوفييات اتباع سياسة الوفاق والتعايش السلمي مؤقتا لردع الرأسمالية الى أن تصبح القوى الاشتراكية اقوى ، ام انه يعترف اتباع السياسة « الواقعية » بشكل دائم ؟

التيار التروتسكي : يتألف التيار التروتسكي ، كما اشرنا في المقدمة ، من حزب رئيسي - حزب العمال الاشتراكي - وعدد كبير من الاحزاب والفرق الصغيرة التي تتصارع مع حزب العمال الاشتراكي وفيما بينها حول نفس الانتصار في أغلب الاحيان . كما ان مطبوعاتهم تهمل بالتهجمات المتبادلة ضد بعضهم بعضا حول مسائل تنظيمية وايدولوجية (تتعلق بالمواقف من المسائل المحلية والخارجية والمؤتمر العالمي الرابع) ، بالإضافة الى تهجمات عاطفية على قادة الاحزاب(٥٦) . ولكن لم تطرق أية من هذه التهجمات الى مواقفهم حول الصراع في

الغلمستيين» (٥٥).

وقد أشارت ذي مليتاننت في مقال حول « الزيت العربي ، اسرائيل ، والاستعمار » الى ان الشرق الاوسط حيوي بالنسبة للاستعمار الامريكى . فقد قالت : « فالشرقان الادنى والايوسط ما يزالان ذين اهمية استراتيحية للولايات المتحدة لانها مركز سياسي وعسكري واقتصادي ، ولان نفط الشرق الاوسط عنصر حيوي للغرب . وحجم ما يطمع اليه الاستعمار في المنطقة هو حقيقة ان ٧٠ ٪ من احتياطي النفط في العالم يوجد هناك ... ومعظم الزيت يمتلكه خمس شركات امريكىة . ورغم كل الحديث عن « الابتزاز العربي » وما يسمى بسلاح النفط العربي ، فان حقيقة الوضع في الشرق الاوسط هي انه واقع تحت سيطرة الاستعمار اقتصاديا وسياسيا » (٥٦).

فالدول العربية مضطهدة وخاضعة للاستعمار الجديد . وبالرغم من بعض الاجراءات المناوئة للاستعمار في دول كمصر وليبيا وسوريا والعراق فان « الاستعمار الامريكى والاوروبى يسيطران على الحياة الاقتصادية لهذده البلدان ويضعفان من تطورها » (٥٧). وبالتالي فان هذه البلدان ظلت متخلفة وغير نامية وضعيفة ومجزأة . « ويعتهد الاستعمار (خاصة الامريكى) على ابقاء هذه الاوضاع قائمة في العالم العربي لكي يستمر في السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية على الشرق العربي » (٥٨). كما ان الاهداف الاستراتيجية للاستعمار الامريكى والاوروبى في المنطقة هي احباط أو احتواء محاولات الشعوب العربية لتحقيق تحررها الوطنى (٥٩). فاذا اتحد العرب وسيطروا على ثرواتهم يصبح بإمكانهم انهاء السيطرة الاستعمارية. اما الاداة الرئيسية التي يسيطر الاستعمار الغربى بواسطتها على العرب فهي اسرائيل ، « ... ان دور اسرائيل الدائم في الشرق الاوسط هو ضرب حركة التحرر الوطنى من خلال العدوان العسكرى والارهاب » (٦٠). وهي رأس جسر استعمارى في العالم العربى وتخدم كراس حرب لمعركة الاستعمار ضد الثورة العربية» (٦١).

وهكذا فان على اسرائيل ان تضرب اي تحرك ثورى او تحررى في العالم العربى . وعليها ابقاء العرب مهزومين ويائسين (٦٢). مثلا : « كان عدوان اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ هو رد فعل الطبقة

الصهيونية الحاكمة في اسرائيل على مجموعة من العوامل المتشابكة . فالعوامل الرئيسية كانت ولادة الوعى والتنظيم الفلسطينى من جديد ، وتأثير تلك الولادة في الاردن ، وراдикаلية النظام السورى ، وتصميم الاستعمار الامريكى على ازالة نظام عبد الناصر في مصر » (٦٣). وهذا الدور الاسرائيلى المعادي للثورة دور مهم في المشرق العربى كله ، وليس في الدول المجاورة فقط . « فمن وجهة النظر الاستعمارية ، ان تكرار هزيمة ١٩٦٧ العربية سيؤدى الى جعل الدول العربية المنفطية اكثر طواعية ، وسيحبط معنويات جماهير العمال والفلاحين العرب ... وسيكون خربة اخرى توجه الى حركة التحرر الفلسطينى » (٦٤). وهذا سبب رئيسى وراء مساعدة امريكا العسكرية لاسرائيل . بينما يتعمل دور اسرائيل في الشرق الاوسط بدور عميل محلى ورجل بوليس للمصالح الاستعمارية ، فان اسرائيل ليست مجرد أداة . فاسرائيل والحركة الصهيونية تشترك في الاهداف الاستراتيجية الاستعمارية في المنطقة . وفي الواقع ، « ان التحالف الصهيونى - الاستعمارى الذي برز للوجود منذ اقامة دولة اسرائيل يعتمد على مجموعة المصالح تلك » (٦٥). و« اسرائيل دولة استعمارية - استيطانية وتوسعية » (٦٦). « ومبنية على اساس الاضطهاد والتمييز ضد الشعب العربى » (٦٧). وقد جاء في عدد ذي مليتاننت في الاسبوع الثانى لحرب اكتوبر : « ان المعتدى الحقيقى هو دولة اسرائيل . وان سبب الحرب الحالية - كالحروب السابقة في الشرق الاوسط - هو دولة اسرائيل الاستعمارية - الاستيطانية التي اقيمت فوق ارض تخص الشعب الفلسطينى . وان الدولة الصهيونية في فلسطين ، التي خلقت بدعم من الاستعمار الغربى ، قد بنيت من خلال طرد اصحاب البلاد العرب بالقوة ، وعلى اساس انتهاك حق الفلسطينين الديمقراطى في تقرير المصير » (٦٨). وأضافت صحيفة ذي مليتاننت قائلة : « ان وجود اسرائيل بحد ذاته يقوم على العدوان الدائم ضد الفلسطينين والعرب الاخرين ، وقد كان كذلك منذ عام ١٩٤٨ » (٦٩). ومن اجل ان تتمكن الدولة الصهيونية من المحافظة على وجودها بالقوة ، كما يحدث في دورها كشرطى للاستعمار ، فان عليها « الا تكتفى بالقضاء على أي تيار ثورى أصيل ...

تكن في التحالف مع النضال الوطني الفلسطيني وفي دعم هدف اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين» (٧٧) . وباختصار فان الصهيونية ودولة اسرائيل تعتبران قوى مضادة للثورة تنف ضد المصالح الحقيقية للجماهير العربية واليهودية .

وان التمييز ما بين الدولة والشعب او الجماهير الذي يستعمله حزب العمال الاشتراكي في تحليله لاسرائيل ، يستعمله ايضا في تحليله للدول العربية . وتظهر **ذي ملتاننت** الى الدول العربية على انها اساسا أنظمة رأسمالية تهتم ببقاء واستمرار طبقتها الحاكمة ، وهي بالتالي تعارض اية تعبئة ثورية . وبالتالي « ان النظم الرأسمالية في العواصم العربية تسعى للوصول الى حل دبلوماسي من خلال المناورات العسكرية . وهدفهم هو الحصول على تنازلات من اسرائيل لجباية الجماهير العربية» (٧٨) . « واما الهدف من الحرب بالنسبة لتلك الدول فهو الوصول الى تسوية بين اسرائيل والانظمة العربية يكون اقل عداوة للبورجوازيات والبيروقراطيات العسكرية العربية ، بحيث تمكنهم هذه التسوية من احتواء تعبئة الجماهير العربية ضد الصهيونية والاستعمار ضمن حدود تكون مقبولة من وجهة نظر مصالحهم الاقتصادية والسياسية» (٧٩) . فمُنذ حرب حزيران ١٩٦٧ وحكام هذه الدول يخضعون لضغوط هائلة من الجماهير العربية من أجل استعادة الاراضي التي فقدوها . وتتشهد **ذي ملتاننت** بمظاهرات شعبية وجهازية شارك فيها الطلاب والعمال في عدة مدن عربية . وقد لاحظت ان هذه التظاهرات كانت تطالب بتأميم ممتلكات المستعمرين الايركيين ، وتسليح الجماهير لتحارب اسرائيل ، وانهاء سياسة المفاوضات من خلال الامم المتحدة « والاستيلاء على ثروة اغنياء الحرب من الرأسماليين العرب لتمويل النضال ضد العدوان الصهيوني» (٨٠) . وقد كان رد فعل السلطة ارسال الجيش والبوليس لهاجمة المظاهرات ووضهم في السجن . وهكذا « فبدلا من تعبئة هذه المشاعر ضد اسرائيل لشن نضال ثوري ، تسعى الحكام العرب الى استعادة الاراضي المحتلة من خلال الدبلوماسية وتقديم التنازلات (٨١) . وقد خشوا ان تؤدي تعبئة الشعب العربي ضد اسرائيل وحمايتها الاستعماريين الى ثورة اجتماعية ضد الحكام العرب في الوقت نفسه» (٨٢) .

وانها عليها ان تمسح اي تحرك نحو التغير الاجتماعي في المشرق العربي مهما كان هذا التحرك محدودا» (٧٠) . وهكذا فان **ذي ملتاننت** و« حزب العمال الاشتراكي » يعتبران ان للاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي والاستعمار الغربي ، وخاصة الاميركي ، اهدافا مشتركة في القطعة مضادة للتغيير الاجتماعي الثوري العربي . وقد وضعت اسرائيل نفسها في موضع القوة الرئيسية التي تكبت التحرر الوطني الفلسطيني والعربي .

ويعتقد حزب العمال الاشتراكي بأن دور الصهيونية واسرائيل المعادي للثورة هو دور مخالف لمصالح اليهود وليس لمصالح العرب فقط . ويعتبر الحزب ان الصهيونية هي فسخ لليهود (٧١) : « ان الصهيونية لا تمثل أو ترعى مصالح الشعب اليهودي . ويقوم الصهيونيون ، داخل اسرائيل ، بقيادة الجماهير اليهودية نحو فسخ معارضة النضال الوطني التحرري للشعب العربي ، وهو نضال ديمقراطي وعادل» (٧٢) ... « وان خلق الدولة الاسرائيلية ، التي هي بطبيعتها معادية للشعب العربي المحيط بها وبالتالي فهي على عدااء دائم مع الدول والشعوب العربية ، يجعل اسرائيل اليوم أخطر مكان في العالم لوجود اليهود . وستستمر هذه الحالة الخطرة الى ان تتخلى الجماهير اليهودية - الاسرائيلية عن الحركة الصهيونية وتتحد مع الجماهير العربية في نضال مشترك ضد السيطرة الاستعمارية على الشرق الاوسط» (٧٣) .

وطبقا لـ **ذي ملتاننت** « فان الماركسيين الثوريين يجزون بين اليهود الاسرائيليين والدولة الصهيونية» (٧٤) . وفي السواتع « ان الرأسمالية الاسرائيلية تستغل العمال اليهود بالاضافة الى استغلالها الكبير للعمال العرب . وان اضطهاد البوليس للعرب يحمل اضطهادا متزايدا لليهود الذين يعارضون الصهيونية» (٧٥) . وهناك « تناقضات اجتماعية متزايدة داخل اسرائيل ، لان الحكومة تطلب من العمال الاسرائيليين تقديم تضحيات اكبر في سبيل الصهيونية . وان حاجة العمال للدفاع عن مصالحهم الطبقة سيجبرهم على معارضة حاجات الدولة الاستيطانية . وسوف ينهض العمال ، بالخفاء اولاً ، ثم علنا فيما بعد ليتحدوا الصهيونية نفسها» (٧٦) . وهكذا « فان المصالح الاساسية للجماهير اليهودية في اسرائيل

مؤتمر جنيف باشراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وقد عادت ذي مليتانت الى انتقاد الحكام العرب لقبولهم بهذه المبادرة : « لا يمكن لاتفاق الدول العظمى ان يجلب السلام الى الشرق الاوسط . ومهما تكن حدود التسويات الجارية حالياً، فالنقطة الاساسية فيها هي الاعتراف «بحق» اسرائيل في احتلال الاراضي العربية التي احتلت عند انشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ ، والتي زيدت في ثلاث حروب توسعية «(٨٨)». وان التسوية الامريكية - السوفياتية التي في صالح اسرائيل يجري فرضها ضمن اطار سياسي قبلته الانظمة العربية منذ زمن طويل ، وهو بقاء اسرائيل ووجودها الدائم(٨٩).

فالانظمة العربية ترفض تعبئة الجماهير للنضال الثوري ضد الدولة الاستيطانية - الاستعمارية من اجل تحرير فلسطين . فمثل تلك التعبئة ستهدد الحكم الرأسمالي في الدول العربية . وهكذا فان للقيادات العربية أهدانا محدودة في الحرب . فهي تهتم فقط بكسب ما يكفي لاسكات حماس الجماهير للتحرير . اما النقد المرير فيحفظ للاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي الامريكي ، اللذان يصفها حزب العمال الاشتراكي بأنهما ستالينيان بيروقراطيان . وهذا النقد يعكس العداوة القائمة بين الطرفين منذ الانشقاق الستاليني - التروتسكي . وترفض صحيفة ذي مليتانت ادعاء الحزب الشيوعي الامريكي بأن التسوية الحالية في الشرق الاوسط هي انتصار لشعوب المنطقة ، لان الحزب الشيوعي يتجاهل الشعب الفلسطيني . أما حق الفلسطينيين في فلسطين فهو « اساس التفاوت في المواقف بين الستالينيين الامريكيين وأسيادهم في البيروقراطية السوفياتية من جانب ، والمناضلين الفلسطينيين من جانب آخر . ويؤيد الستالينيون استمرار وجود دولة اسرائيل الاستيطانية - الاستعمارية ، وبالتالي فهم يعارضون مطالب الفلسطينيين في حق تقرير المصير «(٩٠).

وينتقد حزب العمال الاشتراكي الحزب الشيوعي الامريكي والحزب الشيوعي السوفياتي على اساس ان موقفهما ليس جديداً وانما ينبع من دعم « الستالينيين » المادي لاسرائيل في حرب ١٩٤٨ الاستعمارية ضد الفلسطينيين والشعوب العربية الاخرى(٩١). وقد شجبت ذي مليتانت تصريحات

ويعارض الحكام البرجوازيون العرب تعبئة الجماهير حتى لهدف تحرير الاراضي المحدود، والذي سيجري على ارض المعركة . وباختصار ، يرى « حزب العمال الاشتراكي » ان البرجوازيين العرب والبيروقراطيين العسكريين المتحالفين معهم يشكلون عتبة في طريق الثورة الاشتراكية الحقيقية في الشرق الاوسط . وهذا الامر يضع البرجوازية العربية في مواجهة الجماهير العربية بشكل دائم وثابت . وهكذا ، فان الاهداف الثورية العربية في التحرر الوطني ، والتنمية الاقتصادية الوطنية ، والمهام الديمقراطية الاخرى يمكن تحقيقها كاملة وضمانها من خلال « انتصار الطبقة العاملة على رأس الجماهير الكادحة ، وخاصة الفلاحين ، في ثورة ضد الاستعماريين وعملائهم الاسرائيليين ، وضد البرجوازية العربية الوطنية ، وبقيا الانتطاع العربي «(٨٣). ويبدو ان حزب العمال الاشتراكي يرى ضرورة شن نضال تحرر وطني ونضال طبقي داخلي في آن واحد . والحزب لا يقدم اية نظرية مرحلية للثورة ، اولا ديمقراطية ثم اشتراكية ، حيث يكون التعاون ضرورياً ومفضلاً بين الطبقات في المرحلة الاولى . ومن الواضح ان الحزب يقترح ثورة اشتراكية من مرحلة واحدة يغذيها الصراع الطبقي الدائم في الشرق الاوسط(٨٤).

ورغم انتقاده للحكام العرب ، فان حزب العمال الاشتراكي ذكر في مقال حول لماذا يجب ان يؤيد الاشتراكيون الجانب العربي ؟ ان المسألة الاساسية في حرب اكتوبر في الشرق الاوسط هي مسألة الصراع بين شعب مضطهد ومضطهدينهم الاستعماريين . وكما قال مرارا مرشح حزب العمال الاشتراكي لمنصب رئيس بلدية نيويورك ، السيد نورمان اوليفر ، وكما كتب في جريدة الحزب: « لقد دخلت القوات المصرية والسورية اراضيها . وحزب العمال الاشتراكي يؤيد حق الدول العربية في القتال لاسترجاع اراضيهم التي استولى عليها المعتدون الاسرائيليون «(٨٥). ويتفق حزب العمال الاشتراكي الى جانب العرب المضطهدين رغم تحفظاته تجاه القيادات العربية(٨٦). وان انتصار العرب في حرب اكتوبر ضد اسرائيل هو انتصار على الاستعمار(٨٧).

وقد تم وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط ، وبدأ العمل من اجل احلال تسوية على اساس

قبوله بالتسوية والوفاق . ولكن حزب العمال الاشتراكي لا يتهم الاتحاد السوفياتي بأنه دولة استعمارية بشكل عام او فيما يتعلق بدوره في الشرق الاوسط . كما ان الحزب لا يتهم الاتحاد السوفياتي « بالاستعمار الاجتماعي » كما يفعل المايون . (هذه النقطة ستبحث فيما بعد) . ومع ذلك فان الحزب يتهم الاتحاد السوفياتي باقامة وفاق مع الولايات المتحدة من اجل اقتسام مناطق النفوذ .

كما ان حزب العمال الاشتراكي ، على عكس الحزب الشيوعي الاميركي والمايون ، لا يتحدث اطلاقا حول تضامن العالم الثالث — وخاصة افريقيا — مع الحق العربي ، كما انه لا يشير الى التيارات التقدمية في العالم العربي . ولكنه يذكر ويمتدح استعمال العرب لنفطهم في الصراع السياسي . وقد اهتمت ذي ملتاننت بشكل خاص بنمو الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العالمية الدائمة . واهتمت بالتالي « بخيانة » الانظمة العربية البورجوازية للثورة الفلسطينية . وهكذا « لكي يحقق الشعب العربي تحرره الوطني ، على الدول العربية الابتعاد عن سياسات الحكام العرب التي تفرض قيودا على التحرر العربي . ويجب استبدال الرأسماليين العرب من خلال الثورة الاجتماعية التي ستضع السلطة في ايدي العمال العرب والفلاحين الفقراء » (٩٨) .

ويعتقد حزب العمال الاشتراكي ان الثورة الاجتماعية هي التي تجلب السلام . فالسلام لا يأتي من خلال اتفاق القوى العظمى ، بل من خلال انهاء الاحتلال الصهيوني للارض العربية ، والاكثر أهمية ، من خلال تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني بالعودة الى وطنه والحصول على حقوق سياسية واجتماعية ودينية مساوية لحقوق اليهود الاسرائيليين (٩٩) . وهكذا « فان الحل الواقعي الوحيد والطويل الامد هو قلب الدولة الصهيونية في اسرائيل وعودة فلسطين للفلسطينيين ، مما يزيل سبب العدوان » (١٠٠) . ولكن « مطلب اقامة دولة علمانية ديمقراطية في فلسطين ليس كافيا بحد ذاته . فنحن نطرح ثورة اجتماعية تتوج بخلق دولة عمالية كوسيلة لتحقيق وضمان فلسطين ديمقراطية وعلمانية » (١٠١) .

وبينما يؤيد حزب العمال الاشتراكي الفلسطينيين

غس هال ، السكرتير العام للحزب الشيوعي الاميركي ، حول الشرق الاوسط (٩٦) .

ويسخر حزب العمال الاشتراكي من الحزب الشيوعي الاميركي والحزب الشيوعي السوفياتي لاجل « هدفهما الطوباوي في التوفيق بين الشعب العربي والاستعمار الاسرائيلي » (٩٦) ، على اساس قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ . ولكنهم يلقون اللوم أكثر على « الستالينيين » لقبولهم « بالتعايش السلمي » والوفاق : « فالوفاق لا يهدف الى احلال السلام . وهدته اخماد النضال الطبقي وايقاف مسيرة الثورة . ويرمي الوفاق الى اضعاف وكبت الانتفاضات الثورية عندما تحدث ، والمحافظة على توازن القوى المتفق عليه بين الاستعمار والسوفييات » (٩٤) . و« يشمل هذا الاتفاق في الشرق الاوسط المحافظة على اسرائيل كقوة عسكرية متفوقة وكمخفر للعدوان الاستعماري » (٩٥) .

ولكن لا يمكن ان يكون هناك تعايش سلمي بين المظهد والمضطهد ، حسبها تقول ذي ملتاننت . وطالما يبقى الفلسطينيون خارج ديارهم ، وطالما تحتل اسرائيل اراض عربية ، فان بذور مقاومة جديدة ما تزال مزروعة (٩٦) . وفي الواقع ، ان التناقضات الوطنية والاجتماعية في الشرق الاوسط تستطيع بسهولة ان تنسف مؤتمر جنيف . وأكثر هذه التناقضات حدة التناقض القائم بين الشعب العربي والمستعمرين الذين يملكون احتياطات البترول : « احد الدروس الهامة الذي يجب استخلاصه من الحرب الاخيرة هو ان الوفاق بين واشنطن وموسكو لا يمكنه احتواء الصراع الطبقي ، ولا يمكنه احلال السلام والاستقرار في اي مكان في العالم . فالصراع الطبقي سوف يشق طريقه من خلال اية اتفاقات دبلوماسية واية حلول مزيفة » (٩٧) .

ولم يأت حزب العمال الاشتراكي على اي ذكر للمساعدة السوفياتية للدول العربية ، على عكس الحزب الشيوعي الاميركي الذي كمال المديح للسوفييات من خلال صحيفته **دايلي وركر** . والحزب يتجاهل ايضا دور السوفييات في الحرب ، ولكنه ينتقد الحزب الشيوعي السوفياتي على دوره في احلال وقف اطلاق النار وفي محاولة فرض تسوية . وتكرر ذي ملتاننت القول بان الاتحاد السوفياتي قد خان الثورة العالمية منذ ستالين ، ومن خلال

الشرق الاوسط(١٧). وقد رحب حلف العمال في البداية بحرب اكتوبر ، ولكنه ما لبث ان سحب تأييده للعرب بعد خيبة امله باهداف الحرب المحدودة وسرعة دعوة السادات الى وقف اطلاق النار(١٨). والحزب التروتسكي الوحيد الذي أيد العرب في حرب اكتوبر كان « عصابة الصراع الطبقي ». وقد أيد هذا الحزب العرب على اساس ان تحرير اية ارض محتلة يعتبر عملا تقديميا الى حد ما(١٩).

وتتفق كل الاحزاب التروتسكية الصغيرة على ان حل الصراع في الشرق الاوسط يأتي من خلال حركة بروليتارية عالمية ، تضم العمال من كل القوميات ، تعمل من اجل قيام اتحاد للدول الاشتراكية في الشرق الاوسط(١١). وهذه الاحزاب تشدد بشكل خاص على عدم اهمية القومية كوسيلة تقدمية (فهذه الاحزاب تقول ان القومية تفيد الاستعماريين فقط لانهم يقسمون الجماهير على نفسها) . كما ان هذه الاحزاب ، بعكس حزب العمال الاشتراكي والمائمين ومجموعات اليسار الجديد ، لا تتبنى اقتراح منظمة التحرير الفلسطينية باقامة دولة ديمقراطية وعلمانية (واشتراكية) حيث يعيش شعبنا فلسطين . ويقترح حزبان تروتسكيان هما « عصابة الصراع الطبقي » و « الحلف الاشتراكي الثوري » بدلا من الدولة العلمانية الديمقراطية ان يعامل « المتحدثون بالعبرية » كأقلية تتمتع بالحماية وبكافة الحقوق الديمقراطية(١١١) . اما الاحزاب الثلاثة الاخرى فقد اقترحت وجود قوميتين في فلسطين مع احتفاظ كل وحدة قومية بحق تقرير المصير (بما فيه حق الانسحاب)(١١٢). ومن المفارقات ان يتبنى هؤلاء اليساريون الذين يشكون بالقومية شكاً كبيراً فكرة دولة ذات قوميتين في فلسطين . وهذا الاقتراح يدعم موضوعا ادماء الصهيونية بحق اقامة دولة يهودية صرفة ، ودعم ايضا اقامة « جيتو » لليهود في الشرق الاوسط .

التيار الماوي : ان المنظمات والمطبوعات التي تنتمي الى التيار الماوي هي : الصحيفة الاسبوعية ذي غارديان ، ومجلة « الاتحاد الثوري » الشهرية ريفوليوشن ، وجناحه الطلابي «اتيكابريفاغ» الذي يصدر المطبوعة الشهرية **فايت باك** ، و « عصابة اكتوبر » التي تصدر المطبوعة الشهرية **ذي كول** . وان اعضاء وقراء كل هذه المنظمات والمطبوعات

بقوة ، فهو لا يشرح استراتيجيته لتحرير فلسطين ولخلق دولة عمالية . كما ان الحزب لا يعطي تصوره ، باستثناء رغب مؤتمري جنيف ، للخطوات التي يجب ان يتبعها الفلسطينيون لمواصلة نضالهم في المرحلة الحالية .

الاحزاب التروتسكية الأخرى : تتفق كل الاحزاب التروتسكية الصغيرة على ان جذور الصراع في الشرق الاوسط هي التناقض الصهيوني - الفلسطيني ، وعلى ان اسرائيل دولة رجعية استعمارية استيطانية تضطهد المواطنين العرب(١٢). وهم يوافقون ايضا على ان الصهيونية والاستعمار حلفاء في الشرق الاوسط ، على اساس ان اسرائيل تقوم بدور العميل والشرطي للاستعمار ، وخاصة لامريكا(١٢). وهم ينظرون الى طبيعة اسرائيل على انها قلعة - جيتو (« سجن » ، « فخ قاتل ») للجماهير اليهودية ، ولكن اليهود الاسرائيليين (الشعب الذي يتكلم بالعبرية) يشكلون **الان** أمة شرعية في فلسطين ، بالرغم من اصول هذه الامة(١٤).

وتنظر الاحزاب التروتسكية الى الدول العربية نظرة عدم رضى لانها تعتبرها دولا « برجوازية وطنية » . فالحلف الاسبرطي والاشتراكيون العالميون يعتبرون الدول العربية عدوة للجماهير العربية وعلى قدم المساواة مع اسرائيل في هذا المجال . ويشجب هذان الحزبان على وجه الخصوص قيام الدول العربية بحق او احتواء الحركة الفلسطينية(١٥). اما عصابة العمال والعمبة الثورية الاشتراكية فينتقدان الحكام العرب والحالة الثورية المتورة في بلادهم ، ولكنهما يحذران من المساواة بين اسرائيل والقومية الاسرائيلية (الرجعية والعنصرية) وبين الدول العربية والقومية العربية (التي نمت كرد فعل تقدمي على الاستعمار الاستيطاني والصهيونية)(١٦).

وعلى عكس حزب العمال الاشتراكي والحزب الشيوعي والمائمين الخ ، فقد رفضت ثلاث مجموعات تروتسكية (الحلف الاسبرطي ، والاشتراكيون العالميون ، والعمبة الثورية الاشتراكية) حرب اكتوبر كلية على اساس ان اهداف الغادة العرب من وراء الحرب لم تكن تقدمية ، بل كانت ترمي الى التعايش مع اسرائيل وتقوية الاستعمار في

ولكن احيانا تتفقان للمحافظة على مصالحهما المشتركة .

وترتكز المصالح الاستعمارية الاميركية حول حماية الشرق الاوسط لاسباب عسكرية - استراتيجية ، وسحق حركات التحرر العربية وغير العربية ، وبالطبع تأمين استمرار تدفق النفط : « ان الولايات المتحدة تستعمل اسرائيل (ككليب حراسة) لحتول النفط في الشرق الاوسط ... وهم يريدون استمرار تدفق النفط اليهم باسعار منخفضة . وهم يتعمدون ابقاء الشرق الاوسط ضعيفا لابقاء سيطرتهم عليه . فلا حرب ... ولا سلم ... بل غليان ... » (١١٧) . وتحقق الولايات المتحدة ذلك بدعمها للاقتصاد الاسرائيلي ، وبزويد اسرائيل والدول العربية الرجعية بالسلاح والمعدات الحربية ، وابقاء التهديد العسكري قائما من خلال استئثار الاسطول السادس وتدريب القوات الاميركية على حرب الصحراء (١١٨) .

وينتقد المايويون الاتحاد السوفياتي بشكل مشابه لنتقدم للولايات المتحدة : « وفي الشرق الاوسط ، يقف الاتحاد السوفياتي من الامبراطورية الاميركية المتهاوية ، كوقف الولايات المتحدة من الامبراطورية البريطانية المتهاوية بعد الحرب العالمية الثانية : فقد هلك المستعمرون الاميريكيون لاعلان استقلال المستعمرات السابقة لكي يلهوها عن تحركهم لوراثة المصالح البريطانية والفرنسية . والان يغلف المستعمرون السوفيات اطباعهم بالاعلام الحراء الاشتراكية ومعاودة الاستعمار من اجل تغطية محاولتهم للسيطرة على استقلال الامم التي تسعى الان لتحرير نفسها من الاستعمار الاميركي » (١١٩) .

والسوفيات ، كالامريكان ، يخشون الاستقلال الاصيل لدول العالم الثالث . وهم يراحمون الاميريكيين على ثروات الشرق الاوسط ، وخاصة النفط ، ويحافظون على الوفاق معهم على حساب الامم الصغرى ، كما حدث في التمرار المشترك للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لفرض وقف اطلاق نار غير مقبول جماهيريا (لانه يعني لا حرب ولا سلم) من خلال مجلس الامن الدولي (١٢٠) . ويظهر هذا الامر ايضا من علاقة القوتين العظميين مع اسرائيل والدول العربية : « فقد دأبت القوتان العظميان منذ زمن على تشجيع عدوان اسرائيل . وقد تابعت الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بالغازات

من الماركسيين - اللينينيين ومن المتزيمين بافكار ماوتسي - تونغ . ومن اجل تسهيل التخليل سندعو كل هذه المنظمات « المايويين » في هذا المثال .

ورغم ان هذه الاحزاب تختلف فيما بينها حول الاستراتيجية الثورية المحلية ، فانها كلها قريبة من الموقف الصيني في الشؤون الخارجية ، ومتفقة في انتقادها للاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة كتوتين استعماريتين . وهذه الاحزاب تؤمن بان التناقض الرئيسي في العالم اليوم هو بين الاستعمار والتحرر الوطني ، وبان على الشيوعيين الثوريين ان يعملوا اولا وقبل كل شيء من اجل بناء جبهة عالمية موحدة معادية للاستعمار تتشكل من كل بلدان العالم الثالث التي تسعى للتحرر الوطني من الاستعمار الاميركي المتعثر ومن الاستعمار السوفياتي المتصاعد .

وينضح هذا التناقض الرئيسي في الشرق الاوسط من التناقض بين الصهيونية (وهي نسخة محلية للاستعمار) والجماعية الفلسطينية والعربية : ... « الصهيونية والاستعمار هما العدوان الرئيسيان للشعب العربي ... » (١١٢) . « وان لب المشكلة في الشرق الاوسط هو ان مليون ونصف المليون من الفلسطينيين قد اقتلعوا من اراضيهم وبيوتهم ومناجرهم والتي بهم في المخيمات منذ العام ١٩٤٧ . وهم يشعرون بان لهم الحق في الارض التي عاشوا عليها وعاش اجدادهم عليها لاكثر من الف سنة » (١١٤) . « كما ان المقاومة البطولية للشعب الفلسطيني (للصهيونية) والدعم الذي يلقيه تضالهم من الجماهير العربية هي جذور الصراع الحالي ، وتشكل تهديدا مباشرا للقوتين العظميين » (١١٥) . « وان ما يوحد الاستعمار والاستعمار الاجتماعي ، والطبقات العربية الحاكمة ، والصهيونيين هو الخوف من نشوء حركة جماهيرية حقيقية في الشرق الاوسط ... موجهة ضد الصهيونية والسيطرة الاجنبية بكل اشكالها » (١١٦) .

ويعتبر المايويون الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قوتين عظيمين تحاولان انشاء التوافق الاستعماري في الشرق الاوسط والمحافظة عليه . وهاتان القوتان تكونان احيانا في وضع تناقسي ، كما هي الحال في دعمهما لزيائتهما المتحاربتين ،

العام ١٩٤٨ فقد « سارع الصهيوينيون الى الكشف عن دورهم كعملاء للاستعمار الاميركي ، ومارسوا التوسع العدواني على حساب الشعب العربي منذ ذلك التاريخ » (١٢٩). فمثلا ، كان هدف اشتراك اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في حرب السويس الاستعمارية عام ١٩٥٦ هو منع مصر وسوريا من الانتقال إلى المعسكر الاشتراكي ، وكان أحد أهداف حرب الأيام الستة في ١٩٦٧ هو إسقاط نظام حكم عبد الناصر في مصر وحكم حزب البعث في سوريا ، لان كلا النظامين كانا يقاومان السيطرة الغربية (١٣٠). وتؤيد اسرائيل أيضا الاستعمار الاميركي في مناطق أخرى من العالم ، مثل الحرب الكورية ، وحرب الهند - الصينية ، واختراقها لاتحادات العمال الأفريقية (١٣١). كما ان التناقض بين الصهيونية والفلسطينيين وغيرهم من العرب قد ازداد منذ العام ١٩٦٧ بسبب سياسات اسرائيل الاستعمارية في الأراضي المحتلة ، مثل إقامة المستوطنات شبه - العسكرية ، واستغلال ثروات المناطق المحتلة والإيدي العاملة الرخيصة فيها (١٣٢).

كما ان التناقضات داخل اسرائيل قد ازدادت حدة منذ العام ١٩٦٧ ، مع تردي اوضاع البطالة والتضخم والتمييز ضد اليهود الأفريقيين والاسيويين (١٣٣). ويرى المايويون ان الصهيونية عقيدة تستعمل ضد مصالح الطبقة العاملة اليهودية. فقد ابعدهم عن الصراع الطبقي في الدول التي كانوا يقيمون فيها اصلا (١٣٤). والان : « يريد رجال الاعمال الكبار اصدقاء اسرائيل ، ان يمنعوا الشعب اليهودي في الشرق الاوسط من الحصول على ما يضمن له الحق في الحياة ... اي دولة ديمقراطية متعددة القوميات يعيش فيها اليهود والعرب بدون سيطرة استعمارية » (١٣٥).

ويبحث المايويون ايضا بشكل نقدي طبيعة الدول العربية واوضاعها الداخلية ، ويفرقون فيما بين هذه الدول (١٣٦). فصحيفة ذي غارديان ترى انه يجب عدم الدفاع عن النظم الاجتماعية العربية الحالية : « لقد أصيبت الدول العربية بشبهات تاريخية نتيجة للاستعمار ... فما زالت بعض هذه الدول تخضع لسيطرة الطبقات شبه الاتهامية والبرجوازية الكومباردورية . ولكن هناك تيارات تقدمية تبرز للوجود : فان استقلال الدول العربية

والدبابات ، بينما ظل الاتحاد السوفياتي المصدر الاساسي الذي يزود اسرائيل بالطاقة البشرية » (١٣١). فان سماح الاتحاد السوفياتي بهجرة ٣٠٠٠٠ يهودي سوفياتي منوينا إلى اسرائيل يعتبر عاملا رئيسيا من عوامل مشكلة الشرق الاوسط (١٣٢). كما ان المايويين ينتقدون ستالين والاتحاد السوفياتي لمساعدتهما في خلق اسرائيل في المكان الاول . ويذهب رئيس تحرير ذي غارديان ، اروين سيلبر ، الى حد انتقاد نفسه وبقية اعضاء اليسار الاميركي القديم لدعمهم اسرائيل في السنوات التي تلت العام ١٩٤٨ (١٣٣). ويعالج سيلبر في المقال نفسه طبيعة العلاقات السوفياتية - العربية الحالية ، ويشير الى الدعم العسكري والدبلوماسي الذي قدمه السوفيات للعرب لاستعادة اراضيهم المحتلة عام ١٩٦٧ ، والى ان السوفيات قد زودوا المقاومة الفلسطينية بالاسلحة (١٣٤). ولكن هذه المساعدات صحبها المستشارون السوفيات الذين لعبوا دور كبح جماح الجيوش العربية ، وكانت الاسلحة دفاعية وليست هجومية . كما ان الاتحاد السوفياتي ضغط على الفلسطينيين للاعتراف بوجود اسرائيل واعسادة جميع شعوبهم في دولة في الضفة الغربية (١٣٥). وترتكز سياسة الاتحاد السوفياتي على الاعتراف بهم وتدعيم الصهيونية ودولة اسرائيل .

ويقول المايويون ، من ناحية ثانية ، ان الصهيونية وطبيعة اسرائيل نفسها هما جذور المشكلة : « ... ان الدولة الصهيونية الاسرائيلية ملتصقة بالعدوان ونهب الاراضي المسروقة ... وقد اوجدتها الصهيونية ، وهي حركة قام بها بعض اليهود الأوروبيين الشرقيين ، وعادتها القوى البورجوازية ، وساعدتها الدول الاستعمارية الكبرى . فاسرائيل دولة اصطناعية ، وهي مستعمرة استيطانية غربية اقيمت بالقوة في قلب العالم العربي » (١٣٦).

وينظر المايويون الى اسرائيل على انها « اسرع دولة توسعت في العالم ، اذ ضاعفت مساحتها ثلاث مرات في ٢٥ عاما . وطبيعتها نظرية ، وهي دمية في يد الاستعمار » (١٣٧). ويشرح مقال تاريخي اعلامي نشرته « وكالة انباء التحرير » كيف ان توسع اسرائيل ما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كان السبب في طرد العرب من ديارهم (١٣٨). اما بعد

في مجلس الأمن تضامنا مع مصر وسوريا ومع حكومات عربية أخرى اتخذت موقفا تقدميا الى حد ما اثناء الحرب . فالصين الشعبية تحاول الحفاظ على الجبهة الموحدة المعادية للاستعمار من خلال عدم عرقلتها للاهداف القومية لهذه البلدان ، « حتى وان كانت حكوماتها الحالية لا تمثل امانتي وتطلعات شعوبها » (١٤٤). وهكذا غان الماويين يحترمون اهداف الدول العربية التي شنت حرب اكتوبر لاجلها ، ولكنهم في الوقت نفسه يدركون طبيعة تلك الاهداف المحدودة ويشددون على ضرورة اهداف اكبر في المستقبل . وقد كانت الاهداف المحدودة لحرب اكتوبر الرد المباشر على العدوان الاسرائيلي في العام السابق ، وغرض تسوية سياسية لوضع لا يطاق ، ولتحدي احتلال اسرائيل للمناطق التي اخذتها عام ١٩٦٧ (١٤٤). « ... فمن الواضح ان الحرب التي تشن حاليا في الشرق الاوسط ليست حربا شعبية هدفها تحرير فلسطين كلها ... فالهدف الرئيسي للعرب في هذه الحرب هو استعادة الاراضي التي فقدوها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبشكل ثانوي تمكن اللاجئين الفلسطينيين من العودة لوطنهم » (١٤٥). ولكن الماويين مقتنعون ايضا بان الدافع الخفي للحرب كان الضغط الجماهيري من اجل التحرير الوطني ، ليس للاراضي المحتلة فقط وانما لفلسطين ايضا (١٤٦). فقد كانت الحرب في آن واحد تعبيرا عن هذه التيارات وصمام امان لاطلاق تلك الضغوطات بدون تحقيق المطالب المطروحة .

وقد رأى الماويون ان النتائج الفورية للحرب كانت زيادة مستوى الوحدة العربية وزيادة الدعم للفلسطينيين . ولكنهم قدموا ثلاثة تحفظات: **اولا** ، ان بعض الحكام يهدد الوحدة العربية بتصرفاته الفردية ... وهذا مثال على ضرورة عدم الثقة بالقيادة الحالية . **ثانيا** ، ان على الدول العربية ان تعتمد على نفسها في تحركاتها العسكرية والا تبقى معتمدة على الاتحاد السوفياتي . **ثالثا** ، « ان أية تسوية — عسكرية أم دبلوماسية — لا تلتقي والاماني القومية للشعب الفلسطيني محكوم عليها الا تعبر طويلا » (١٤٧).

وانطلاقا من هذا الالتزام ، تقوم الصحف الماوية في اميركا بنقل العديد من التصريحات والمواقف التي يطلقها او يتخذها الفلسطينيون . ومع تحول الموقف

والوحدة المتصاعدة بينها تخلق افضل الظروف لحركة العمال والفلاحين في الدول العربية » (١٣٧).

ويعتبر الماويون حرب اكتوبر ، وحظر النفط ، وحركة الوحدة العربية دلائل على الاتجاه نحو جبهة عالمية موحدة ومعادية للاستعمار في اوساط العالم الثالث ، مما يدعم ايمانهم بان التناقض الرئيسي الحالي هو بين الاستعمار والتحرر الوطني (١٣٨). فالمنافسة الحالية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من اجل توسيع مناطق نفوذها قد خلقت الظروف الملائمة للنضال من جانب الدول العربية ودول الشرق الاوسط . وقد كانت النتيجة ان هذه الدول اخذت تتصدى للقوى العظمى وتلعب دورا اكثر استقلالية ... » (١٣٩). وايضا ، « ان النصر العربي يعني ، في نهاية المطاف ، كسب اضافة لاستقلال الدول الاصفى في العالم ، وبداية النهاية للاستعمار والاستعمار الاجتماعي والصهيونية في الشرق الاوسط » (١٤٠).

وتماشيا مع المعادلة الشيوعية الصينية الثالثة « البلدان تريد الاستقلال ، والامم تريد التحرر ، والشعب يريد الثورة » ، فان الاستراتيجية الماوية لتحقيق انتصار الجماهير الفلسطينية والعربية النهائي هي : « ان يتابع الشعب العربي تطوير نضاله بالاعتماد على نفسه وعلى حرب الشعب » لان « أي من القوتين العظميين لن تتسحب من تلقاء نفسها » (١٤١).

اما الاعتبارات التكتيكية التصيرة — المدى فتفرض اتحاد الانظمة العربية الحالية في جبهة واحدة معادية للاستعمار . وحتى لو كانت هذه النظم بورجوازية او اقطاعية ، يبقى لها تناقضات مع الصهيونية والاستعمار تحولها الى (قوى وسطية) تنخرط في التيار الثوري المتصاعد للدول الصغيرة التي تتصدى للسيطرة الاميركية والسوفياتية بغية نيل استقلالها (١٤٢).

ويتبع الماويون الاميركيون المنطق نفسه لتفسير ودعم السياسة الخارجية الصينية بشكل عام ، ومواقف الصين في الشرق الاوسط والامم المتحدة بشكل خاص . فالصين الشعبية « التي تؤيد بقوة امانتي الشعب الفلسطيني المشرد » وتفضل «نضالا طويلا حتى النهاية» عارضت وقف اطلاق النار الذي انتهى حرب اكتوبر ، ولكنها امتنعت عن التصويت

الضفة الغربية — اذا تم تحقيقها — القيام ببعض الدعاية « التحريرية » ، فان « أمن » دولة اسرائيل المستعمرة ستضمنه القوتان العظيمان . وان اية محاولة تقوم بها قوات التحرير الفلسطينية لتقلب هذه المعادلة التنظيف التي تضع الاسس لمصالح كل من القوتين في الشرق الاوسط ، ستجابه بتمتع اميركي روسي مشترك «(١٥٢) . وسيكون الفلسطينيون ضحية هذه التسوية لانها لا تقرب بان الصهاينة هم المعتدون ، ولانها تفتقر مسبقا ان للدولة الصهيونية الحق في الوجود فوق الوطن الذي كان يعرف باسم فلسطين(١٥٤) .

ويؤمن الماويون بأن السلم العادل والدائم في الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقه الا بتحقيق شروط معينة . وهذه الشروط هي : (١) ازالة نفوذ القوى العظمى(١٥٥) ، (٢) اثناء المساعدة العسكرية الاميركية لاسرائيل(١٥٦) ، (٣) عودة الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧(١٥٧) ، (٤) اعادة الحقوق العادلة للشعب الفلسطيني ، والمعرفة بالحقوق الوطنية في كل فلسطين بالمشاركة مع اليهود الاسرائيليين في دولة علمانية ديمقراطية(١٥٨) .

ويحاول الماويون تحقيق هدفين من وراء تقاريرهم وتحليلهم لشؤون الشرق الاوسط : **اولا** ، انهم يحاولون الالتزام بمبادئ الفكر الماركسي — اللينيني — الماوي ، مثلا اهمية التحرر الوطني والجيبة الموحدة المعادية للاستعمار ، وتطبيقها على الصراع الفلسطيني — الصهيوني والصراع العربي — الاسرائيلي . **ثانيا** ، انهم يتوجهون اساسا الى اليسار المؤيد للصهيونية — اليهودي وغير اليهودي — في الولايات المتحدة ، والذي لم يغير موقفه منها . ولهذا السبب نجد ان مطبوعاتهم تحتوي على نبذات تاريخية طويلة ، وحقائق موثقة ، وتحليل طبقي لاسرائيل والصهيونية ، وهي معلومات لم تكن متوافرة للشبان اليساريين قبل بضع سنوات .

حزب عمال العالم : يعبر هذا الحزب من خلال صحيفته **عمال العالم** عن موقف سياسي مجاد بشدة للصهيونية وللإستعمار الغربي . وهو يتخذ موقفا نعديا من الاتحاد السوفياتي والصين دون ان يلتزم بالمعسكر التروتسكي(١٥٩) . ويعتبر حزب عمال العالم ان الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية

الفلسطيني بعد حرب اكتوبر بابداء الرغبة في بحث قيام سلطة وطنية في الضفة الغربية وغزة ، فقد حافظ الماويون الامركيون على استراتيجيتهم ذات الخطين التي تفرضها فلسفتهم حول الجبهة الموحدة المعادية للاستعمار . فهم من ناحية يلتزمون بالنضال المسلح طويل الامد وحرب الشعب كطريق لاقامة دولة حرة وديمقراطية فوق كل فلسطين ، ويوافقون في الوقت نفسه على تحقيق أهداف قومية محدودة وقصيرة المدى تعطي الفلسطينيين حدا أدنى من تقرير المصير القومي والاستقلال .

وقد نشرت **ذي غارديان** خلال الاشهر الثلاثة التي شملتها هذه الدراسة بيانات عديدة صدرت عن منظمات المقاومة الفلسطينية وحولها . ومن بينها بيان للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين صدر في ايار ١٩٧٠ بعنوان « نحو حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية(١٤٨) . وكذلك نص « برنامج النقاط السبع » الذي أقرته اللجنة المركزية لتفتح في كانون الثاني ١٩٦٩ والذي دها ايضا الى دولة ديمقراطية علمانية(١٤٩) . ونشرت **ذي غارديان** في آخر نوفمبر مقالين منفصلين حول كيف ان غالبية المقاومة الفلسطينية (باستثناء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) تد « وافقت على الاشتراك في مؤتمر دولي وعلى قبول قيام دولة فلسطينية كخطوة اولية » . وقد جرى التشديد على ان هذا القبول يشكل مرحلة انتقالية نحو تحقيق الهدف النهائي باقامة دولة ديمقراطية في فلسطين كلها . ونشرت **ذي غارديان** في ديسمبر ١٩٧٣ مراجعة لمقابلة مع نايف حواتمة ظهرت في مجلة **أفريكاسيا** عدد فيها أسباب قبول الجبهة الشعبية الديمقراطية بدولة فلسطينية(١٥١) . وقد نقلت **ذي كول** في الشهر نفسه تقارير حول رفض بعض الفلسطينيين والعرب الاخرين لوقف اطلاق النار وللتسوية عن طريق الامم المتحدة ، وشددت على ضرورة تحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وضرورة متابعة الكفاح المسلح وحرب الشعب لتحصيل تلك الحقوق كاملة(١٥٢) .

ويرفض الماويون شروط ومبدأ التسوية المقترحة من قبل القوى العظمى ، لانهم يرون فيها خسارة اكيدة للفلسطينيين : « ان حركة التحرير الفلسطينية تطعن في الظهر من قبل اصدقائها المفترضين (الاتحاد السوفياتي مثلا) . وبالرقم من انه سيسمح لدولة

مناجم النفط ، كما يهيم احتواء واخضاع العرب . ويمكن معرفة مدى اهمية الشرق الاوسط بالنسبة للولايات المتحدة من خلال وقوف الطبقة الحاكمة كلها ، رغم وجود تناقضات داخلية فيما بينها (مثلا ، رغبة المؤسسة الليبرالية في اتهام ومحاربة نيكسون) ، من كندي الى مسكي الى موندال الى ستيفنسون الى النيويورك تايمز خلف اعلان نيكسون الاستنفاذ النووي اثناء حرب اكتوبر . كما ان نيكسون لقي دعما من مجموعة روكفلر في استعمال « النقص في النفط » كمادة دعائية لتبرير دعم اسرائيل ودعم احتلالها للاراضي العربية ولتمكين شركات النفط من زيادة ارباحها غير المعقولة (١٦١).

ويرى الحزب ان قاعدة الصراع في الشرق الاوسط هو التناقض بين الاستثمار والتحرر الوطني ، وان اسرائيل تلعب دورا اساسيا في هذا الصراع كعميل للاستعمار . « ... لا يمكن فهم الشرق الاوسط الا كجزء من صراع اوسع ، الصراع الطبقي في العالم . وان النضال العربي في الشرق الاوسط يهدف الى تحرير تلك المنطقة من قبضة احتكارات النفط الامريكية . وقد اوجد المستعمرون اسرائيل لامتاع اليهود الذين نجوا من المذبحة النازية بان يصبحوا اسفينا في قلب الثورة النامية في المنطقة » (١٦٧) . ويمكن معرفة كيفية خدمة اسرائيل للاستعمار من خلال هجماتها على قتال السويس : « لقد جعلت اسرائيل قتال السويس هدفا لاعمالها العسكرية مرة اثر اخرى ، وحرمت الحكومة المصرية من مصدر دخل اساسي ، وقوت بذلك من مركز خليفتها السياسي جنوب افريقيا . (لان معظم السفن اضطرت للدوران حول افريقيا) ، ومنعت ايضا الاتحاد السوفياتي من الوصول بحرا بسهولة الى الشرق الاقصى » (١٦٨).

كما ان اسرائيل لا تشكل حلا طويلا لمشاكل اليهود : « ... اسرائيل ليست ملجا آمنا للشعب اليهودي ، ولكنها مصيدة قاتلة خلقت لخدمة الاحتكارات النفطية الامريكية ... » . اما الشعب الفلسطيني فهو يقاسي اكثر من اي فئة اخرى نتيجة لتجاهل حقه العادل في العودة الى وطنه ، وتحول الى « مشكلة لاجئين » . بنظر الامم المتحدة « (١٦٩) » .

وتقر صحيفة عالم العمال بالمرکز الانساني للفلسطينيين والصهيونية في صراع الشرق الاوسط

بلدان اشتراكيان شقيقان (١٦٠) ، ويعترض على وصفهما « بالقوى العظمى » ، لان هذا الوصف يخفي الفرق بين هذه القوى . فالاتحاد السوفياتي ما يزال دولة اشتراكية عمالية والولايات المتحدة دولة استعمارية عدوانية . ويقدر حزب عمال العالم دور المساعدة العسكرية والمادية السوفياتية الهائلة للعرب في تمكينهم من مقاومة الاستعمار (١٦١) .

وينتقد « حزب عمال العالم » ، في الوقت نفسه ، الاتحاد السوفياتي والصين على سياستهما الخارجية التي تعتمد الى الوفاق والتعايش مع الولايات المتحدة : مثلا ، شجب البلدان العدوان الامريكاني بدون ان يأتيا على ذكر الاستعمار الامريكاني اثناء حرب اكتوبر . ويؤمن « حزب عمال العالم » بان الوفاق الدائم أمر غير ممكن ، وان الحروب التي تسببها الامبريالية أمر حتمي (١٦٢) . كما ان الحزب يلقي اللوم في سياسة الصين الخارجية بعد العام ١٩٧٠ والعداء الصيني للاتحاد السوفياتي على الافكار غير التقدمية لثيو آن لاي (١٦٣) .

اما الاتحاد السوفياتي فيلقى انتقادا عنيانا من الحزب على سياسته الداخلية والخارجية . فالحزب يقول ان ستالين ائذ تقسيم فلسطين لاسباب انتهازية ، للحصول على موطاء قدم في الشرق الاوسط من خلال نفوذه على القادة الصهيونيين الذين كانت لهم جذور اشتراكية ، وان هتلر ستالين ذلك يعتبر « خيانة لسبب العرب للتحرر الوطني » (١٦٤) . ورغم ان الاتحاد السوفياتي يساعد العرب فهو لا يعطيهم كل ما يريدونه ويحتاجونه (مثلا ، الاسلحة الهجومية) بسبب تجريفة البروقراطية السوفياتية (التي تسعى الى تجنب الصدام من خلال الوفاق والتعايش مع الولايات المتحدة) وانتهازيتها فيما يتعلق بالتحرر الوطني والصراع الطبقي . وان اتفاق الاتحاد السوفياتي مع الامريكين على اجراء محادثات سلام « بدون اشراك ممثلين فلسطينيين يعتبر انتهاكا خطيرا لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره » وخيانة للمبادئ التي تامل من اجلها الشعب السوفياتي في ظل لينين « (١٦٥) » .

ويتعتبر الحزب الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى الامعاء الدائمين والحقوقيين للشعب العربي ، الذين يريدون المحافظة على سيطرتهم على

العلاقات مع الولايات المتحدة ، وطبق سياسة العودة عن التأميم ، ودعا الى توظيف رؤوس الاموال الاجنبية في بلاده ، بالرغم من انه ما يزال يعارض اسرائيل ويمتدح الصداقة السوفياتية ويعترف بفضل السوفيات(١٧٤).

ويعتبر حزب عمال العالم حرب اكتوبر وحظر النفط عملين تقدميين ولكن محدودين(١٧٥). فالحرب كانت محاولة شرعية من جانب العرب لاستعادة اراضيهم بالقوة . وكانت احدى النتائج الملموسة للحرب اسقاط خرافة « اسرائيل التي لا تقهر » من خلال عمل عسكري كئوف . وقد رفعت المكاسب المحدودة للحرب ولحظر النفط معنويات العرب واكسبتهم « ثقة جديدة » في معاداتهم للاستعمار . وقد وجه حزب عمال العالم « رسالة الى اليمن المحررة » اعلن فيها : « نحن نحيا نضال الشعب العربي كله لتحرير نفسه من نير الاستعمار الامريكي وصهيله اسرائيل . وقد اظهر قتال اكتوبر تصميم الجماهير العربية على الانتصار في المعركة . ونحن ندعم حق هذه الجماهير بمتابعة القتال بكل سلاح تحت ايديها ، بما فيه مصادر النفط والسيطرة على المضائق المائية »(١٧٦).

ويعتقد حزب عمال العالم بأن الحكام العرب قد شنوا الحرب وحظروا النفط لانهم لم يعودوا قادرين على احتواء المد الممادي للاستعمار في اوساط الشعب العربي . « ان يقظة ملايين الجماهير العربية هي بدون شك القوة الدافعة وراء صعود الحكومات العربية »(١٧٧).

ويرفض حزب عمال العالم اطلاق تسوية عن طريق الامم المتحدة ، لانه لا يمكن ايجاد اي حل سلمي للتناقص بين التحرر الوطني والاستعمار . ويعتبر الحزب الامم المتحدة أداة في يد الولايات المتحدة ساهمت في خلق دولة اسرائيل ، وتبرير مشروع التقسيم (نومبر ١٩٤٧) ، والاعتراف بالتوسع الاقليمي الصهيوني من قبل الولايات المتحدة (١٥ ايار ١٩٤٨) ومن قبل الامم المتحدة (١١ ايار ١٩٤٩) (١٧٨). ويعتبر الحزب كذلك ان قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ارادة امريكية لهضم الحق العربي وانكار الحق الفلسطيني .

وعلى أي حال ، فان حزب عمال العالم يقول : « ان المناخ الحربي الدائم في الشرق الاوسط لن يحل بأي اتفاق حول الحدود . فحل كهذا سيكون

ولكنها تخصص حيزا اكبر للصراع بين حركة التحرر الوطني العربية والاستعمار . وقد كتب العديد من المقالات حول الانظمة العربية الحاكمة والدول العربية المختلفة ، من وجهة وصفية وتقييمية . وان تحليل « حزب عمال العالم » لطبيعة الانظمة العربية يسمح للحزب بتقديم الدعم لهذه الانظمة في بعض الظروف مع الاحتفاظ بحقه في ادراك محدودية الحكام العرب الطبيعية . ويرى الحزب ان الحقيقة الاساسية التي يجب ان يقف ازاءها كل العرب هي الخطر الامبريالي . وينفي احد الكتاب التهمة القائلة بأن العادة العرب كانوا يؤيدون النازية ، ويدافع عن ثورة ١٩٤١ العراقية بأنها كانت موجهة ضد الاستعمار البريطاني ولم تكن من وحي اية عقيدة اجنبية . وهو يرفض القول بأن الدول العربية تخضع للسوفيات ، ويصر على ان لكل دول العالم الثالث الحق في النضال من اجل التحرر باية اسلحة تتوافر لديهم ومن اي مصدر كان(١٧٠).

ويؤيد الحزب تأميم العراق لشركة نفط العراق ، والاتفاقات التي عقدها مع السوفيات ويعتبرها اعمالا « تقدمية » تخشاهما الامبريالية وتحاول ازالتها من خلال تأييدها للمعدوان الإيراني ضد العراق ، ومحاولة ايران السيطرة على الخليج(١٧١).

كما ان الحزب يحتفظ بتقدير كبير لموقف مصر المضاد للاستعمار في ظل عبدالناصر . ففي عام ١٩٥٦ « بدأ عبدالناصر والمناصر الوطنية المحيطة به ببناء درجة من الاستقلال عن الاستعمار الغربي من خلال اقامة علاقات مع المعسكر الاشتراكي »(١٧٢). ومن هذه العلاقات التقرب من الصين الشعبية ، والمشاركة في مؤتمر باندونج ، وصنفة السلاح التشيكية ، وتأميم شركة القتال ، وتأميم الممتلكات البريطانية والفرنسية . كذلك قام عبدالناصر في العام ١٩٦٧ بطرد قوات الامم المتحدة من سيناء لانه كان يعلم ان اسرائيل تخطط لحرب عدوانية ضد الحركة الفدائية الفلسطينية وضد الحكومة التقدمية في سوريا(١٧٣).

ويقف حزب عمال العالم موقفا غير ايجابي من نظام السادات . فقد وصف السادات في مقال بعنوان « التعايش الامريكي - الساداتي ليس في مصلحة القضية الفلسطينية » بأنه قد تحول الى « البورجوازية الوطنية » باتجاه اليمن عندما أعاد

اسرائيل لتكون : (١) شرطي حراسة لشركات النفط . (٢) مغناطيس يحول الغضب العربي عن شركات النفط الى الصهيونيين القتلة و (٣) حجة تستعملها الولايات المتحدة لتسليح الانظمة الرجعية العربية ضد شعوبها ، من أجل ترسيخ هؤلاء الحكام التابعين لها « (١٨٤) .

كما ان الحزب لا يعتبر الصهيونية قوة قائمة بذاتها ، بل أداة استعمارية . وكما ظهر في الحرب الاخيرة : « لقد كشف موقف الاسرائيليين الفاشيين انهم ليسوا اكثر من دمي تمبسة في يد الاستعمار الاميركي . فقد قام المستعمرون الاميركيون بشحن أكثر انواع الاسلحة تطورا بطريق الجو الى اسرائيل ، وارسال العملاء و « المتطوعين » لتدعيم الدولة الصهيونية المهاوية ، وارسال الاموال ، و تنظيم المسيرات المؤيدة لاسرائيل ، واستعمال سلاح الجو الاميركي في مهمات « استطلاعية » لصالح عملائهم في تل - ابيب « (١٨٥) . وتقوم قوى امبريالية اخرى بمنافسة الولايات المتحدة لتقويض سيطرتها الانفرادية في الشرق الاوسط . وهكذا « ... فقد استقل المستعمرون السوفييات المناسبة لزيادة نفوذهم وسيطرتهم في الدول العربية الوطنية من خلال ارسال السلاح والمستشارين ايضا . أما المستعمرون الفرنسيون فيكسبون من « الانحراف » نحو الجانب العربي . أما المستعمرون الآخرون (كالانجليز) فيدعون الحياد او يصدرون بيانات مؤيدة للعرب (كالصينيين) « (١٨٦) .

والدول العربية ، مثل اسرائيل ، مجرد مخالب في هذه اللعبة ، « فقد نادى الخاضعون لفرنسا والخاضعون للسوفييات بتأميم شركات النفط الاميركية ، وذلك لمساعدة اسياهم على انتزاع المنطقة من الولايات المتحدة « (١٨٧) . وينتقد حزب العمل التقدمي الاتحاد السوفيياتي بمرارة على دوره في الشرق الاوسط ، وخاصة لقيامه بتدعيم القومية وخذل الصراع الطبقي . وان تتكبد الاقتصاد السوفيياتي يعتمد على « خذل ثورية الطبقة العاملة الاممية والتحال مع أشد القوميات عداء للشيوغية خارج اسرائيل » . ويتهم الحزب الاتحاد السوفيياتي والولايات المتحدة بمحاولة « الابقاء على الهستيريا العنصرية - القومية متنعشة في الشرق الاوسط لتغطية حقيقة اسباب وجودها في المنطقة « (١٨٨) . ويمكن المحافظة على هذه الهستيريا من خلال

اجراء مؤقتا . والحل الوحيد هو تخلص الشرق الاوسط من دولة اسرائيل العميلة واقامة دولة يعيش فيها العرب واليهود على أسس متساوية « (١٨٠) .

وقد اتخذ حزب « الشبان ضد الحرب والفاشية » موقفا مماثلا خلال مسيرات الاحتجاج والتظاهرات التي حدثت اثناء وبعد حرب اكتوبر . فقد قال « جويل مايرز » للحدث باسم الحزب : « ان الحل الوحيد هو ارجاع الفلسطينيين الى وطنهم وخلق دولة على أساس المساواة بين العرب واليهود ، تكون مستقلة عن الاستعمار الاميركي « (١٨١) .

حزب العمل التقدمي : تقول الصحيفة نصف الشهرية لحزب العمل التقدمي بانها ماركسية - لينينية ، وتختلف اختلافا جذريا في تفسيرها لصراع الشرق الاوسط عن الحزب الشيوعي الاميركي والماويين وحزب عمال العالم . وباختصار ، ان حزب العمل التقدمي لا يعترف بالمسألة القومية في فلسطين ، ولا يحترم اية قومية (وهو يقول ان القومية « مصيدة ») (١٨٢) ، ويؤمن بأن الاولوية يجب ان تعطى لوحددة البروليتاريا العالمية وللصراع الطبقي . ويعتبر الحزب ان اسرائيل صنيعة امبريالية ، وان كل دول الشرق الاوسط دمي امبريالية غير قادرة على اتخاذ اي عمل مستقل ، وبالتالي فان حرب اكتوبر كانت حربا امبريالية ستمكن السيد الامبريالي من حكم الشرق الاوسط . وأخيرا ، يعتبر الحزب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيياتي والدولة الأوروبية والصين الشعبية دولا امبريالية .

وطبقا لتحليل حزب العمل التقدمي ، فان منطقة الشرق الاوسط لا تمكك حياة او طاقة ذاتية - باستثناء وجود حركة عمالية فيها مشابهة للمناطق الاخرى - بل هي مسرح للمواجهة الاستعمارية . ويرجع هذا الامر الى ان الشرق الاوسط « استراتيجي من الناحية الجغرافية ، ويحتوي على ثلثي أهم المواد الخام بالنسبة للصناعة الحديثة « (١٨٣) . وان الولايات المتحدة أقوى أمة استعمارية لانها تسيطر على الدول المنتجة للنفط وعلى اسرائيل . « وقد أثار نمو الحركة العمالية العربية قلق الامبريالية الاميركية - البريطانية ودفعها عام ١٩٤٧ الى انشاء مستعمرة

من « اسقاط الانظمة الرجعية المعيلة لاجركا في سوريا والعراق ولبنان واليمن وليبيا واليمن الجنوبية والسودان » على اثر الثورة المصرية عام ١٩٥٢ . « وقد وقعت هذه الانظمة العربية الوطنية الحديثة تحت سيطرة المستعمرين السوفيات والالمان والفرنسيين والطلليان او تحالفات من هذه القوى » (١٩٣).

ويذكر الحزب المملكة العربية السعودية بشكل خاص نظرا لملاقتها البارزة مع الولايات المتحدة ولدورها في سياسة النفط الحديثة . وتزعم تشالنج انه بينما « أسست عمل زعماء الولايات المتحدة الاسرائيليين النازيين كسلاح لضمان طاعة الوطنيين العرب ولحماية ارباح النفط العاليه، فانهم حاولوا تأمين استثماراتهم الضخمة في السعودية من خلال استقلال ضعف حكاهم تلك البلاد » (١٩٤). ويعتبر حزب العمل التقدمي حظر النفط ودور السعودية البارز فيه مجرد غطاء لاستمرار السيطرة الامريكسية (١٩٥). وهكذا ، فان حزب العمل التقدمي لا يعترف بأن حظر النفط كان تعبيرا صادقا عن المشاعر الوطنية للجماهير العربية . ولا ينظر الحزب الى حرب اكتوبر على انها حرب تحرير شعبية للارض ، ولكن « هذه الحرب ، كالحربين السابقتين ، سببها التنافس الذي يزداد حدة باستمرار فيما بين القوى الامبريالية ، وخاصة التنافس بين المستعمرين الامريكان من جهة، والمستعمرين السوفيات والسوق المشتركة من جهة ثانية » (١٩٦). ويرجع الحزب الفضل في الانجازات العسكرية العربية الى السوفيات وليس الى العرب : « ان الحزب الاخيرة في الشرق الاوسط هي انعكاس للنفوذ السوفياتي النامي باستطراد ، اذ قام جيش عربي آخر سلحه وقاده ودرجه السوفيات بغزو اسرائيل وتحقيقت بعض الانتصارات العسكرية والسياسية » (١٩٧).

اما النتيجة الرئيسية للحرب فهي تزعم سيطرة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط من خلال تزعم موقف اسرائيل. فقد حطمت الحرب اسطورة المناعة الاسرائيلية بعد. أن أظهرت ان العسكرية الاسرائيلية نمر من ورق . وقد وصفت ذي تشالنج الخسائر العسكرية الاسرائيلية بأنها خطيرة وقالت : « وهذا علامة بداية النهاية للمستعمرة الصهيونية في الشرق

الوجود الدائم والتهديد الدائم الذي تمثله اسرائيل . ويسمي الحزب « الشلة الحاكمة الاسرائيلية » نظاما عنصريا وفاشيا ، ويشبه خرافة تفوق الصهيونية العنصرية و« اسرائيل التي لا تقهر » على « المقاتلين المتخلفين » للجيش العربية بالخرافة النازية حول تفوق العنصر الاري (١٨٩).

وهذا يشكل تحديا مستمرا للعرب كعرب ، وليس كعمال ، وتستنفد طاقاتهم في صراع بعيد كل البعد عن قتال اعدائهم الطبيعيين . وتقوم « دولة اسرائيل العنصرية العسكرية » بمساعدة الاستعمار الامركي « على تحويل حركة الطبقة العاملة العربية التي انتعشت بعد الحرب العالمية الثانية نحو مصيدة القومية » ، وعلى منع الوطنيين العرب من الاستيلاء على حصة كبيرة من ارباح النفط (١٩٠).

كما ان الطبيعة الداخلية للجمبع الاسرائيلي تعكس العنصرية الفاشية لاسرائيل من خلال التمييز في معاملة العرب واليهود الداكني البشرة . « ان اصرار اسرائيل على الاحتفاظ بشبه جزيرة سيناء ومرتمعات الجولان (لا تذكر الضفة الغربية هنا ولا في أي مكان آخر) يرجع لكلمة واحدة : الارباح . فالعمال العرب في هذه المناطق يصدرون الى اسرائيل لكي يعملوا في الصناعات الاساسية بأجر أقل من معدل أجر العامل الاسرائيلي » (١٩١).

وقد اوردت صحيفة تشالنج مقالا بعنوان « اسرائيل تأمر بترحيل ١٥ عاملا اسود بشكل نازي » جاء فيه ان ٣٥٠ شخصا ادعوا انهم من احفاد العبرانيين الاصليين (وهو ادعاء رفضته حكومة اسرائيل) سوف يجري ترحيلهم بناء على اوامر « الغستابو » بشكل يذكرنا « بترحيل النازيين لليهود من اجل «ثقفة» المانيا » (١٩٢).

ان التناقض بين الصهيونية والشعب الفلسطيني، الذي يعتبره الحزب الشيوعي الامركي والماليون اساسيا في تحليلهم للصراع ، ليس اساسيا او حتى مهما بالنسبة لحزب العمل التقدمي . كذلك لا يرى الحزب ان التناقض بين اسرائيل والامة العربية هام بحد ذاته ، بل كغطاء للتنافس الامبريالي في المنطقة . وعلى أساس هذا الخط التحليلي ، لا يقوم الحزب بالتفريق بين الانظمة العربية المختلفة (الا على أساس انتماؤها للقوى الاستعمارية المختلفة) ولا يمنحها اي احترام او ثمة اسوة باسرائيل . فكل هذه الدول دمي استعمارية بالرغم

المجاورة . « يجب على قادة حركة الشعب الفلسطيني ان يتخلوا من السياسة الفاشلة في الحصول على « الدعم الحيوي » من الانظمة الرجعية الوطنية العربية واميادهم السوفيات . وعليهم ان يتخلوا نهائيا عن سياستهم الوطنية الماضية . وعليهم ان يعملوا اولاً وبكل قوتهم لقب الطبقات الحاكمة في البلاد العربية . وهذه بعض الشروط الضرورية لازالة خطر الفاشية الاسرائيلية » (٢٠٢) .

ويرى حزب العمل التقدمي ان على العمال العرب ان يتجنبوا التحالف مع الطبقات العربية الاخرى ، وان يحاولوا التحالف مع طبقات عمالية اخرى ، وخاصة الطبقة العاملة الاسرائيلية . وقد اوردت ذي تشانج تقريراً حول الميول التقدمية للعمال اليهود في اسرائيل لتظهر امكانية التحالف بينهم وبين العمال العرب : « يجد حكام اسرائيل الحاليون ان عليهم اثاره الحس العنصري عند اليهود من اجل تنفيس غضب الطبقة العاملة الاسرائيلية المتزايد بسبب التضخم والرواتب الصغيرة وسياسة الحكومة الحربية . وقد نظم العمال الاسرائيليون في العام الماضي عدداً من الاضرابات يفوق مثيله في أي بلد آخر . وقد دفع هذا الامر ، بالإضافة الى نمو اليسار الاسرائيلي (الذي قبض على بعض اعضائه مؤخرًا وصدرت بحقهم احكام طويلة بالسجن) والاحتياجات الحالية للامبريالية الاميركية سيدة اسرائيل ، الحكومة الاسرائيلية لان تصعب عنصرية اكثر وأكثر بشكل مفضوح . وتظهر هذه السياسة الضعف الاستراتيجي لحكام اسرائيل ، لان العمال وحلفاءهم اصبحوا مستائين جدا من هذه العنصرية الطبقيّة (مثلا ضرب الطائفة الليبية بالصواريخ وقتل عشرات العرب فيها) وبالتالي فان الحركة الهادفة للانتاحة بهؤلاء الطفيليين سوف تنمو » (٢٠٢) .

ويرى الحزب ان الصراع الطبقي يتصاعد في المنطقة كلها ، وخاصة في اسرائيل ، مع موجة الاضرابات في السنوات الاخيرة ، ومع نمو الحركة الشيوعية في اسرائيل ودعوتها لاقامة تحالف عمالي عربي - اسرائيلي . وطريق الخلاص الوحيد لسحق الشلة الصهيونية الحاكمة يتأتى من اقامة وحدة عمالية عربية - اسرائيلية ، سواء كان العمال فلسطينيين أم غيرهم من العمال العرب (٢٠٤) .

الايوسط ، واكثر من ذلك انه يشكل اكبر هزيمة انزلت حتى الان بزعماء الولايات المتحدة الاستعماريين » (١٩٨) .

ولم يعتبر الحزب ان تزعزع السيطرة الاميركية قد أدى الى زيادة الاستقلال الذاتي لدول المنطقة ، وانما كان التراجع في سيطرة اميركا لصالح المستعمرين الاخرين ، وخاصة السوفيات : « ان الدليل على تراجع الامبريالية الاميركية يؤخذ من مبادرة الوطنيين العرب الى مهاجمة اسرائيل . ويبدو ان القادة السوفيات واتباعهم العرب قرروا تحدي اميركا في المنطقة » (١٩٩) .

وان الاستراتيجية الامبريالية في استعمال اسرائيل والحكام العرب لكبح جماح الوطنيين العرب قد ارتدت على اصحابها . اولاً ، ادت « أعمال الابداء الاسرائيلية النازية » الى تقوية رفض الوطنيين العرب للولايات المتحدة ودفعت بهم نحو مصادر المعونة والسلاح الامبريالية الاخرى . ثانياً ، أصبح بإمكان الحكام العرب المطالبة والحصول على « شريحة أكبر من ارباح النفط » من خلال نمو مبادلاتهم التجارية مع اليابان وأوروبا على حساب الولايات المتحدة والاكثر أهمية ان تطور الاتحاد السوفياتي الى قوة عالمية قد أعطى منتجي النفط العرب ، وخاصة الناصريين ، مصدراً جديداً للأسواق والأسلحة المتطورة » (٢٠٠) .

وطبقاً لتطويع حزب العمل التقدمي ، لا يمكن اعتبار هذه النتائج « تقدمية » لانها ساعدت على تدعيم مكانة الحكام العرب وعلى ابدال السيطرة الاميركية بالسوفياتية . ويخطئ العمال العرب اذا اعتبروا هذه النتائج « تحريراً » (على المستوى الوطني) او « تقدمية » (على المستوى الاشتراكي) . « لسوء الحظ ، ان قيادات الطبقة العاملة العربية وقيادات حركات التحرر العربية يعملون تحت تأثير الفكرة الانحرافية بضرورة « الدعم الحيوي » من اعداء العمال العرب من الحكام ، وضرورة « وحدة » كل الطبقات في وجه العدوان الاسرائيلي ، وبالتالي فمن الممكن لدمية عميلة ان يستمر في الحكم لمدة اطول » (٢٠١) .

ويوصي حزب العمل التقدمي بأن تكون الاستراتيجية الفلسطينية الاساسية ليس تحرير فلسطين ، وانما القيام بثورات في الدول العربية

العينة العرب ، بينما وقف ٢٩٪ الى جانب اسرائيل او لم تكن لهم آراء . وهذه النتيجة تعتبر تحولا بارزا عن مواقف السود عام ١٩٧٠ ، عندما ايد ٤٠٪ منهم العرب بينما قال ٣٨٪ انهم يتعاطفون مع اسرائيل . وقد قال ٦٥٪ من الافريقيين - الاميركيين الذين شملهم البحث الاخر انه يحق للفلسطينيين المطالبة بالارض والممتلكات التي اخذتها منهم دولة اسرائيل « (٢٠٦) . وفي المقابل نجد ان « الوجاهة » للسوداء ، بما فيها قيادة حركة الحقوق المدنية الليبرالية ، تؤيد اسرائيل والصهيونية (كما يثبت اعلان غطى صفحة كاملة من صحيفة نيويورك تايمز) . بينما يشعر السود الفقراء ، سكان الجيتو ، والطبقة العاملة السوداء بالتضامن مع الفلسطينيين والعرب المسحوقين . وهذه حقيقة حتى لو كانت ارقام استفتاء محمد يتكلم مضخمة بعض الشيء .

وعلى أي حال ، فان العناصر النشطة في القيادة الوطنية السوداء ، وخاصة الوطنيين السود والوحيدويين الافريقيين والذين يملكون حسا أسود قويا ، هي عناصر مناوئة للصهيونية ومؤيدة للعرب . وقد اورد وليم غرايذر المحرر في صحيفة ذي واشنطن بوست تقريرا من « المؤتمر الوطني السياسي الاسود » الذي عقد مؤخرا في ليتل روك ، في اركنساس جاء فيه : « لقد صيغت كل الفروقات في قرار واحد وهو شجب اسرائيل وتأييد الدول العربية الافريقية ، بالإضافة الى ادانة كل النواب الذين صوتوا الى جانب تزويد اسرائيل بالسلاح ، ومن بينهم ١٢ نائبا اسود . وقد ابدى القادة من نيويورك وانديانا معارضتهم للقرار ، ولكن القرار فاز بالاكثريه وعكس سيطرة الوطنيين والافرو - اميركيين على المؤتمر الذي ضم ١٢٠٠ مندوب » (٢٠٧) . ومن الجدير ان نشير هنا الى ان جددا من النواب السود قد صوتوا ضد مشروع المساعدة العسكرية لاسرائيل .

وقد نشطت منظمات عمالية سوداء متطرفة وتؤمن بالنضال المسلح مثل « مؤتمر العمال السود » في دعمها للقضية العربية . ففي ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ انضم العمال السود واطباء « مؤتمر العمال السود » الى العمال الاميركيين - العرب في ديترويت اثناء احتجاجهم على قيام رئيس « اتحاد عمال السيارات » بشراء أسهم اسرائيلية بمبلغ

وتلخص هذه السياسة بشعارات حزب العمل التقدمي : « اتحدوا لكي توجوهوا البنادق نحو الولايات المتحدة والسوفيات والاسرائيليين والحكام العرب » و« حولوا الحرب الامبريالية الى حرب طبقية » .

الاميركيون السود : منذ بروز حركة الحقوق المدنية ، تبنت الاقليات المضطهدة في الولايات المتحدة عقيدة وممارسة مناوئة للاستعمار ، ومتحالفة مع الشعوب المضطهدة في العالم الثالث . وقد تم في الستينات انشاء وتقوية حركات ومنظمات التحرر في اوساط السود ، والبورطوريكيين ، والتشيكانو ، والهوند ، والاميركيين - الصينيين . وقد قامت هذه الحركات والمنظمات بتأييد النضال التحرري الفلسطيني والعربي ضد الصهيونية وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ . وقد بدأ هذا التأييد مع صدور عدد حزيران - تموز ١٩٦٧ من صحيفة نيويولتر التي تصدرها « لجنة التنسيق الطلابي المسالم » . ومنذ ذلك الحين اظهرت الاجنحة اليسارية في حركات الاقليات تضامنا فعالا مع النضال العربي والفلسطيني .

وسوف نبحث في هذا الجزء موقف الحركة السوداء لان فكرها منشور ومتوافر بسهولة ، بعكس وضع بقية الحركات . وحتى بين السود ، نجد ان فكر المنظمات المتطرفة « كمؤتمر العمال السود » و« الحلف الثوري للعمال السود » غير متوافر وغير منشور . وبالتالي لا يمكن معرفة مواقفهم الا من خلال خطب وتصريحات القادة والاعضاء .

ومن المعتقد أن قطاعا كبيرا او القطاع الاكبر من الجالية السوداء يتعاطف مع قضايا الفلسطينيين والعرب . والمنظمات السوداء التي تؤيد النضال العربي ضد الاستعمار هي « السود المتطرفون » ، و« الوحدة الافريقية » ، و« منظرو العالم الثالث » ، و« المسلمون السود » ، وبعض المنظمات الاميركية - الاسلامية السوداء الحديثة (٢٠٥) . وقد اجرت صحيفة محمد يتكلم التي يصدرها « المسلمون السود » استفتاء اثبت ان غالبية الاميركيين السود يؤيدون الامة العربية والفلسطينيين : « اجري الاستفتاء على هيئة تتألف من ٣٢٠٠ اسود اختيرت من احياء هارلم وبدفورد وستوفيسانت وايسنت هارلم (نيويورك) . وقد ايد ٧١٪ من المراد

لاسرائيل . وقد عبر ايضا عن : « تعلق السود في كل انحاء العالم بالانضال البطولي الذي يخوضه اخوتنا في مصر ، ورفاقنا في سوريا ، وموق الجميع ورفاقنا العظام في السلاح حركة التحرر الوطني الفلسطيني التي تناضل ضد الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي لفلسطين وضد العدوان الاسرائيلي على الدول العربية ، وبالنسبة لنا ففوق كل شيء العدوان الغاشم على افريقيا الام » (٢١٤) .

وقد اشارت الصحيفة في مقابلة (٢١٥) اجريتها مع ابو فيصل ، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، حول دور الفدائيين الفلسطينيين في حرب اكتوبر ، الى ابو فيصل باسم « الاخ فيصل » ، ووصفت منظمة التحرير الفلسطينية بانها « حركة لتحرير فلسطين من السيطرة الصهيونية » ، و « مجموعات عربية مصممة على تحرير وطنها » .

واخيرا ، اعادت صحيفة **بلاك بانثر** نشر مقاطع من مقال بعنوان « كل ما تريد ان تعرفه عن الصراع في الشرق الاوسط .. ولكك كنت تخشى ان تسأل » صدر عن « لجنة نيويورك للتنسيق حول الشرق الاوسط » . وينتهي المقال بالجملة التالية : « لن يكون هناك سلام بين اسرائيل وجيرانها حتى تماد الاراضي العربية المحتلة طبقا لقرار مجلس الامن الدولي ، وحتى تعترف اسرائيل بحقوق الفلسطينيين في العيش في وطنهم في دولة تقدمية ديمقراطية حيث يمكن لكل فرد ان يتمتع بحقوق ومزايا متساوية ، بغض النظر عن العرق او الدين » (٢١٦) . ولكن لم يتضح اذا كانت صحيفة **بلاك بانثر** قد اوردت هذا الكلام لاسباب اعلامية ام انها تتبنى شطري هذه الجملة .

الديمقراطيون الاشتراكيون والجماعات التقدمية الاخرى : هذه المجموعة من المنظمات متفاوتة شأوتا كبيرا ، وقد جمنهاها في فئة واحدة سهيلا للتخيل . ناولا ، هناك حزبان ديمقراطيان اشتراكيان ينشطان حاليا . والجنح البيهني لهذا التيار هو « الحزب الديمقراطي الاشتراكي » الذي كان يعرف سابقا باسم « الحزب الاشتراكي » ، والذي يقوده ميكائيل هارنغتون . وهذا الحزب حزب جهاهري من الناحية التنظيمية ، ويشدد على « الحرية والديمقراطية » من الناحية العقائدية ، وهو بالكاد يعتبر حزبا معاديا للاستعمار . وهذا الحزب يؤيد السياسة الامريكية

مليون دولار من اموال النقابة . وقد هاجم قادة « مؤتمر العمال السود » في المهرجان لتسك الممارسات ، والحركة الصهيونية والاستعمار الامريكي ، وعبروا عن تأييدهم للنضال العربي والفلسطيني العادل (٢٠٨) .

اما صحيفة **بلاك بانثر** التي تصدر عن « حزب اليهود السود » فتقف موقفا صلبا في وجه موقف الاستعمار الامريكي من صراع الشرق الاوسط ، ولكنها ليست ضد اسرائيل باستمرار . فقد كتبت الصحيفة : « ان الصراع والموت المتساوي للناس في الشرق الاوسط ليس سوى استمرار للعدوان الامبريالي الذي بدأ باختلاف الدول الاوروبية حول اقتسام ثروات افريقيا في الحرب العالمية الاولى ، واستمر وشمل المحاولة الفاشلة لتهر او تدمير جنوب - شرق اسيا » (٢٠٩) .

وفي الواقع ان شركات النفط الامريكية قد استغلت الثروات واليد العاملة الرخيصة في الشرق الاوسط ، وخلقت بيع ازمة الطاقة (٢١٠) . وبالتالي فان صحيفة **بلاك بانثر** تحت الشعب الامريكي على رفض التدخل لصالح اسرائيل وعلى رفض امدادها بالمال والمعدات الحربية . وتؤيد صحيفة **بلاك بانثر** قيام الدول الافريقية بقطع علاقاتها مع اسرائيل . ولكن هذه الصحيفة لم تذكر فلسطينيين او الفلسطينيين في اعدادها التي صدرت في اكتوبر ١٩٧٣ . وقد تركت الصحيفة في عرضها لموقف غانا انطباعا عند القراء بان التسوية السلمية في الشرق الاوسط يمكن ان تتحقق من خلال العودة الى قرارات الامم المتحدة ، وخاصة قرار ٢٤٢ . وقد ايدت الصحيفة انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، وبقاء اسرائيل متمسكة وسالة ، بدون ان تذكر حقوق الفلسطينيين (٢١١) .

ولكن اعداد هذه الصحيفة الصادرة في نوفمبر ١٩٧٣ أبرزت اعترافا بالفلسطينيين وتعاطفا معهم ، ووضعت اسرائيل بشكل ثابت في صف الرجعيين والامبرياليين . وقد قام داغيد م. سيبكو (٢١٢) ، وهو ممثل « لمؤتمر الوحدة الافريقية » عن ازانيا (جنوب افريقيا) ، بالتحدث عن « التحالف الرجعي بين سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا والصهيونية الاسرائيلية » (٢١٢) ، واشتار الى دور بلفور في خلق كلا الدولتين ، والى الدعم المالي الذي يقدمه صهيونيو جنوب افريقيا

حول البنيان الداخلي للمجتمعات العربية والمجتمع الاسرائيلي ، وحول علاقات هذه الدول مع بعضها ، وحول ارتباطها بالاستعمار . فعدد حرب اكتوبر مثلا ، يبحث التاريخ الحديث وديناميكية الصراع الطبقي في مصر وسوريا واسرائيل اللذين ادبا الى الحرب والى البحث عن حلول سلمية . ورغم ان أعضاء هذه المجموعة لا ينتمون الى اي حزب او طائفة ، فانهم قد التقوا عام ١٩٧٠ تحت الظروف والاسباب نفسها التي أدت الى ظهور المجموعات والمنظمات اليسارية الأخرى . وهذه المجموعة ، بالتالي ، عنصر هام من عناصر ظاهرة اليسار التي تقوم بتناولها في هذه الدراسة .

وان احد اقدم المنظمات الاشتراكية الاميركية هو « حزب العمل الاشتراكي » . ويعرف هذا الحزب نفسه بأنه ماركسي ومستقل . وهو ينتقد الحزب الشيوعي الاميركي والاتحاد السوفياتي ولكنه لا يأتي على ذكر التروتسكيين او الماويين . وهو حزب جماهيري يهتم بالسياسة الانتخابية وينتظم نقابات العمال . وتحاول صحيفة الحزب **ذي ويكلي بيبول** ان تأخذ موقفا « موضوعيا » من نقل احداث الشرق الاوسط ، فلا تؤيد علنا الفلسطينيين او اسرائيل . وترى الصحيفة ان الفرقاء في صراع الشرق الاوسط هم مجرد دمي في ايدي القوى العظمى ادخلت في مسرحية لا تتحكم بادوارها او احداثها (٢٢٠) . وبهذه الطريقة يتجنب « حزب العمل الاشتراكي » بحث طبيعة الصهيونية واسرائيل ، ولا يواجه مشكلة الفلسطينيين او التحرر الوطني ، ولا يقوم باي تحليل للبنى الداخلية للبلدان المعنية .

وبالاضافة ، فقد قالت صحيفة **ذي ويكلي بيبول** ان حظر النفط العربي للولايات المتحدة تد يثير « الاسد الاستعماري » ويدفعه الى تدخل عسكري اكبر والى « كارثة للعرب وللارثييليين وللعالم كله » (٢٢١) . ويعدم اتخاذ « حزب العمل الاشتراكي » اي موقف من ازمة الشرق الاوسط ، يكون في الواقع قد اتخذ موقف القبول بالوضع الراهن ، خاصة وانه يستعمل « قضية السلم العالمي » كحجة لكبح جماح « قضية التحرر الوطني » . وهذا الموقف يعتبر موضوعيا موقفا مؤيدا للصهيونية .

اما « حزب الشعب » ، وهو ائتلاف وطني

في الشرق الاوسط . وهو ربما يكون الحزب الوحيد او التيار الوحيد المتبقي من الليبراليين الذي يؤيد اسرائيل بلا تردد . وقد تجاهل هذا الحزب منذ العام ١٩٦٧ الحقوق الوطنية للدول العربية المجاورة لاسرائيل ، كما تجاهل دائما الحقسوق الوطنية للفلسطينيين . ويبرر الحزب الديمقراطي الاشتراكي موقفه هذا على اساس ان اسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة (٢١٧) . ويتقبل الحزب معظم الدعاية الاسرائيلية والصهيونية حول الشرق الاوسط ، وبالتالي فهو يعكس التأييد الاوروبي - الاميركي الديمقراطي الاشتراكي لاسرائيل .

اما الجناح اليساري للتيار الديمقراطي الاشتراكي والذي يمثل حزب « الحركة الاميركية الجديدة » ، فقد اتخذ موقفا اكثر تقدمية حول الشرق الاوسط . فقد تبني الحزب في اجتماعات مجلسه الوطني في اوائل ١٩٧٤ قرارا سباه قرار الحد الأدنى وجاء فيه : « ان الصهيونية شكل مشوه لاحتياجات الشعب اليهودي للتحرر ، واسلوب غير ملائم لمحاربة اللاسامية . ونحن نؤيد نزع الصفة الصهيونية عن دولة اسرائيل . كما ننسا تؤيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارض فلسطين . والطريقة الوحيدة لتحقيق هذه الاهداف هي انصار الفريقين في نضال من اجل مجتمع اشتراكي في الشرق الاوسط » (٢١٨) . ورغم ان القرار غامض بعض الشيء ، فهو يعتبر خطوة الى الامام بعد الجدل الطويل الذي حدث في الاجتماعات حول ما اذا كان على الحزب اتخاذ اي موقف من مسألة الشرق الاوسط .

وكانت صحيفة « الحركة الاميركية الجديدة » نام تد نشرت في وقت سابق تحليلا للصراع في الشرق الاوسط اعده « مشروع البحث والاعلام حول الشرق الاوسط » (٢١٩) . وكذلك نشرت صحيفة الثورة الاشتراكية ، وهي صحيفة فكرية تتأثر الى حد كبير بصحيفة نام ، في عدد سبتمبر نسخا معدلة من تقارير مشروع البحث والاعلام حول الشرق الاوسط التي عالجت حرب اكتوبر . (وان مشروع البحث والاعلام حول الشرق الاوسط » هي مجموعة البحث الراديكالية الوحيدة في الولايات المتحدة التي تهتم كلية بالشرق الاوسط . وان تحليلها الماركسي يملأ فراغا اساسيا في معرفتنا

« ... فان وجود دولة اسرائيل بحد ذاته يمثل عدوانا على العرب » (٢٢٧).

وقد قامت نشرة اخرى يصدرها قداماء المحاربين ، وهي هاي واي ١٣ ، بشجب التورط العسكري الاميركي في الشرق الاوسط . ولكنها كانت مترددة في موقفها من طبيعة رد العرب على اسرائيل ، لانها اعتبرت اسرائيل والعرب « ضحايا ودمى للاستعمار السوفياتي - الاميركي ، وكلاهما ابعد ما يكون عن الشعوب التقدمية » (٢٢٨). وترى هذه الصحيفة ان اسرائيل دولة دينيصة توسعية تعتمد على الاستعمار الاميركي وهي فريسة في « مخالفب الصهيونية الفاشية » . بينما ترى ان الدول العربية « تخدم وتخضع لمصالح الطبقات البورجوازية شبه الاقطاعية او الشلل العسكرية الراهبية » (٢٢٩). وترى الصحيفة ايضا ان الفلسطينيين « الذين ما زالوا يستعملون مثل كيس الملاكمة للجميع » ليس لهم أي دور مستقل . وتعتبر الصحيفة ان حرب اكتوبر قسد « خدست الاهداف الاقتصادية والسياسية للطبقات الحاكمة في كلا الجانبين . كما انها افادت القوى الامبريالية التي تمسك بخيوط الدمي بنفس المتسدار تقريبا » (٢٣٠). وموقف هذه المجموعة معاد للاستعمار وللصهيونية ، ولكنه لا يهتم بمسألة التحرر الوطني .

الخلاصة

كل الاحزاب التي تناولها التحليل احزاب ماركسية باستثناء الحزب الديمقراطي الاشتراكي . وتشترك كل هذه الاحزاب بالنظرة المادية للتاريخ ، وفي نظرية اساسية حول الاستعمار ، وفي تقديرهم للاندماج والتضامن على النطاق العالمي الذي حققته الرأسمالية اثناء محاولة القوى الغربية ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، السيطرة على بلدان العالم الثالث . وهكذا فان كل هذه الاحزاب تنظر الى الصراع في الشرق الاوسط بمنظار التغلفل الاستعماري في المنطقة من اجل اهداف اقتصادية واستراتيجية . وتتفق كل هذه الاحزاب (باستثناء الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، وحزب العمل الاشتراكي ، والى حد ما الحزب الشيوعي) على ان الصهيونية - فكرة امة يهودية تغرس كاستعمرة استيطانية في فلسطين - هي نتسماج للقوى الرأسمالية

لاحزاب جماهيرية واحزاب كوادر ، فيدعو نفسه معاديا - للاستعمار ولكن ليس « اشتراكييا او شعبيا بالتحديد » (٢٢٢) . وتتعاون مجموعات هذا الحزب مع الوحدات المحلية « للحركة الاميركية الجديدة » ، و « حزب العمل الاشتراكي » في مشاريع جماهيرية . كما ان الحزب يساهم في السياسة البرلمانية وغير البرلمانية (مثل انشاء تعاونيات غذائية ، ومدارس مجانية ، وعيادات مجانية ومؤسسات مشابهة) (٢٢٣). اما الحل الذي يطرحه « حزب الشعب » لمشكلة الشرق الاوسط (٢٢٤) فهو ينص على الاستغناء عن الكيان الديني لاسرائيل وعن قانون العودة ، واعادة بناء اسرائيل « كدولة ذات توميتين حيث يكون لليهود والعرب نفس الحقوق كمواطنين ، ونفس المساهمة في الحياة الاقتصادية والثقافية للبلد » (٢٢٥) . ويكون لكل من يعيشون في اسرائيل حاليا وكل من عاشوا هناك قبل العام ١٩٤٨ واحفادهم الحق في المواطنة . ورغم ان موقف « حزب الشعب » هذا لا يدعو الى الاشتراكية ، الا انه يدعو الى سحب المعونة العسكرية الاميركية والى تأميم الاستثمارات الاميركية في اسرائيل ... وهذا موقف معاد للصهيونية ومعاد للاستعمار .

اما المنظمات التقدمية للعسكريين ، فهي مثل « الحركة الاميركية الجديدة » و« حزب الشعب » ، فلها جذور في الحركة المضادة للحرب التي ظهرت في الستينات . وقد طورت هذه المنظمات موقفها من معارضة التدخل العسكري الاميركي في فيتنام الى موقف معارض بشكل اوسع للاستعمار ابنا كان ، وبما فيه الاستعمار الصهيوني ، بدون ان تصبح منظمات ماركسية بشكل واضح . وهكذا فسان صحيفة ذي بوند التي تصدرها « نقابة الجنسود الاميركيين » نشرت مقالا بعنوان « ايها الجنود : يجب الان قتال في الشرق الاوسط » وجاء فيه ان الاستعمار الغربي قد اوجد اسرائيل لحماية مصالحه النفطية على حساب عرب فلسطين ، وان كيان اسرائيل الداخلي يديم « نسبة البطالة العالية ، والتمييز العنصري ضد اليهود الداكني البشرية » (٢٢٦). وبما ان اسرائيل لم ترجع الاراضي العربية التي احتلتها في العام ١٩٦٧ « فان اللجوء الى الحرب كان الاسلوب الوحيد المتوافر للدول العربية لاسترجاع اراضيها ... » وعلى اي حال

كهدف بعيد المدى فهي مرتبطة بالحكم على الدول العربية كدول تقدمية أم رجعية . والحزب الشيوعي الاميركي هو الحزب الوحيد (ربما باستثناء حزب الفهود السود) الذي يقدم دعما مطلقا للدول العربية التقدمية . أما الماويون وحزب عمال العالم فهم أكثر حرصا في تقييمهم للدول العربية على تمييز درجة التقدمية وصيغة النضال الوطني لهذه الدول . وأما التروتسكيون وحزب الشعب وهاي واي ١٣ فتحكم على الدول العربية بأنها غير تقدمية اطلاقا . ويصدر الحزب الديمقراطي الاشتراكي حكما مماثلا على اساس ان الدول العربية ليست ديمقراطية (بالمعنى البورجوازي) كاسرائيل .

وتؤثر هذه التقييمات بشكل عام على دعم كل من هذه الاحزاب للعرب في حرب أكتوبر . فقد أيد الحزب الشيوعي الاميركي العرب تأييدا مطلقا في حرب أكتوبر ، بينما كان الدعم محدودا من جانب الماويين وحزب عمال العالم وصحيفة ذي بوند (التي تصدرها نقابة الجنود الاميركيين) وحزب العمال الاشتراكي ومجموعة تروتسكية أصغر (عصابة الصراع الطبقي) ، وذلك بناء على اعتقادهم ان مصر وسوريا كانتا تهدفان الى تحرير أراضيها من الاحتلال الصهيوني ، ولم تهدفا الى تحرير فلسطين ايضا .

وتصبح الصورة أكثر تعقيدا حين نقارن مواقف الفرق المختلفة من الحل الذي يجب ان يسعى الفلسطينيون لتحقيقه . والحزب الشيوعي الاميركي هو الحزب الوحيد الذي يقف الى جانب ترك اسرائيل قائمة ضمن حدودها السابقة لحرب ١٩٦٧ ، وربما محاولة ايجاد دولة مستقلة للفلسطينيين . ويؤيد الماويون وحزب عمال العالم وحزب العمال الاشتراكي فكرة اقامة دولة ديمقراطية علمانية (واشتراكية بنظر حزب العمال الاشتراكي) في فلسطين ، أي تفكيك دولة اسرائيل . أما الاحزاب التروتسكية الصغيرة والحركة الاميركية الجديدة وحزب الشعب فلا يذهبون الى هذا الحد . فهم اما يتخذون موقفا غامضا حول مستقبل اسرائيل / فلسطين أو يدعون الى ايجاد تسوية مثل اقامة دولة ذات قوميتين ، أو حماية مكانة اليهود ضمن اطار الدول الاشتراكية المتحدة للشرق الاوسط . أما تدهاء المحاربين والسود (الذين يتصف

والاستعمارية . وترى هذه الاحزاب ان الصهيونية حركة بورجوازية نمت من التناقضات داخل الرأسمالية الاوروبية ، وانها لعبت دورا رجعيا في تحويل الجماهير اليهودية عن الصراع الطبقي في بلدانها الاصلية . اما اساس الصراع في الشرق الاوسط ، فعزى هذه الاحزاب انه خلص هذه المستعمرة بمساعدة الاستعمار ، ورد فعل العرب وخاصة الفلسطينيين على هذا العمل . وترى هذه الاحزاب كذلك ان اسرائيل دولة رجعية عنصرية تضطهد العرب الواعين تحت سيطرتها ، وتلعب دور المصيدة للشعب اليهودي ، ودور العميل للاستعمار من اجل عرقلة التحرر العربي الوطني والاشتراكي .

وتختلف هذه الاحزاب ، من ناحية أخرى ، فيما بينها على مسائل عديدة اهمها : الاستراتيجية المتبعة لتحقيق التحرر الوطني ، وطبيعة الدول العربية ، والخطوات التي يجب ان يتبناها الفلسطينيون لمشكلتهم . وهناك بشكل عام موقفتان رئيسيان للاحزاب من هذه المسائل . أولا ، الذين يؤمنون باستراتيجية الجبهة الموحدة المعادية للاستعمار ، واهمية تحقيق التحرر الوطني في العالم الثالث كخطوة ضرورية لتحقيق الاشتراكية . والاحزاب التي تتبنى هذه الاستراتيجية هي الحزب الشيوعي الاميركي ، والماويون ، وحزب عمال العالم ، والمجموعات السوداء . وتجد من الجدير الإشارة الى ان فكرة الحزب الشيوعي حول الجبهة الموحدة تقول بأن على كل دول العالم الثالث ان تتبع الاتحاد السوفياتي ، وان تدرك ان الحلول السلمية ممكنة . أما الماويون وحزب عمال العالم فيؤيدون الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الابد . ثانيا ، الذين يؤمنون بأن للصراع الطبقي أولوية على التحرر الوطني ، وان القومية هي انحراف باتجاه التعاون الطبقي بعيدا عن التضامن الطبقي ، وان الاشتراكية ممكنة التحقيق فقط من خلال ثورة بروليتارية عالمية . والاحزاب التي تتبنى هذه الاستراتيجية هي الاحزاب التروتسكية ، وحزب العمل التقدمي ، وبشكل مبطن هاي واي ١٣ . ويمكس هذان الموقفتان الانشقاق النظري القديم حول « الاشتراكية في بلد واحد » مقابل « الثورة الدائبة » . أما المسألة الكبرى ، وهي مسألة أي استراتيجية مستتبع لتحقيق الاشتراكية

والتدخل العسكري الاميركي في الشرق الاوسط .
وتتشط المنظمات التقدمية السوداء و « التحالف
الاشتراكي الشاب » و « الشبان ضد الحرب ومن
أجل الحرية » و « كتيبة ايتكا » والمنظمات الماوية
الاخري في مشاركة الطلاب والعمال العرب في
اظهار التأييد للقضية الفلسطينية ، وخاصة
في الجامعات . ويقيم الحزب الشيوعي الاميركي
العديد من المؤتمرات والتظاهرات ، ولكنها كلها
مؤيدة للسلم ولقرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ . ولا
تشارك « الحركة الاميركية الجديدة » و « حزب
الشعب » في المسيرات ومظاهرات الاحتجاج مع
ان اعضاءها يشاركون فيها كأفراد .

واهم جانب من الجوانب النظرية والعملية
لنشطاء اليسار الاميركي مسألة اللاسامية . فهذه
المسألة تشمل التمييز بين الصهيونية واسرائيل
واليهودية ، ويرفض اليسار الجديد محاولة
الصهيانية لدمج الثلاثة . فالماركسيون الاميركيون
(على يسار الحزب الشيوعي) ينددون بالصهيونية
ليس فقط لانها أداة استعمارية وتضطهد العرب ،
بل ايضا لانها تضطهد اليهود الاسرائيليين وتحولهم
عن النضال التقدمي الى جانب الشعب المغلوب
على امره . ويؤيد الماركسيون الاميركيون تحرير
اليهود وكل الشعوب المضطهدة . ولعل أفضل
تعبير عن ذلك ما قاله حزب عمال العالم : « ان
أية حركة ضد الحرب الاميركية - الاسرائيلية في
الشرق الاوسط يجب ان تكون حذرة . فحركة كهذه
لا يمكنها تحمل انضمام العناصر الرجسسية
والبورجوازية الى الحرب لان هذه العناصر تسعى
الى استعمال اللاسامية لاجاد كيش بداء لامراض
الراسبالية الاميركية (مثلا ، ازمة الطاقة) .
وعلى التقدميين والثوريين ان يخلقوا الان حركة
أصيلة مضادة للحرب تقف في وجه العدوان الاميركي
- الاسرائيلي في الشرق الاوسط . ويجب ان تكون
هذه الحركة معادية للاستعمار بطبيعتها وواضحة
كالشمس فيما يتعلق بالحقوق الديمقراطية للشعب
اليهودي ، وبالرد العسكري اللازم على كل الهجمات
اللاسامية الخفية والعلنية . وحركة كهذه فقط
يمكنها ان تؤدي المهمة الثورية في تأييد القضية
العادلة للشعب الفلسطيني في سعيه لتقرير مصيره ،
والوصول الى حل عادل بالنسبة للشعب اليهودي
ولتخليصه من مصيدة الموت التي تمطها دولة اسرائيل
القلعة او المختر » (٢٢٢) .

تحليلهم بأنه محدود ، وتتصف ممارستهم بأنها
عملية وفورية أكثر من الاشتراكيين والشيوعيين (
فلا يتخذون اي موقف من مسألة الحل الذي يجب
ان يسمى اليه الفلسطينيون . وكذلك حال حزب
العمل التقدمي وحزب العمل الاشتراكي (اللذين
لا يعطي تحليلهما مكانا للارادة الذاتية والاستقلال
الذاتي للانظمة في الشرق الاوسط ، على اساس
ان هذه الانظمة تفعل ما يمليه أسيادها -
الاستعماريون) .

ولم تتخذ كل الاحزاب موقفا من امكانية اقامة
دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة . فقد اتخذ
حزب العمال الاشتراكي موقفا مشابها لموقفه من
اتفاق السلام الفيتنامي الموقع في باريس اذ عارض
قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة كحل
للنزاع لانه اعتبر هذه التسوية خيانة للثورة
الدائمة . أما حزب عمال العالم والماويون فيؤيدون
اقامة الدولة الفلسطينية طالما هي مرحلة يتم على
اساسها تصعيد النضال في سبيل التحرير الكامل .
أما الحزب الشيوعي الاميركي غيرى في الدولة
الفلسطينية حلا نهائيا لتحرير فلسطين ، وابداء
مرحلة جديدة من التعايش السلمي .

وهناك قدر كبير من الاتفاق فيما بين الاحزاب
الماركسية حول المهام المتوجبة على اليسار الاميركي
بالنسبة لصراع الشرق الاوسط . والمهام التي
ذكرتها صحيفة **ذي ميليتانت** الناطقة باسم حزب
العمال الاشتراكي تنطبق على بقية التنظيمات
اليسارية الاميركية : « وقد تركز عمل « حزب
العمال الاشتراكي » السياسي في هذا المجال على
تنظيم حملة تعليمية لمقاومة الدعاية الصهيونية ضد
الثورة العربية . وتتخذ هذه الحملة شكل تغطية
صحافية دقيقة للتطورات في الشرق الاوسط ، وزيادة
نطاق توزيع المواد الاعلامية عن الموضوع ،
والمشاركة في المناقشات والمناظرات ، وتنظيم
المحاضرات في المناطق ، ووسائل اخرى لتعليم
القوى الجديدة في اليسار ... » (٢٢٢) .

ويحرص الماويون على اضافة نقد ذاتي لتأييدهم
السابق لاسرائيل .

ويجري الحملات التعليمية في الاهمية ، تنظيم
المظاهرات والمسيرات وأيام التضامن مع الشعب
العربي والفلسطيني ، والاحتجاج على الدعم

الأمريكي في الحركة المعارضة لحرب فيتنام يبدو تقيض الدور العدائي الذي لعبه في معارضة النضال الوطني الفلسطيني والعربي من أجل التحرر ، وهو يتصف بالتأييد الأعمى لإسرائيل والصهيونية . ويدل هذا الموقف على محدودية الموقف المعادي للاستعمار الذي يقفه اليسار الرسمي . والاستثناء الهام الوحيد لهذه المجموعة هم اليساريون — الليبراليون السود ، مثل عضو مجلس النواب السيدة شيلوم وعضو مجلس النواب دلويس ، اللذان يعبران عن تضامنها مع العالم الثالث ومع الشعب العربي الفلسطيني .

ويشارك اتحاد العمال الأمريكي المنظم اليسار الرسمي في موقفه العقائدي . وتخضع حركة اتحاد العمال لسيطرة مجموعة عمالية محافظة عقائديا ، وتؤيد التدخل الأمريكي في كافة أنحاء العالم ، وهي علنا معادية للشيوعية (٢٤٠) . ورغم ان لاتحاد العمال بعض المواقف التقدمية حول المسائل الداخلية وفيه بعض القادة الراديكاليين ، فإنه في أحسن حالاته يعتبر الجناح اليساري للحزب الليبرالي الديمقراطي . وقد قام اتحاد العمال بقيادة جورج ميني بتأييد المشاركة الأمريكية في حرب فيتنام . وقام جورج ميني وأعضاء قيادته بتأييد إسرائيل والسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وخاصة جسر التسليح الجوي الأمريكي لإسرائيل ، والمعونة المالية الأمريكية لها أيضا . وطبقا لصحيفة كريستشمان سينس مونيتور : « ان حركة العمال الأمريكية تضع ثقلها لصالح حيلة المساعدة لإسرائيل . وقد وقف اتحاد العمال العملاق خلف إسرائيل بكل قوته ودعمها بالمال والمقاطعة وقرارات التأييد . وقام الاتحاد في الوقت نفسه بإصدار بيانات شجب خادة ضد العرب ومؤيديهم في حرب الشرق الأوسط » (٢٤١) . كما كتبت صحيفة **وأشنطن بوست تقول** : « لقد أنهى وفد عمالي أمريكي زيارة ودية لإسرائيل اليوم وتعهد بالضغط على الكونغرس للاستمرار في تقديم الدعم المالي والعسكري والسياسي للدولة اليهودية . وقد قال لين كيركلاند، السكرتير العام لاتحاد العمال ورئيس الوفد ، ان الاتحاد على استعداد لاستعمال قوته في الكونغرس لصالح إسرائيل » (٢٤٢) .

كما ان سكرتارية حزب العمال وجهت نداء من خلال صحيفة **مونيتور** حثت فيه اعضاء الاتحاد

وفي المقابل قامت مؤسسة اليسار ، او اليسار الرسمي ، التي تتألف من مفكرين ليبراليين ومن اليسار الليبرالي والاتجاه الديمقراطي الاجتماعي ، بالرد على اليسار الجديد المؤيد للفلسطينيين بهجمات مضادة مريرة وعنيفة واحيانا هستيرية اتهمت فيها اليسار الجديد باللاسامية ، وكره الذات ، والجهل والتخبط في الماركسية . وقد ظهرت معظم هذه الهجمات في الصحف الليبرالية المعروفة وهي : **ديسمت** ، **كومنترني** ، **ماينورتني** ، **أوف ون** ، **نيو ميدل ايست** ، و **نيويورك تايمز ماجزين** (٢٢٢) ، بالإضافة الى **مدستريم** (وهي صحيفة صهيونية تمولها مؤسسة هرتزل) .

وقد استعمل عالم الاجتماع الأمريكي المعروف ، سايمون مارتن ليبست ، نفس التعبيرات والافكار في تهجمه على اليسار الجديد وعلى المنظمات السوداء التي تؤيد النضال الوطني الفلسطيني . وقد جاءت تهجمات ليبست في مقالات نشرت في **نيويورك تايمز ماجزين** (٢٢٤) ، وقد حلت الخطب اللاذعة والنقد الساخر العنيف ضد اليسار من قبل مفكرين محترمين واكاديميين كبار في الولايات المتحدة؛ محل التحليل السوسولوجي لهذه الظاهرة الجديدة (٢٢٥) .

وقد ظهرت ردود رصينة أكثر ومؤيدة للصهيونية في مجلة **رابرتز** وفي مجلات مماثلة (٢٢٦) . وقد شددت هذه التحليلات ، وخاصة تحليل والتزوير وبيمرز ، على طبيعة إسرائيل الخاصة ، وعلى ان إسرائيل ليست فيتنام ، وان الاستعمار اليهودي لفلسطين يختلف عن الاستعمار في افريقيا وآسيا ، وان الدولة اليهودية قد وجدت بالرغم من معارضة الاستعمار الشديدة (٢٢٧) . وقد ظهرت في **رابرتز** فيما بعد مقالات تنتقد إسرائيل والعرب ولا تسير في الخط الصهيوني كتبها رئيس تحريرها روبرت شير . ولكن ظهور تلك المقالات أدى الى سحب الدعم المالي الصهيوني للمجلة (٢٢٨) . وفي الواقع ، ان ظاهرة اليسار الجديد في الغرب ، وخاصة في اوساط الشبان اليهود ، قد أثار مخاوف إسرائيل لدرجة جعلتها تنظم البرامج وتمدر المطبوعات الموجهة بشكل خاص للرد على نقد اليسار الجديد لدولة إسرائيل (٢٢٩) .

وان الدور التقدمي الذي لعبه اليسار الرسمي

وقادة بعض النقابات العمالية هو ازدياد حجم توزيع الصحف السرية الراديكالية والصحف الحزبية الموجهة للبروليتاريا الاميركية بين العمال . وتنتقد هذه الصحف القيادة البروتراطية لانقاذ العمال ، وتمطي تفسيراً معادياً للاستعمار في تفسيرها للاحداث، بما فيها احداث الشرق الاوسط . ومن المتوقع ان تزداد هذه القبرات لان أزمة الرأسالية الاميركية تتعمق .

وفي الخلاصة ، ان ثبات اليسار الجديد الماركسي في موقفه المعادي للاستعمار في غيتنام والشرق الاوسط ، يتناقض بشدة مع الموقف المتناقض لليسار الرسمي وللموقف غير التقدمي لبروتراطية اتحاد العمال . فاليسار الجديد معاد للصهيونية بصلابة ، كما انه قد تغفل في اوساط التيارات المؤيدة للصهيونية داخل اليسار الرسمي والحركة العمالية . وان تقوية هذه الاتجاهات لا تعتمد على الصراع في الشرق الاوسط فقط ، وانما على ظهور التناقضات في الولايات المتحدة ، ودخل الجالية اليهودية الاميركية (٢٤٤) . فاليهود المثلثون بنسبة أكبر من نسبتهم السكانية في اليسار القديم والجديد والرسمي (يسار المؤسسة) هم انفسهم قادوا المواقف المعادية للصهيونية والمؤيدة لفلسطين . ونحن نأمل ان يقوى هذا الاتجاه .

٣ - مثلا ، توزع صحيفة **ذي دابلي وولسد** ٢٠.٠٠٠ نسخة تقريبا . وتوزع **ذي مليكانت** العدد نفسه . وتوزع **ذي غارديان** ١٤.٠٠٠ نسخة و **ريڤوليوشن** و **ذي كول** ٢.٠٠٠ - ٣.٠٠٠ نسخة لكل منهما .

٤ - الصحف السرية عديدة وليس لها مواعيد صدور ثابتة . وليس هناك اي ملف منظم لها ، وبالتالي فلا يمكن تصنيفها واختيار عينة منها .

٥ - راجع مقال **سايمون مارتن ليبست** « اليسار واليهود واسرائيل » الذي ظهر في كتاب « **Revolution and Counter Revolution** » طبعة معدلة ، **غاردن سيتي** ، **نيويورك** : انكور بوكس ، ١٩٧٠ . ويحلل ليبست في المقال اهمية وجود عدد من اليهود داخل اليسار تفوق نسبتهم السكانية ، وتأثير ذلك على مواقف اليسار من اسرائيل . ويشدد ليبست في المقال على فكرته المغلفة والقائلة بأن « **انصى اليهين** » و « **انصى** »

وانصاره على تأييد دولة اسرائيل . وبناء على ذلك اصدر المجلس التنفيذي لاتحاد المعلمين الاميركيين قراراً شجيب فيه **مصر وسوريا** ، وأعلن تأييده لاسرائيل ، ودعا حكومة الولايات المتحدة لارسال المساعدات والمعدات الحربية لاسرائيل . وقام الاتحاد الموحد للمعلمين ، وهو اكبر كتلة مرتبطة باتحاد المعلمين الاميركيين باصدار قرار جاء فيه : « **اننا كتفابيين نكن اعجاباً عميقاً للديمقراطية التي بنيت في اسرائيل ، كما ان علاقة نقابنا الاخوية مع الهستدروت ، وهو اكبر حركة عمال اسرائيلية ، تقوم على الالتزام بنفس القيم النقابية** » (٢٤٣) . وفي الواقع قامت الفروع المحلية للاتحاد باستعمال أموال التقاعد لشراء الاسهم الاسرائيلية لدعم المجهود الحربي الاسرائيلي عام ١٩٧٣ . وأشهر مثاليين على ذلك هما اتحاد **موظفي البلدية** في **فيلاذلفيا** ، واتحاد **عمال السيارات** . ولكن ، كما أشرنا سابقاً ، لم يبر هذا الموقف بدون تحد من العمال ، وخاصة في **ديترويت** حيث يوجد عدد كبير من عمال السيارات من العرب الذين يدعمهم العمال السود واليساريون الاميركيون . وهناك بعض الحركات المماثلة في اوساط نقابات العمال ، وخاصة التي لها قيادة واعية سياسياً ، بعكس اتحاد العمال البروتراطي .

والدليل الاخر على المعارضة في اوساط العمال

١ - الاسلوب المتبع هو التحليل النوعي لضمون كل المطبوعات المتواترة ما بين اكتوبر ١٩٧٣ ويناير ١٩٧٤ ، وهي الفترة التي شهدت قمة التقارير والتحليل حول الشرق الاوسط بسبب حرب اكتوبر . والمواضيع الرئيسية في التحليل هي : التناقض الفلسطيني - الصهيوني ، الصراع ما بين الدول العربية ودولة اسرائيل ، دور الاستعمار والتركيب الطبقي الداخلي في المنطقة ، ومسألة النفط . حول اسلوب البحث راجع كتاب **Content Analysis in Communication Research** تأليف **ب. برلمسون** : مطبعة جامعة شيكاغو ، شيكاغو ١٩٥٢ .

٢ - أعطى **التقدير باري روبن** ، المحرر السابق للشؤون الخارجية في **ذي غارديان** ، والكاتب والمحرر الحالي لمدة صحف عالمية من بينها **Merip Reports** .

- و« رويتر »
- ١١ - يعتقد كافز على ذم قيادة اتحاد العمال ، وجوزج ميني أيد إسرائيل بقوة في حزبي ١٩٦٧ و١٩٧٣ . ولكن اتحاد عمال الزراعة ينضم مهاجرين يمينيين ، قتل احدهم اثناء مظاهرة احتجاج في كاليفورنيا في الخريف .
- ١٢ - دايلي ورلد ، ٦٢ - ١٠ - ١٩٧٣ ص ٤٠٣ ، ٢٣ - ١٠ - ١٩٧٣ ص ٣ مقال افتتاحي ، و ٢٤ - ١٠ - ١٩٧٣ ص ١٠ ، ٤ و ٢٥ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ ، ٤ و ٢٧ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ و ص ٦ .
- ١٣ - يمكن ادراك طبيعة الخطر من تقرير أوردته دايلي ورلد في ١٣ - ١٠ - ٧٣ نقلا عن وكالة JIPI وجاء فيه ان جنديين من فرقة القبعات الخضراء ، احدهما جندي والاخر تشيكاكو ، أرسلتا الى الاردن عام ١٩٧٠ لاغتيال القادة الفلسطينيين . وكذلك تحدث التقرير عن دور الاسطول السادس في ايجاد الحركة الفلسطينية اثناء أيلول الأسود ١٩٧٠ . وراجع ايضا دايلي ورلد ٢٨ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ ، ١ ، و ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ١ و ص ٧ مقال افتتاحي ، و ١٧ - ١١ - ٧٣ ص ٥ م (M5)
- ١٤ - دايلي ورلد ، ١٨ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ و ص ١٠ ، ٢٧ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ ، ٤ و ص ١٠ ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ٦ ، ١٧ - ١١ - ٧٣ ص ٤ ، ٤ ، ٢٤ - ١١ - ٧٣ ص ٤ ، ٢٩ - ١٢ - ٧٣ .
- ١٥ - دايلي ورلد ، ١٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ ، ٢٠ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ ، ٢٣ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ ، ٦ ، ١١ - ٧٣ ص ١٠ ، ٨ - ١١ - ٧٣ ص ٦ ، ٢٠ - ١١ - ٧٣ ص ٢٠ ، ٣٠ ، ١١ - ٧٣ ص ٧ مقال افتتاحي ، ١ - ١٢ - ٧٣ ص ٥ ، ٧ - ١٢ - ٧٣ ص ١٠ .
- ١٦ - دايلي ورلد ، ١٤ - ١٠ - ٧٣ ص ١ ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ ، ٣١ ، ١٠ - ٧٣ ص ٦ ، ٢ - ١١ - ٧٣ ص ٣ .
- ١٧ - دايلي ورلد ، ١٣ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ ، « كانت استمادة هذه الاراضي المحتلة الهدف الملحق للدول العربية خلال السنوات الست الماضية » دايلي ورلد ، ١٠ - ١٠ - ٧٣ ص ١ : «بالنسبة للعرب . . . انها حرب لاخراج

اليسار » يتساويان ، وبالتالي فهو يعتبر موقف اليسار الجديد (اقصى اليسار) المعادي للصهيونية ولإسرائيل موقفا لاساميا . وهكذا فان اليهود في اليسار الجديد هم « يهود لاساميون » أو « كارهو انفسهم » ، ص ٢٩١ - ٣٩٢ .

٦ - وتعرف إسرائيل افضل بانها « ديمقراطية الاسياد » (راجع تعريف ديمقراطية الاسياد في P.Van Den Berghe, *Race and Racism*, N.Y.: John Wiley, 1967, p. 18, 29). نطبقا لذلك التعريف تحرم الاقلية العربية في فلسطين ، منذ الولادة ، من الديمقراطية التي تتمتع بها الاقلية اليهودية في إسرائيل والمناطق المحتلة . راجع ايضا كتاب صبري جريس ، *العرب في إسرائيل* ، بيروت : مركز الابحاث في م.ت.ف. ١٩٦٧ .

٧ - راجع مقال عابدين جبارة ، « اليسار الامريكى وحرب حزيران » ، في كتاب *المواجهة العربية - الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧* ، تحرير ابراهيم ابو لعد ، ايفانستون : مطبعة جامعة نورثوسترن ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٩ - ١٩١ .

٨ - تبحث الدراسات التالية موارد وعقيدة وبنيان كل من الحركات المذكورة اعلاه : R. Blauner, «Internal Colonialism and Ghetto Revolt», Bobbs-Merrill BC-27, Indianapolis; J.Boggs, *Racism and the Class Struggle*, N.Y.: Monthly Review Press, 1972; R. Flacks, *Youth and Social Change*, Markham, 1970; J. Mitchell, *Women's Estate*, N.Y.: Vintage Books, 1971; and M. Miles, *The Radical Probe*, N.Y.: Atheneum, 1971.

٩ - والمثال الحي على هذا النوع من النشاط السياسي هي مظاهرات الاحتجاج الاخيرة في ديترويت (اكتوبر ونوفمبر ١٩٧٣) التي قام بها اعضاء « اتحاد عمال السيارات » من الامريكين العرب وغير العرب ، والتي ايدتها عدة منظمات ماركسية ، ضد تايد « بيروقراطي اتحاد عمال السيارات » لاسرائيل وشراعاها لاسهم اسرائيلية من اموال الاتحاد المخصصة للقاعد . غارديان ، نوفمبر ١٩٧٣ .

١٠ - وقد سهل ذلك انشاء « وكالة انباء التحرير » ، و« وكالة انباء القارات الثلاث » ، و« الصحافة العالمية » ، وهي وكالات انباء سرية معادلة « لاسوشيتيترز » و UPI ،

الشيوعي الاسرائيلي حزب ماكي (الفئـة الشيوعية الاسرائيلية المتزمنة بالسوفيات والمؤيدة لدولة اسرائيل) وليس حزب ركاح (الفئـة الشيوعية الاسرائيلية المعادية للصهيونية) .

٢٦ - تردد هذه الفكرة باستمرار في تصريحات وكتابات قادة الحزب الشيوعي الاميركي ، وفي مقالات وتقارير المنظمات التي تقوم بنشاط للشعب عن الراي نفسه (محاضرات ، مظاهرات ، مؤتمرات الخ) .

راجع افتتاحيات دايلي وورد : ١٢ - ١٠ - ٧٢ ص ٦ ، ٧ ، ١٧ - ١٠ - ٧٢ ص ٧ ، ١٠ - ١٠ - ٧٢ ص ٧٣ ، ٧ ، ومخالات س . كوموروسكي وخاصة دايلي وورد ، ١٧ - ١٧ - ١١ - ٧٢ ص ٤ . وللاطلاع على تقارير حول المنظمات راجع دايلي وورد ١٣ - ١٠ - ٧٢ (اتحاد نوادي النساء اليهوديات) ، ١٧ - ١٠ - ٧٢ ص ١ (اضراب النساء من أجل السلام) ، ١٨ - ١٠ - ٧٢ ص ٩ (العمبة النسائية العالمية من اجل السلام والحرية) ، ٢٠ - ١٠ - ٧٢ ص ٣ (اللجنة القومية من أجل السلام مع العدالة في الشرق الاوسط ، مسيرة ١٩ اكتوبر الى البيت الابيض) ، ٢٠ - ١٠ - ٧٢ ص ٣ ، وص ٩ (لجنة السلام العادل في الشرق الاوسط) .

٢٧ - دايلي وورد ، ٢ - ١١ - ٧٢ ص ٦ افتتاحية . راجع في نفس الصفحة خطابا يعبر عن موقف مماثل القاه منير فلنر ، السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي وعضو الكنيست . وراجع ايضا ٣ - ١١ - ٧٢ ص ٧ افتتاحية .

٢٨ - دايلي وورد ٢٤ - ١٠ - ٧٢ ص ٧ .

٢٩ - المصدر نفسه .

٣٠ - دايلي وورد ، ٧ - ١١ - ٧٢ ص ٩ مقابلة سولي كاي الزعيم الشيوعي البريطاني .

٣١ - دايلي وورد ، ٢٠ - ١٢ - ٧٢ ص ٦ : « من الضروري أن نؤكد هنا أن الاتحاد السوفياتي لم يؤيد الصهيونية أو الموقف الصهيوني في اسرائيل في أي وقت من الاوقات . فقد كان موقف الاتحاد السوفياتي قائما على اساس المبدأ الماركسي - اللينيني القائل بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، وقد أيد السوفيات ذلك الحق بالنسبة للامتين الفلسطينيتين

المتدين من اراضيهم » . وراجع دايلي ووركر

١٠ - ١٠ - ٧٢ ص ٧ مقال افتتاحي ، ١٨ -

١٠ - ٧٢ ص ١٠ ، ٢٠ ، ١٠ - ٧٢ ص ٩ ،

٧ - ١١ - ٧٢ ص ٩ .

١٨ - دايلي وورد ، ١٠ - ١٠ - ٧٢ ص ١

١٧ - ١٠ - ٧٢ ص ١

١٩ - دايلي وورد ، ١٨ - ١٠ - ٧٢ ص ٣

٢٠ - دايلي وورد ، ١٢ - ١٠ - ٧٢ ص ١

١٧ - ١٠ - ٧٢ ص ١ ، ١٨ - ١٠ - ٧٢

ص ٧ ، ٢٠ - ١٠ - ٧٢ ص ٣ ، وص ٩ ،

٢٢ - ١٠ - ٧٢ ص ٣ افتتاحية ، ٢٦ - ١٠ -

٧٢ ص ١ ، ٢١ - ١٠ - ٧٢ ص ٦ تصريح

الحزب الشيوعي الاميركي ، ١ - ١١ - ٧٢

ص ١ .

٢١ - دايلي وورد ، ٢٤ - ١٠ - ٧٢ ص ٣

١ - ١١ - ٧٢ ص ١ ، وص ٩ ، ٢ - ١١ - ٧٢

ص ٦ ، ٣ - ١١ - ٧٢ ص ٧ ، ٦ - ١١ -

٧٢ ص ٤ ، ٧ - ١١ - ٧٢ ص ٦ ، ٣٠ -

١ - ٧٢ الافتتاحية ، ٨ - ١٢ - ٧٢

ص ١٠ تصريح رئيس الحزب الشيوعي

الاسرائيلي (ماكي) .

٢٢ - دايلي وورد ، ١٠ - ١٠ - ٧٢ ص ١

تصريح الحزب الشيوعي الاميركي ، ١٠ - ١٠ -

٧٢ ص ٧ افتتاحية ، ١١ - ١٠ - ٧٢ ص ٦

وص ٧ افتتاحية ، ١٧ - ١٠ - ٧٢ ص ٥ م

(M5) ، ١٨ - ١٠ - ٧٢ ص ٧ ، ٢٠ - ١٠ -

٧٢ ص ٣ ، ٢٣ - ١٠ - ٧٢ ص ٧ ، ٢ -

١١ - ٧٢ ص ٦ ، ١٧ - ١١ - ٧٢ ص ٤

وص ٥ م (M5) مقالات كتبها س . كوموروسكي

وقد برلو .

٢٣ - دايلي وورد ، ١٢ - ١٠ - ٧٢ ص ٦

افتتاحية ، ١٧ - ١٠ - ٧٢ ص ١٠ ، ١٠ -

٧٢ ص ٣ ، ٣ - ١١ - ٧٢ ص ١٠ م (MIO) .

٢٤ - دايلي وورد ، ١١ - ١٠ - ٧٢ ص ٧

افتتاحية ، ١٢ - ١٠ - ٧٢ ص ٩ ، ١٢ -

١٠ - ٧٢ ص ١٨ ، ١٨ - ١٠ - ٧٢ ص ٧

افتتاحية ، ٢٤ - ١٠ - ٧٢ ص ٣ ، ٧ - ١١ -

٧٢ ص ٦ ، ١٧ - ١١ - ٧٢ ص ٤ ،

٢٠ - ١١ - ٧٢ ص ١٠ ، ٢٦ - ١٢ - ٧٢

ص ٢ .

٢٥ - دايلي وورد ، ٢٦ - ١٠ - ٧٢ ص ٦

لاحظ ان دايلي وورد تنقل اقوال قادة الحزب

- الواقع ان عبارة « سيادة الدولة » أصبح لان الاتحاد السوفياتي يتعامل مباشرة مع حكومات الدول كهيئة لشعوبها . ومقابل ذلك يميز الصينيون بين علاقاتهم بالحكومات وعلاقاتهم بالشعوب ، لان الحكومات قد لا تكون ممثلة لشعوبها .
- ٥٠ - دايلي ورلد ، ٣٠ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
- ٥١ - ويقوم « الحلف الاسبرطي » بهاجية ياسر عرفات وجورج حبش شخصيا على خلفيتها الطبيعية وتعليمها ونشاطاتها وارتباطاتها السابقة . اما نايف حواتمة فيلقى الرضى من جانبهم لانه ينتقد القومية الفلسطينية ويؤيد تحالف جماهير القوميات المختلفة (مثلا ، الفلسطينيين مع الاردنيين والفلسطينيين مع الاسرائيليين) - (وركرز فانغارد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ١١) .
- ٥٢ - رغم ان المنظمات التروتسكية تكره « البروليتاريين الستالينيين » (التابعين لموسكو ويكسبون) وتنتقد مفاهيم الوفاق والتعايش السلمي ، فان « الحلف الاسبرطي » و« عصابة الصراع الطبقي » مستعدان للدفاع عن الاتحاد السوفياتي عسكريا من اجل حماية مكاسب البروليتاريا من ثورة اكتوبر ، ومن اجل المحافظة على العلاقات الاشتراكية للملكية . (يونغ سبارتوكوس ، نوفمبر - ديسمبر ٧٣ ص ٥ ، الصراع الطبقي ، نوفمبر ٧٣ ص ١٤ و ١٦) .
- ٥٣ - مفتاح بأسماء المنظمات ومطبوعاتها :
- حزب العمال الاشتراكي (جناح الشبان - التحالف الاشتراكي الشاب) **ذي ملتانت**
الحلف الاسبرطي **وركرز فانغارد**
(الشبان - يونغ سبارتوكوس) **يونغ سبارتوكوس**
عصابة الصراع الطبقي **كلاس سترغل**
الاشتراكيون العالميون **وركرز باور**
حلف العمال **بوليتين**
الحلف الاشتراكي الثوري **ذي تورشي**
- ٥٤ - **ذي ملتانت** ، ٢٣ - ١١ - ٧٣ ص ٩ .
- ٥٥ - **ذي ملتانت** ، ١٦ - ١١ - ٧٣ ص ١٥ .
- ٥٦ - **ذي ملتانت** ، ٣٠ - ١١ - ٧٣ ص ٧ .
- ٥٧ - **ذي ملتانت** ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
- ٥٨ - **ذي ملتانت** ، ١٦ - ١١ - ٧٣ ص ١٦ .
- ٥٩ - **ذي ملتانت** ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .

- بالتساوي » . (التشديد ورد في الاصل) .
- ٢٢ - **دايلي ورلد** ، ٣ - ١١ - ٧٣ ص م ١٠ (M 10) ، مقاطع من كتاب ج. نيكيتينا « الخير » في شؤون الشرق الاوسط .
- ٢٣ - **دايلي ورلد** ، ٢٤ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ .
- ٢٤ - المصدر نفسه .
- ٢٥ - **دايلي ورلد** ، ٢٥ - ١٠ - ٧٣ ص ٧ افتتاحية .
- ٢٦ - **دايلي ورلد** ، ٢٢ - ١٠ - ٧٣ ص ٢ .
- ٢٧ - **دايلي ورلد** ، ١١ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ ، ١٧ - ١١ - ٧٣ ص ٩ .
- ٢٨ - **دايلي ورلد** ، ١٢ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ ، ١٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ ، ١٧ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ ، ٢٢ - ١٠ - ٧٣ ص ٢ ، ٧ - ١١ - ٧٣ ص ٦ .
- ٢٩ - **دايلي ورلد** ، ١٢ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ انتقاد للماويين لهجرة اليهود السوفيات .
- ٤٠ - **دايلي ورلد** ، ٢٤ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ ، ١٤ - ١١ - ٧٣ ص ٣ ، ١٦ - ١١ - ٧٣ ص ٣ .
- ٤١ - **دايلي ورلد** ، ٧ - ١١ - ٧٣ ص ٩ خطاب ألقاه سولي كاي الزعيم الشيوعي البريطاني .
- ٤٢ - **دايلي ورلد** ، ٢٧ - ١١ - ٧٣ ص ٦ ، ٢٨ - ١١ - ٧٣ ص ٦ ، سلسلة كتبها توم فولبي خبير الداييلي ورلد في شؤون الشرق الاوسط .
- ٤٣ - **دايلي ورلد** ، ١١ - ١٢ - ٧٣ ص ٦ راجع أيضا **دايلي ورلد** ، ٢٥ - ١٠ - ٧٣ ص ٦ حول تحليل الحزب الشيوعي الاسرائيلي لـ « كيف تمكن المعادون للشيوعية من ابقاء حركة السلم الاسرائيلية ضعيفة » .
- ٤٤ - **دايلي ورلد** ، ١٧ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ م (M 5) ، ٧ - ١١ - ٧٣ ص ٩ ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ٦ و ١٠ - ١٧ - ١١ - ٧٣ ص ٥ م (M 5) .
- ٤٥ - **دايلي ورلد** ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ .
- ٤٦ - **دايلي ورلد** ، ٢١ - ١١ - ٧٣ ص ٦ .
- ٤٧ - **دايلي ورلد** ، ٢٠ - ١٠ - ٧٣ ص ٣ .
- ٤٨ - **دايلي ورلد** ، ٢٠ - ١١ - ٧٣ ص ١٠ .
- ٤٩ - « التحرر الوطني » هي العبارة المستعملة من قبل الحزب الشيوعي الاميركي . ولكن في

- ٦٠ - المصدر نفسه .
- ٦١ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ .
- ٦٢ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
- ٦٣ - ذي ملينانت ، ١٦ - ١١ - ٧٣ ص ١٦ .
- ٦٤ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
- ٦٥ - ذي ملينانت ، ١٦ - ١١ - ٧٣ ص ١٦ .
- ٦٦ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ .
- ٦٧ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
- ٦٨ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ .
افتتاحية .
- ٦٩ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ - ٩ .
التشديد في الاصل .
- ٧٠ - ذي ملينانت ، ١٦ - ١١ - ٧٣ ص ١٦ .
- ٧١ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ .
- ٧٢ - المصدر نفسه ، « ليست الصهيونية ، كما تدعي ، حركة تحرر وطني . فالصهيونية حركة سياسية طورت بهدف اقامة دولة استيطانية - استعمارية في فلسطين » .
- ٧٣ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
- ٧٤ - ذي ملينانت ، ٢٣ - ١١ - ٧٣ ص ١٠ .
وتضيف ذي ملينانت : « ان معارضتنا الاشتراكية الثورية للصهيونية ولدولة اسرائيل لا تبث بصلة الى اللاسامية ، كما يؤكد الدعاة الصهاينة بسوء نية . فاللاسامية حركة عنصرية معادية لليهود استغلت لتبرير وازدياد اضطهاد الشعب اليهودي . وقد كان الماركسيون وما يزالون أشد المخاطين المتصلبين ضد اللاسامية وضد اضطهاد اليهود » .
- ٧٥ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١١ - ٧٣ ص ٨ .
- ٧٦ - ذي ملينانت ، ٢١ - ١٢ - ٧٣ ص ١٧ .
- ٧٧ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ .
- ٧٨ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
- ٧٩ - ذي ملينانت ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ٤ .
- ٨٠ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٤ .
- ٨١ - المصدر نفسه : « ان التنازلات التي تقدمت الى اسرائيل تشكل تراجعا للنضال العربي . ففي السابق ، رفضت الدول العربية الاعتراف باسرائيل بسبب التأييد الجماهيري لاستعمارة الفلسطينيين لاراضيهم . ولكن قبول قرار مجلس الامن الدولي اظهر ان الحكام العرب مستعدون « لبيع » (للخلى عن) النضال الفلسطيني » .
- ٨٢ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٤ .
- ٨٣ - ذي ملينانت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ .
- ٨٤ - وهذا اختلاف كبير عن الموقف المأجوري الذي بحثناه ادناه .
- ٨٥ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٨ .
التشديد في الاصل .
- ٨٦ - ذي ملينانت ، ٢ - ١١ - ٧٣ ص ٩ .
- ٨٧ - « ومهما حدث الان فقد سجل العرب انتصارا سياسيا بارزا . وان الصدمة والدهشة التي أصابت الامبرياليين - وهي انعكاس لتهميزهم العنصري ضد العرب ولسوء تقديرهم المعهود لقدرة الجماهير المسحوقة على القتال - بحد ذاتها شهادة بليغة على المكاسب التي أحرزت » . ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
- ٨٨ - ذي ملينانت ، ٢ - ١١ - ٧٣ ص ٦ .
- ٨٩ - المصدر نفسه .
- ٩٠ - المصدر نفسه .
- ٩١ - ذي ملينانت ، ٢ - ١١ - ٧٣ ص ٧ .
- ٩٢ - لقد تم التشديد بـ « غس مال » على ما قاله في خطابه هذا : « سوف يكتشف الجميع ان الاتحاد السوفياتي افضل صديق لاسرائيل ، تماما كما كان عندما قاتل من اجل حق اسرائيل في دخول الامم المتحدة » . المصدر نفسه .
- ٩٣ - ذي ملينانت ، ٢ - ١١ - ٧٣ ص ٧ .
- ٩٤ - ذي ملينانت ، ٢ - ١١ - ٧٣ ص ٦ .
- ٩٥ - المصدر نفسه ص ٦ - ٧ . ويشبه هذا بجنوب - شرق آسيا حيث « ان الهدف الاساسي لاتفاق باريس - الذي فرضه على الفيتناميين كل من واشنطن وموسكو ويكين - هو الاحتفاظ بموطئ قدم للامبرياليين في سايتون » . المصدر نفسه ، ص ٦ .
- ٩٦ - المصدر نفسه .
- ٩٧ - لهذا السبب وقف حزب العمال الاشتراكي ضد اتفاق باريس الفيتنامي ، وكان الحزب الامريكى اليساري الكبير الوحيد الذي عارض تلك التسوية . وبالتالي فمن المتوقع ان يقف ضد التسوية في الشرق الاوسط حتى لو حصل الفلسطينيون على دولة .
- ٩٨ - المصدر نفسه ، ص ٧ .
- ٩٩ - ذي ملينانت ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
وقد تكرر هذا عدة مرات في مقالات ذي ملينانت .
وعادة ما تتبعها جملة « ان الثورة العربية

- ١١٢ - وركز فانفرد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ١١ ،
 يونغ سبارتوكوس ، نوفمبر - ديسمبر ٧٣ ص ٥٥ .
 وركز باور ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ١٢ ،
 ٢١ - ١٢ - ٧٣ الى ١٧ - ١ - ٧٤ ص ١٠ .
 بوليتين ، ٢٢ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 ١١٢ - ذي كول ، ٧٣/١٢ ص ١١ . وراجع
 أيضا غارديان ١٠ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ و ١٩ -
 ١٢ - ٧٣ ص ٩ .
 ريفوليوشن ٧٣/١١ ص ١٠ ، وبيان كتيبة اتिका
 حول الحرب في الشرق الاوسط : من هم المعتدون
 الحقيقيون ؟ ا و ص ٢ .
 ١١٤ - بيان كتيبة اتिका ص ٤ . وراجع ايضا
 ريفوليوشن ٧٣/١١ ص ١٠ .
 ١١٥ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ ص ١٠ .
 ١١٦ - المصدر نفسه .
 ١١٧ - فايت باك ، ٧٣/١١ ص ٥ . وراجع أيضا
 بيان كتيبة اتिका ص ٣ ، وريفوليوشن ٧٣/١١
 ص ١٠ .
 ١١٨ - بيان كتيبة اتिका ص ٣ و ص ٥ . وراجع
 أيضا ذي كول ، ٧٣/١٠ ص ٩ ، ٧٣/١٢
 ص ١ ، غارديان ، ١٠ - ١٠ - ٧٣ ص ٩ .
 ١١٩ - ريفوليوشن ٧٣/١١ ص ١٠ .
 ١٢٠ - ذي كول ، ٧٣/١٠ ص ٩ ، ٧٣/١٢ ص
 ١ ، غارديان ٢٤ - ١٠ - ٧٣ ص ١٠ - ١١ -
 افتتاحية ، ٣١ - ١٠ - ٧٣ ص ٢٠ ، ٢٨ -
 ١١ - ٧٣ ص ١ و ٢٠ ، ١٤ - ٧٣ ص
 ١١ افتتاحية ، ريفوليوشن ٧٣/١١ ص ١٠ ،
 ٧٣/١٢ ص ٤ افتتاحية .
 ١٢١ - ذي كول ، ٧٣/١٢ ص ١ .
 ١٢٢ - ذي كول ، ٧٣/١١ ص ١٦ ، ٧٣/١٢
 ص ١١ ، ريفوليوشن ٧٣/١١ ص ١٢ ، ٧٣/١٢
 ص ٤ .
 ١٢٣ - غارديان ، ٧٣/١٢/٢٦ ص ٩ . وراجع
 ايضا كارل دينديسون في غارديان ٧٣/١٠/١٠
 ص ٩ .
 ١٢٤ - المصدر نفسه .
 ١٢٥ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ ص ١٠ ، ٧٣/١٢
 ص ٤ ، ذي كول ، ٧٣/١١ ص ١٦ ، ٧٣/١٢
 ص ١ ، غارديان ٧٣/١٠/٣١ ص ٢٠ ، ١٢/٥/
 ٧٣ ص ٢٠ ، ٧٣/١٢/١٩ ص ٢٠ .
 ١٢٦ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ ص ١٠ . وراجع
 ايضا ذي كول ٧٣/١٢ ص ١١ .

- تشتمل على تأييد للحقوق المدنية والتعاقبية
 والدينية الكاملة لكل التوجهات في الشرق
 الاوسط ، بما فيها اليهود الاسرائيليين » .
 ٢٢ - ١١ - ٧٣ ص ١٠ .
 ١٠٠ - ذي مليتاننت ، ٢٦ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 ١٠١ - ذي مليتاننت ، ٢٢ - ١١ - ٧٣ ص ١٠ .
 ١٠٢ - وركز فانفرد ، ٢٢ - ١١ - ٧٣ ص ٦
 و ٧ و ١١ .
 كلاس سترغل ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و ١٤ .
 وركز باور ، ٢ - ١٥ - ٧٣/١١ ص ٨ .
 بوليتين ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 ذي تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .
 ١٠٣ - تورش ، المصدر السابق .
 بوليتين ، المصدر السابق .
 كلاس سترغل ، المصدر السابق .
 وركز فانفرد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ١٠ .
 ١٠٤ - وركز فانفرد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ١١ .
 كلاس سترغل ، المصدر السابق .
 وركز باور ، ٢ - ١٥ - ٧٣/١١ ص ٨ .
 بوليتين ، ٢٣ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 ١٠٥ - يونغ سبارتوكوس نوفمبر - ديسمبر ٧٣
 ص ٥ ، وركز فانفرد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص
 ١١ . وركز باور ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ الى
 ١ - ١١ - ٧٣ ص ١٢ .
 ١٠٦ - بوليتين ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ ،
 ٢٢ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .
 ١٠٧ - تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .
 وركز باور ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ الى ١ - ١١ -
 ٧٣ ص ١٢ .
 وركز فانفرد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ١٠ و ١١ .
 ١٠٨ - بوليتين ، ٩ - ١٠ - ٧٣ ص ١ و ١٩ -
 ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 ١٠٩ - كلاس سترغل ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و ١٤ .
 ١١٠ - وركز فانفرد ، ٩ - ١١ - ٧٣ ص ١١ .
 كلاس سترغل ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و ١٤ .
 وركز باور ، ٢١ - ١٢ - ٧٣ الى ١٧ - ١ -
 ٧٤ ص ١٠ .
 بوليتين ، ١٩ - ١٠ - ٧٣ ص ٥ .
 تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .
 ١١١ - كلاس سترغل ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و ١٤ .
 تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .

- ١٤٩ - غارديان ، ٧٣/١١/١٤ ، ص ١١ .
 ١٥٠ - غارديان ، ٧٣/١١/١٤ ، ص ٢٠ ، ٢١ / ٧٣/١١ من ٢٠ .
 ١٥١ - غارديان ، ٧٣/١٢/١٢ ، ص ٢٠ . راجع
 ايضا ٧٣/١٢/٢٦ من ١٠ و ١١ افتتاحية .
 ١٥٢ - ذي كول ، ٧٣/١٢ من ١١ .
 ١٥٣ - غارديان ، ٧٣/١٢/٢٦ ، ص ٩ .
 ١٥٤ - ذي كول ، ٧٣/١٢ من ١ .
 ١٥٥ - غارديان ، ٧٣/١٢/٢٦ من ١٠ افتتاحية .
 راجع ايضا غارديان ٧٣/١١/٧ من ١٠ .
 ١٥٦ - غارديان ، ٧٣/١/٢٤ من ١٠ افتتاحية .
 ١٥٧ - فايت باك ، ٧٣/١١ من ٥ ، غارديان
 ٧٣/١٠/٢٤ من ١٠ افتتاحية .
 ١٥٨ - غارديان ، ٧٣/١٠/٢٤ من ١٠ افتتاحية ،
 ٧٣/١٢/٢٦ من ١٠ افتتاحية ، ريفوليوشن
 ٧٣/١١ من ١٠ ، ٧٣/١٢ من ٤ ، راجع ايضا
 فايت باك ٧٣/١١ من ٦ .
 ١٥٩ - يتطلع حزب عمال العالم الى لينين وماو
 وتروتسكي كقادة ومفكرين ثوريين .
 ١٦٠ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ .
 ١٦١ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/١٦ من ٦ افتتاحية .
 ١٦٢ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ من ٩ و ١٢ .
 ١٦٣ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ .
 ١٦٤ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/١٦ من ٥ .
 ١٦٥ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/١٦ من ٦ افتتاحية ،
 ٧٣/١١/٣٠ من ١٠ .
 ١٦٦ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ من ١ مقال كتبه
 سام مارسي : « يستعمل روكفلر ورجال النفط
 اسرائيل كمخبر لحماية ارباحهم المائلة من خلال
 اجبار الدول العربية على بيع نفطها رخيصا » .
 ١٦٧ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ من ٩ .
 ١٦٨ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/١٦ من ٥ .
 ١٦٩ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٣٠ من ١٠ .
 ١٧٠ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ من ٨ .
 ١٧١ - وركرز ورلد ، ٧٤/٢/٢٢ من ١٠ .
 ١٧٢ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/١٦ من ٥ .
 ١٧٣ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٣٠ من ١٠ .
 ١٧٤ - وركرز ورلد ، ٧٣/٣/٣ من ١٣ .
 ١٧٥ - وركرز ورلد ، ٧٣/١١/٢ ، و ٧٣/١١/٣٠
 من ١٠ ، ٧٤/٣/٨ من ١٣ .
 ١٧٦ - وركرز ورلد ، ٧٣/١٢/١٤ من ٩ .

- ١٢٧ - غارديان ٧٣/١٠/٢٤ من ١٠ - ١١ افتتاحية .
 وراجع بيان كتبية اتিকা من ٥ .
 ١٢٨ - غارديان ، ٧٣/١١/١٤ من ١٦ .
 ١٢٩ - غارديان ، ٧٣/١٠/١٠ من ٩ .
 ١٣٠ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ من ١٠ .
 ١٣١ - المصدر نفسه .
 ١٣٢ - ذي كول ٧٣/١٢ من ١١ ، بيان كتبية
 اتিকা من ١ ، ريفوليوشن ، ٧٣/١١ من ١٢ .
 ١٣٣ - بيان كتبية اتিকা من ٣ .
 ١٣٤ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ من ١٠ .
 ١٣٥ - فايت باك ، ٧٣/١١ من ٥ .
 ١٣٦ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ من ١٢ ، غارديان
 ٧٣/١٢/١٢ من ١٥ .
 ١٣٧ - غارديان ، ٧٣/١٠/٢٤ من ١٠ - ١١
 افتتاحية .
 ١٣٨ - غارديان ، ٧٣/١٠/١٧ من ١ ، ١٠/٢٤ /
 ٧٣ من ١٠ - ١١ افتتاحية ، ٧٣/١٠/٢١ من
 ١٤ ، ٧٣/١٢/٥ من ١ و ١٠ و ٢٠ ، ١٢/١٢ /
 ٧٣ من ١٥ ، ٧٣/١٢/١٩ من ١٤ ، ٧٣/١٢/٢٦
 من ١٠ - ١١ افتتاحية ، ريفوليوشن ٧٣/١١
 من ١٠ ، ذي كول ٧٣/١٠ من ٩ و ١٧ ، ٧٣/١١
 من ١٦ .
 ١٣٩ - ذي كول ٧٣/١٠ من ١٧ .
 ١٤٠ - ذي كول ٧٣/١١ من ١٦ .
 ١٤١ - غارديان ، ٧٣/١١/١٧ من ١٠ افتتاحية .
 ١٤٢ - غارديان ، ٧٣/١٢/١٩ من ٩ . راجع
 ايضا ٧٣/١١/٧ من ١٠ .
 ١٤٣ - غارديان ، ٧٣/١٠/١٧ من ١٦ ، ٢١ /
 ٧٣ من ٢٠ ، ذي كول ٧٣/١١ من ١ ،
 ٧٣/١٢ من ١ و ١٤ .
 ١٤٤ - ذي كول ، ٧٣/١١ من ١ و ١٦ ، غارديان
 ٧٣/١١/٢١ من ٢٠ . راجع ايضا غارديان
 ٧٣/١٠/٢١ من ١٠ ، ريفوليوشن ٧٣/١١ من
 ١٠ ، بيان كتبية اتিকা من ١ .
 ١٤٥ - ريفوليوشن ، ٧٣/١١ من ١٢ .
 ١٤٦ - فايت باك ، ٧٣/١١ من ٥ ، ذي كول
 ٧٣/١٢ من ١١ ، ريفوليوشن ٧٣/١١ من ١٢ .
 ١٤٧ - غارديان ، ٧٣/١٠/١٧ من ١ ، ١١/٧ /
 ٧٣ من ١ و ٢٠ ، ٧٣/١١/٢٨ من ١ و ٢٠ ،
 ٧٣/١١/٢١ من ٢٠ ، ٧٣/١٢/٥ من ١ و ٢٠ .
 ١٤٨ - غارديان ، ٧٣/١٠/٢٤ من ١١ .

- ١٧٧ - وركز وولد ، ٧٣/١١/١٦ ص ٦ افتتاحية .
- ١٧٨ - وركز وولد ، ٧٣/١١/١٦ ص ٥ .
- ١٧٩ - وركز وولد ، ٧٣/١١/٣٠ ص ١٠ .
- ١٨٠ - وركز وولد ، ٧٤/٢/٨ ص ١٣ .
- ١٨١ - وركز وولد ، ٧٣/١١/٢ ص ٨ .
- ١٨٢ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ . من أجل اطلاق كامل على تطبيق حزب الشعب لهذه الافكار على الوضع الفلسطيني - الاسرائيلي راجع مجلته **وركز انترناشيونال نيوزلتر** ، يناير ١٩٧٤ ص ٢٨-٥٠ .
- ١٨٣ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ .
- ١٨٤ - المصدر نفسه .
- ١٨٥ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ .
- ١٨٦ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ .
- ١٨٧ - المصدر نفسه .
- ١٨٨ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ١٨٩ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ .
- ١٩٠ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ١٩١ - المصدر نفسه .
- ١٩٢ - **تشانج** ، ٧٣/١٠/٤ ص ١٠ .
- ١٩٣ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ وص ١٠ .
- ١٩٤ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ : « ان ضعف الموقف الامركي المنقسم ما بين اسرائيل والسعودية » مذكور هنا . وهذه الجملة تتعارض مع تطويل حزب الشعب لانها توحي بأن الولايات المتحدة تسيطر على عملاتها (مثلا ، ليسوا مجرد « دمي » أو « أدوات ») وان للصراع العربي الاسرائيلي ديناميكية مستقلة عن المواجهة بين الامبرياليين (فكل البلدين عميلين للمستعمر نفسه وبالتالي يجب الا يكون بينهما خلاف) .
- راجع ايضا **تشانج** ٧٣/١٢/١٣ ص ٢ .
- ١٩٥ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ . ولكن في مكان آخر (**تشانج** ٧٣/١٢/١٣ ص ٢) يعترف حزب الشعب من خلال قوله بأن أزمة النفط هي احدى مظاهر اضمحلال الامبراطورية الامريكية : « ان الدول العربية قطعت امدادات النفط انتقاما من دعم الولايات المتحدة للفلسطينيين الاسرائيليين » ، ولكن الحزب لا يرى في ذلك أي تأثير على الاقتصاد الامركي .
- ١٩٦ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ١٩٧ - **تشانج** ، ٧٣/١٢/١٣ ص ٢ .
- ١٩٨ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ و ٧٣/١١/١٦ ص ١٦ .
- ١٩٩ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ٢٠٠ - **تشانج** ، ٧٣/١٢/١٣ ص ٢ . راجع ايضا ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ٢٠١ - **تشانج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ افتتاحية .
- ٢٠٢ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ١٠٣ - **تشانج** ، ٧٣/١٠/٤ ص ١٠ .
- ٢٠٤ - **تشانج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
- ٢٠٥ - مثلا ، غالبا ما تشهد في واشنطن العاصمة ، حيث يشكل السود ٨٥٪ من سكان المدينة وحيث تتواجد منظمات اسلامية امريكية قوية ، ملصقات على السيارات عليها عبارات « لا أسلحة لاسرائيل » توقيع الحلف الاسلامي للولايات المتحدة .
- ٢٠٦ - راجع تقريرا في ذي كويل ، يناير ٧٤ ص ٢ ، مأخوذا من محمد يتكلم . وليس هناك أي تقرير عن اسلوب الدراسة ودرجة التشدد في اسلوب اختيار العينة .
- ٢٠٧ - **ذي واشنطن بوست** ، ٧٤/٣/١٨ ص ١٤ (A4) .
- ٢٠٨ - مقابلة مع أحد قادة المنظمة الذين شاركوا وتحدثوا في المسيرة المضادة « لوود كوك » في ديترويت .
- ٢٠٩ - **بلاك بانثر** ، ٧٣/١٠/٢٠ ص ١٦ .
- ٢١٠ - **بلاك بانثر** ، ٧٣/١٠/٢٧ ص ٢ افتتاحية . راجع ايضا خطاب د.ج. ديباوا ، رئيس تحرير الصحيفة في ٧٣/١٠/١٠ ص ١٤ .
- ٢١١ - **بلاك بانثر** ، ٧٣/١٠/٢٧ ص ٢ .
- ٢١٢ - بنادي سيكو باشتراك وسائل الانتاج لاعادة الحرية الحقيقية للافريقيين . ان **بلاك بانثر** تتجنب الكتابات الاشتراكية ، لكنها غالبا ما تسمح لافكار كهذه بالظهور على صفحاتها .
- ٢١٣ - **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/١٠ ص ٤ ، ١٧/٧٣/١١ ص ١٥ .
- ٢١٤ - **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/١٠ ص ١٤ .
- ٢١٥ - **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/١٧ ص ١٤ . يشدد ابي نيميل على ان العدائين الفلسطينيين يقومون بعمليات دفاعية فقط في منطقة العرتوب من أجل حماية الفلاحين المحليين من الهجمات الاسرائيلية ، وعلى ان العمليات الفلسطينية داخل اسرائيل تتجنب تماما مهاجمة المدنيين .

والعرب والشرق الأوسط ، نيويورك ، بنتام ،
١٩٧٢ .

٢٣٤ - وسعت في ٣ يناير ١٩٧١ الى « عودة
اللاسامية كقوة سياسية » ، ارفينغ هاو وكارل
جرشمان ، المصدر السابق .

٢٣٥ - راجع رد الفعل المبرر لعالم الاجتماع
الاسرائيلي اليساري، س. اغنيري في « اسرائيل
واليسار الجديد » ، ترانس آكشن ، مجلد
٧ (يوليو - اغسطس ، ١٩٧٠) ص ٧٦-٨٤ .
أعيدت طباعته في كتاب الناس والسياسة في
الشرق الأوسط ، تحرير م. كرتيس ، نيو
برنزويك : ترانس آكشن ، محدودة ، ١٩٧١ .

٢٣٦ - تعرض اليساري البارز ا.ف. ستون ،
رئيس تحرير ا. ف. ستون الاسبوعية
لهجوم عنيف على موقفه السداعي
الى التعايش ما بين الفلسطينيين
والاسرائيليين والعرب اثر حرب حزيران ١٩٦٧ .
وقد تعرض هال دابر ، رئيس تحرير نيو بوليتكس ،
لهجوم مماثل على مقاله حول جذور أزمة الشرق
الأوسط . راجع هذه القضايا في مقال هايدن
جبارة « اليسار الامري وحرب حزيران » في
كتاب المواجهة العربية - الاسرائيلية في حزيران
١٩٦٧ : وجهة نظر عربية ، الذي حرره ابراهيم
ابولغد ، وصدر من مطبعة جامعة تورونتو ،
ايفانستون اليوني ، ١٩٧٠ ، صفحة ١٧٩ -
١٨٢ . وراجع ايضا الهجمات على نوام غومسكي
في المصدر السابق لهاو وجرشمان .

٢٣٧ - راجع هايدن جبارة ، المصدر السابق ،
ص ١٧٢-١٧٣ .

٢٣٨ - « لقد استاء هؤلاء الممولون من موقف
المجلة (راجيرتس) المؤيد للعرب ومن استعراها
في تأييد دعاة القوة السوداء » . نيويورك تايمز ،
١٣ مارس ، ١٩٦٨ ، ص ٤٩ . ورد ذكره في
المصدر السابق لهايدن جبارة .

٢٣٩ - احد هذه الكتب من هو اليساري ؟ ،
القدس ، اسرائيل ، ١٩٧٠ .

٢٤٠ - تم طرد النقابات اليسارية التي عارضت
التدخل الامركي بما فيه خطة مارشال ، من
الاتحاد العام للعمال في اواخر الاربعينيات
واوائل الخمسينات . راجع كتاب ر. رادوش ،
العمال الامركيون والسياسة الخارجية للولايات

٢١٦ - بلاك بانثر ، ٧/١١/٧٣ ص ١٣ .
٢١٧ - راجع كتابات ومنشورات الحزب . ويكرر
ميكايل هارنغتون النقطة نفسها في خطاباته
مثلا ، في محاضرة حضرها المؤلفون في سني -
البناني عام ١٩٧٠ .

٢١٨ - من منشورات الحركة الامركية الجديدة :
القرارات حول الشرق الأوسط المتحدة في المجلس
الوطني : خطوة الى الامام .

٢١٩ - نيو امريكان موفمنت ، نوفمبر ١٩٧٢ .
٢٢٠ - ويكلي بيبول ، ٢٧/١٠/٧٣ ص ١ ،
٧٣/١٢/٨ ص ١ و ٥ ، ٧٤/١/٥ ص ١ و ٢ .
٢٢١ - ويكلي بيبول ، ٨/١٢/٧٣ ص ٥ . راجع
ايضا ٢٧/١٠/٧٣ ص ٤ افتتاحية .

٢٢٢ - رسالة حول المبادئ والاعلام من المكتب
الوطني لحزب الشعب (واشنطن العاصمة) .
٢٢٣ - المصدر نفسه .

٢٢٤ - نشره حزب ميتشيفان لحقوق الانسان ،
وهو حزب محلي متفرع من حزب الحزب ، طبعا
للمكتب الوطني لحزب الشعب (واشنطن
العاصمة) في رسالة خاصة في ٣/١/٧٤ ، وهو
« موقف الحزب الوطني في كل الظروف » .

٢٢٥ - تختلف الدولة ذات القوميتين هذه عن
الفكرة المماثلة التي طرحتها الاحزاب التروتسكية
الصغيرة ، لان الاحزاب الصغيرة تقترح اعادة
تقسيم فلسطين من جديد اذا اختارت احدى
« الامتين » الانتحاب .

٢٢٦ - ذي بوند ، ٢١/١٠/٧٣ ص ١ .
٢٢٧ - المصدر نفسه . التشديد في الاصل .

٢٢٨ - هاي واي ١٣ ، نوفمبر ٧٣ ص ١٢ .
ولكن عدد ديسمبر ٧٣ ص ١٢ يشير الى « الدول
العربية التقدمية » التي « اعلنت ان النهب
انتهى » باعلانها حظر النفط .

٢٢٩ - هاي واي ١٣ ، نوفمبر ٧٣ ص ١٢ .
٢٣٠ - المصدر نفسه .

٢٣١ - ملينانت ، ٢٦/١٠/٧٣ ص ٨ .

٢٣٢ - وركرز ورلد ، ٢/١١/٧٣ ص ٩ .

٢٣٣ - نشرت بعض هذه المقالات قبيل حرب
حزيران ١٩٦٧ ، كما ان مقالات جديدة كتبت
خصيصا للمجلد وجمعها ارفينغ هاو ، رئيس
تحرير ديستنت ، وكارل جرشمان ، محرر اسرائيل

مباشرة او بواسطة اتحاد العمال الاسرائيلي ، وخاصة في العالم الثالث. وتهدف هذه السياسة، بالتعاون مع وكالات تابعة للحكومتين الامريكيتين والاسرائيلية ، الى عدم تسييس نقابات العمال الاغريقية . فقد تم انشاء « معهد الدراسات العمالية » في تل ابيب «لتدريب» القادة العماليين الاغريقيين بمنحة قدرها ٦٠.٠٠٠ دولار من اتحاد العمال الامريكى عام ١٩٦٠ ، وقد تلقى المعهد المذكور ٣٠٠.٠٠٠ دولار اضافيا عام ١٩٦٢ . راجع مقال « تعاون داغيد وغوليات في افريقيا » في لفينتانين ، سبتمبر ١٩٦٩ والذي تمت مراجعته في تراي كونتيننتال عدد ١٥ عام ١٩٦٩ . راجع ايضا ج. موريس ، وكالة المخابرات المركزية الامريكية والعمال الامريكيين ، نيويورك : الناشران العالميون ، ١٩٦٨ .

٢٤٤ — راجع مقال ج. ستوك وس. روز : « الصهيونية واليهود الامريكيون » في مجلة دراسات فلسطينية ، مجلد ٣ رقم ٣ عام ١٩٧٤ ، ص ٣٩-٥٧ . راجع نصا منقحا في مريب ريبورتس عدد ٢٨ ، حزيران ، ١٩٧٤ .

المتحدة ، نيويورك ، غينتاج ، ١٩٦٩ ، ص ٤٣٥-٤٣٦ ، وورد النص في كتاب د. دود ، الحلم اللثوي ، كامبريدج ، ماساشوستس ، ناشرو ونترروب ، ١٩٧٤ ، ص ٢١٥ .

فقد قام اتحاد العمال عام ١٩٤٩ بخلق « الاتحاد العالمي لنقابات العمال الحرة » المعادي علنا للشيوعية . « وكان مسادة اتحاد العمال في الخمسينيات يقبلون الاموال من وكالة المخابرات الامريكية (سرا) للقيام بنشاط مضاد للشيوعية في الخارج » ، د. دود ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

٢٤١ — اي. تونسندي ، في مقال على الصفحة ١ بعنوان «نقل الولايات المتحدة خلف اسرائيل» .

٢٤٢ — ذي واشنطن بوست ، ٢٩ يناير ، ١٩٧٤ .

٢٤٣ — اميركان تيتشر ، نومبر ١٩٧٣ ، ص ١٢ .

ان تعاون اتحاد العمال مع الهستدروت الاسرائيلي يرجع الى زمن بعيد ، وخاصة في افريقيا . وقد كانت السياسة الثابتة لبروقراطيين اتحاد العمال تقوم منذ زمن بعيد على تدميم النقابات العمالية المعادية للشيوعية والماركسية،

صدر عن مركز الابحاث

المجلد السادس عشر

لليوميات الفلسطينية

مجلد ضخيم مؤلف من ٦٢٠ صفحة يضم وصفا موجزا ودقيقا لما يحدث في العالم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مباشرة . او ما يقال او يكتب عنها ، يوما بعد يوم .

يفطي هذا المجلد الفقرة من ٧/١ — ١٩٧٢/١٢/٢١ ويضم جدولا بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية عن تلك الفترة كما يضم فهرسين الاول بالاسماء والثاني بالموضوعات الواردة في متن اليوميات .

سعر المجلد ٢٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد .

اطلبه من مركز الابحاث ، قسم التوزيع ، ص. ب ١٦٩١ ، بيروت

مراجعات

عنان العامري ، التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ - ١٩٧٠
(مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٤)

الأرقام المذكورة اتضح ان حاصل جمع مساحة المناطق التي عددها الكاتبة هو ٢٦١٥٨٠٠٠ دونم وليس ٢٦١٦٨٠٠٠ كما ذكرت . ولو حسبنا نسبة الأراضي القابلة للزراعة الى المساحة الكلية على ضوء المساحة الجديدة لكانت النسبة المستخرجة ، صحيحة وهي ٣٠.٧٥ ٪ بينما على ضوء المساحة التي اعطتها الكاتبة فان النسبة هي ٢٩.٨ ٪ .

وترتفع النسبة عام ١٩٣٦ الى ٣٣ ٪ (ص . ١٦) . وهنا تقع الكاتبة في مقارنة طريفة جدا فالنسبة الاجمالية عام ٣٠ كانت ٣٠.٧٥ ٪ (ص . ١٦) وارتفعت عام ٣٦ الى ٣٣ ٪ (ص . ١٦) وهو امر منطقي نتيجة لاستصلاح الأراضي ، ولكن الكاتبة تعطي تفصيلات مختلفة كليا فنسبة الأراضي القابلة للزراعة الى المساحة الكلية كانت عام ١٩٣٠ و ٣٦ كالتالي :

| عام ١٩٣٦ | عام ١٩٣٠ | |
|----------|----------|---------------------|
| ٨٨٨٠٠ ٪ | ٩٣ ٪ | مرج ابن عامر |
| ٧٩ ٪ | ٨١٨ ٪ | السهل الساحلي |
| ٦٤ ٪ | ٦٨٩ ٪ | سهل عكا |
| ٥١ ٪ | ٤ | جبال الجليل |
| ٤٥٥٢ ٪ | ٥٢٠ ٪ | غور الأردن |
| ٣٩١٩ ٪ | | سلسلة الجبال الوسطى |
| ١٣ ٪ | ٤٦٨ ٪ | منطقة بئر السبع |

ولو قارنا النسبة الاجمالية عام ١٩٣٠ وهي ٣٠.٧٥ ٪ الى النسبة الاجمالية لعام ١٩٣٦ وهي ٣٣ ٪ لوجدنا ان النسبة قد زادت بنسبة ٢.٢٥ ٪ ولكن لو قارنا الأرقام التفصيلية المعطاة لوجدنا ان

تحدث الكاتبة في الفصل الاول عن « توفر احصائيات عن الأراضي المزروعة للسنوات ١٨٩٥ ، ١٩٣٠ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، الا ان هناك اختلافا كبيرا بين تلك الاحصائيات « والاختلاف العائد الى الأراضي المزروعة يمكن تفسيره باختلاف استهلاك الأراضي الزراعية ما بين فترة واخرى » ص . ١٣ . وما هو المقصود (باستهلاك) الأراضي الزراعية ؟ لان الارض لا تستهلك كغيرها من وسائل الانتاج والاصح استعمال تعبير (استغلال) بدل استهلاك . وتقول الكاتبة ان الأراضي القابلة للزراعة بلغت العام ١٩٤٦ ١٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم . وحول خصوبة الأراضي حسب توزيع المناطق ماحيانا تكون « الخليل هي اخصب الأراضي في منطقة فلسطين » ص . ١٤ واحيانا اخرى « من حيث الخصب فانه سهل مرج بن عامر يأتي في المرتبة الاولى » ص . ١٥ واحيانا ثالثة « من حيث الخصب فثاني منطقة غزة في المرتبة الاولى » ص . ١٧ . وهنا خلطت الكاتبة بين نسبة الأراضي الصالحة للزراعة من اجمالي مساحة المنطقة المعينة وبين خصوبة الأراضي وهي حجم الناتج من الأراضي المزروعة للمساحة الواحدة في منطقة معينة بالمقارنة مع ناتج مساحة مشابهة في منطقة اخرى . وهذه المسألة تخضع لشروط عدة ، منها طبيعة الارض ، توفر المياه ، توفر السمدة ، وكلها عوامل تتدخل في تحديد درجة الخصوبة .

وعن نسبة الأراضي القابلة للزراعة الى المساحة الكلية تضع الكاتبة جدولا لمساحة الأراضي عام ١٩٣٠ ، حيث تبلغ النسبة ٣٠.٧٥ ٪ باعتبار ان مجموع المساحة هو ٢٦١٦٨٠٠٠ دونم والأراضي القابلة للزراعة ٨٠٤٤٠٠٠ دونم . وبتدقيق

لانه متقارب أكثر من الرقم الذي اعطاه الاستاذ سعيد حماده ، وهو ٢٦٨١٩٤٠٠ مليون دونم . بحيث كان الفارق بين الرقمين المعطيين ١٦١٩٤٠٠ دونم ، بينما الفارق بين ارقام سعيد حمادة وسبسون من ناحية وارقام عنان العامري من ناحية اخرى ، ٦٤٨٦٠٠ الفارق مع حماده ٨١٠٠٠٠ دونم الفارق مع سبسون ، ومن هنا فان ارقام الاحصائية التي استخرجتها عنان بعيدة عن الحقيقة وكان الافضل لها وللعامري لو اکتنت بتثبيت رقمي حماده وسبسون ، لانها عندهما تصرفت من عندها وبدون اي اساس برقمي الكاتبين المذكورين ضاعفت الفارق بينهما مرات عدة . ولاهية حجم هذا الفارق ، فكان على الانسة العامري ان تذكر انه يساوي حوالي ٣ اضعاف اجمالي مساحة قطاع غزة الحالي والتي تبلغ ٣٢٥٠٠٠ دونم (ص ٢٧) .

وقد أساءت الكتابة استعمال المصادر التي لجأت اليها ففي الوقت الذي يتحفظ به سبسون على بعض ارقام التي يسجلها بقوله « وقد اعترف مدير المساحة ان هذه ارقام هي من قبيل التخمين » (سبسون ص ٣٠) نجد الانسة العامري تتجاهل كليا هذا التحفظ وتضع ارقام التي تحفظ عليها هكذا وبدون اي تحفظ وكأنها حقائق مسلم بها ، كما هو الحال بالنسبة لاراضي منطقة بئر السبع ، وهي مجال تحفظ سبسون .

وعندما تتحدثت الكتابة عن ملكية اليهود للاراضي الصالحة للزراعة او المساحة الاجمالية ، تورد ارقاما غير منطقية ، فهي تذكر ان نسبة ملكية اليهود حتى عام ١٩٤٨ هي ٥٦ ٪ من مساحة فلسطين الاجمالية . ولم تذكر من أين أتت بهذه النسبة . ولو تجاوزنا عام ١٩٤٨ وعندا الى المساحة المملوكة من قبل اليهود عام ١٩٤٦ ، والتي كانت تبلغ ١٨٠٧٣٠٠ دونم (ص ٢٠) ، وحذفنا من هذا الرقم ١٧٥٠٠٠ دونم مساحة الاراضي التي كانت مؤجرة للمؤسسات الصهيونية من قبل الحكومة المنتدبة ، لبلغ مقدار ما امتلكه اليهود ١٤٦٣٢٤٠٠ دونم (١٨٠٧٣٠٠٠ - ١٧٥٠٠٠) . ولو تجاوزنا مقدار الزيادة التي طرأت على مساحة الاراضي المملوكة لليهود خلال السنوات ٤٧ و ٤٨ ، والتي هي بالتأكيد أكثر مما كان مملوكا عام ١٩٤٦ ، واعتبرنا ان ١٨٦٣٢٣٠٠

النسب قد انخفضت وما علينا سوى القاء نظرة على الجدول المرفق ليتضح لنا هذا . واذا كانت كل ارقام التفاصيل قد انخفضت ، اليس من المنطقي بأن تنخفض النسبة الاجمالية أيضا ؟ وبالرغم ان درجة الانخفاض هذه تخالف المنطق لان الفلاح والملك الفلسطيني يستلحق اراضيه باستمرار فان هنالك تناقضا ملفتا للنظر الا وهو انخفاض النسبة في منطقة بئر السبع من ٤٦٨ ٪ عام ١٩٣٠ الى ١٣ ٪ عام ١٩٣٦ .

واذا كانت مساحة الاراضي الزراعية تتعرض للزيادة او النقصان من سنة لآخرى قد تكون مسألة مقبولة ، ولكن فمن غير المنطقي ان تتعرض مساحة فلسطين للزيادة او النقصان من جدول لآخر . فلقد ذكر ان مجموع المساحة هو ٢٦٨٦٨٠٠٠ دونم عام ١٩٣٠ ص ١٦ . والصحيح هو ٢٦٨٥٨٠٠٠ . ثم كانت مجموع المساحة عام ١٩٣٦ ٢٦٨٣١٩٤٠٠ دونم ص ١٧ . و ٢٦٨٣٢٣٠٠٠ عام ١٩٤٥ ص ١٨ . ولكم كان اولى بالكتابة ان تستقر على رأي من هذه الاراء المتقولة عن مصادر ثلاثة ، وبحيث تركت هكذا متناقضة سواء على سعيد المساحة الكلية او على سعيد المساحة القابلة للزراعة . وبالإضافة لهذا ، فلقد تردد أكثر من مرة اسم السهل الساحلي ، وبدون اي تعليق من الكتابة وبدون ان تحدد المقصود بالساحلي ، هل هو الساحل الفلسطيني من رأس الناقورة الى رفح أم ماذا ؟ حقيقة الامور انه ليس هنالك من شيء اسمه السهل الساحلي ، بل هنالك السهول الساحلية ، وهي سهل سارونا (بين حيفا وبيانا) وسهل يافا وسهل غزة (راجع قسطنطين خمار ، جغرافية فلسطين ، ص ١٥ - ١٦ - ١٧) . وبالتالي فلا مجال للحديث عن سهل ساحلي وسهل عكا في الوقت نفسه ، كما ورد في الجداول المنشورة على الصفحات (١٦ ، ١٧) . ولو دقت الكتابة قليلا في المرجع الذي نقلت عنه مساحة فلسطين لاكتشفت ان المصدر الاساسي وهو تقرير سبسون قد حدد في صفحة ٣٥ مساحة فلسطين بـ ٨٠٤٤ مليون دونم اراض صالحة للزراعة و ١٨١٤٤٤ مليون دونم غير صالحة للزراعة ، ولو جمعت الانسة العامري هذين الرقمين بدقة لكانت مساحة فلسطين ٢٦٨٥٨ مليون دونم ، وهو رقم مقبول

دونم المذكورة تساوي ٥٦٪ من مساحة فلسطين الإجمالي (ص. ٢٠) ، فإن مساحة فلسطين الإجمالية يجب ان تكون اذن وعلى ضوء النسبة المذكورة ٢٩٤٨٠٢١٤ دونما . وهذا الرقم يختلف عن مساحة فلسطين كما ذكرها سعيد حواده ، بـ ٢٤٨٢٨٤٨١٤ دونما (مساحة فلسطين حسب مصدر حواده ٢٣١٩٤٠٠) وعن المساحة التي ذكرها سمبسون بـ ٢٩٩٠٢١٤ دونما ، فهل زيادة مسا يقارب ثلاثة ملايين دونم هي زيادة بسيطة ؟

وعند حديث الكاتبة عن فترة ما بعد ١٩٤٨ ، اساءت الاستفادة ايضا من مصادرها ، فخلال فترة من خمسة أسطر فقط اعطت الكاتبة رقمين مختلفين بشأن نسبة الأراضي الزراعية العربية في العام ٦٦ - ٦٧ . ففي السطر الثالث ذكرت الكاتبة ان النسبة هي ٢١٣٪ من مجموع الأراضي المزروعة وفي السطر الخامس من الصفحة نفسها ذكرت انها ٢٠٨٪ . وبالعودة الى المصدر الاساسي وهو كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » الجزء الثاني اتضح ان النسبة الاولى وهي ٢١٣٪ متعلقة بالعام ٦٠ / ٦١ واستعملتها الكاتبة خطأ في المرة الاولى بالنسبة للعام ٦٦/٦٧ .

بينما الرقم الصحيح هو الرقم الثاني وهو ٢٠٨٪ وهو الرقم المذكور في المصدر الاساسي السذي أخذت الانثى العامري منه معلوماتها ، ولم يلتفت نظرها ان النسبة التي سجلتها لعام ٦٣ / ٦٤ هي نسبة نافرة وغير منسجمة مع نسبة العام السابق والعام اللاحق ، بحيث تفزت من ٢٠٧٪ عام ٦٢ / ٦٣ الى ٢٥٨٪ عام ٦٣ / ٦٤ كما لم يلتفت نظرها هبوط مجموع الأراضي الزراعية من ٣٩٦٥٠٠٠ دونم عام ٦٣/٦٢ الى ٣٤٥٠٠٠٠ عام ٦٢ / ٦٤ أي ببساطة قدره ٥١٥٠٠٠ دونم ، فاین (استهلكت) هذه المساحة وفي الوقت نفسه لم يلتفت نظرها ان الأراضي الزراعية اليهودية فقط في ذلك العام كانت ٣٤٦٠٠٠٠ دونم أي أكثر من مجموع الأراضي الزراعية العربية واليهودية مجتمعة حتى بلغت ٣٤٥٠٠٠٠ دونم فقط ؟ هذه المفارقات لم تلفت نظر الكاتبة ونسيت ان حاصل جمع (٣٤٦٠٠٠٠) أراضي اليهود مع (٨٩٠٠٠٠) وهي اراضي العرب يساوي ٤٣٥٠٠٠٠ دونم

وليس ٣٤٥٠٠٠٠ كما ذكرت الكاتبة ، ولو احتسبت النسبة على ضوء المساحة الاجمالية الجديدة ، لاتضح ان النسبة الحقيقية للاراضي الزراعية العربية هي ٢٠٥٪ وليس ٢٥٨٪ كما قالت الكاتبة في ص. ٢٤ . وكذلك فان حديث الكاتبة عن استمرار ارتفاع نسبة الاراضي حديث غير صحيح . فالحقيقة ان النسبة انخفضت لانها كانت ٢٠٧٪ (ص. ٢٥) في العام السابق لعام القياس . وبالمقابل فان حديثها عن « ان النسبة عادت للانخفاض فكانت ٢٠٨٪ عام ٦٦ / ٦٧ يجب ان يكون استمرار الزيادة ، لان أبسط قواعد الحساب تقول ان ٢٠٨٪ هي اكبر من ٢٠٧٪ .

وبلغ مجموع الأراضي المزروعة في الضفة الغربية عام ٥٢ ، ١٤٧٥١٤٧٠٣ دونمات (ص. ٢٥) ولكن الجدول الذي تبثته الكاتبة في الصفحة التالية مباشرة والمتعلق بالأراضي المزروعة عام ٥٢ يقول بان الأراضي المزروعة ١٧٦٠٧٠٣ دونمات من ٢٦ . وبالرغم ان الفارق هو في حدود ٩٠٠٠ دونم فقط ، ولكن على « مساحة » صفتين فقط من غير المتبول ان تضيق المساحة او تتسع بـ ٩٠٠٠ دونم .

وعندما تختتم الكاتبة فصلها تصر على تقديم بيانات خاطئة عندما تقول ان اليهود استطاعوا ان يسيطروا على ٨٠٪ من الأراضي الزراعية في فلسطين المحتلة بعد قيام دولة اسرائيل وبهذا لم يعد للعرب في كل فلسطين سوى ٣٦٥٧٠٠٠ دونم صالحة للزراعة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة . ص. ٢٨ . واذا كانت اسرائيل تسيطر على ٨٠٪ والمتبقي للعرب هو ٢٠٪ فكم تساوي العشرين بالمائة هذه ، انها تساوي ٣٦٥٧٠٠٠ دونم صالحة للزراعة . وعلى ضوء هذه النسبة ، فكم اذن تبلغ مساحة الأراضي الزراعية ؟ انها تبلغ ١٨٢٨٥٠٠٠ دونم . وهذا الرقم المستخرج على ضوء نسب عنان العامري يبلغ ضعف الأرقام التي اعطيت لمساحة الأراضي الزراعية في كل فلسطين في العام ١٩٤٥ (راجع ص. ١٨) . وفي الوقت نفسه فانها تساوي ما يزيد على ثلثي مساحة فلسطين ، او ما يزيد عن كل مساحة فلسطين عدا الصحراء الجنوبية فهل هذه النسبة صحيحة ، هل كل جزء من

المتوسط والسنة من هذا القبيل تنقسم فيه الى فصلين فصل صيفي حار جاف ويمتد من ايار حتى تشرين الاول وفصل شتوي بارد ممطر ويمتد من تشرين الثاني الى نيسان » .

وحبذا لو عادت عنان الى المعلومات التي يعرفها اي فلسطيني عن مناخ فلسطين ، فكان لاسلم وأفضل لها من العودة الى الكتاب الازرق لفلسطين كما انه حبذا لو قرأت الصفحة المذكورة من كتاب سعيد حماده (ص. ٥١) للاخطت تحفظ سعيد حماده على كلام الكتاب الازرق لان حماده يقول في السطر الثالث من اسفل الصفحة « وما ذكر هنا ليس سوى وصف مختصر للمناخ في فلسطين ، ولكن هناك اختلافات محلية في المناخ مسببة عن جوار بعض الاماكن ووضعيتها الجغرافية » .

واما بالنسبة للمياه فتقول « ولا تشكل الانهار والينابيع مصدرا مائيا هاما ويوجد في فلسطين نهران هما نهر الاردن ونهر العوجاء والاستفادة من مياه هذين النهرين محدودة » ص. ٢٩ .
واما بالنسبة للينابيع والابار فيقتصر وجودها في منطقة سهل مرج بن عامر ومنطقة بئر السبع - العوجاء ومعظم الابار التي وجدت في المنطقة الثانية مالحة لا يمكن الاستفادة منها . ولقد قدر الخبراء اليهود المساحات التي يمكن ارواؤها من الابار والينابيع عام (١٩٣٥) بـ ١٥٠٠٠٠٠٠ دونم !! الأراضي التي كانت مروية مثلا في ذلك الوقت ، فلم تزد عن ٣٥٠٠٠٠ دونم .

هنا وبالعودة الى المصدر الاصلي الذي تحدثت عنه الكتابة (وهو كتاب سعيد حماده ص. ٦٦) نورد الملاحظات التالية : (١) الأراضي المروية فعلا هي ٣٥٠٠٠٠٠ دونم وليس ٣٥٠٠٠٠٠٠ كما تقول الكتابة (سعيد حماده ص. ٦٦) . عنان العامري ص. ٢٩) . (٢) بشأن الأراضي الممكن ارواؤها تجزم الكتابة بـ « لا تشكل الانهار والينابيع مصدرا مائيا هاما » (ص. ٢٩) ولكن المصدر الاصلي يقول « ليس في فلسطين تقديرات زمنية لمجموع كميات المياه التي يمكن الحصول عليها ولا للمساحات التي يمكن ربيها » (ص. ٦٦) وكذلك فلتعد تقديرات متعددة بشأن مصادر المياه والاراضي الممكن ارواؤها ولكن تلك التقديرات الاولية ، المتعددة والمتضاربة دفعت

فلسطين صالح للزراعة عدا الصحراء الجنوبية ، بما فيها الجبال والانهار والوديان والقفار واماكن السكن والمباني والمراقق والطرق ... الخ . قطعا ان الانسة العامري مخطئة والرقسم الغريب الاخر المستخرج هو قول الكتابة « لم يعد للعرب في كل فلسطين سوى ٣٦٥٧٠٠٠ دونم صالحة للزراعة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة » . وهذا الرقم الذي تعطيه الانسة العامري رقم خيالي بالمقارنة مع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة . ويتناقض مع الارقام التي اعطتها الكتابة بنفسها : لمساحة الاراضي العربية الزراعية في المنطقة المحتلة ٤٨ بلفت في افضل السنوات وهي عام ٦٣ / ٦٤ ٨٩٠٠٠٠ دونم (ص. ٢٥) . والاراضي الصالحة للزراعة في غزة ١٦١٢٩١ دونما (ص. ٢٨) . وبلغت الاراضي الصالحة للزراعة في الضفة ١٧٦٠٧٠٣ دونمات (ص. ٢٦) . يكون المجموع ٢٨١١٨٣٢ ، وهذه المساحة المستخرجة من واقع بيانات عنان العامري تقل بـ ٨٤٦ الف دونم حيث قالت ان ما تبقى للعرب في كل فلسطين ٣٦٥٧٠٠٠٠ دونم (ص. ٢٨) علما بان الكتابة لم تشر الى المصدر الذي اخذت عنه نسبة الـ ٢٠ ٪ المذكورة او مساحة الاراضي الزراعية التي قالت عنها انها تبلغ ٣٦٥٧٠٠٠ دونم .

وفي مقدمة الفصل الثاني تتحدث الكتابة وبنسبة صفحة نقط عن المناخ والمصادر المائية . وتقول عن المناخ « يسود فلسطين بشكل عام مناخ بلدان حوض البحر الابيض المتوسط وتقسّم السنة فيه الى فصلين رئيسيين فصل الشتاء ويمتد من تشرين الثاني حتى نيسان ، وفصل الصيف ويمتد من ايار حتى تشرين الاول » . ص. ٢٩ . وعندما تتحدث الكتابة عن فصلين رئيسيين ، فانها لم تذكر الفصول الثانوية !! وبهذا فلتعد نسبت الكتابة فصلي الربيع والخريف . واما كيف نسبت عنان ربيع فلسطين فهو غريب فعلا . وبالرغم ان عنان لم تشر لمصدر كلامها ، ولكن جعلتها المذكورة تلك هي اعادة تركيب للجملة التالية وردت في كتاب سعيد حماده ص. ٥٨ ، نقلنا من « الكتاب الازرق » للعام ١٩٣٥ ص. ٣٥١ حيث تقسّم الجملة : « ان مناخ فلسطين على وجه العموم هو من نوع المناخ السائد على شواطئ البحر

الجنة الملكية لفلسطين لان تعلق عليها « لنسنا
الآن في حالة نتمكن معها من أن نصح عن هذه
التقارير المقدمة لنا كما أننا نعتبر أنه ليس من
الضروري أن نحاول بان نفعل ذلك ، ولا بد من
عمل طويل قبل الوصول الى تقدير يعتمد عليه
للكمية التقريبية من المياه التي يمكن الحصول
عليها وعمل أطول لمعرفة كمية المياه التي يمكن
استخدامها للسري على أسس اقتصادية » .
سعيد حماده ص. ٦٧ .

وكان كلام سعيد حماده واللجنة الملكية
البريطانية معبرا عن الواقع أكثر من كلام عنان
العامري فعنان العامري ذكرت الاتي « ولقد قدر
الخبراء اليهود المساحات التي يمكن ارواؤها
من الآبار والينابيع عام (٣٥) بـ ٥٠٠.٠٠٠
دونم » . (ص. ٢٩) . ولقد استطلت الكاتبة
جملة « على ، أقل تعديل » (سعيد حماده ص.
٦٦) أي أن المساحة الممكن ربيها قابلة للزيادة
وليس للتقصان . ولكن ذلك الرقم هو أحد
التقديرات الثلاثة التي قدمت بل وأقلها . والأرقام
الأخرى التي ذكرت هي ٢١٤٢٦٩٥ دونما (سعيد
حماده المصدر السابق) والرأي الثالث يقول
بـ ٣٥٠.٠٠٠ دونم و« بعد أن يفرض من المياه
للحاجات المدنية والصناعية جزء كاف لليونسين
ونصف المليون من السكان » (سعيد حماده ص.
٦٦) ولعل تضارب الأرقام (٥٠٠.٠٠٠
و ٢١٤٢٦٩٥ و ٣٥٠.٠٠٠) هو السبب وراء
تحفظ سعيد حماده وقول اللجنة الملكية البريطانية
بـ « لا بد من عمل طويل قبل الوصول الى تقدير
يعتمد عليه » (سعيد حماده ص. ٦٧) . ولعل
السؤال الذي يطرح الآن لماذا أخذت عنان الرقم
الأقل ، وهو تقدير صهيوني ، وتجاهلت الرقم
الأخر وكما يبدو أنه رقم غير صهيوني ، وهل
سها عن بال الكاتبة الأعبارات السياسية التي
قد تكون وراء رأي الخبراء اليهود ؟

(٣) « بالنسبة للينابيع والانهيار فيقتصر
وجودها في منطقة مرج بن عامر ومنطقة بئر السبع
— العوجاء ومعظم الآبار التي وجدت في المنطقة
الثانية مالحه لا يمكن الاستفادة منها » هذا هو
رأي عنان العامري وتحمله لسعيد حماده ، ولكن
ماذا يقول المصدر الذي ادعت الكاتبة أنها أخذت
معلوماتها عنه ؟ يقول سعيد حماده : « يظهر من

حفرات الآبار في الأونة الأخيرة ان السهل الساحلي
غني بالمياه الباطنية التي يمكن الوصول إليها في
اعماق قريبة عادة من ٢٠ الى ٣٠ مترا »
(ص. ١٤) . و« قد جرت عدة استكشافات في
سهل مرج بن عامر ووادي جزرائيل فظهر منها
ان المياه الباطنية قريبة المنال في أماكن مختلفة
[ص. ٦٥] . . . وقد نما استثمار المياه الباطنية
في السنوات الأخيرة بسرعة عظيمة جدا ولا سيما
في السواحل حيث الأرياح من زراعة البرتقال
قد نشطت تعميم حفر الآبار ونقرا بالالات . ويعتد
عدد الآبار التي استخدمت للسري في سنة ١٩٣٦
بنحو ٢٥٠٠ — ٣٠٠٠ ولم يظهر الى الآن نقص في
جورد المياه الباطنية ولا انخفاض في مستواها. . . »

(٤) حول الآبار التي حفرت في منطقة بئر
السبع تقول عنان العامري جازمة « ومعظم الآبار
التي وجدت في المنطقة الثانية (بئر السبع) مالحه
لا يمكن الاستفادة منها » ص. ٢٩ . ولكن ماذا
يقول سعيد حماده : يقول في ص. ٦٥ وليس ٦٦
كما تشير الكاتبة « وأما في بئر السبع — عسلوج
— عوجة الحفر فقد جرت استكشافات قليلة الى
الآن وفي اثنتين من الآبار اللتين حفرتهما الحكومة
كانت المياه مالحه » ص. ٦٥ . فهل يجوز تحميل
كلام سعيد حماده عن « استكشافات قليلة » ،
و« اثنتين من الآبار » كل ما حملته آياه من كلام
وهي تتحدث عن معظم الآبار ، وكأن الآبار التي
حفرت هي بالثلاث .

أقسام فلسطين الطبيعية : تحت هذا العنوان
تتحدث الكاتبة عن نسبة الأراضي المزروعة من
مجموع الأراضي القابلة للزراعة في السنوات ،
الثلاثينات والأربعينات و« عام ٤٤ » و« عام ٤٧ » ،
والمصدر الذي تقدمه الكاتبة « هو سعيد حماده —
النظام الاقتصادي في فلسطين ، جامعة بيروت
الأمريكية ، ١٩٣٩ ، ص. ٦٦ » والملفت للنظر
أمران (١) لا يوجد في الصفحة المذكورة أي أثر
على الإطلاق للمعلومات التي تقدمها الكاتبة
(٢) والأهم من هذا ، ان الكاتبة وهي تجعل كتاب
سعيد حماده مصدرا لكلامها من الفترة ١٩٤٤
نسبت ان المرجع المذكور قد صدر في العام ١٩٣٩ .

أهم المحاصيل الزراعية : تعدد الكاتبة تحت
هذا العنوان المناطق الزراعية وأهم المحاصيل ،
ولم تشر الكاتبة الى مصدر معلوماتها ، ولكن الذي

الجنة الملكية لفلسطين لان تعلق عليها « لنسنا
الآن في حالة نتمكن معها من أن نصح عن هذه
التقارير المقدمة لنا كما أننا نعتبر أنه ليس من
الضروري أن نحاول بان نفعل ذلك ، ولا بد من
عمل طويل قبل الوصول الى تقدير يعتمد عليه
للكمية التقريبية من المياه التي يمكن الحصول
عليها وعمل أطول لمعرفة كمية المياه التي يمكن
استخدامها للسري على أسس اقتصادية » .
سعيد حماده ص. ٦٧ .

وكان كلام سعيد حماده واللجنة الملكية
البريطانية معبرا عن الواقع أكثر من كلام عنان
العامري فعنان العامري ذكرت الاتي « ولقد قدر
الخبراء اليهود المساحات التي يمكن ارواؤها
من الآبار والينابيع عام (٣٥) بـ ٥٠٠.٠٠٠
دونم » . (ص. ٢٩) . ولقد استطلت الكاتبة
جملة « على ، أقل تعديل » (سعيد حماده ص.
٦٦) أي أن المساحة الممكن ربيها قابلة للزيادة
وليس للتقصان . ولكن ذلك الرقم هو أحد
التقديرات الثلاثة التي قدمت بل وأقلها . والأرقام
الأخرى التي ذكرت هي ٢١٤٢٦٩٥ دونما (سعيد
حماده المصدر السابق) والرأي الثالث يقول
بـ ٣٥٠.٠٠٠ دونم و« بعد أن يفرض من المياه
للحاجات المدنية والصناعية جزء كاف لليونسين
ونصف المليون من السكان » (سعيد حماده ص.
٦٦) ولعل تضارب الأرقام (٥٠٠.٠٠٠
و ٢١٤٢٦٩٥ و ٣٥٠.٠٠٠) هو السبب وراء
تحفظ سعيد حماده وقول اللجنة الملكية البريطانية
بـ « لا بد من عمل طويل قبل الوصول الى تقدير
يعتمد عليه » (سعيد حماده ص. ٦٧) . ولعل
السؤال الذي يطرح الآن لماذا أخذت عنان الرقم
الأقل ، وهو تقدير صهيوني ، وتجاهلت الرقم
الأخر وكما يبدو أنه رقم غير صهيوني ، وهل
سها عن بال الكاتبة الأعبارات السياسية التي
قد تكون وراء رأي الخبراء اليهود ؟

(٣) « بالنسبة للينابيع والانهيار فيقتصر
وجودها في منطقة مرج بن عامر ومنطقة بئر السبع
— العوجاء ومعظم الآبار التي وجدت في المنطقة
الثانية مالحه لا يمكن الاستفادة منها » هذا هو
رأي عنان العامري وتحمله لسعيد حماده ، ولكن
ماذا يقول المصدر الذي ادعت الكاتبة أنها أخذت
معلوماتها عنه ؟ يقول سعيد حماده : « يظهر من

١٩٣٥ ، فان التقدير ايضا يكون غير صحيح ، لان الرقم الذي ذكرته وهو (٥٢٥١٤٦) طنًا غير موجود في مقابل اي سنة من السنوات المشمولة بجدول عنان العامري اي الايام من (١٩٢٢ الى ١٩٤٤) . وبالإضافة لهذا فان الرقم الذي تالت انه حجم الانتاج في العام ١٩٤٤ بمعرض المقارنة ، وهو (٦٤٧٣٢١ طنًا (ص ٢٢) يتناقض مع الرقم المذكور في جدولها المرفق حيث ذكر في الجدول ان حجم الانتاج عام ١٩٤٤ هو ٦٢٧١٦٦ طنًا (ص ٢٢) . ولكم هو مضحك ان نعلم ان الرقمين المذكورين والمتناقضين وردا في نفس الصفحة والمسافة بينهما سبعة اسطر فقط .

وتقول الكاتبة ان « مجموع المساحة المزروعة في فلسطين ٩٢٠٥٠٣٨ ر٢٠٥ » عام ١٩٤٥ (ص ٢٢) منها ٧٧١٠٠٠٥١ دونما اراضي مزروعة حيويًا ٥٨٠١٠٥٨ ر٢١٠١٢١ دونما خضار وفاكهة و ٥٨٤٩٤١ حمضيات (ص ٣٣) والطريف ان مساحة هذه المناطق تبلغ ٩٥٠١٥٠ ر٥٠٥٠١٢١ دونما اي ما يزيد ب ٢٩٩٦١٢ دونما عن الرقم الاجمالي الذي ذكرته الكاتبة . والاطرف من ذلك ان مساحة الحمضيات في العام ١٩٤٥ على الصفحة ٣٣ والتي كانت تبلغ ٥٨٤٩٤١ دونما اصبحت في العام نفسه ولكن على الصفحة ٣٥ ، ٢٨٥٣٢٩ دونما اي أقل ب ٢٩٩٦١٢ دونما اي ان المساحة قد انخفضت بما يزيد على النصف من الصفحة ٣٣ الى الصفحة ٣٥ . ولكن لا بأس فالكاتبة قد تحدثت عن « استهلاك الاراضي » في (ص ١٢) وهما هي تستهلك ٢٩٩٦١٢ دونما خلال صفتين فقط .

وعندما تحدثت الكاتبة عن النسبة المئوية لمساحة الاراضي المزروعة ، تذكر النسب التالية : حمضيات وموز ١٤٪ . فاكهة وخضار ١٣٪ . حبوب ٨٣٪ . ولكن حاصل جمع هذه النسب ليس ١٠٠٪ كما تقول في صفحة ٣٥ . بل ١٠٣٪ ، اي ان الاراضي المزروعة هي اكثر ب ٣٪ من الاراضي الموجودة والـ ٣٪ هذه تساوي على الارض ٣٠٣٧٨٢ دونما (فقط) باعتبار ان المساحة التي حددتها الكاتبة للاراضي الزراعية هي ٩٢٠٥٠٣٨ دونما .

الزراعة العربية في فلسطين المحتلة : تتقول الكاتبة ان الدولة تملك « ١٦٩ مليون دونم »

اتفح ان كل ما ورد تحت هذا العنوان قد نسخ حرفيا مع تغيير مواقع بعض الكلمات فقط واستبدال كلمة « خضروات » بـ « خضار » ، وذلك عن الصفحة ١٤٢ — ١٤٣ من كتاب النظام الاقتصادي في فلسطين . حيث اعد هذا الجزء منه « مونتافيو برون » والذي اشار الى انه جمع معلوماته بدوره عن Village Note Books وتعطي الكاتبة نسبة خاطئة للاراضي المزروعة عنبا ، بل وبمضاعفة عشر مرات فالاراضي المزروعة عنبا عام ١٩١٣ كانت ٣٧٣٦٠ دونما ملكية اليهود ١٢٠٠ دونم . والنسبة التي تعطيها الكاتبة ٢٣٪ بينما النسبة الصحيحة هي ٣٪ والمزايذة التي خضعت لها نسبة اراضي اليهود المزروعة عنبا خضعت لمناقضة عندما تحدثت الكاتبة عن زراعة الدخان وعن « ٥٦ دونما انتجت ١٧٥ كغم » (ص ٢١) . فهل من المنطقي ان ينتج دونم الدخان حوالي ثلاثة كيلو غرامات فقط ؟ وهل كان صعبا على الانسة عنان ان تعود الى مرجعها المفضل (النظام الاقتصادي في فلسطين) والذي اشار الى انتاج التبغ والمساحة التي زرعت به ، (ص ٢٠٦) . حيث كان « معدل انتاج الدونم الواحد من الدخان يقراوح بين ٤٠ و ١٥٠ كغم » .

١٩٣٥ — ١٩٤٤ — بالرغم ان الكاتبة حددت الفترة حتى سنة ٤٤ فانها تحدثت ايضا عن سنة ٤٥ وهي تتحدث عن ان الانتاج قد انخفض في سنتي ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ وبحيث بلغ ١٩٧٧٩٠ ، ١٦١٣٣٦ طنًا في السنوات ٣٢ و ٣٣ ، بينما كان عام ٣١ ٢٤٥٠٧٢ طنًا . وكذلك انخفاضه في ١٩٣٨ ، ولكن بمراجعة حجم الانتاج كما ورد في الجدول الذي ارفقته ، فلقد اتضح ان الانتاج كان عام ١٩٣٨ ٣٧٠٦٥٦ طنًا بينما يقول الجدول ان حجم الانتاج في العام السابق (عام ٣٧) كان ٦٣٠٠٦ اطنان . فكيف انخفض الانتاج ؟ وبالإضافة لهذا تتقول الكاتبة « الا ان الانتاج ازداد من ٥٢٥١٤٦ طنًا عام ١٩٤٥ الى ٦٤٧٣٢١ طنًا عام ١٩٤٤ ، ويعود ذلك الى تطور اساليب الزراعة خلال مئزر سنوات » (ص ٣٢) ولكن سنة ١٩٤٥ توجد في الجدول . وكيف يزداد الانتاج من عام ٤٥ الى عام ٤٤ اليس العكس هو الصحيح . ولو افترضنا على ضوء حديث الكاتبة عن تطور اساليب الزراعة خلال مئزر سنوات ، بأن المقصود ب عام ١٩٤٥ هو عام

اي أن الطن العربي يزيد على الطن اليهودي بـ (٤٧٣) ليرة . (٢) الرقم الذي ذكرته على صفحة ٣٧ وهو ١٥٧٢ يقابله في الجدول رقم ١٥٢٧ . (٣) الأرقام الثلاثة لا تمت بصلة لبعضها بعض على الاطلاق .

وفي الصفحة ٤٣ تقول الكاتبة بشأن الضفة الغربية بلغ مجموع المساحة المزروعة عام ١٩٥٢ (١٧٤٣٦٦٨ دونما) انخفضت الى ١٥٤٨٢٥٤ دونما عام ١٩٥٧ . ولكن الكاتبة تقول ان المساحة عام ٥٢ هي (١٧٠٣٠٧٠٣) (ص ٢٦) . وان المساحة عام ٥٧ هي (١٥٤٧٦٣٥) (ص ٢٧) ، فأي ارقام علينا ان نعتد ، ولكن لا بأس هذه المرة فالفرق هو في حدود ١٧٠٣٥ دونما فقط .

وتحت عنوان الفاكهة تتحدث الكاتبة عن ان « مجموع المساحة المزروعة عام ٥٢ كان (٦٧٣٣٩) دونما اي (٣٧٪) من مجموع المساحة المزروعة وفي عام ١٩٥٧ انخفضت المساحة الى (١٠٦٠٢٧) دونما ٦٨٪ من مجموع المساحة المزروعة » (ص ٤٣) المطلوب هنا فقط حذف « انخفضت » ووضع « زادت » مكانها لان ١٠٦٠٢٧ اكثر من ٦٧٣٣٩ .

وفي صفحة ٤٤ تعطينا الانسة العامري مساحة جديدة للضفة الغربية فهي عندما تقول تحت عنوان التبغ ان المساحة المزروعة عام ٥٢ تبلغ ٤١٩٦ دونما أي ٢٪ من مجموع المساحة المزروعة ولو افترضنا ان النسبة صحيحة لمساحة الاراضي المزروعة في الضفة الغربية يجب ان تبلغ اذن (٢٠٩٨٠٠) دونم فقط بينما تذكر الانسة العامري ان المساحة هي ١٧٤٣٦٦٨ دونما وبهذه الطريقة تكون الانسة قد ضيعت ١٥٢٣٨٦٨ دونما . ولكن اذا كانت ٤١٩٦ دونما تساوي عند عثمان ٢٪ فبعد ثلاثة اسطر فان ٤٧٥٢ لا تبلغ سوى ٠٣٪ فقط .

وفي الجدول المنشور على صفحة ٤٤ فان مجموع نسبة الاراضي المزروعة من (الاراضي المزروعة) على ضوء بيانات عثمان العامري تبلغ ١٠٠٪ عام ٥٢ ، ونسبة الاراضي المزروعة من الاراضي المزروعة عام ٥٧ هي ٩٩٨٥٪ وليس ١٠٠٪ ، ويتكرر الخطأ نفسه على الصفحة ٤٦ حيث ان مجموع احد الجداول هو ٩٥٪ وليس ١٠٠٪ ،

(ص ٣٥) علما بان مساحة فلسطين المحتلة ٢٠٣ مليون دونم . « ولا تزيد الملكيات الخاصة لكل من العرب واليهود عن ١٠٥ ملايين دونم » (ص ٣٥) اي بما يزيد على اربعة اضعاف مساحة كل فلسطين المحتل منها وغير المحتل . واذا كانت مساحة فلسطين المحتلة ٢٠٣ مليون والمملوك منها للدولة ١٦٩ مليون دونم كما تقول الكاتبة فان الشيء الطبيعي ان يكون المتقي للمواطنين العرب واليهود هو الفارق بينهما اي ٣٤ مليون دونم وبالرقم الذي اعطته الكاتبة تكون قد ضاعفت المساحة اكثر من ٣٠ مرة . وكما نتمنى ان يكون الرقم الخطأ نتيجة لاختلاف موقع الفاصلة او اختلافها ولكن لا اثر لاي شبه بين الرقم ٣٤ ورقم ١٠٥ . وكذلك فان الكاتبة قد الحقت تعبير « ملايين » بـ ١٠٥ مما يؤكد ان الجلة سليمة لغويا وان حرفا ما لم يسقط . لا بأس فما دامت عثمان قد تحدثت عن (استهلاك) اراض اي الموت فان الموت يعني ايضا الحياة ، ومن يموت يولد ايضا . ولكن الفارق اكبر من ان يحتمل انه ١٠١٦ مليون دونم .

وفي الجدول غير المعنون الموجود على (ص ٣٦) عن الفرق بين سعر محصول الدونم العربي والدونم اليهودي من بين خمسة ارقام ذكرتها هناك اخطاء بالطرح في اربعة منها ، حيث دورت ٣ ارقام ، وهو امر لا يجوز عند عرض الاحصاءات ، ولكن الرقم الفاضح الذي يترك اثرا كثيرا عند حساب القيمة حيث ذكرت الكاتبة ان الفرق بين سعر محصولين اليهودي والعربي في الدونم الواحد هو ٢٩٥ ليرة بينما الطرح الصحيح للارقام التي ذكرتها يعطي فرقا بقيمة ٣٩٤٩٧ ليرة اسرائيلية . (٤٩٧٧) سعر محصول الدونم اليهودي ١٠٢٧٣ للدونم العربي) .

وتحت عنوان المحاصيل الزراعية في صفحة ٣٧ تقول الكاتبة « ان سعر الانتاج اليهودي للطن زاد عن سعر الانتاج العربي بـ ٢٧ ليرة اسرائيلية عام ١٥٧٢ و ٥٠/٤٩ (ص ٢٧) وبمراجعة ارقام الجدول الموجود على صفحة ٣٨ ، اتضح ان رقم ٥٠/٤٩ صحيح ويبلغ ٢٧ فعلا . ولكن رقم عام ٦٨/٦٧ حوله الملاحظات التالية : (١) سعر الطن الواحد العربي (٣٣٥٤) وسعر الطن الواحد اليهودي (٢٨٨١)

في الضفة الغربية بين ٦٨/٦٧ و ٧١/٧٠ هـ الاف دونم . . . ولو دقتت الرقم الذي املته على صفحة ٥٥ بأرقام صفحة ٥٦ لاكتشفت انها هيبت من ١٧٠ ألف دونم، الى ٢٠ ألف دونم اي ١٥٠٠٠ دونم وبهذا تكون قد خففت النسبة ثمان مرات ونصف فقط . وكذلك فان الفرق بين المساحة المزروعة عام ٦٨/٦٧ و ٧١/٧٠ هو النا دونم وليس ه الاف دونم (٢٢٠٠٠ - ٢٠٠٠٠) . وبهذا تكون قد قفزت بالنسبة مرتين ونصف فقط .

غزوة : تحت هذا العنوان تقول الكاتبة من زراعة الحمضيات في القطاع : الحمضيات حتى عام ٥٣ كانت ٦٢٠٠ دونم ببلغ انتاجها ٢٠٥٠٠ جنيه وكان معدل انتاج الدونم الواحد ٢٠٠ كغم وما علينا الا بالتخفظ على هذه الارقام المعطاة ، لان هذا يعني ان ثمن الكيلو غرام الواحد عام ٥٣ هو ١٦٥ قرشا مصريا فهل هذا صحيح ؟ واقع الامور انه حتى في العام ١٩٧٤ فان سعر الكيلو غرام ، هو حوالي نصف هذا المبلغ . كما انه يعني ان انتاج الشجرة الواحدة هو ٤ كغم باعتبار ان الدونم يزرع به ٥٠ شجرة (راجع سعيد حباه ص ١٧٣) وللعلم فقط فان متوسط انتاج الدونم من الحمضيات يزيد على الطن ويتفج ذلك من خلال مراقبة الارقام التي اعطتها الكاتبة لسنوات مختلفة ومن مناطق مختلفة من فلسطين ولناخذ مثلا الضفة الغربية ، حيث تقول الكاتبة على صفحة ٥٥ ان ٥٩١ دونما انتجت ٧٠٥ اطنان عام ١٩٥٢ ، و (٢٥١٠٠) دونم انتجت (٥٧٢٠٠) طن عام ١٩٦٦ . فهل يعقل ان يكون انتاج الدونم الواحد ٢٠٠ كغم فقط . لا بأس فدونم ينتج ٣ كلغ دخان يمكن ان ينتج ٢٠٠ كغم برتقال كما يبدو انها قد هيبت بالرقم عشر مرات هذه المرة .

وفي الجدول المنشور على الصفحة ٧٦ هنالك رقم لا ينسجم مع الرقم الذي اوردته المرجع الاصلي ، والرقم الصحيح هو ٦٤٢٢٨٥ ، وليس ٦٤٨٣٨٥ كما تقول الكاتبة . وفي الصفحة نفسها وتحت عنوان التوزيع الديني لسكان فلسطين الزيفيين عام ١٩٣١ ورد تعبير « الديانات الاخرى » وغدهم ٨٦٠٢ أي ٥١٪ من اجمالي السكان . والمذاهب الاخرى التي تحدثت عنها الانسة عنان هم « الدروز والبهائيون والسامريون »

ومجموع الجدول الاخر ١٠٠٪ وليس ١٠٠٪ . في الصفحة ٤٦ تقول الكاتبة ان مجموع الانتاج بلغ ٥٠٢٧٢ طنا وفي الجدول المقابل على (ص ٤٧) الرقم الموجود ٦١٤٧٠ طنا (الفرق ١١٤٧٠ طنا فقط) وبلغ الدخل من الزراعة ٩٤٧٣٠٠ مليون جنيه وفي الجدول المقابل الرقم هو ٩٧٤٣٠٠ جنيه (الفرق ٢٧٠٠٠ جنيه فقط) . ونسبة الدخل من الخضار كانت في رأس الصفحة رقم ٤٧ ، تبلغ ٤٨٨٪ ولكنها وفي الجدول اي في منتصف الصفحة تهبط الى ٤٧٣٦٪ ، اي بفرق ٣٤٪ من اجمالي الدخل الذي بلغ ٩٧٤٣٠٠ جنيه اي ما يساوي ١٣٠٥٥٦ جنيها فقط .

وعندما تجمع الانسة عنان نسبة الدخول من المحاصيل الزراعية المختلفة يتضح ان اجمالي هذه النسب يساوي ١٠٥٪ من اجمالي الدخل من المحاصيل الزراعية (ص ٤٨) .

وفي الصفحة ٤٩ تتحدث عن زراعة الحمضيات فتقول ان اليهود كانوا يملكون عام ١٩١٥ ٨٠٠٠ دونم اي ١٦٪ ويملك العرب ٢٢٠٠٠ دونم اي ٧٣٪ والصحيح ان ٨٠٠٠ دونم تساوي بالنسبة الى ٣٠٠٠٠ ، ٢٦٦٦٪ وليس ١٦٪ كما تقول الانسة عنان .

وعلى الصفحة ٥١ تقول الكاتبة ان المساحة المزروعة حمضيات عام ١٩٢٢ كانت ٢٩٠٠٠ دونم وارتفعت عام ١٩٢٤ لتبلغ ٣٠٠٠٠٠ دونم . ولكن الكاتبة كانت قد ذكرت في صفحة ٤٩ ان المساحة المزروعة عام ١٩١٥ كانت ٣٠٠٠٠ دونم . أي انه خلال عشرة اعوام لم تزرع أي شجرة حمضيات .

وعند حديث الكاتبة عن تطور المساحة المزروعة حمضيات تذكر ارقاما تقول ان مصدرها Statistical Abstract of Israel 1972, p. 664. ومن مراجعة المصدر المذكور اتضح ان لا وجود لا لرقم المساحة ولا للنسبة التي ذكرتها الكاتبة .

وعندما تعرض الكاتبة على الصفحة ٥٦ أي بعد صفحة واحدة تقول بان المساحة المزروعة حمضيات في الضفة الغربية كانت كالتالي : ٦٨/٦٧ : ٢٠٠٠٠ دونم ، ٦٩/٦٨ : ٢٠٠٠٠ دونم ، ٧٠/٦٩ : ٢٢٠٠٠ دونم ، ٧١/٧٠ : ٢٢٠٠٠ دونم . وتضيف « وبذلك يكون مجموع ما زرع

وفي الجدول الموجود في اسفل الصفحة ٦٢ الذي يبين مجموع العاملين لكل القطاعات في الضفة الغربية . هنالك استخراج خاطيء للمجموع . فالمجموع الصحيح للارقام التي اعطتها الكاتبة من العاملين من المدن والقرى للسنوات ٧١/٧٠/٦٩ هو ١٠٢٠٠٠ بدلا من ١٠٩٠٠٠ للسنة ١٩٦٩ و ١٠٦٦٠٠ بدلا من ١١٤٦٠٠ للسنة ١٩٧٠ و ١٠٧٧٠٠ بدلا من ١١٦٨٠٠ للسنة ١٩٧١ .

وارتكب الخطأ نفسه في مجموع العاملين في القطاع الزراعي في غزة وشمال سيناء حيث لا ينطبق رقم المجموع المذكور من رقم المفردات الخاصة به (ص ٩٥) .

وحول العمال الزراعيين في لبنان تذكر ان عدد الفلسطينيين في لبنان العاملين في الزراعة يبلغون (٩٠٠) من مجموع العاملين منهم والبالغين (٢١٤٠٠) . هذا الرقم الذي نذكره اي (٩٠٠) يتناقض مع الواقع بشكل صارخ . ولقد اتصلنا باتحاد عمال فلسطين وانادنا ان حوالي ثلثي الطاقة العاملة الفلسطينية تشتغل بالزراعة اي ان الرقم الذي ذكرته عنان يساوي حوالي ٥٪ من الرقم الحقيقي . ولو القت نظرة على توزيع مخيمات الفلسطينيين في لبنان لاكتشفت ان معظم هذه المخيمات موجودة في مناطق زراعية : في منطقة صور ، (الرشيدية ، البرج الشمالي ، البص ، رأس العين ، القاسية ، عدلون) وفي منطقة صيدا (عين الحلوة ، اليه وميه بالاضافة الى وجود قسم منهم في منطقة الجية) . وفي طرابلس (نهر الجارد ، البداوي) وفي بعثك (مخيم بعثك وقسم لا بأس به في ثعلبيا) . علما بأن الانسة عنان العامري لم تشر الى المصدر الذي اخذت منه هذا الرقم .

القسم الثاني : الصناعة والمهن

المعلومات التي تقدمها الكاتبة تحت هذا العنوان وردت بالاساس في كتاب النظام الاقتصادي في فلسطين للدكتور سعيد حماده . وبرغم ان الكاتبة اشارت الى المصدر ولكنها تصرفت بالمعلومات بطريقة شوهت ما ورد في المرجع الاساسي وبذلت في مواقع بعض الكلمات المهمة ذات الدلالة . فالرجع الاصلي يتحدث عن وجود مطحنة توار باليد في كل قرية (قرية) اصبحت على يد

(حماده ص ١٢) وعندما تشمبل الديانات الاخرى الدروز فان هذا يعني ضمنا الوقوع في شرك الاعتبارات السياسية التي كانت وراء فصل الدروز عن الجسم الام ولتعميق الانقسام الطائفي الذي ما زال مستمرا حتى الان .

وعن توزيع اليهود الريفيين تقول الكاتبة « ان اكبر تجمع لهم في منطقة الخليل — اذ بلغت نسبتهم ١٧٧٪ » (ص ٧٦) ولكن بعد سطرين فقط تقول « اكبر تجمع لليهود الريفيين في محافظة القدس اذ بلغت نسبتهم ٤٩٪ » (ص ٧٦) .

وتحت عنوان العاملون بالزراعة ١٩٢١ تقول ان ٨٩٦٪ مسلمون ٩٨٪ يهود ٣٣٪ مسيحيون و ٠٣٪ ديانات اخرى فيكون المجموع اذن ١٠٢٩٪ حيث يكون عدد العاملين حسب نسب هنان اكثر من العمال الموجودين ٢٩٨٪ .

التوزيع الجغرافي للعرب : تتناول هذا الموضوع على الصفحات ٨٤ — ٨٥ وعلى كل صفحة تقدم ارقاما مختلفة من الاولى ولتفس العام ، ١٩٦٩ . والفاوق بين مجموع ارقام في الصفحتين المذكورتين هو ٥٤ الف نسبة .

على الصفحة ٨٦ يوجد جدول يبين عدد ونسبة توزيع السكان العرب حسب المنطقة السكانية . وهناك ملاحظتان ، الاولى بشأن اجمالي عدد السكان والثانية بشأن النسب : فاجمالي عدد السكان هو (٣٥٣٠٠٠) كما يظهر في نهاية الجدول ولكن لو جمعنا عدد سكان المناطق التي مددتها الكاتبة فان الرقم الذي نحصل عليه هو (٧٠٤٠٠٠) اي ضعفي الرقم الذي اثبتته الكاتبة . ومجموع النسب المئوية التي اثبتتها الكاتبة يبلغ ٢٠٠٪ وليس ١٠٠٪ اي انه ٢٠٠٪ من السكان موزع على المناطق . وبهذا تكون عدد السكان في المناطق حسب توزيع عنان هو ضعف عدد السكان الفعليين .

وكذلك فلقد كانت نسبة العاملين العرب في الزراعة من اجمالي العاملين على (ص ٨٦) تبلغ ٢٢٪ ولكنها على صفحة ٨٧ ، ٢١٥٪ ونسبة عدد السكان الريفيين في الضفة كان عام ٦١ على الصفحة ٨٨ ، ٦٣٣٪ ولكنه ارتفع على الصفحة ٨٩ ليلبغ ٦٣٦٪ . ويتكرر الخطأ نفسه ولكن على الصفحة نفسها وذلك في (ص ٩٠) .

التي شكلت عام ١٩٢٨ ٢٠٩٪ فقط . (راجع جدول عنان المنشور على صفحة ١٠٥) .

وعن تطور الصناعة بعد الحرب العالمية الاولى اي بين ١٩١٨ و ١٩٢٨ تقول الكاتبة : « لم تدخل الى البلاد صناعات جديدة في تلك الفترة باستثناء بعض الصناعة كالورق والقرطاسية والطباعة والكهرباء » (عنان ص ١٠٥) . فهل الورق والقرطاسية والطباعة والكهرباء هي صناعة جديدة . لو دمجنا القرطاسية بالورق ، لانها شيء واحد وعدنا الى جدولها المنشور على الصفحة المقابلة اي (ص ١٠٤) لوجدنا ان الكاتبة قد ذكرت انه كان في العام ١٩١٨ ، ٢٧ محل ورق وطباعة .

وكان افضل لو لم تتصرف الكاتبة بكلام سعيد حماده ، وبدلا من ان تقسم الجدول الذي وضعه في كتابه الى جدولين ، لان جدول سعيد حماده اكثر وضوحا ويحدد صناعات ما قبل الحرب وبجانبها مباشرة صناعات ما بعد الحرب بحيث يكون عندها من السهل اجراء المقارنة . حيث شوهت الكاتبة بتصرفها هذه المعلومات من ناحية وعقدت من عملية الاستعادة منها .

وتعطي الكاتبة في (ص ١٠٦) نسبا خاطئة لعدد العاملين في المؤسسات الصناعية ، حيث ان مجموع تلك النسب تبلغ ١٣١٠٢٪ فكيف يكون عدد العمال العاملين على الورق اكبر من العمال الموجودين فعلا . ونفس الخطأ يتكرر على الصفحة ١٠٨ ، فهي تقول ان مجموع المحلات الصناعية يبلغ ١٢١١ ، والجمع الصحيح للمفردات التي اعطتها هو ١١٢١ والنسبة التي اعطتها ، وكائنا يجب ان يكوننا ١٠٠٪ أصبحا ١٠٤٧٪ و ٨٩٩٣٪ على التوالي .

العمال الصناعيون والحرثيون الفلسطينيون :

تقول الكاتبة ان عددهم عام ١٩٢١ كان ١٠٠٠٠ شخص وارتفع عام ١٩٢٥ الى حوالي ٥٠٠٠ شخص . وبالتأكيد فان رقم ١٠٠٠٠ هو رقم غير صحيح لان « الارتفاع » هو بالحقيقة انخفاض . والافرب من استبدال الانخفاض بالارتفاع هو وتوقف الكاتبة عند العام ١٩٢٧ بدون مبرر ، كون المصدر الرئيسي وهو كتاب سعيد حماده الذي نقلت الكاتبة عنه ارقامها ونسبها غطى الفترة منذ ١٩٢٥ الى ١٩٣٥ . لانه لا يميز الكاتبة ولا يميز القارئ لو نقلت الينا الجدول الذي يغطي عشر سنوات

عنان في (كل بيت) . وعن المطاحن الالية تحصرها عنان بـ ١٥ مطحنة آلية بينما المرجع يقول عدة مطاحن في امكان اخرى . وبالنسبة لمعامل استخراج زيت السبسم تتحدث الكاتبة عن ان معدل انتاج المعامل الكبيرة ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ كيلو في اليوم (ص ١٠٢) بينما المرجع الاساسي لا يتحدث عن معدل عام للانتاج بل « من معملين في يافا احدهما ينتج ٢٠٠٠ كيلو والاخر ٣٠٠٠ كيلو في اليوم » (سعيد حماده ص ٢٧٥) . وبالإضافة الى هذا فلتد تحدث المرجع من زيوت اخرى ولكن الكاتبة اسقطتها . واستبدلت الكاتبة تعبير (ناحية) اي (منطقة) يافا وحيفا بـ (مدينتا) حيفا ويافا وخففت انتاج منطقة يافا ، كما ذكرها حماده ، من (٢٠٠ - ٣٠٠) لتصبح (٢٠٠ - ٣٠٠) ويحدد سعيد حماده المستورد من الزيت عام ١٩١١ و ١٩١٢ بـ ٦٤٧ و ١٠٠٠٠٠٠٠٠ طن على التوالي (ص ٢٧٦) ولكن الكاتبة تحذف هذا الرقم . وبرغم ان سعيد حماده قد ذكر بشأن حجم الانتاج من الصابون عام ١٩١١ كان ٢٠٠ طن سنويا ولكنها حذف العام واكتفت بذكر الحجم فقط .

وعن تاريخ صناعة الخمر ، يحدد سعيد حماده عام ١٨٨٥ كتاريخ لحصول مستعمرات يهودية على رؤوس اموال لبناء اصخم المراكز لصناعة الخمر . ولكن عنان العامري تقول « ادخلت صناعة الخمر الى البلاد عام ١٨٨٥ » . وبالنسبة لصناعة الحياكة والغزل قدم الكاتب الاصلى معلومات تفصيلية ورقمية اكثر بكثير مما اوردته الكاتبة سواء على صعيد فروع هذه الصناعة او امكان تواجدها .

وفي الجدول المنشور على الصفحة ١٠٤ بشأن عدد المصانع ونسبها ، افضح ان حاصل جمع النسب هو ٨٥٣٪ برغم ان مجموعها يجب ان يكون ١٠٠٪ ، ولم تحدد الكاتبة نسبة صناعة الورق والطباعة الى مجمل الصناعات . ولكن نسبة صناعة الورق والطباعة لم تسقط سهوا ، بل يبقى لها ١٤٣٪ لان هذا هو الفارق بين ١٠٠٪ و ٨٥٣٪ والذي هو حاصل جمع النسب المدرجة في الجدول . ولكن هل كانت صناعة الورق عام ١٩١٨ تشكل ١٤٣٪ من مجمل الصناعة ؟ وهي

الأوضاع الزراعية والصناعية لشعب فلسطين في ثلاثة أرباع القرن . المؤلف أن الدراسة لم تنجز هدفها هذا واني بحث يستند على المعلومات الواردة به لا بد وان يصل الى نتائج خاطئة لان اساس المعلومات خاطيء . وبالإضافة لهذا ، فهل الأخطاء التي سجلها هذا العرض هي كل الأخطاء التي وقعت بها الكاتبة ؟ الواقع ان ما ورد هو جزء من تلك الأخطاء ، ولكن كاف لاصدار حكم على تلك الدراسة .

ولو اوجزنا الأخطاء التي وقعت بها الكاتبة لكانت الالية : ذكر المراجع والاسماء بطريقة خاطئة ، ذكر مراجع غير موجودة ، عدم ذكر المرجع برغم وجوده ، عدم الامانة في نقل المعلومات وتصرف الكاتبة من عندها مما يشوه من معنى المرجع الاصلي ، عدم وجود مراجع لحقائق وارقام هامة جدا ذكرتها الكاتبة ، ذكر « حقائق » غير منطقية وغير معقولة ، الاستسلام لاي « حقائق » وردت في مرجع ما وتسجيلها كحقائق مسلم بها برغم عدم منطقيتها وتناقضها مع الواقع ومع حقائق اخرى ، استعمال تعبيرات ومصطلحات لغوية لا تعبر عن المعنى الذي تقصده الكاتبة ، عدم وجود عناوين للكثير من الجداول ، ذكر عناوين لا تعبر عن مضمون الجداول ، تناقض البيانات التوصيلية مع اجمالي تلك الاتصالات ، تناقض الأرقام وتضارباها على مدى الصفحة الواحدة ، معادة الكاتبة للفواصل والتقط التي تحدد الأرقام والنسب ، الوقوع في أخطاء حسابية بسيطة (جمع وطرح وقسمة) .

وبهذا تكون عنان العابري قد قدمت دراسة ، حظت بها كل قواعد الحساب واللغة وما يمت الى الاحصائيات بصلة ، ولم تنسئ الى نفسها فقط ، بل اساعت للحقائق وللبنطق وللسئلة التعريفية بقضايا شعبنا . وافضل ما يعمل هو سحب الدراسة من الاسواق والاعلان انها لا تصلح كمرجع لمن تورط واقتناها في مكتبته .

حسين ابو النمل

بدلا من خمس ، ولم يكن ليكلدها جهدا سوى نسخ خمسة اسطر اضافية ، والا هم من هذا هو عدد الجيال عام ١٩٤١ ، فبرغم ان الكاتبة قد ذكرت ، مصدر هذا الرقم ، ولكن ذكر المصدر ليس كافيا ، بل المهم ان تعطي ارقاما صحيحة ومنطقية ، ونحن نعرف ان الكاتبة لا تبك بين يديها وسائل تستطيع بواسطتها الحكم على صحة ذلك الرقم ولكن قليلا من المنطق والاتفات الى الأرقام التي اعطاها سعيد حماده لعشر سنوات وليس لسنة واحدة كان يجب ان يدفعا لان تشكل بصحة الرقم الخاص بعام ١٩٢١ . خصوصا وان مصدر سنة ١٩٢١ هو غير مصدر السنوات من ١٩٢٥ - ١٩٣٥ .

والفقرة التي تلي تتحدث من عدد العاملين في الصناعة عام ١٩٢٨ ، تنسب الى سعيد حماده (ص ٣٩٤) ولكن بالعودة الى المرجع المذكور اتضح ان الكاتب يتحدث في تلك الصفحة من تاريخ تأسيس المعامل والصناعات التي كانت موجودة عام ١٩٢٧ ولم نعر لا من قريب ولا من بعيد عن اي كلام له صلة في الموضوع الذي تحدثت به عنان .

وتعدد الكاتبة رقمين مختلفين بشأن عدد الاناث اليهوديات العاملات بالصناعة عام ١٩٤٢ فعلى الصفحة ١٤٠ ، العدد هو ٩٥٧٣ وعلى الصفحة ١٤١ هو ٩٧٥٨ اي زيادة ١٨٥ عاملة وعلى مدى صفحة واحدة . وعن نسبة الاناث العاملات في المكبات الخاصة والمؤسسات العائلية تقول ان النسبة هي ٩٣٪ ولكن الأرقام التي تعطيها هي ٢٥٧٣ اجمالي العاملين . وعدد الاناث منهم ٢٧٣ . اي ان النسبة هي اكثر من ١٠٪ وما علينا سوى مقارنة الرقمين المذكورين (ص ١٤٢) لنكتشف النسبة .

والان وعلى ضوء ما تقدم فان السؤال الذي يطرح هل نستطيع ان نعتبر دراسة عنان العابري قد اذت ولو جزءا من الهدف الذي اعدت من اجله « كيميك احصائي » نجد بسة « الدارسون المعلومات الصحيحة والبلازمة لاي بحث . حصول

Walid Khalidi and Jill Khadduri, ed. *Palestine and the Arab-Israeli Conflict : An Annotated Bibliography.*
(Institute for Palestine Studies, Beirut, 1974).

اولاً : **الحاجة والهدف** : ظلت القضية الفلسطينية تنفخ الى صدور عمل بيبليوغرافي يغطي الانتاج الفكري الصادر حولها بلغات مختلفة وفي امكان متعددة حتى صدور هذا العمل البيبليوغرافي الضخم الذي يعد استجابة طبيعية لحاجة القضية الفلسطينية الى اعمال من هذا النوع ، فهي تؤدي خدمة كبيرة للباحثين والمتخصصين في الشؤون السياسية والعسكرية والتاريخية والفكرية والاعلامية . وهي على الرغم من انها لم يسبقها مسح شاملاً للمجال الذي تغطيه الا انها تهدف — وبقدر الامكان — الى تقديم قدر معقول ومتوازن من المصادر الاساسية والثانوية حول القضية الفلسطينية ، يمكن الاعتماد عليها في بناء عمل بيبليوغرافي شامل في المستقبل . وهذا يعني ان البيبليوغرافية مختارة او انتقائية وليست شاملة بمعنى انها تختار الأفضل والانسب من بين الرصيد الفكري الهائل الصادر حول القضية الفلسطينية بمختلف اللغات .

ويمكن والحالة هذه ان تقدم البيبليوغرافية خدمة فعالة للمكتبات ومراكز البحث والتوثيق التي تهدف الى تكوين مكتبة مستقلة للقضية الفلسطينية كما هو الحال بالنسبة لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الذي يبذل جهوداً كثيرة من اجل تكوين مكتبة متخصصة للقضية وتوثيقها . وقد اتخذ من اجل تحقيق هذه الفكرة عدة خطوات اساسية منها : ١ — انشاء مكتبة المركز (بالعبدية والعبرية والانجليزية والفرنسية والالمانية وبلغات اخرى في حالات قليلة) التي تضم حوالي ١١ الف مجلد (بين كتاب وكتيب) في القضية الفلسطينية ومتفرعاتها . ٢ — انشاء ارشيف المركز الذي يضم معلومات مسجلة مقتطفة من اكثر من مئة مصدر في حوالي السب موضوع متعلق بالقضية الفلسطينية ومتفرعة عنها في حوالي الف ملف . ٣ — انشاء مكتبة خاصة بالوثائق تضم العشرات من المخطوطات والاشرطة بوثائق رسمية وعربية واجنبية ومذكرات لبعض الشخصيات التي لعبت ادواراً مهمة في القضية الفلسطينية .

الكاتب عبارة عن بيبليوغرافية شارحة ومختارة تغطي مجالا هاما من المجالات الحيوية المعاصرة وهو القضية الفلسطينية . ويأتي هذا العمل البيبليوغرافي الضخم في الوقت الذي تشهد فيه القضية الفلسطينية نشاطاً لم يسبق لها ان شهدهته في فترات سابقة سواء كان ذلك على الصعيد العربي ام على الصعيد الدولي . والحقيقة انني سوف اتناول هذا الكتاب من زاوية معينة تتعلق بمجال تخصصي كبحث بيبليوغرافي ، ولن اركز على الناحية الاخرى التي تتعلق بالمجال الذي تغطيه البيبليوغرافية وهو القضية الفلسطينية .

وتعتبر البيبليوغرافية لبنة جديدة تضاف الى اللبنة الاخرى التي تعمل جاهدة على تغطية القضية الفلسطينية من الناحية البيبليوغرافية والتوثيقية . ذلك ان الاعمال البيبليوغرافية التي قامت بتغطية هذا المجال ما زالت قليلة وتكاد تعد على الاصابع ، ومهما يكن من امر فانها تشكل نشاطاً بيبليوغرافياً متكاملًا بحيث يمكن القول باننا نجد اليوم من يقوم بدراسة النشاط البيبليوغرافي حول فلسطين ، وداخل هذا النشاط البيبليوغرافي نجد ان هناك امعلا قد قامت بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين ، وقد انقسمت هذه الاعمال الى قسمين رئيسيين : **القسم الاول** : ويتألف من الاعمال البيبليوغرافية التي تهتم بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كموضوع عام . **والقسم الثاني** : ويتألف من الاعمال البيبليوغرافية التي تهتم بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كقضية سياسية اي حول القضية الفلسطينية . واذا ما حاولنا تحديد موقع لهذه البيبليوغرافية بين الاعمال السابقة فاننا سوف نجد انها تأتي ضمن اعمال القسم الثاني وهي الاعمال البيبليوغرافية التي تهتم بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول القضية الفلسطينية او حول فلسطين كقضية سياسية . فهي كما جاء في مقدمتها : « تهدف الى تقديم قدر معقول ومتوازن من المصادر الاساسية والثانوية حول فلسطين كقضية سياسية في الفترة ما بين ١٨٨٠ — ١٩٧١ » .

الفلسطينيين ، الدول العربية ، الصهيونية ، إسرائيل ، الدول العظمى والهيئات الدولية . ويشكل الدور الذي يلعبه كل طرف من هذه الاطراف عاملا رئيسيا في خطة التصنيف الموضوعية. داخل كل مرحلة من المراحل الزمنية التي تنقسم اليها الجيوبوغرافية .

ب - البعد المكاني : جرت العادة ان تحدد كل جيوبوغرافية مجالها من الناحيتين الزمانية والمكانية وذلك من أجل المزيد من الدقة في الحصر والتجسيم ، وفيما يتعلق بالجيوبوغرافية التي ندرسها فهناك ملاحظتان :

١ - ان الفترة الزمنية التي تغطيها الجيوبوغرافية تمتد عبر قرنين من الزمان فهي تبدأ عام ١٨٨٠ وتستمر حتى نهاية عام ١٩٧١ . ولعل السبب في اختيار عام ١٨٨٠ كنقطة انطلاق للجيوبوغرافية يرجع الى ان هذا العام يمثل النقطة التي بدأت عندها المشكلة الفلسطينية في الظهور . فقد نشأت الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولا تعود الى أبعد من عام ١٨٨٢ باعتبارها حركة قومية يهودية ترمي الى جمع شتات اليهود وحشدهم في فلسطين وما حولها من البلاد العربية ليستأنفوا حياتهم القومية والتاريخية (انظر كتاب محاضرات في تاريخ قضية فلسطين للدكتور احمد طريبن) ، ونحن نعرف ان الصهيونية هي السبب الاول والمباشر في بروز القضية الفلسطينية الى حيز الوجود ، أي ان هناك ارتباطا وثيقا بين ظهور الصهيونية وبين ظهور القضية الفلسطينية على مسرح الاحداث . وفي عام ١٨٩٧ دعا هرتزل الى عقد اول مؤتمر صهيوتي للتداول في قيام الدولة اليهودية ، وعقد المؤتمر في مدينة بسال بسويسرا بحضور ١٩٧ مندوبا من اميركا وأوروبا وتمر من فلسطين ، وفي هذا المؤتمر اقترح ماركس نوردو احد المفكرين الصهاينة على اليهود اقامة وطن قومي لهم في فلسطين . وهكذا يمكن القول بان البذور السياسية الاولى للقضية الفلسطينية تعود الى نهاية القرن التاسع عشر وقد بدأت في النمو والترعرع منذ مطلع القرن العشرين . فكان اختيار عام ١٨٨٠ كبتدائية للجيوبوغرافية اختيارا موفقا فالفترة الواقعة ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩٧١ فترة طويلة نسبيا يمكن تقسيمها الى عدة مراحل زمنية تستفيد منها الجيوبوغرافية في تنظيم

٤ - انشاء مكتبة وثائقية خاصة للمقاومة تضم الاغلبية الساحقة من اوراق ووثائق وادبيات ونتاج المقاومة على مختلف فصائلها .

وهكذا فاننا نرى ان الجيوبوغرافية تمثل اداة رئيسية يمكن الاعتماد عليها في تحقيق الاهداف السابقة .

ثانيا : المجال وأدبه وأبعاده الرئيسية :

أشرت في فترة سابقة الى ان الجيوبوغرافية تركز على مجال موضوعي واحد ، وتحاول بقدر الامكان تغطية قدر معقول من الانتاج الفكري الصادر حول هذا المجال الموضوعي ، فهي والحالة هذه غير شاملة بل مختارة او انتقائية .

وفيما يلي نتناقص الابعاد الرئيسية التي تقوم عليها تغطية الجيوبوغرافية وهي :

١ - البعد الموضوعي : تهتم الجيوبوغرافية بتجميع الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كقضية سياسية ولا تهتم بتجميع الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كموضوع عام وهي بذلك تحدد موضوعها تحديدا دقيقا ، وعلى الرغم من ذلك فقد وضعت بعض الاستثناءات منها : استبعاد المواد التي تدور حول الموضوعات الدينية الا اذا كانت تشتمل على معلومات فمن الظروف السكانية والاجتماعية والاقتصادية للطوائف الدينية في فلسطين او عن الملامح السياسية للتيارات والاتجاهات الدينية السائدة .

ومن الطبيعي ان تحمل القضية الفلسطينية في ثناياها الموضوعات التالية والتي قامت الجيوبوغرافية بتغطيتها وهي : ١ - الاحسوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشعب الفلسطيني ٢ - تاريخ وتطور القضية الفلسطينية منذ نشوبها حتى الان . ٣ - الصهيونية العالمية . ٤ - الكيان الاسرائيلي منذ قيامه حتى الان . ٥ - الصراع العربي الاسرائيلي ومواقف الدول العربية ازاء القضية الفلسطينية . ٦ - مواقف وسياسات الدول العظمى والهيئات الدولية ازاء القضية الفلسطينية .

ثمة ملاحظة تجدر الاشارة اليها وهي ان هذه الجوانب او المجالات الموضوعية الستة ترتبط ارتباطا وثيقا بالادوار التي تلعبها الاطراف الرئيسية في القضية الفلسطينية متمثلة في العرب

واللغات الأخرى المتفرعة عنها . وفيما يتعلق باللغات العربية والروسية فقد وضعت لها قواعد خاصة أشير إليها في مقدمة الجغرافيا .

د - البعد المادي والنوعي : طالما ان الجغرافيا تتخذ من القضية الفلسطينية او من فلسطين كقضية سياسية مجالا رئيسيا لها فانها مضطرة والحالة هذه الى تجميع ثلاثة مستويات من المواد :

١ - مواد المستوى الاول وهي التي تتخذ من القضية الفلسطينية موضوعا رئيسيا لها سواء كانت كتباً ام مقالات ام دوريات ام رسائل جامعية او غيرها .

٢ - مواد المستوى الثاني وهي التي تتخذ من القضية الفلسطينية موضوعا ثانيا تبحث فيه الى جانب موضوعها الاساسي ، على سبيل المثال : الكتب التي تبحث في الاعلام العربي والقضية الفلسطينية ، او القائون الدولي والقضية الفلسطينية او الوحدة العربية وقضية فلسطين .

٣ - مواد المستوى الثالث وهي التي تشمل في ثناياها على معلومات او نصوص عن القضية الفلسطينية ، ككتب المذكرات او التراجم الشخصية وهي بذلك مواد لا تدور اساسا حول القضية الفلسطينية ولا تتعلق بها وانما يمكن الاستفادة منها بعض الشيء في مجال القضية الفلسطينية .

وقد بلغ عدد المواد التي اشتملت عليها الجغرافيا حوالي ٤٥٨٠ مادة يمكن ادراجها تحت نوعين رئيسيين : المواد المنشورة : وهي الكتب ، فصلات الكتب ، مقالات الدوريات ، النشرات ، الدوريات والصحف بمعناها الواسع دون تغطية لمقالاتها .

والمواد غير المنشورة : وهي أبحاث الماجستير ورسائل الدكتوراه ، الوثائق الحكومية والاوراق الخاصة . وقد ادرجت هذه المواد في الحالات التي تهم الباحثين . وقد اوضح المؤلفان في مقدمة الجغرافيا بأنه لم يكن في مقدورهما ان يثبتا كل أنواع المصادر في كل مجال موضوعي لاسباب

منها : أ - تعذر الحصول على الوثائق المتعلقة بالفترات الزمنية الأكثر حداثة . ب - تباين اختلاف المواد المنشورة بالنظر الى مستوياتها

واعدادها . ج - عدم توفر المصادر الجغرافية التي يمكن الاعتماد عليها في الحصول على المواد

مادتها المرجعية وقد لوحظ ان الجغرافيا تنقسم الى اربع مراحل زمنية رئيسية : الاولى تبدأ عام ١٨٨٠ وتستمر حتى عام ١٩٤٧ ، الثانية تبدأ عام ١٩٤٧ وتستمر حتى عام ١٩٤٩ ، الثالثة تبدأ عام ١٩٤٨ وتستمر حتى عام ١٩٦٧ ، الرابعة تبدأ عام ١٩٦٧ وتستمر حتى عام ١٩٧١ .

كما لوحظ انها لا تقف في تغطيتها الزمنية عند نهاية عام ١٩٧١ بل انها تغطي ايضا ما صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بين عامي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ كما انها تغطي بعض المطبوعات الصادرة في الفترة نفسها نظرا لقيمتها وفائدتها بالنسبة للباحثين .

٢ - وفيما يتعلق بالناحية المكائنية فالجغرافيا تحاول بقدر الامكان تغطية ما يصدر في مجموعة الدول الناطقة بالانجليزية بالدرجة الاولى ثم مجموعة الدول العربية بالدرجة الثانية ثم مجموعة الدول الناطقة بالعبرية والفرنسية والالمانية والروسية بالدرجة الثالثة وذلك اعتمادا على تغطيتها للغات التي ذكرناها بنسب متفاوتة في التركيز . فأرجو ان انبه الى ان هذا الكلام لا ينطبق فعليا على الجغرافيا وانما هو تقرير نظري لم تتخذ منه أساسا لها في عملية الحصر والتجميع فقد لوحظ انها تعتمد اعتمادا رئيسيا على محتويات بعض المكتبات الكبيرة في بيروت لا سيما مكتبة الجامعة الامريكية ، ومركز الابحاث ، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية وغيرها .

ج - البعد اللغوي : ان صدور الجغرافيا باللغة الانجليزية لا يعني انها تغطي فقط المواد المنشورة باللغة الانجليزية فهي تغطي المواد المنشورة باللغات التالية على الترتيب : الانجليزية ، العربية ، العبرية ، الفرنسية ، الالمانية والروسية .

والملاحظ ان غالبية المواد التي تغطيها الجغرافيا هي باللغات الثلاث الاولى ، أما المواد المنشورة باللغات الأخرى وهي الفرنسية والالمانية والروسية فان عددها محدود وقليل اذا ما قورن بمسواد اللغات الثلاث الاولى . وقد ترجمت عناوين المواد غير المنشورة باللغة اللاتينية وهي العربية والعبرية ترجمة هجائية او حرفية واستخدمت بالنسبة للغة العربية القواعد التي وضعها المستشرقون في الترجمة الهجائية للغة العربية الى اللغة اللاتينية

لن يجد صعوبة تذكر عند البحث في الجغرافيا. فهو في البداية سوف يحدد الفصل الرئيسي الذي يقع فيه موضوعه ثم يختبر كل قسم من أقسام هذا الفصل ، وهنا سوف يجد أن المواد قد رتبته هجائيا حسب مؤلفيها .

ومما تجدر الإشارة اليه ان هناك موادا لا يمكن اخضاعها لفترة زمنية معينة فقد تمتد معلوماتها لشطري اكثر من فترة او مرحلة زمنية كما ان هناك موادا قد تغطي اكثر من قسم او حتى اكثر من فصل رئيسي والحل الوحيد لهذه المشكلة هو الاتصالات التي تربط بين الاقسام والمواد وهكذا فقد زودت الجغرافيا بنوعين رئيسيين من الاحالات .

١ - النوع الاول ، احالة انظر وهي تحيل من قسم الى قسم اخر سواء كان ذلك داخل الفصل الواحد او في فصول اخرى وذلك حينما يكون هناك ارتباط وثيق بين هذه الاقسام . وعلى سبيل المثال نجد في الفصل الاول ، تحت رأس موضوع القسم الاول احالة من نوع انظر الى الفصل الثاني : القسم الحادي عشر . وهي (للاعمال العامة التي تعالج الفترة ما بين ١٨٨٠ - ١٩٧٤ ، انظر قسم ١١ : الآراء والمصادر التاريخية العامة حول القضية الفلسطينية) .

٢ - النوع الثاني : احالات انظر ايضا وهذه يجدها الباحث تحت رأس الموضوع في كل قسم من الاقسام بحيث تحيله الى عناوين او مواد اخرى يمكنه ان يستفيد منها في موضوعه مثال : في الفصل الثاني ، القسم الخامس نجد احالة انظر ايضا : (٤٩ ، ٢٥٤ ، ٦٥٣ ، ١٢٢٠ ، ١٦٢٦ ، ٤١٠٥) .

ب - المداخل الاضافية : ومن اجل تحقيق المزيد من الفائدة فقد زودت الجغرافيا بكشاف مركب يشتمل على المؤلفين والعناوين والاشخاص الذين هم موضوع لاحدى الدراسات او التراجم في هجائية واحدة مع استخدام الرقم المسلسل للمادة او العنوان كرابط بين المدخل الاضافي في الكشاف والمدخل الرئيسي في جسم الجغرافيا .

ولم تزود الجغرافيا بكشاف موضوعي لذلك فالباحث مضطر للرجوع الى قائمة المحتويات عند كل مرة يستخدم فيها الجغرافيا . على الرقم من أن أية جغرافيا تستخدم خطة تصنيفية

اللازمة لبعض المجالات الموضوعية .

ثالثا - تنظيم المادة المرجعية : لا شك ان معيار سهولة الوصول الى المعلومات الجغرافية من المعايير الهامة لتقدير قيمة أي جغرافيا مهما كان نوعها . ذلك انه يقيس مدى نجاحها في اتباع نظام كفاء لترتيب المادة المرجعية التي تحتويها ، يتناسب مع اهدافها ووظائفها ومع الانتاج الفكري الذي تغطيه ويمكن المستخدم من الوصول السهل والسريع الى هذه المادة ويقتضي تطبيق هذا المعيار على الجغرافيا وصف النظام المستخدم فيها ثم تحليله من خلال مداخله الرئيسية والاضافية .

١ - طريقة التنظيم : لقد اتبعت خطة تصنيفية خاصة في تنظيم مواد الجغرافيا تركز على عاملين رئيسيين هما : العامل الزمني متمثلا في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٨٠ و ١٩٧١ . والعامل الموضوعي الذي ينبع اساسا من ظروف وتطورات القضية الفلسطينية والادوار التي تلعبها الاطراف الرئيسية في قضية فلسطين في الفترة الزمنية السابقة .

وسوف نرى كيف استفادت الجغرافيا من العاملين السابقين في تنظيم موادها فهي تنقسم الى تسعة فصول رئيسية: يمثل الفصل الاول والثاني منها المدخل او المقدمة بالنسبة للجغرافيا فالاول يشتمل على المصادر او المؤلفات العامة حول فلسطين كقضية سياسية . والثاني يشتمل على المصادر التاريخية للقضية الفلسطينية وفلسطين . اما الفصول السبعة الاخرى فانها تتسلسل زمنيا وفقا للمراحل الزمنية المشار اليها في الفقرة (ب) من النقطة الثانية (راجع المجال وادبه : التبعد الزمني والمكاني) ويتفرع كل فصل من هذه الفصول الرئيسية الى اقسام اصغر تأخذ ارقاما متسلسلة وتعتمد على دور كل طرف من الاطراف الرئيسية في القضية الفلسطينية مجتمعة في الشعب الفلسطيني ، الدول العربية ، الصهيونية العالمية ، اسرائيل ، الدول العظمى ، الهيئات الدولية .

هذه هي الفصول الرئيسية التي تتألف منها الجغرافيا ، وقد لاحظنا انها تستفيد استفادة مباشرة من التقسيمات الزمنية للقضية الفلسطينية ومن الادوار التي يلعبها كل طرف من الاطراف الرئيسية للقضية الفلسطينية وبهذا نجد ان الباحث

فأوصى في مقدمة توصياته باستخدام التقنين الدولي للوصف الجغرافي في الفهارس والبيبلوغرافيات العربية . وعلى هذا الأساس فإن التقنين الذي ينبغي ان يستخدم في الببليوغرافية هو التقنين السابق وذلك كخطوة نحو توحيد تقنيات الوصف الجغرافي في العالم العربي، وفيما يتعلق بمدخل أسماء المؤلفين العرب فقد سارت الببليوغرافية على مبدأ قلب الاسماء العربية الى استخدام الجزء الاخير من الاسم في أول المدخل تمثيلا مع بقية أسماء مؤلفي المطبوعات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية والعبرية . واذا كانت الضرورة قد فرضت على الببليوغرافية ذلك ، فإن إعادة قلب الاسماء العربية - وخصوصا الحديثة منها لم تستقر بعد وما زالت موضع مناقشة ودراسة من جانب المكتبيين والببليوغرافيين العرب .

ب - المدخل الرئيسية : اشتملت المدخل الرئيسية فيما يتعلق بالكتب على : المؤلفين والمحررين والعناوين والطبعات والمجلدات ثم بيانات النشر : مكان الناشر ، الناشر ، تاريخ النشر ثم عدد الصفحات . وفيما يتعلق بمقالات الدوريات فقد اشتملت مدخلها على اسم الكاتب ، عنوان المقال ، المجلد ، العدد ، السنة ، والتاريخ وعدد الصفحات . واعطيت المعلومات الببليوغرافية الضرورية عن كل مدخل من مدخل المواد الأخرى وهي الدوريات والصحف ورسائل الماجستير والدكتوراه والوثائق الحكومية والاوراق الخاصة . وفي كل مدخل من المدخل الرئيسية الخاصة بالسواد المنشورة بلغات أخرى غير الإنجليزية اعطيت ترجمة بالانجليزية وضعت بين قوسين بعد العنوان الاصلي . وفي نهاية كل مدخل من المدخل الرئيسية يوجد حرف هجائي للدلالة على لغة المطبوع الاصلية فالحرف **A** للمطبوعات العربية والحرف **F** للمطبوعات الفرنسية والحرف **G** للمطبوعات الالمانية والحرف **H** للمطبوعات العبرية والحرف **R** للمطبوعات الروسية اما المطبوعات الانجليزية فلم تميز بحرف هجائي معين . كذلك فقد وضعت اشارة (**) بعد أسماء المؤلفين والمحررين والمترجمين الفلسطينيين او من هم من أصل فلسطيني وذلك للدلالة على جنسيتهم الفلسطينية

خاصة لا بد ان توفر للباحث كشافا موضوعيا عاما او كشافا موضوعيا من النوع النسبي حتى لا يكون الباحث مجبرا على معرفة خطة التصنيف التي تتبعها الببليوغرافية عند البحث فيها .

رابعاً: الوصف الجغرافي والمدخل الرئيسية:

١ - التقنين المستخدم في الوصف الجغرافي : على الرغم من أنه لم يذكر في مقدمة الببليوغرافية نوع التقنين المستخدم في الوصف الجغرافي للمدائل الرئيسية الا اننا نستطيع القول بأن التقنين الجغرافي (تقنين مكتبة الكونجرس) هو التقنين المستخدم في الببليوغرافية مع تعديلات طفيفة لا تكاد تذكر .

والواقع ان نوع التقنين الذي ينبغي ان يستخدم في أية ببليوغرافية يحدده عاملان رئيسيان هما : ١ - نوع التقنيات المستخدمة محليا في المنطقة التي تصدر فيها الببليوغرافية وذلك في محاولة لتوحيد هذه التقنيات في تقنين واحد يمكن استخدامه في ببليوغرافيات أخرى . ٢ - التصورات العالمية في مجال تقنيات الوصف الجغرافي وما مرت به من توحيد ومعايره على مستوى دولي وذلك تمهيدا لاستخدام أحدث التقنيات الدولية في مجال الوصف الجغرافي .

واذا القينا نظرة على الببليوغرافيات الصادرة في العالم العربي فاننا نجد أن غالبيتها يميل الى استخدام التقنين الانجلو - امريكي مع تعديلات خاصة بالنسبة لمدائل أسماء المؤلفين العرب وبعض مطبوعات التراث العربي الاسلامي . اما بالنسبة للببليوغرافيات التي تصدر في البلدان المتقدمة فإن بعضها قد بدأ باستخدام أحدث التقنيات في مجال الوصف الجغرافي وهو التقنين الدولي للوصف الجغرافي (ت.د.و.ب) وهكذا نجد أن التقنين المستخدم في الببليوغرافية يأتي وسطا بين التقنين المستخدم محليا في الببليوغرافيات العربية (التقنين الانجلو - امريكي) والتقنين المستخدم دوليا (التقنين الدولي للوصف الجغرافي) الذي وافقت عليه دول العالم ممثلة في الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات) ، وقد ادرك «مؤتمر الاعداد الجغرافي للكتاب العربي» الذي عقد في الرياض في الفترة من ٢٤ نوفمبر ١٩٧٣ الى ١ ديسمبر ١٩٧٣ ، هذه الضرورة

ب - أن صدورها باللغة الانجليزية وإشتمالها على نسبة كبيرة من المواد المنشورة باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية سوف يؤدي خدمة كبيرة للقضية الفلسطينية في مجالين هامين : اولهما اعلامي وهدفه التعريف بالانتاج الفكري الصادر حول فلسطين على الصعيد الدولي اذ أن الببليوغرافية موجهة أساسا الى الباحثين الاجانب . وثانيهما توثيقي وهدفه أن يوفر للباحثين والمتخصصين كافة المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع التي يمكنهم الاستفادة منها في أبحاثهم ودراساتهم .

ج - أن الخطة التصنيفية الخاصة بالببليوغرافية والتي تتبع أساسا من ظروف وواقع القضية الفلسطينية خلال واحد وتسعين عاما (١٨٨٠ - ١٩٧١) تعتبر فائدة كبيرة وخدمة جليلة تقدمها الببليوغرافية للمكتبات والمراكز التوثيقية والاعلامية العربية عموما وللمكتبات والمراكز المتخصصة في مجال القضية الفلسطينية خصوصا فمثل هذه الخطة يمكن أن تساعد تلك المؤسسات على تصنيف محتوياتها من المطبوعات الخاصة بالقضية الفلسطينية تصنيفا يقوم على أسس علمية مدروسة كما أنها تهبها بقائمة جاهزة من رؤوس الموضوعات المحددة والمقتنة .

د - أن صدور الببليوغرافية في هذا الوقت بالذات يعتبر محاولة جريئة للوقوف أمام الهجمة الاسرائيلية الفاشحة على تراث وثقافة الشعب العربي الفلسطيني محاولة تضليل العالم وإيهامه بأنه لا وجود لشيء اسمه الشعب الفلسطيني ولا وجود لشيء اسمه فلسطين ، فقط هناك شيء اسمه الشعب الاسرائيلي ، وهناك شيء اسمه اسرائيل ، وعن طريق ما تصدره اسرائيل من كتب وكتيبات وصحف وأدوات ثقافية أخرى تحاول قطع الصلات الحضارية القائمة منذ الاف السنين بين الشعب العربي الفلسطيني وبين ماضيه العريق وحقه المشروع في أرضه المغتصبة . ان اشتمال الببليوغرافية على الوثائق والمطبوعات التي تثبت انتهاء هذا الشعب إلى أرضه الفلسطينية لهو خير هدف تعمل الببليوغرافية على تحقيقه ، في مثل هذه الظروف .

هـ - ان وجود اشارة امام اسم كل مؤلف او محرر او مترجم فلسطيني في كل مدخل رئيسي من

وتمييزا لهم عن بقية المؤلفين .

وحيثما أمكن يوضع العنوان بلغته الاصلية مترجما ترجمة هجائية اذا كان من المطبوعات العربية او المبرية او الروسية متبوعا بالترجمة المعنوية الى الانجليزية (أي الترجمة حسب المعنى) .

وفيما يتعلق بحدثة المطبوعات او قدمها فقد سارت الببليوغرافية على مبدأ اثبات احدث طبعة من المطبوع مع الاشارة الى الطبعة القديمة اذا وجد انها تحقق فائدة بالنسبة للباحثين . كذلك فقد درجت الببليوغرافية على ذكر المطبوعات التي اعيدت طباعتها او المطبوعات التي ترجمت الى لغات أخرى وذلك بعد الانتهاء من بيانات الشروح .

ج - الشروح : تعطى الببليوغرافية عن كل مطبوع او عنوان شروحا توضح محتوياته ومضامينه وهي لا تقل عن سطر واحد ولا تزيد عن ٥ أسطر وهي على نوعين : النوع الاول يمثل شرحا او ملحقا لمحتويات المطبوع اذا كان يتخذ من القضية الفلسطينية مجالا رئيسيا له . والنوع الثاني ويمثل اشارة الى قيمة الكتاب بالنسبة لموضوعه من ناحية ومقدار استفادة الباحثين منه من ناحية أخرى وذلك اذا كان مجاله او موضوعه الرئيسي غير القضية الفلسطينية .

والمواقع ان هناك بعض المطبوعات او العناوين التي لم تزود بشروح لعدة أسباب منها : إما لان عناوينها تدل بوضوح كاف على موضوعاتها او محتوياتها . وإما لأنها لم تقع تحت أيدي القائمين او المشرفين على اعداد الببليوغرافية لتلخيصها واعداد شروح عنها .

خامسا : ملاحظات وانتقادات : من خلال هذا العرض الشامل للجوانب الرئيسية التي يقوم عليها هذا العمل الببليوغرافي القيم يتضح لنا أننا نقف امام محاولة هي الاولى من نوعها في هذا المجال واننا معها عددنا من مميزات وغوائد لهذا العمل الببليوغرافي فاننا ان نؤفيه حقه ، فقد أدى خدمات جليلة يمكن اجمالها في النقاط التالية :

أ - تعتبر هذه الببليوغرافية لجنة اولى وهامة لا بد منها لأي عمل ببليوغرافي شامل حول القضية الفلسطينية في المستقبل .

خطة تصنيفية خاصة لا بد ان توفر للباحث كشافا موضوعيا يسهل الوصول الى المواد او المعلومات التي تشتمل عليها . والواقع ان الببليوغرافية لم توفر مثل هذا الكشاف الموضوعي اعتمادا على قائمة المحتويات التي تسبق جسم الببليوغرافية . لذلك فالباحث مضطر للرجوع الى هذه القائمة في كل مرة يستخدم فيها الببليوغرافية او الاعتقاد على الكشاف المركب الذي يشتمل على مداخل المؤلفين والمعاونين معا ، وهذا أمر صعب ولا يفيد الا في حالات قليلة غالباً بحث يقع في ذهنه موضوعا معيناً ونادراً ما يبحث عن مؤلف او عنوان معين يضاف الى ذلك ان الباحث ينفر عادة من استخدام الببليوغرافيات التي تفرض عليه خطة تصنيفية معينة دون أن توفر له كشافا موضوعيا .

{ — سارت الببليوغرافية على مبدأ تلبس الاسماء العربية أي استعمال الجزء الآخر من الاسم في بداية المدخل وهذا مبدأ لا يطبق الا على الاسماء العربية القديمة ولم يطبق بعد على الاسماء العربية الحديثة ، فالباحث العربي حينما يريد ان يبحث عن كتاب لابي بكر الرازي فانه يبحث عنه تحت اسم الرازي بينما نجده يبحث عن كتاب لطف حسين تحت اسم طه حسين وليس تحت حسين ، طه .

ونحن نلاحظ ان معظم الببليوغرافيات التي تصدر في العالم العربي تراعي ذلك وتستعمل المقطع الاول من اسم المؤلف العربي الحديث في بداية المدخل وليس المقطع الآخر ولا أدل على ذلك من أن النشرة العربية للمطبوعات تقوم بتعديل المداخل المطلوبة في القوائم الببليوغرافية التي تأتي من بعض الدول العربية ولا سيما لبنان والعراق .

٥ — لوحظ عدم ذكر المصادر الببليوغرافية التي تم الرجوع اليها عند جمع المواد التي اشتملت عليها الببليوغرافية . فمثل هذه المصادر قد تفيد الباحثين عند الاشارة اليها وذلك لتحقيق المزيد من الفائدة وللتأكد من صدق ودقة المعلومات الببليوغرافية التي تم الحصول عليها من هذه المصادر . ولم ترد سوى اشارة بسيطة في مقدمة الببليوغرافية عن المصادر التي تم الرجوع اليها « فقد تم اعدادها كلها في بيروت اعتمادا على

مداخل الببليوغرافية يؤدي ايضا خدمة مزدوجة للقضية الفلسطينية : فهي محاولة لحفظ وصيانة التراث الفكري للمؤلفين الفلسطينيين وابقائه متجزيا عن غيره وخاصة في الظروف الحالية التي يعيشها الشعب الفلسطيني مشردا في بقاع كثيرة بعيدا عن أرضه ووطنه ، وهي في الوقت ذاته خدمة جليلة لكل من يحاول التعرف على المؤلفين والمصنفين الفلسطينيين بهدف القيام بمشروع لانشاء دليل او معجم لهؤلاء المؤلفين وخاصة اذا علمنا أن ان أكثر الصعوبات التي يواجهها كل باحث ببليوغرافي في المجال الفلسطيني هي القدرة على التمييز بين المؤلفين الفلسطينيين وبين المؤلفين العرب .

و — امتازت الببليوغرافية بدقة المعلومات الببليوغرافية واكتمالها في كل مدخل من المداخل الرئيسية فهي تحرص على تحري الدقة في اثبات بيانات الوصف الببليوغرافي وتحاول بتقدير الامكان اعطاء بيانات كاملة عن كل مدخل باستثناء بعض المداخل التي خلت من بيانات التوريق وبعض بيانات النشر ، كما أن هناك بعض المداخل التي لم تزود بشروح ، وقد سبق ذكر ذلك في فقرات سابقة .

هذه تقريبا هي أهم الميزات التي تتميز بها هذه الببليوغرافية الا ان هناك بعض الانتقادات التي لا بد من ذكرها من قبل استكمال الفائدة العلمية والامانة الموضوعية :

١ — كما هو واضح من الهدف الذي من أجله اعدت الببليوغرافية والذي اشير اليه في مقدمتها لم تكن هناك محاولة للقيام بمسح شامل لكامل المصادر سواء كانت رئيسية ام ثانوية في مجال القضية الفلسطينية . فالببليوغرافية والحالة هذه مختارة أو انتقائية وليست شاملة .

٢ — يلاحظ بوضوح ان الببليوغرافية قد اغفلت جانبا مهما كان من الواجب ان تقوم بتغطيته وهو ان تعمل على تغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كموضوع عام بالاشارة الى تغطيتها للقضية الفلسطينية ذلك ان هناك ارتباطا وثيقا بين المجالين ولا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الاحوال .

٣ — من المسلم به ان أية ببليوغرافية تتبع

المطبوعات الفلسطينية — ثم يتولى هذا المركز مهمة اصدار الببليوغرافية الوطنية الفلسطينية على اساس علمية مدروسة بحيث تشمل على جميع الانتاج الفكري الفلسطيني وبحيث تصدر في فترات منتظمة ومحددة . ولن يتسع المجال هذا الحديث عن الببليوغرافية الوطنية الفلسطينية ذلك ان هناك دراسة مطولة سوف تقوم حول هذا الموضوع ، وسوف نحاول نشرها باذن الله .

٢ - في مجال الببليوغرافيا الموضوعية الفلسطينية : حيث يقوم هذا المركز باصدار الببليوغرافيات المناسبة حول فلسطين كموضوع عام او قضية سياسية الى جانب اصدار ببليوغرافيات اخرى في مجالات فلسطينية متعددة كالادب الفلسطيني ، والاقتصاد الفلسطيني ، والفنون الفلسطينية وغيرها . ويجب ان لا يقتصر عمله على اعداد الببليوغرافيات وانما يتعدى ذلك الى اعداد الكشافات التحليلية للدوريات الفلسطينية ، ونشرات الاستخلاص والترجمة الفلسطينية وغيرها ، وكافة الاعمال التوثيقية التي يمكن الاستفادة منها في مجال القضية الفلسطينية .

وهنا لا بد ان اشير الى ان من واجب مركز الابحاث بمنظمة التحرير ان يتولى مهمة القيام بمسؤولياته كمركز ببليوغرافي فلسطيني فهو يتحمل الى جانب مهمته الرئيسية كمركز للبحث والاعلام في مجال القضية الفلسطينية ، مسؤولية القيام بالخدمات التوثيقية والببليوغرافية المتعلقة بفلسطين والقضية وقد اشرنا في فقرة سابقة الى ان مركز الابحاث يهدف الى تكوين مكتبة متخصصة بهذه القضية وتوثيقها ونضيف هنا الى ان المركز يحرص على اصدار منشورات ببليوغرافية تفيد القارئ في هذا المجال فقد اصدر حتى الان اربعة اعمال ببليوغرافية ويشرف حاليا على اصدار عملين آخرين ، اما الاعمال التي اصدرها فهي : ١ - أصدر المركز عام ١٩٧١ قائمة ببليوغرافية للقضية الفلسطينية في المجلات الثقافية العربية ١٩٤٨ - ١٩٧٠ (سلسلة حقائق وارقام - ٢٨) - ٢٠ - اعد احد الباحثين وهو السيد نهر سرحان قائمة ببليوغرافية عن الفولكلور الفلسطيني وقد نشرت في احد اعداد مجلة شؤون فلسطينية عام ١٩٧٤ . ٣ - اصدر عام ١٩٧٣ قائمتين ببليوغرافيتين عن

المصادر المتوفرة بمكتبات هذه المدينة اي ان نهارس هذه المكتبات ومقتنياتها كانت من المصادر الرئيسية التي تم الرجوع اليها للحصول على المواد والمصادر اللازمة .

خاتمة : بعد هذا العرض الشامل للاسس والجوانب التي تقوم عليها الببليوغرافية وبعد ان بينا اهم الملامح والمميزات التي تتصف بها ، فان النتيجة التي لا بد ان نصل اليها هي ان استمرار صدور هذه الببليوغرافية على شكل ملاحق في فترات محددة ومنتظمة يعد امرا حيويا وهاما ، وقد اوضح المؤلفان في مقدمة الببليوغرافية انهما يتويان اصدار ملاحق لها كل خمس سنوات ، غير انهما لم يذكرا ما اذا كانا سيسيران على نفس الاسس التي سارا عليها في الببليوغرافية السابقة ام لا . والسؤال الذي يطرح نفسه بنفسه هنا هو : هل يستطيع المؤلفان بالفعل الاستمرار في اصدار ملاحق كل خمس سنوات بجهودهما الفردية ام انهما سيتوقفان عن متابعة اصدار الملاحق التي وعدا بها لاي سبب من الاسباب؟ ان الجواب على هذا السؤال واضح ومحدد ، وهو ان استمرار صدور ملاحق الببليوغرافية كل خمس سنوات اعتمادا على مجهودات فردية دون رعاية او مساندة من جانب هيئة ببليوغرافية او مركز ببليوغرافي فلسطيني امر لا يمكن التاكيد منه ، ذلك ان الجهود الفردية قد تتوقف لاي سبب من الاسباب فهي لا تتصف بصفة الاستمرارية في العمل على العكس من الجهود التي ترعاها او تشرف عليها هيئات معينة ، فهذه لا تتوقف الا اذا ارادت الهيئة ان توقفها . وبذلك فهي تتصف بصفة الاستمرارية . ومن هنا تأتي الحاجة الى وجود مركز ببليوغرافي فلسطيني يتولى مسؤولية القيام بكافة المهام الببليوغرافية على الصعيد الفلسطيني وذلك في مجالين رئيسيين .

١ - في مجال الببليوغرافية الوطنية الفلسطينية : حيث يقوم باصدار قانون لايداع المطبوعات الفلسطينية التي تصدر عن المؤلفين الفلسطينيين بغض النظر عن مكان صدورها واللغة التي نشرت بها - وهذه مهمة لا بد من ان يقوم بها مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتباره المؤسسة الفلسطينية الوحيدة التي تستطيع اتخاذ الخطوات الضرورية لاصدار قانون لايداع

والعراق في الفترة ما بين ١٩٤٨ - ١٩٧٣ .
من الواضح ان مركز الابحاث يسهم الى حد
كبير في مجال الجيولوجيا الفلسطينية فهو
والحالة هذه خير من يتولى القيام بمسؤوليات المركز
الجيولوجيا الفلسطينية التي ان تتاح
الفرصة لقيام مثل هذا المركز الجيولوجيا ، لما في
ذلك من خدمة للانتاج الفكري الفلسطيني والقضية
الفلسطينية .

يونس احمد اسماعيل الخاروف

فلسطين ، احدها تغطي ما صدر من كتب عن
فلسطين في مصر ١٩٤٨ - ١٩٧٢ والثانية تغطي
ما صدر عن فلسطين في الاردن ١٩٤٨ - ١٩٧٢ .
اما الاعمال التي يشرف على اصدارها حاليا
فيها : ١ - يعد المركز مشروعها هو الاول من نوعه
وهو كتاب جيولوجيا في الكتاب الفلسطيني : يضم
كشفا بكل الكتب التي أصدرها كتاب فلسطينيون
منذ نشوء المطبعة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ .
٢ - سوف يصدر المركز جيولوجيا تشتمل على
المطبوعات العربية الصادرة عن فلسطين في لبنان

Pamela Ferguson, *The Pipedream*,
(Everest Books, London: 1974).

[١]

مفتاح السيارة من جيبه واولجه في عقب التشغيل .
وفق نفسه بحزام السلامة . ثم ادار مفتاح
التشغيل بسرعة فتطير جسمه اربا اربا « .
العبارة التي هزنتي بها الكاتبة في هذه الفترة هي
التوثيق بحزام السلامة . عبارة خبيثة تذكرنا بأن
سر بقاء سواق التاكسي في قيد الحياة هو عدم
استعمالهم حزام السلامة . هذا هو المعدن الذي
ينتج الادب الناجح . ولكن المؤسف ان القصة
تتهافت بعد هذا الفتح الدراماتي .

اميليو بيتري عالم ايطالي شغل نفسه باكتشاف
طريقة للبحث عن النفط من الجو بالتصوير
الاشعاعي . وقاده هذا العمل لاصحاب شركة
نفط ايطالية الى استنباط نظريته في حقول نفط
سيناء التي سقطت بيد اسرائيل بعد ذلك بقليل .
وتدخل القصة هنا في مناهة من التنافس الامبريالي
بين المصالح الايطالية والامريكية والاسرائيلية
والعربية مع ما يتبعها من اجهزة الاستخبارات
والارهاب . ولم تكن المؤلمة بكل ذلك فاتحمت
ايضا تنافس المنظمات العاملة في الميدان
الفلسطيني . وراحت متقصصة شخصية الصحفية
الانكليزية جوليا رايت تفتش عن الجاني في هذا
المشتبك . عالم المال كعالم الغرام ، لا يفهم

هذا هو الكتاب الثاني الذي نشره باملا
فرغسن ، الكاتبة البريطانية الشابة . « مشكلة
فلسطين » كان كتابها السياسي الاول ،
و« اضغاث احلام » هو غزوة على نفس الجبهة
ولكن بأسلوب القصة البوليسية . والمتوقع ان
يجد القارئ افكار الكاتبة السياسية وموقفها
الحقيقي في كتابها السياسي الموضوعي . هناك
يصوغ الانسان آراءه بصورة موضوعية هادئة
وباكاديمية علمية مسؤولة . هذا هو المتوقع وليس
الواقع . لقد كشفت فرغسن عن حقيقة تفكيرها
وموقفها في قصتها البوليسية لا في مقالاتها
الموضوعية . واذا كان لا بد للمعتبر من عبء فهي
ان يتذكر مرة اخرى ان الفن اصنق من الفلسفة
وان الفنان اعرف بالحياة من ملاحظة الاكاديميات
والجامعات .

في « اضغاث احلام » اعربت الكاتبة عن موقفها
الكامل بجانب الصف العربي - على الاقل الصف
العربي الثوري . لا عجب اذن ان يصغها بوق
من ابواق الدعاية الصهيونية بكونها بوقا من
ابواق الدعاية العربية .

تفتتح فرغسن قصتها بشهد مشوق من بطل
القصة الذي نقلته في الفصل الاول « اخذ بيتري

لقد زجت نفسها في احدى الفقرات الى تفسير قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وامتناع اسرائيل عن التنفيذ . وعندما يحاول الاعلام الصهيوني تحميل الفدائيين مسؤولية قتل بيتري ، يأتي رد الكاتبة ناطعا « لقد أصبحت الموضة في هذه الايام تحميل الفلسطينيين وزر اي عمل عنفي » .

لقد قضت ياملا فترات منقطعة فني الشرق الاوسط واعطاها ذلك الفرصة لظهور مواهبها الادبية في فترات مشرقة . ومن صورها التي خلدت في ذهني صورة القدس يصلبانها وهوائيات تلفزيوناتها مطبوعة على صفحة السناء . وتعكس قصتها نماذج حية من اخلاقيات وطباع سكان المنطقة رغم الامتعاض الذي اثارته في نفسي معالجتها لرجل الكنيسة الارثوذكسية .

لقد اختارت الكاتبة لنفسها منذها من أصعب المنافذ لمعالجة موضوع سياسي ، منذ الادب البوليسي. قد يؤدي من الخدمة ما لا تؤديه الابحاث السياسية ولكن نصيب المؤلف فيه سيبقى نصيبا غير محمود ولا سيما عندما يقع بيد ناقد مثلي ابنتي بعدة لا تهضم الشحم ولا اللحم ولا الادب البوليسي .

خ.ق.

اسراره الا أصحابه . ومن التجني ان ننتظر من قارئ التخصيص البوليسية المسادي ان يفتحه التعقيدات المنطقية الاحتكارية التي اودت بحياة اميليو بيتري ، ولا سيما عندما تلعب ادوارها على مسرح الشرق الاوسط وتختلط بتعقيدات الدبلوماسية العربية والدولية والعمل الفلسطيني (السذي يحتاج وحده الى مسلسلات من قصص « من الجاني ؟ ») . وتزداد القصة تعقيدا بدخولها اسرار العلوم والتقنية . ويمكن للقارئ هنا ان يريح نفسه بان يأخذ الموضوع على علته ويعتبره انطلاقة شعرية تجوز للاديب دون العالم . ولكنني لم استطع ذلك لانني اعرف الجهود التي بذلتها ياملا في التدقيق والحصول على معلوماتها العلمية من مكاتب الابحاث المنطقية الجامعية . انها ليست انطلاقة وانما صبا جديدا ينوء به المخ والمخيخ والنخاع الشوكي لاي قارئ غير محروم من هذه الاعضاء .

لقد اعطى تولستوي الخلود لقصته « الحرب والسلام » بان سخر التاريخ والسياسة كخلفية تخدم النماذج والعناصر الانسانية في القصة . ياملا فرغسن فعلت العكس تماما . لقد مسخرت شخصيات القصة كخلفية لخدمة الفكرة السياسية.

[٢]

الضحية المساوية لأمره اشترك فيها الاستعمار الصهيوني والامبريالية الغربية وحتى بعض الانظمة العربية ، وقد سبق لها أن اعربت عن رأيها هذا في كتاب بعنوان « القضية الفلسطينية » سبب لها نشره متاعب جمة . وقد تكون شعرت ان جمهور قراء الكتب السياسية يبقى محدودا مهما بلغ انتشارها ، ولهذا لجأت الى واسطة الرواية المثيرة المليئة بالمغامرات والعنف وحتى الجنس . بغية صدم الجمهور الغربي الراضي عن نفسه في برجه العاجي وايصال القضية الفلسطينية الى وعيه .

وفي هذا الهدف المحدد نجحت الرواية . فهي

ومن البديهي القول ان مجلة « شؤون فلسطينية » ما كانت لتعيا بنشر مراجعة لهذه الرواية لو لم تكن احداثها ووقائعها تجري بين فلسطين المحتلة وبيروت ولندن ، ولو لم تكن تحكي بصورة جزئية ولكنها رمزية حكاية ما يجري حاليا على مسرح الشرق الاوسط . ومع ان المؤلفة نفسها ربما كانت اول من يعترف بان لا قيمة ادبية لروايتها ، اذ انها من النوع الذي يتوسل الاثارة عمدا ، فان الغرض الذي ترمي اليه من ورائها هو سياسي ، ودافعها اخلاقي .

ولا تخفي المؤلفة تعاطفها مع الفلسطينيين وعطفها على قضيتهم العادلة . فهي تعتبرهم

والمغامرات ، بايقاع سريع ، حيوي مثير ومشوق لمعرفة من « قتل » بيتري ، عبر تحركات الشخص الرئيسة الأخرى : موريس ميلر اليهودي الأميركي الذي يتظاهر بخدمة الصهيونية ارضاء لشهوته الى المال ، وغواد غراوي رئيس جهاز سري في لندن تابع لدولة شمال افريقية تسعى لنشر الثورة الإسلامية ، وهاري ديفدسون سفير امريكا في اسرائيل ، وابو موسى احد قادة « المجلس الثوري الفلسطيني » ، وتاكيس ستامفروم اليوناني الفلسطيني الذي يقع ضحية المؤامرات الدولية ، ورجل ديني يعبد شهبواته الجنسية ، ويوسف الشاب المقدسي الذي تعذبه السلطات الاسرائيلية وتضطهد عائلته لتعاونه مع الثورة الفلسطينية ، واخيرا لا اخرا جوليا رايت، مراسلة الشرق الاوسط لمجلة « نيوزفيو » اللندنية وهي تذكرنا من نواح عدة بالمؤلفة نفسها .

هذه الشخصيات وغيرها تحيك خيوطا القصة المتشابكة والمعقدة التي لا تثبت ان تحل في النهاية . وللمؤلفة اسلوب مباشر ، وشيق وسريع . وربما كان القارئ الفلسطيني والعربي ، والمطلع على الاحداث الاخيرة في الشرق الاوسط بوجه عام ، يجد الرواية اكثر امتناعا لانه سيعرف الكثير من الشخصيات والاحداث ولانه سيجد نفسه امام قصة عاشها كل واحد منا . واذا كان لي من مأخذ عليها فهو انه ربما كان يجب على المؤلفة ان تسعى الى التوسع في تطوير بعض الشخصيات لتأتي اكثر اكتمالا . وكان بإمكانها ان تفعل ذلك دون ان تفقد الرواية حيويتها وتماسكها .

رجا جورج

مثيرة من غلاف الكتاب الخارجي الورقي الاحمر بلون الدم ، الذي يمثل يد انثى تحمل نجمة داود وتقطر دما ، وعبر شخصها الغربية والغامضة واحداثها العنيفة التي تكتنفها الاسرار وحتى الصفحة الاخرة التي تكشف بسرعة ووضوح وبراعة عن الحل النهائي للغز .

وتصدر المؤلفة روايتها بالجملة التقليدية : « ان شخص هذا الكتاب خيالية واي شبه في الاسم او الحقيقة لاي شخص حي هو محض صدفة » . ومعروفاً ، بالطبع ، ان هذه الجملة صارت تعني عكس ما تقوله . فبعض شخص هذه الرواية قد يكون خياليا بالفعل ، لكنه من غير الضروري ان يكون القارئ شديد الاطلاع على اسرار واطوار الشرق الاوسط ليتبين المصدر الحقيقي الذي استوحيت من بعض الشركات والمنظمات الرئيسية في الرواية وحتى بعض الشخصيات المركبة . بل ان الانسة غرغسون لم تبذل اي جهد كبير لاختفاء معالم بعض الاحداث الاساسية في الرواية .

ونذكر على سبيل المثال حادث القارة الصهيونية المجرمة التي ارتكبتها اسرائيل في شارع فردان، في بيروت، وادت الى استشهاده القادة الفلسطينيين الثلاثة . فهذا الحادث يبقى في وقائعه الاساسية بلا تغيير تقريبا ، ولم تغير المؤلفة الا الاسماء ، وكان أحدها اسم « ابو موسى » احد الشخصيات الرئيسية في الرواية .

ودون ان نقشي اسرار هذه الرواية التي تقوم بطبيعتها على كتم السر حتى الصفحة الاخرة ، نذكر انها تنطلق ، في الصفحة الثانية ، بانفجار السيارة في اميليو بيتري ، احد كبار موظفي «شركة نبط زوبليني» الايطالية الكبرى . وتوالي الاحداث

تعقيب على الملاحظات الواردة حول مقال صحافة المقاومة في عشر سنوات

حيث قلت « ان الحديث عن صحافة المقاومة خلال السنوات العشر الماضية حديث طويل ومنتشعب ، ويشمل موضوعات عدة ، لا يمكن الاحاطة بها جميعا ، ولو من باب التعريف الاول في مقال واحد » . ولا أخال الاخ الملاحظ يطلب مني أن يتسع مقالي - الذي زاد عن حجمه المقرر - لكل هذه القضايا ، فعندها لا يصبح مقالا بل كتابا ضخما .

وعليه ، فعمل الاخ عبد القادر يدرك انه لم يكن هناك « جهل أو تجاهل » بصحف المقاومة في الداخل ، ولا « استصغار » من شأن المقاومة داخل الاراضي العربية المحتلة ، بل ان هناك ادراكا ان هذه الصحف يجب أن لا يمر عليها مرور الكرام بالتعريف بها بذكر اسمائها فقط ، وانه يجب أن تعطى حقتها من البحث والتعريف الشامل بها ، لانها صحف مقاتلة وتعمل في ظروف صعبة وغير عادية كحال كل النشاطات النضالية السرية.

غازي الخليفي

في العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » أورد الاخ عبد القادر ياسين بعض الملاحظات على مقالي عن صحافة المقاومة ، وتقديرى ان الاخ عبد القادر لو نعلم قليلا في المقال ولا سيما الاسطر الاولى منه ، لما وجد حاجة لملاحظاته التي سماها « تجاهل صحف المقاومة في الداخل » . فني العمود الاول من الصفحة الاولى من المقال ، ترد الفقرة التالية : « في البداية لا بد من التمييز بين نوعين من صحف المقاومة ظهرت في هذه الفترة : ١ - صحف سرية ، وتشمل صحف المقاومة السريسة التي صدرت في الاراضي العربية المحتلة وفي بعض البلدان العربية في فترات متفاوتة ، وهي خارج نطاق البحث في هذا المقال . ٢ - صحف ونشرات علنية أصدرتها منظمات فلسطينية في فترات مختلفة ، وهي موضوع البحث هنا ، وتشمل فقط تلك الصحف او النشرات التي صدرت خارج الاراضي العربية المحتلة » .

ان هذه الفقرة توضح أنني حددت اطار البحث بالصحف العلنية فقط ، وتركت لباحثين آخرين أو أبحاث لاحقة مهمة الكتابة عن الجوانب الأخرى من صحافة المقاومة ، وحددت ذلك في مقدمة المقال

الياس خوري

ديوان إبراهيم

على امكانيات كسر العمود التي تمت لاحقا .
الاساسي في شعر طوقان ، هو هذه القدرة
العجيبة على الوصول الى ذروة الاهتمام بالوطن .
فالوطن ، يبقى موضوعا للشعر، أي تبقى القصيدة
الكلاسيكية عاجزة عن احداث فراغات في داخلها ،
تسمح للمكان الفلسطيني بالانماة فيها . لكنها في
المقابل ، حين تنوع على موضوع الوطن ، تحوله
الى هاجس من طبيعة سياسية غنية ، وتقوم بتوحيد
عناصرها ، داخل التلقي الجماهيري الواسع .
هذا التلقي هو موحد عناصر القصيدة المفككة بوصفه
فعلا أنيا ومباشرا . تأخذ آنيته معناها من كونه
يتعلق حول موضوعات محددة ، حول تفاصيل
تعيشها الحياة السياسية الفلسطينية في فترة
مقدمات الهزيمة . أما مباشرته ، فهي في قدرته على
احداث اثر واضح المعالم ، بشكل مباشر . انه
ضدى الحركة الوطنية . يحول مشاعرها وافكارها
الى ايقاعات تنبع من الذاكرة . فيجري مزج ايقاع
الذاكرة ، بآنية الحدث الواقعي ، في معادلة الاثر
السياسي المباشر للشعر . تصبح المقدمات الفكاهية ،
وشعر المجون ثم شعر الحب ، مجرد مقدمات
للوصل الى صوت فلسطيني شعري ، له ملامحه
الخاصة ، استطاع من خلال هذه الملامح مزج
موضوعتي الوطن - الارض ، بالفضال ، داخل
سياق قصيدة الموضوع الواحد ، التي تضيء مناطق
الحس الشعبي دون ان تصورها .

« هو بالباب واقف والردى منه خائف
ناهدي يا عواصف خجلا من جراته »

حول رمز الشهيد ، بدأ طوقان ، يمزج الوطن ،
بالفعل المعتر . فالشهيد هو الوطن المتحرك الذي
يصل الى الموت طلبا للارض . فالجولة التي قادها

بصدور الطبيعة الجديدة شبه المتكاملة لديوان
الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان ، تتقدم
الدراسات النقدية على أرض أكثر صلابة . فالتراث
الشعري الذي كان شبه ضائع لعبد الرحيم محمود ،
صدر مؤخرا في ديوان واحد . والان يصدر اكثر
شعر طوقان في ديوان واحد . يبقى شعر عبدالكريم
الكرمي (أبو سلمى) بحاجة الى الجمع في كتاب ،
حتى تكتمل صورة مرحلة شعرية كاملة ، طبعت
بدايات الصوت الشعري الفلسطيني بطابعها في
الثلاثينات والاربعينات ولا تزال الى اليوم فاعلة
ومحركة ومؤثرة . فالصوت الشعري الفلسطيني ،
حمل في هذه المرحلة ، قضية الشعر الى جانب
قضية الوطن ، ومزجها داخل نبرة كلاميكية
وظيفية ، استطاعت ان تحصل المؤشرات الاولى
للتطور اللاحق الذي عاشه الشعر الفلسطيني الى
اليوم .

أهمية طوقان هي ، كما يشير احسان عباس في
دراسته القصيرة المشهورة في آخر الديوان ، في
كونه « أكبر شاعر أنجبته فلسطين حتى اواخر
العقد الرابع من هذا القرن » . وهو ككل شاعر
كبير ، حبل داخل قضية الشعر وجهة متماسكة
طبعت جميع مراحل انتاجه الشعرية . فروح النكتة
والنثرية البليغة ، حين تدخل الشعر ، فانها تطبعه
بنكهة خاصة ، سوف تكون مؤشرا لمحاولات طوقان
التنوير داخل عمود الشعر الكلاسيكي على بنية
القصيدة ، ليفتح فيها ، انطلاقا من النشيد
السياسي ، فجوات تقربها من الموشح ، وتفتقها

✻ ابراهيم طوقان : ديوان ابراهيم . دار القدس ،
بيروت . شباط ١٩٧٥ .

هكذا نهبت الشهادة . والوطن هو نشيد تتنوع انغامه في بساطة ودون تعقيد .

ان روح الفكاهة التي تجلت في شعر طوقان ، لا تغيب عن اية دراسة جادة لشعره . فالفكاهة ، في آخر المطاف ، تخدم هدفا سياسيا . طالما كان هذا الهدف هو المحرك الاساسي لرحلة تاريخية تميزت بالانتفاضات الجماهيرية المستمرة . فهي مع أشعار المجون (التي لم تنشر في هذا الديوان تشكل خلفية محاولات طوقان لبناء القصيدة الوطنية المتكاملة .

مع شعر طوقان ، نعود لتذوق ، بعض معاني الكلاسيكية النضالية ، التي تأخذ معناها الفطسي في الشعر المعاصر الذي يتجاوزها . فمن خلال تجاوز هذه التجربة ، تؤثر مرحلة البدايات الشعرية على امالتها . بوصفها بداية لا يتطور منها الشعر ، لكنه يبقى مخلصا لبعض نقاط انطلاقها .

طوقان ضد بانمي الاراضي ، لم تكن تعني سوى فتح الباب امام الفعل النقيض . التحرك نحو الالتحام بالارض . فحين تركز قصيدة طوقان على مفهوم « الوطن » فهي ترسم اشارات لمعنى الالتحام بالوطن ، كما في قصيدة « الثلاثاء الحبراء » : هنا يتحول الشعر الى نشيد ، لا هدف له سوى التحلق حول فعل الموت ، والوصول من داخل هذا الفعل الى الثوابت الجديدة لحركة النضال الفلسطيني :

«أنا ساعة الرجل العتيق أنا ساعة البأس الشديد
أنا ساعة الموت المشرف كل ذي فعل مجيد
بظلي يحطم قيده رمزا لتعظيم القيود »
في « الثلاثاء الحبراء » ، حاول طوقان لونا شعبيا غنائيا . أرادهم نشيدا ، ينقل الاحساس الشعبي ، ويصبه في قالب شعري ثم يعيده ليصنع من جديد على لسان الناس . الشاعر هنا ، ينظر الى الموت ، بوصفه حدثا اجتماعيا - سياسيا . فالموت هو ارادة تغيير تلتقي بارادة الله ، او

لغة الحلم والاحتمال

انعكاسا رؤيوبا للعالم ، ترسه وتعيد صياغته من موقع تغيتت عناصره واعادة ربطها داخل بنية القصيدة ، التي تصير جزءا من العناصر المستقبلية التي يفرزها جدل الواقع الموضوعي :

« تساملت حين دخلت المدينة عن خان أيوب
ما دلني احد

فالتفت ببعضى ونمت » .

وفي مجموعته الشعرية الجديدة « تحت جدارية فائق حسن » . يتابع سعدي يوسف خط بحثه الشعري ، يرسم لفته الشعرية من داخل عناصر الواقع الاكثر بساطة ، ويستعين بالحدث ليحقق استدارات القصيدة . فتصبح القصيدة لحظة ، او استجابة للحظات متتالية ، يوحدتها الحلم الواقعي ، والالتكاء على قدرة الشاعر في غسل لغته اليومية وجعلها ببراءة ومنحنية ، عبر استدارات غنائية تحقق ترابط عناصر الحلم ، حتى

في « الاخضر بن يوسف ومشاغله » ، كان سعدي يوسف لا يزال يتابع بحثه عن لغة الواقع التي تقتبس بشغافية الرؤيا الغنائية ، متجاوزة اياها الى محاولة طرح لغة القصيدة بوصفها مدخلا الى العالم ، تعيد توحده في سياق شغافية التعامل مع الأشياء التي تصبح هنا موحدة وممتلئة بالشعر . ففي قصيدة « البحث عن خان أيوب » ، في حسي الميدان بديشق » ، يرتفع التساؤل مصحوبا بعالم يتداخل في جسد الشاعر ، ومنه الى لغة الشعر ، فتصبح القصيدة علامة لتوحيد الشاعر بالشعر . أي يرسم الاق اللغوي علاماته داخل جسد الشاعر الذي يصبح جزءا من بنية القصيدة ، وتتحول شغافية اللغة الى شغافية العالم ، فتصبح

سعدي يوسف : تحت جدارية فائق حسن ، دار الغرابي ، الطبعة الاولى ، بيروت ، آب ، ١٩٧٤ .

التي جئنا لها

تمل ... انها السالكون »

في الجملة المستديرة ، التي تركيبة منها القصيدة الاولى في المجموعة « نحن لم نحتكم » ، محاولة للوصول الى جملة شعرية مفتوحة ، فالفواصل التي تقيها الغافية ، هي استدارات داخل جملة واحدة ، تحمل احتمالات عديدة لوقف واحد . فالتشبيه البسيط الذي يبدو من خلال الاكثار من ادوات التشبيه ، كالبداية ، كالمتهى ، هو تشبيه تجريدي ، لا يأخذ مدلوله الا داخل حركة العناصر ، فيمزج العنصر الانساني بالطبيعية ، البنائى بالعشبي ، ليؤثر الى الطريق التي لم تمل « انها السالكون » . هذه العناصر المتعددة حين تمزج تؤدي في بساطتها الى اكثر من امكانية دلالة شعرية . فدلالة الشعر هي في ما يقوله وليس في معنى ما يقوله . هذا الافتراض ، لا يتحقق الا داخل استدارة الحلم في جسد العناصر الواقعية ، وحين يختار سعدي يوسف بساطة اللحظة الانسانية ، يبحث عن اعماقها ، فلا يبقى اسم الخط الواحد ، يصبح الواثق اشارات لا تنتهي داخل دلالة اللغة الشعرية التي تعيد تنظيم الدلالات بوصفها احتمالات فعل .

اما حين تأتي الغنائية المباشرة ، كما في قصيدة « في تلك الايام » ، فانها تأتي داخل اتباع متوتر ، يلتقط ادق التفاصيل ويمزجها ببعضها ، ثم يزاوج بين اكثر من مصطلح ايقاعي واحد ، يعود الى اشكال الشعر الشعبي ليستمر منها ابتاعاتها ، ويصل بشكل مباشر الى الرسالة السياسية التي تقع خلف القصيدة :

« اولم تتطوع في مدريد ، اما قاتلت وراء مداريس

الثورة في بتروغراد ، ألم تقتل في اشراب المنطق » .

لكن لغة الرسالة السياسية ، لا تستطع في برودة الشعر المباشر ، تبقى في غنائيتها طموحة للوصول الى توفير جميع تفاصيلها ، فتعي التفاصيل ونحن ننسأها ، وتصبح اللحظة الشعرية ، لحظة حركة كأنها حلم ، يستجيب عناصر الواقع بوعي ويعيد سكبها من جديد .

ليبدو وكأنه تطلع من الحدث اليومي لم يتم الشاعر الا بالتقاطها . هنا تقع الاضافة الاساسية التي يحتقها هذا الشعر . فهو لا يقع في مأزق « واقعية » الخمسينات ، حين كانت البداية في رحلة التبريد على عمود الشعر بوصفه شكلا . وكانت القصيدة « الواقعية » مجرد التقاط لبعض عناصر الواقع الاجتماعي - السياسي ، وربطها في سياق ايدولوجي مكشوف ، ومحدد الغايات . حيث اللغة حادة الاطراف ولا تحتل اي انحاء ، وحيث عناصر العلاقة الاساسية تأتي من خارج القصيدة . فالعلاقات التي ترسبها القصيدة ، هي مؤشرات على علاقات « الواقع » ، ولا تنفخ تأثيريتها الا داخل لغة سياسية واضحة ، تستعيد الشعار وتعيد صياغته في هاجس تحريضي . هنا تستقيم المعادلة في طرفين واضحين . البداية والنهاية ، الشعر وتلقي الشعر . وتنسحب احتمالات بنية للقصيدة نفسها لتتحول خيطا رفيعا وحادا لا يحتمل التأويل . سعدي يوسف ، يبقى واقعا بالمعنى النقيض لهذه الواقعية البسيطة . انه مليء بالاحتمالات والجدل ، كحركة الواقع ، لا يكررها ، بل ينتقي عناصرها ويعيد صياغتها داخل القصيدة . فتبقى القصيدة شفافة كمناء هادئة ، نعتد للوهلة الاولى انها ليست اكثر من انعكاس للواقع في احداثه اليومية . لكننا نكتشف بعد حين عمق الماء الذي يعكس والذي يعيد في حركته صياغة ما يحاول كشفه .

لغة الحلم واشارات الواقع

« تحت جدارية فائق حسن » ، محاولة اخرى لمزج اللغة بالحلم . الدلالة واضحة العناصر ، لا تبحث عن عمق خاص او تعقيدات في التجربة . انها التجربة المباشرة وقد لبست لغة الحلم . هنا تصبح الدلالة احتمالية ، فتتركب عناصرها من اكثر من مصدر واحد ، تكتشف سلسلة من المواقف المتداخلة ، التي هي التعبير عن حركة الحلم داخل الواقع :

« منذ ان كنا صغارا عرفناك ، في وطن ، انت سميتة ...

في رجال تخيرتهم كالبداية ... كالمتهى ... نحن لم نحتكم ،

والبنادق والعشب لم تحتكم مرة ، والطريق

الحدث والإيقاع

هكذا يتقدم الحدث لولينا ، انه ليس تراكما للزمن ، انه تراكم الزمن في القصيدة . وهذا ما يميز الشعر عن لغة الايصال المباشرة . لذلك تصبح لغة الشعر بحثا عن اللغة ، وليست صيغة جاهزة . وتأتي الصورة في عناصرها البسيطة امتدادا لمحاولة اكتشاف الزمن المتحرك ، زمن الجدل في القصيدة . فتصبح دلالة الصورة الشعرية ، دلالة رؤيوية مباشرة . انها لا تقسيم توازيات من خارج السياق المثلث الذي اشرنا اليه ، فهي امتداد للعناصر الثلاثة التي تتكون منها القصيدة بشكل عفوي وواضح :

« والرباط قزيبية :

اسوارها الصفراء تدنو وهي تهبط

ثم تدنو وهي تهبط

ثم تدنو وهي تهبط

كانت الاسوار اشجارا واطفالا وماء .

هذه التدايعات المائية، تأخذ الصورة الشعرية، بوصفها امتدادا لماء النهر الذي يغرق فيه بين بركة والشاعر ، لذلك تصبح الاسوار صورة لايسط عناصر الطبيعة ، الشجر والماء ، وللمستقبل ، الاطفال . وتتقدم القصيدة كسلسلة مواقف في لحظة الموت ، وكان الحدث الذي تجري صياغته هو استجماع للحظة الموت حين تصبح رمزا سياسيا .

الإيقاع ، داخل بنية القصيدة

تأتي بنية القصيدة في هذه المجموعة ، وكانها سيل بلا ضوابط . لكن عنصر الضبط الخجول ، الذي يتحكم بها ، يقع داخلها ، في استدارة الحدث الذي يربط مفاصل القصيدة ، وفي الحالة التي توحد عناصرها المختلفة . فتأتي القصيدة وكأنها انسياب يمزج بعض عناصر الذاكرة الشعرية الحديثة ، بنفس مأساوي ينساب داخل ايقاع بسيط وهاديء . يلجأ الى التكرار احيانا ، او يبتدئ في رؤية تحاذي الرومانسية دون ان تسقط فيها ليحاول اكتشاف العالم :

« فالعشب بين الصغرة والنجم البارد ... طال

والليل المتطاوول طال

والشعر على الناصية الثورية طال

في قصيدة « أوراق من ملف المهدي بن بركة » ، وهي اهم قصائد المجموعة ، يحمل الشاعر الأحداث التفصيلية في رؤية للقصيدة المركبة ، نادرة ومذهلة . هنا تأتي التفاصيل دقيقة وتنصليية ، لكنها تختلط ببعضها . فالقصيدة تضرب السياق ولا تمس التفاصيل ، فتصبح دلالات التفاصيل مضاعفة . او انها تتحول عن دلالاتها بوصفها أجزاء ، او كلا يوميا ، لتصبح كليتها من نبط اخر . فمخضية المهدي بن بركة ، تختلط بشخصية الشاعر والقارئ معا . الشاعر يمتزج بالبطال القتيل ، وفي امتزاجه يفترض قارئنا يعيد ترتيب التفاصيل التي يسوقها بصيغة جديدة . فتكتمل معادلة القصيدة وترتكب

« في الصباح تأخر عن شرب تهورته ، ظلت المفرقة

الجانبية مغمورة بالضيء الى الفجر ... هل

كسان

يقرا ؟ باريس نفتحتها شاحنات الاقاليم بالجزر المتورد والخضرة المشبعة .

في هذا المقطع الذي يقترب في حديثه من لغة القصة القصيرة ، تقيم القصيدة خطأ لنمط تدايعاتها . فهي تتداعى في ثلاث مستويات : مستوى وصفي : يعيد وصف الفعل الانساني في حركته اليومية ، الغرفة ، القهوة ... مستوى الانتقال الموضوعي : وصف حركة الخارج التي لا تمس بن بركة - الشاعر - بشكل مباشر ، ولكنها تصنع عناصر المدينة . ومستوى العالم السداخلي : الموت ، النضال ، الذي يوحد المستويين الاولين في شفافية مذهلة في قدرتها على مزج اللحظات :

« مترقدا بين انكسار الضوء والحجر القديم

يداي موثقتان خلفي

دارت الاسماك حولي

يكتب الملح في التماعها السماء .

هذا التوحيد ، يتم في سياق القصيدة الحديثة التي يصغر شعدي يوسف على استعمالها ، فتصبح وكأنها الاطار الذي تبحث فيه قصيدته عن نفسها عمقا .

« أوراق من ملف المهدي بن بركة » . هذا التأرجح الذي يظهر في بعض القصائد هو ضريبة الانتقال بمفهوم القصيدة نفسه من كونها سلسلة معان الى تحولها الى مجموعة مواقف تحتضن الواقع وتعيد صياغته .

في مجموعة سعدي يوسف الأخيرة ، نتابع معاناة البحث عن القصيدة الجديدة ، التي تعيد صياغة الواقع الشعري ، وتعيد الى الكلمة دلالتها كجزء من السياق الذي لا ينفذ في قراءة واحدة .

يا سيدة الزمن المتثل ...

نلمن اقرا حتى الان كتابا اول ؟

خلف استدارات الحدث الذي يصيغ بنيسة القصيدة ، يقع ايقاع هاديء ، يقترب من لغة النثر ويحاذيها ، ينساب ببساطة تجعله يسقط في بعض الاحيان في الحدث نفسه او يرفص جملا الى جانب بعضها كما في قصيدة « نجمة سبارتاكوس » . دون ان يتقدم الايقاع ، ومع انفلاشات لا مبرر لها لبنية القصيدة ، فيعود الموضوع هنا موحدًا ، وليس عنصرا خفيا داخل السياق كما في قصيدة

اقبل الزمن المستحيل

الى رموز التراث ليست عودة رمزية ما عدا في قصيدة واحدة ، حيث يركز الشاعر على وضعية احراق السفن في زمن طارق بن زياد . الرمز هنا غائب انه مجرد إشارة ، تلتقط الذاكرة التراثية الشعرية ، وتقوم بوضعها داخل شروط جديدة . من هنا تكتسب الاشارات الرمزية في القصيدة دلالة آتية تأخذها من سياقاتها الشعرية الجديد وليس من مضمونها التراثي . لكن هذه الدلالة ، لا تتحصر في المقابل من شروط استخدامها الجاهز ، لذلك يخطئ زمن الذاكرة بالزمن المعاصر الذي تحاول القصيدة صياغته ، وتقع على صراخ حاد ، نكتشف في داخله صوت الشاعر الذي يقف على مشارف النبوة دون ان يصيغ لغتها .

زمن الفقراء

« يشهر السيف جوعي ، وخوفي تمزق

كيف اخبئ سيفي وجوعي معي ؟

والطريق استحال صحاري » .

زمن الفقراء ، هو زمن البداية في هذه المجموعة . صوت الشعر ، هو محاولة للوصول الى التعبير الحقيقي عن الحزن والام ، انطلاقا من هذا الجوع الساحق ، الذي يحول الارض الى صحارى في زمن هش ووليء بالفرغات . بين فراغات الزمن ، الهزائم ، يرفع الفقراء صوتهم النبوي . وصوتهم هو في النهاية ، صوت الطريق الى الخلاص الاجتماعي الحقيقي ، فهم الذين يحملون الوطن

يستعير ممدوح عدوان لنفسه صوت النبوة ، فهو في مجموعته الجديدة « اقبل الزمن المستحيل » ، يضع صوته الشعري داخل انبيارات الزمن العربي ، ليكتب مرثية للزمن الذي يتعامل معه من خلال مستويين : مستوى داخلي ، وصفي ، حيث يحاول النقاط محاور هذا الزمن ، فجيعيته ، وانهاراته ولا ثباته . هنا تستعير اللغة الشعرية جميع عناصر المحاكاة ، والوصف والتشبيه . انها تحاول ان تلتقط من خلال الظاهرة الاجتماعية ، محاور الواقع ، فتتغرس في تفاصيله ، تلتقطها لا لتقدم صورة عنها ، بل لتضعها في المستوى الثاني ، الذي يشكل مفتاح فهم التجربة الشعرية في هذه المجموعة . هنا يرتفع الرثاء النبوي . مجموعة عدوان ، هي محاولة لرثاء الزمن العربي ، انها نبوءة عكسية ، لا تتنبأ بما سيحصل ، بل بما حصل فعلا ، اي انها ليست مرثية شاملة ، بل محاولة للرثاء بوصف الشعر اكتشافا واعادة اكتشاف الواقع . بين هذين المستويين ، تتشكل قصائد المجموعة في صوت واحد ، وموضوع واحد ، بنوع اشكاله ليخلص الى نتيجة واحدة . من هنا ضهور البحث التشكيلي ومحاولة اقتلاع عناصر تراثية ووضعها في صيغ جديدة . هذه العسودة

ممدوح عدوان : اقبل الزمن المستحيل . منشورات

اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الطبعة

الاولى ، تشرين الثاني ، ١٩٧٤ .

كاتبها داخل القصيدة . فغائى الحكمة تعبيرا عن
— أنا — الشعر ، لتتخذ الفعل والوصف ، من
الفرق في تفاصيل الواقع الذي يتحول الى سلسلة
كوابيس :

« ليس بين الوباء ، وبين الوباء سوى الاويثة
المياه تجم ، وبرتك لا يتكشف الا عن الموت » .
زمن الفقراء ، هو زمن القصيدة . مبنية
القصيدة ، التي تراوح بين مستويين ، تسمح
لصوت الشاعر بالامتداد أفقيا ، فهو يطال الكثير
من عناصر الواقع ، يرثيه ويشتهه . ويجلس على
اطراف النهايات ، مترقبا ، في لحظة يأس وموت
وأمل . هذه المتناقضات التي تعبر عنها القصيدة ،
تبقى على مستوى اللغة الشعرية ، منبسطة
ومحددة . اي لا تقوم بنقل أوجاعها الحقيقية الى
القول الشعري ، فتعيد تشكيله . اي ان القصيدة
تقيم تفاوتنا بين النبوءة والشعر . النبوءة هي محاولة
للوصول الى نهايات العلاقات ، الى تحولاتها
الدائمة ، الى ثوب الزمن السذي ترشح منه
الهزائم . والشعر لا يزال حاد المسببات . يعامل
الكلمة بوصفها حدا ، لا يشكلها ، لا يمزج مجموعة
الكلمات في جملة شعرية جديدة ، تكون جوابا
فعليا على طموحات النبوءة التي يحملها الشاعر
في محاولته هذه . ان هذا التفاوت الغالب في بنية
القصيدة هو محاولة لاستكمال بعض عناصر المزج
الحاد بين لغة الشعر ولغة الايديولوجيا السياسية .
بين اللغتين أكثر من قاسم واحد ، لكنهما يفترقان
عند نقطة الدلالة . فبينما تحاول لغة الايديولوجيا
السياسية الوصول من خلال عناصر الجملة
الواضحة الى اتصال يبدو بريئا وهو مليء
بالمسببات ، تحاول اللغة الشعرية الوصول الى
كشف تناقضات المسببات علنا ، عبر محاولتها
تخطئ السائد والتعارف عليه والمصطلح الجاهز .
في شعر عدوان ، محاولة لهذا الخروج ، لان زمن
الفقراء ، هو وحده القادر على الوصول الى هذه
المعادلة الفنية الجديدة . لكن هذه المحاولة
تصطدم دائما بسرعة التمعيدة . وسرعتها بالمعنى
المحدد للكلمة ، اي ارادتها في استباق نفسها
للوصول الى نتائج وضعتها سلفا ، تعطل امكانية
التشكيل والمزج والوصول الى ما تريده من
نبوءتها .

على اكتافهم ودمائهم ويسيروا ، والفقراء الذين
يحملون سيفهم هم السذين يناظرون ، عندهم
« يستوي الامر » ، لان « للموت حخته الواحدة » .

زمن الفقراء يتكون بين « الأنا » و « الفعل » .
جملة عدوان الشعرية ، تبدأ هكذا . بين « أنا »
الشاعر — الصوت . وفعل الامر او العالم حين
يتحرك بوصفه فعلا . والنبوءة العكسية هي علاقة
« الأنا » بالفعل — الواقع » . في هذه العلاقة
يصبح القول الشعري ، خلاصة للحركة ، والحركة
هي الاخرى حركة عكسية . انها حركة الماضي
الترتيب :

« كل نبع يحاصر

لم يبق للشرب الا الدماء

من ضفاف المحيط الى كربلاء

وحدثنا فوق رمل البلاء هويانا

انفخنا على الرمل حتى انفجرتنا عفونة » .

هذا المقطع الشعري من قصيدة « سيايتكم
زمان » . يلخص معنى النبوءة العكسية في هذا
الشعر . انه يصف ، يلتقط عناصر الطبيعة ،
يزجها بعناصر الواقع (نبع يحاصر) و (الدماء) ،
ثم يلتقط رمزا تراثيا (كربلاء) ليجمله مفتاحا
لفهم المناسبة الجديدة . واذا كانت أنا النبوءة لا
تظهر هنا ، فهي مضرة داخل ايقاع هذا المزج
المركب من العناصر الذي يشير اساسا الى
دالتها . فتتوحد الأزمنة في زمن السياق ، ويصبح
زمن الفقراء ، هو زمن الرؤيا المأساوية المطبقة
على الواقع العربي ، بوصفه تلملا ومحاولا
نمل . عند نقطة التسلسل والفعل هذه يكشف
الصوت النبوي ارضيته الواقعية . انها تتمثل
اساسا في ارادة القتال التي يحملها المتآمل
الغسلطيني بوصفها رمزا ، او تجسيدا للصوت
النبوي الذي يستعيره الشاعر . فغسلطين هي
« العلامة الفارقة » التي تطل « وسط جبين
الوليد » . مستقبل النبوة هي الفعل الثوري .
هذا الفعل يتحقق عيانا ولو بشكل تأخيري ،
انه علامة المستقبل . لكن هذا القوق الى الانفراس
في المستقبل واكتشاف ارضية حركته ، لا يتنازل
عن مأساوية الموت ، لذلك يستعيد الشعر صوت
الحكمة الغربية . يرسم حكمة جديدة منتقاة من
عناصر الواقع ، او يعود الى الامثال ليعيد

انه رديف الفعل الثوري . لذلك تقف مجموعة عدوان على مشارف البشارة . تحمل التزامها الحقيقي وتبحث لصوتها عن مؤشرات اضافية ، تعطيه ملامح المستقبل .

صوت الفقراء ، الذي تحاول هذه المجموعة رسم بدايات ملامحه ، هو صوت متفجر ، فالقصيدية هي بركان ، لا يكتفي بالرصف الوصفي ، بل يحاول الانفجار بشكل دائم ، ليفسل العالم .

حول المحاولة الروائية

— ١ —

انه غطاء العلاقات الحقيقية ، بحجبها ويشترط النظر اليها داخل سلم من القيم الاخلاقية والاجتماعية . وكذلك لا يمكن الوصول الى هذه العلاقات في بنية انسيابية ، تطويرية . فالنظرة التطورية التي ترسم حركة الشخصيات بوصفها حركة ارادات فقط ، تكشف عن عقدة الرواية التي لا يمكن حلها الا داخل احتمالية المنتظر . والمنظر في عرف التلقي هو الجاهز الذي لا يمكن اختراعه . النظرة التطورية التي جاءت وليدة لعصر السيطرة البرجوازية المطلقة ، تنهار اليوم ، مع انهيار هذه الطبقة ، وانحدارها وانحطاط قيمها ، التي اصبحت مجرد غطاء شفاف لممارسة القمع الاجتماعي . التطور المتناسق ، هو وليد ثبات اجتماعي نسبي . او بتعبير أدق ، هو وليد نظرة ثابتة الى هذا الواقع الاجتماعي ، وهو بهذا المعنى ، لا يمكن ان يكون واقعيًا ، رغم وجود شخصياته المتنعة داخل الحقل الروائي .

هذان المازتان : مآزق اللغة الوصفية ، ومآزق العلاقات التطورية ، هما التعبير الواضح ، عن مآزق الرواية في العالم . لكنهما في حقل الثقافة العربية ، يبدوان أكثر انكشافا . فالرواية لا تزال فنا ، جديدا وسريع العطب . انها لم تؤسس بعد قناعات ثابتة جديدة ، تعقلت واصبحت مقياسا يجب كسره . من هنا هذا السياق المترجرجح لخط التطور الروائي العربي . تتناوب جميع عناصر الرواية الغربية ، في احتلاله ، دون تغليب مقدمات هذه العناصر . أي يكتفي فقط بالانجاز الجاهز ، ليجري تطبيقه تجريبيا ، فيتع الكاتب الروائي ، ضحية نتائجه التي لا يستطيع صياغتها ، لانه لم يكشف من داخل كتابته اطارات خاصة تسمح له بالتعبير عن خصوصية التفنت الاجتماعي العربي ،

تقدم الرواية العربية ، نموذجا لحالات البحث عن الذات ، التي يحاولها الادب العربي . فهي أكثر الفنون انكشافا على الواقع واغترابا عنه في آن : يأتي انكشافها من طموحها الدائم ، لتصوير الواقع ، عكسه بطريقة ما ، عبر استعادة علاقاته . انها تحاول التقاط الشخصية واستنطاقها ، دفعها الى التحرك داخل شبكة العلاقات الاجتماعية . اما اغترابها ، فهو وليد معاناتها الشكلية . انها لا تزال رغم انجازات محفوظة والطيب الصالح وغيرهما ، مجرد محاولات للتجاوز . فتجربة محفوظ « الواقعية » لم تعد مقنعة ، بل هي نفسها تحاول الخروج من الاطر التي رسمتها لنفسها في « الثلاثية » . هذا الخروج هو في البداية محاولة وصول الى التجريب الذي لا يستطيع الاستقرار في خط واحد . لذلك فهي عندما تحاول عكس الواقع تغترب عنه . فالواقع ليس في العلاقات المكشوفة ، انه العلاقات التي تحدد مسار العلاقات المكشوفة . هذه العلاقات لا يمكن الوصول اليها ، عبر لغة عادية . اللغة العادية ، أي لغة الوصف هي شرك ايديولوجي ، انها وعاء جاهز يحمل ثوابت النظرة الايديولوجية الى الواقع .

- ١ — غادة السمان : بيروت ٧٥ . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٧٥ .
- ٢ — عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط . دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كاتسون الثاني ١٩٧٥ .
- ٣ — توفيق نياض : المجموعة ٧٧٨ . دار القدس ، بيروت ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الطبعة الاولى ، تشرين الاول ١٩٧٤ .

الطبقات ، لتفسخ اجتهامي انهيارى تعانیه بیروت ، یصل ببطلها الى مستشفى المجانین . وفي الروایة الثانية « شرق المتوسط » ، یقدم عبد الرحمن منیف ، استكمالا لاغتيال « مرزوق » . القمع داخل السجن هو اطار الروایة ، لكن السجن هو في الداخل ، والخارج . حركة السجناء وحركة الاحرار خارج النضبان ، هي حركة واحدة . تقود في النهاية الى الموت على حافة الجنون . وتقدم الروایة الثالثة « المجموعة ٧٧٨ » ، تسجيلا لتوفيق نياض عن مجموعة فدائية تابعة لحركة فتح وعاملة في الارض المحتلة . یقدم التفاصيل وتفاصيل التفاصيل لیبقي مخلصا لدقة العمل التسجيلي الذي یقوم به . اذا كانت الروایتان الاولیان ، تشترکان في كثير من السمات . الموضوع الواحد اساسا ، وان اختلفت طريقة اكتشافه ، فان الروایة الثالثة ، هي مقدمة ، ما قبل الروایة النضالية الفلسطينية . غالتوقف عند التسجيل التفصيلي ، یصل بلفه الاعلام الصحفي ، اكثر من اتصاله بالادب ، رغم ان التسجيل هذا ، یستطیع اذا اعيد تقطيعه وتعميمه ان یحول الى وثيقة نادرة .

ان معالجة ثلاث روايات ، لا تنتمي الى موضوع واحد ، او لا تجعلها مدرسة ادبية معينة ، هو مغامرة . لانه قد يبدو كلاما لا معنى له ، لكن هدف هذه المعالجة النقدية ، هو التقاط المفاصل ، التي تجعل من مسيرة الروایة العربية ، مسيرة اغترابية . وهذه الروایات لا تؤخذ هنا ، الا بوصفها مؤشرات .

— ٢ —

« بیروت ٧٥ » ، هي محاولة لكتابة رواية متوازية . الشخصيات الرئيسية ، لا تنتمي الا سلبا . فرح ویاسینة ، یلتقيان لحظة السفر من دمشق الى بیروت . ثم یفترقان . یعودان الى الالتقاء من جديد بشكل سلبي من خلال اطارين : الطائرات الاسرائيلية المغيرة على بیروت . فرح یفاجأ بموقف اللامبالاة في شارع الحمراء ویاسینة تبعد عن جسد نمر وهي معه في یخته ، ثم یشرح لها ان هذه الطائرات لیست مسنوی لتخويف الفدائيين ، فتقرب منه من جديد . ویلتقيان من خلال علاقاتهما . فرح القادم من « دوما » الى بیروت بحثا عن الشهرة ، ویصبح نجم غناء بفضل قریب له شاذ جنسيا هو نیشان ، المليونير .

نیبقي مبهزا ومكشوفنا ، بین مثال یضعه و بین واقع یحاول وصنه .

قد تكون الصورة ، التي رسمناها ، لاطر تحرك الروایة العربية بالغة القتامة . وهي بالفعل هكذا . انها محاولة لتصور المازق المجدد الذي یطوق الممارسة الروائية ، ویمسك بتحريكها المنفصلی . غیر ان هذا لا یمنع بعض المحاولات الروائية ، من اختراق هذه الدائرة . هذه المحاولات ، تبقى رغم عزلتها وعدم استقراريتها ، منافذ استطاعت الممارسة الاجتماعية بمعناها الثوري ، فغصها داخل الممارسة الادبية . هنا تأتي بعض الامثلة لتؤكد على صحة الموضوع . فاذا كان كنفاني قد استطاع في بعض نتاجه الروائي ، ان یصل الى بدايات صياغة رؤية نضالية داخل الحقل الروائي ، فانه قد اكسب الممارسة الفنية انجازا بالغ الاهمية . هذا الانجاز هو اساسا توليد الواقع مأسويته من داخل حركته . هذا التوليد الذي یقدمه الواقع الفلسطيني — واقع النزوح والانتفاضات الثورية ، تجري محاولة غرسه كحركة داخل الروایة . دون ان یعنی هذا ان كنفاني استطاع التحرر من مسبقات اللغة او التطور ، لكنه حاول اختراقها بالحكمة الشعبية (ام سعد) او بمحاولات التوازي (الاعمی والاطرش) . نستطيع ان نسوق العديد من الامثلة الروائية على محاولات الاختراق ، وعلى ابراز التفاصيل الحقيقية كعالم روائي (ايام الانسان السبعة) . لكن هذه المحاولات هي جزء من معادلة عامة . التجريب المستمر ، دون القدرة على الوصول الى ثابت یصلح ان یكون منطلقا ، نیبقي في حدود المحاولة ، ونرسم اطارات التساؤل .

— ٢ —

تصلح هذه المقدمة العامة ، كأساس لمناقشة ثلاث روايات عربية صدرت في وقت واحد تقريبا ، وقاسمها المشترك ، ليس في موضوعها ، فكل رواية هي عالم مستقل بنفسه ، ولكن في الثابت الايديولوجي ، الذي يحكم مسارها . وهي بذلك تقدم نموذجا عينيا ، على ما حاولناه في مقدمة ، قد تبدو نظرية ومجردة .

الروایات الثلاث هي لفادة السهبان ، وعبد الرحمن منیف وتوفيق نياض . في الروایة الاولى « بیروت ٧٥ » ، تحاول غادة السمان ان تقدم لوحة اجتماعية ، تتنهل فيها شرائح مسن جميع

شخصيته . وكوابيسه المرعبة ، حيث ينهار الزمن .
وتصبح الأشياء علاماته الوحيدة لاكتشاف نفسه
التي اضاعها . ولا ينفذه مؤقتا الا الهرب من
مستشفى الجنائين باللوحه التي تشير الى المستشفى
ووضعها امام مدخل مدينة بيروت .

اذا حاولنا اكتشاف موحد لهذه العلاقات المفتتة ،
غاننا لن نجد سوى المكان . بيروت هي الموحد
الوحيد . وبيروت هي هنا شبكة من العلاقات
الاجتماعية التي تسيطر عليها البرجوازية التجارية
المنهارة . ولكن هل يكني المكان بهذا المستوى
وحده ليشكل عامل توحيد للرواية ؟ ان المتباس
الاساسي الذي يجب ان يحاكم عمل ادبي على
اساسه ، هو افتراضات العمل عن نفسه .
فروايات الشخصيات تفترض اساسا شخصيات
مقتعة ، وليس مجرد نماذج يمكن استنطاقها ما
نريد ، والشخصية المقتعة لا تتكون الا داخل
تطورها نفسه وداخل علاقاتها ببقية الشخصيات ،
حيث يصبح التطور تداخليا . فالشخصية تضيء
نفسها في علاقاتها بالشخصية الاخرى . هكذا نصل
الى علم تخلقه الكتابة الروائية . اذا اعتقد هذا
العالم ، يحق لنا ان نسال عندها الاسئلة الاولية .
كيف تصنف هذه القصة ؟

في المكان نفسه ، بيروت ، تتعايش ازمنة
مختلفة . التوازي في الشخصيات ، يبقى هذا
التفاوت الصارخ ، فكيف يمكن اقامة عناصر
الوحدة ؟ يمكن ان تأتي الوحدة في مستوى آخر .
مستوى الكتابة . فزمن الكتابة هو الزمن المحدد
لمجموعة ازمنة العمل الادبي . ماذا نعني بزمن
الكتابة ؟ نعني به اساسا خلق مناخ خاص ،
يعارض التسلسل الذي تجري فيه الاحداث ، او
التي اصطلح انها تجري به ، ليكشف من خلال
زمنه العالم من وجهة جديدة . تختلط في هذا
الزمن اللغة بالعلاقات . فاللغة هي عالم العلاقات
التي يجري نسجها ، والعلاقات هي لغة جديدة تتم
صياغتها في رؤية موحدة ، تتعدد فيها المستويات ،
لكنها تبقى موحدة بمعنى الوحدة الجدلية التي لا
تحو التناقضات ، بل تتجاوزها الى تناقضات
جديدة .

تحاول السمان في « بيروت ٧٥ » اقامة زمن
كتابة موحد . لكنها امسام فتفت عناصر علاقات
الشخصيات ببعضها ، تلجأ الى وحدة شكلية .

وياسمينة القادمة بحثا عن الشعر وجسدها تقيم
علاقة عاطفية منهارة سلفا مع نمر نجل احد الزعماء
الثقاليين . وحين تنهار علاقة ياسمينة بنمر ، وتنهار
شخصية فرح يلتقيان من خلال علاقة نيشان بنمر
ولا يتعرفان على بعضهما الا بعد مقتل ياسمينة
على يد شقيقها ، فسلا للعار ، لانها لم تعد
تستطيع ان تدفع له . أما اللقاء وجها لوجه قبل
موت ياسمينة ، فقد حصل على مائدة نيشان ، دون
ان يعني احدهما شيئا للآخر . ففرح كان على
شعر الجنون ، وياسمينة كانت على طرف الانهيار .

الى جانب هاتين الشخصيتين الرئيسيتين هناك
ثلاث شخصيات اساسية في الرواية : صياد
الاسماك ابو مصطفى وابنه مصطفى . هنا نتعرف
على نطف لها قيمة دلالية فقط من حياة الصيادين
البائسة . قليل من التفاصيل تأتي من عالم البحر
الرحب والشاسع . نقطة الالتقاء الوحيدة مع بقية
شخصيات الرواية تأتي من خلال مستويين :
المستوى الاول هو علاقة مصطفى ، الذي يصبح
صيادا لأول مرة ، بالسبكة انها علاقة شاعرية .
لا يحب قتل الاسماك . ينظر الى القمر والسى
السبكة . ويكشف عن علاقتها . هذه العلاقة
تكرر عبر فرح . لكن من خلال كوابيس انفصام
الشخصية التي تتناوب . المستوى الثاني هو
مستوى الممارسة السياسية . فمصطفى بعد
انضمامه الى احد الاحزاب - طريقة الانضمام
مسقطه بشكل غير مقنع على الاقل - يصبح احد
المناضلين في صفوف الصيادين ضد الاحتكاريين
الذين يصدف ان يكون والد نمر احدهم .

وهناك ابو الملا ، العامل في الحفريات ، والذي
يحمل جنسية قيد الدرس . نتمعرف على بعض
مظاهر حياة الكادحين من خلاله . ثم نكتشف من
خلال سرقة للتبثال ، تلك العلاقة الميتة ، علاقة
الفرح بالحرمرات ، كسر الاخلاقية البرجوازية التي
تؤدي الى الموت .

وهناك طعان ، الصيدلي ، الذي يعود من
الخارج حيث اكمل دراسته ، ليكتشف انه سيصبح
ضحية للثار العائلي . فيعيش حياته هاربا ومطاردا
الى ان يقتل شخصا لا يعرفه ، لانه اعتقد انه
يتعقبه .

ونأتي في النهاية الى جنون فرح . ازدواج

وحدة اللغة . فهي تحافظ منذ البداية على لغة التشابيه الغريبة . اداة الوصف هو التشبيه منذ بداية الكتاب . ثم يتصاعد هذا التشبيه بشكل مفاجيء امام وصف الكوابيس الجنونية التي يعيشها فرح . فندخل الحلم ، ولا نخرج منه . وحدة التشابيه هي وحدة خارجية . فالجمله القصصية تحافظ على ثوابتها . اي انها تبقى استتباعا تطورية من نمط واضح ، رغم ان التطور يكسر ولا يستكمل عناصره . داخل عنصر اللغة نفسه تحاول الرواية خلق وحدتها بطريق آخر . غني عدد من المقاطع المتتابعة ، تستعمل المؤلفة نفس الجملة الاولى ، التي تصف مظاهر الطبيعة ، لتجعلها اطارا لحركات الابطال المتوازية .

— ٤ —

« انفجر الرعد كصرخة تهديد غامضة ... » لكن هذا الافتتاح الموحد لمقاطع مختلفة ، لا يوحد الا بمقدار ما يمت بصلة الى المكان . لكن اداة التشبيه في « كصرخة تهديد » تقود الى وحدة الحالة النفسية التي تقود مختلف شخصيات الرواية . هنا لا وجود للوحدة النفسية الا بالمعنى السلبي ، بمعنى التعرض لتقمع البرجوازية الوحشي . لكن التعدد الكبير لاشكال هذا التقمع ، تجعله غير مكشوف في النهاية . فما هي عناصر وحدته ؟ الاحتكار ، التخلف ، الكبت الجنسي ، الفقر ، العلاقات العشائرية ، السلطة السياسية ... نستطيع ان نستعرض في رصف هذه العناصر خلف بعضها دون ان نصل الى لحظة وحدة زمن الكتابة . تتساقط الرواية كبناء ونبقى امام لغة غادة السمان في القصة القصيرة . فنحن امام مجموعة من القصص القصيرة ، التي لا تتوحد الا من خارجها ، المكان ، وتقدم مجرد صرخة احتجاج على التقمع .

في خاتبة روايتها ، تقدم السمان ، العديد من اللوحات الكابوسية . هذه الكوابيس موحدة ، متوترة ، مليئة بالتحدي ، رغم ان بعض صورها يذكرنا بأشياء نعرفها أو شاهدناها . لكنها محاولات أصيلة للكتابة التي تتجاوز المألوف ، وتكشف الحقيقة وكأنها ليست سوى احلام مجنون رغم اننا لا نشهد تطور « مطرب الرجولة » الى الجنون ، لكننا داخل جنونه نفهم عصر البرجوازية المتوحشة . « بعد ان انتهت كأسها ، أمسكت « الشاليمو » وفي بساطة أدخلت « الشاليمو » في شرياني بدلا من الكأس ، وبدأت تمتص دمي ... » هذه هي بداية

ممكنة للرواية . كان يجب ان تبدأ هذه الرواية من نهايتها ، عندها ما كانت بحاجة الى التقطيع الطباعي ، حرف أسود ، لتمييز بين السرد والتداعيات الخاصة بالشخصيات . وكان زمن الكتابة قد استطاع ان يكتشف موحداته .

1 — الدائرة الاولى ، هي دائرة السجناء . في داخل السجن تكشف الرواية عن نمط العلاقات

في روايته الثالثة « شرق المتوسط » ، يقدم عبد الرحمن منيف لوحة للقمع المباشر . فاذا كانت « بيروت ٧٥ » ، قد حاولت ان تقدم وصفا للقمع غير المباشر ، قمع العلاقات الاجتماعية نفسها ، فاننا هنا ، امام دائرة مغلقة . السجن هو الاطار الوحيد الذي تتحرك داخله الشخصيات الرئيسية في رواية منيف . رجب في السجن ، ووالدته واخته وحماد زوج اخته خارجه . لكنهم جميعا يعيشون داخل السجن . ليس بالمعنى الاجتماعي ، اي ليس لان التقمع في الخارج هو اساس قمع السجن ، بل بالمعنى النفسي ، لان قمع السجن ، يتمكس على بقية ابطال الرواية ، فيصبحون جميعا ضحاياه . تتحرك الرواية في اطارين : السرد والتداعي . وتجري على لسنتين : رجب وشقيقته أنيسة . رجب يصف عذابات السجن من خلال تداعيات الباطنة التي تنقله الى أوروبا للعلاج ، بعد انهياره . وأنيسة تصف عذاباتها وعذابات أمها من خلال تداعيات العلاقة القصيرة برجب بعد خروجه او في سفره عبر الرسائل ، ومن خلال المشاكل التي يواجهها جامد بصفته كميل رجب . الرواية تدور في عالم الذكريات . والذكريات هنا هي من طبيعة نفسية فردية . انها تقدم نموذجا . رجب المناضل الذي يمثل في مكان ما من « هذه الارض الغبراء » . تحاول ان تستقصي تفاصيل نفسيته ، بوصفها انعكاسا لشروط قمع عامة ، فتتعرف على نوازمه ومشاكله واحلامه ، بلغسة تقرب من اللغة الرومانسية . وكأنعكاس لحال رجب النموذج ، نتعرف على شخصيتي أمه وشقيقته . أمه هي أيضا أم نموذجية . تهوت لانهم قتلوها حين سحتوا ابنها في عذابات السجن . ولكن تقدم الرواية صورة واضحة عما تريد قوله ، تستعرض في وصف تعصيلي لحالة السجناء من خلال ثلاث دوائر :

1 — الدائرة الاولى ، هي دائرة السجناء . في داخل السجن تكشف الرواية عن نمط العلاقات

الرومانسي الذي يغلب عليه النواح في الرواية بأسرها .

علامة الدوائر الثلاث ، هي كما نرى علامة تحديد متبادلة ، فإذا كانت الدائرة الثالثة هي المحدد الاساسي ، فإن الدائرة الاولى تقدم عبر مركزها ، بتحديد الثانية . هكذا نصل الى دوران بلا هدف ، يقدم صرخة احتجاج دون ان يشرح آليتها . ينقل واقعا من خارجه دون ان يفسره . هكذا نسقط في اللغة السائدة .

ان هذا التحليل الاول للتمفصل الايديولوجي في الرواية ، يجب ان لا يحجب عنا بنيتها . فمفنيق يتقن صناعته جيدا . فاذا قبلنا نقطة انطلاقه الايديولوجية ، نكتشف ترابط بنية الرواية . فاشخصيات تتداخل ، تفتح منافذ على بعضها وتتفاعل . فانها رجب هو صدى لموت امه والحاح جسده وشقيقته . تماما كما كان صموهه بسبب موقف امه الشجاع . وموقف حامد المتحدي في نهاية الرواية هو انعكاس للقمع الذي يتعرض له رجب ، وللقمع العام الذي لم يعد يحتل . وموقف اولاد شقيقته هو ايضا ، يرتبط بالموقف العام الذي يوحد الرواية من خلال شخصياتها .

غير ان هذه الوحدة تبقى شكلية ، في منظور تحليل الشخصيات كشخصيات واقعية . اما اذا حاولنا الانتقال الى التفسير الرمزي ، فاننا عندها سوف ندخل في مائة لا مخرج . فمن هي الام التي ماتت ؟ هل هي رمز سياسي ، ام هي مجرد رمز نفسي . ان الدخول في اسقاط الرمزية على الرواية يفقدنا عناصر وحدتها جميعها ويرميها في فراغ . لذلك نعتقد ان تحليلها بوصفها ثلاث دوائر واقعية تتفاعل ، هو التحليل الاثرب الى الصحة .

تقدم لنا الشهادات التي كتبها سجناء سياسيون (الاقدام العربية على سبيل المثال) وجهة اخرى لتفاصيل الحياة داخل السجن . انها حياة تفصيلية دقيقة ، تستعين عن اتساع المكان ، باتساع العلاقات الرقائعية . هنا نعرف الى تفاصيل الحياة الاجتماعية وقد حصرت في دائرة ضيقة ، وقدم لها بالرغم من العسف ، صورة مستقبلية . هذه الصورة قد تعارضها صورة انهيارية تمعية اخرى (رواية فاضل العزاوي : القطعة الخامسة) لكننا هنا ايضا نكتشف تفاصيل الفعل الانساني ، امام

بين السجناء في حالات القمع فقط . أي لا تتعرف على تفاصيل الحياة اليومية داخل السجن . السجن هنا ، هو كابوس فقط . وعلاقة السجناء ببعضهم ، لا يجري وصفها الا في الذكريات التي تهمل التفاصيل نهائيا وتركز على الاثر البيولوجي والنفسي للقمع . هكذا لا يبقى من هذه الدائرة الاولى سوى مركزها . مركز الدائرة هو صوت رجب ، الذي يركز على عالمه النفسي بوصفه عالما فرديا . هكذا يصبح السجن مجرد كابوس ، وحتى العلاقات النضالية التي يؤثر لها موت القائد هادي تصبح هنا مجرد اشارات ، كأنها لا تتبع من زمن تجربة رجب نفسها .

٢ - الدائرة الثانية هي الخارج . والدة رجب وشقيقته وانفعالهما بسجنه والعذابات الشديدة التي يتعرض لها . هنا ، لا وجود سوى لمركز الدائرة الاولى وقد انعكس في علاقات محدودة جدا . العلاقات الفردية ، التي لا تشير الى الحالة العامة الا لتبسها مساء ، تضي على الرواية طابع التحدي الرومانسي ، الذي لا مخرج له سوى بالموت . قد يكون الموت مخرجا للحظات زمنية محددة بوصفه نهايتها ، لكنه لا يستطيع حجب اطار العلاقات الاجتماعية التي تبقى في حركة دائمة ، حتى وان كانت هذه الحركة غير متطورة . هكذا تتزوج هدى وتبوت والدة رجب . يفتيق معزولا وبلا أمل ، وليس لأمله سوى جسده المحطم . فيقرر الاعتراف ، التوقيع ، والخروج الى فرنسا للعلاج .

٣ - هنا نصل الى الدائرة الثالثة التي تتحرك فيها الرواية . انها اصغر الدوائر ، ولكن أشدها دلالة . لانها تكشف المنطلق الايديولوجي الذي يوقع حركة الرواية بأسرها . فمن خلال علاقة رجب بالدكتور فالي ، نكتشف النموذج الليبرالي الذي يقع خلف الرؤية الوحيدة الجانب التي تطبع الرواية بأسرها . النموذج هو الحضارة الغربية التي لا تزال تنسلق درجاتها الاولى وتنعثر . هكذا يفرق رجب في الاستحالة التي يقدمها نموذج ، ويصبح ضرورة كتلة محطمة . فهذا النموذج ، الليبرالي الغربي ، هو احد اسباب القمع في « شرق المتوسط » . ان علاقته بالتبعية وبالنظام شبه الاقطاعية علامة جدلية . فالتحرر من القمع الداخلي ، هو في الوقت نفسه تحرر من النموذج أو لا يكون . هذه الاستحالة ، تنسر المسار

الوطنيين الى خلية حقيقية ، تمارس ، تخطط وتنفذ ، رغم صعوبة الاتصال بالقيادة في الخارج ، ورغم العلاقات التنظيمية شبه البدائية . هذه القدرة هي محصلة للتجارب الشعبية ، مع المختل ، مع تمعه وحقده وأرهابه . ثم حين تسقط المجموعة في أيدي سلطات الاحتلال ، فانها تسقط لسبب تنظيمي في خارجها ، في تنظيم فتح في الضفة الغربية . هذا السقوط من الخارج ، دليل قاطع على قدرة المكر الشمبي ، الذي يتجلى في ملافة فوزي نمر احد بالخبايا الاسرائيلية ، وتحايله عليها ، وتضليلها بشتى الاساليب الممكنة . وعند سقوطهم ، يضطر العدو الى الاعتراف بقدراتهم الخارقة . « ولكنني ما كدت افتتح الباب لأخرج الى مخزن الاسلحة حتى كانت عدة هراوات تنزل على رأسي فجأة ، وعشرات الجنود ورجال الشرطة المدججين بالاسلح ينقضون علي لاجد نفسي بعدها مكبلا بالحديد من رأسي الى قدمي . فنظرت ولدا « الياهو موزر » و« اهورن سلح » ينظران الي بعينين حادتين ، ثم دنا مني اهورن سلح نازعا تبعته عن راسه ليضعها أمامي قائلا : « كتم رجلا وانني اعترف » .

تجري الرواية في الفعل الماضي . انها استعادة تفصيلية لاحداث جرت فعلا . وتتوقف عند نقطة الاعتقال . هكذا لا يقدم لنا المؤلف سوى قدرة على الوصف التفصيلي الذي يأخذ بانفاس القارئ . هنا نتساءل ، لماذا بقي التسجيل الروائي عند هذه الحدود « التسجيلية » بالمعنى المباشر والفوري للكلمة . تستطيع الرواية التسجيلية التلامب بالزمن ، التقديم والتأخير ، حتى لا تقع فقط على تفاصيل المطاردات ، والعمليات . نستطيع تقطيع المشاهد واضاءتها بالمعلومات او الاستنتاجات او بأحداث تقع في أماكن أخرى . يبدو ان هذا الاخلاص في التسجيل قد قاد الرواية الى منزلق كونها قماشة لرواية تسجيلية . فهي المادة الاولى التي يجب العمل عليها حتى تقدم صورة متكاملة لواقع النضال في الارض المحتلة ١٩٤٨ .

لكن يبقى لتوفيق فياض ، فضل اضاءة هذا الجانب النضالي ، الذي لا بد من متابعتة ، كي نصل الى رواية تسجيلية شاملة تكون وثيقة تاريخية لرحلة نضالية بالغة الاهمية .

مجهر شبكة العلاقات ، التي تستطيع الرواية نسجها وفتحها على افق بلا حدود .

« شرق المتوسط » ، تبقى محاولة لإبراز الزمن النفسيولوجي ، مبالغه كبرى ، لكن تجد تبريرها لنفسها في كونها صرخة ضد التبع ، والارهاب الذي نعرفه في حياتنا العربية على الجسد الانساني . لكن الصرخة ، وان كانت مشروعنة من حيث المنطلق ، تحتاج الى اكتشاف ارضيتها الواقعية حتى يتحول الفن الى سلاح ، كما يريد عبد الرحمن منيف على لسان أنيسة في نهاية الرواية : « ولاني أتركها الآن تسافر ، ليقراها كل الناس ، رغم كل ما فيها من اخطاء وصرخات ، لا اعتقد ان رجب يرضى عنها او يريدنا .. لكن كما قلت لكم .. انا امرأة خاطئة .. وأريد أن أتبع طريقة رجب ذاتها : ان ادفع الامور الى نهايتها .. لعل شيئا بعد ذلك يقع » .

— ٥ —

« المجموعة ٧٧٨ » ، هي تسجيل روائي متواضع ، يتخلى عن جميع الادعاءات الثقافية ، ليقدم لنا ، لوحة واقعية ، تسجيلية ، لحياة مجموعة من الشباب الفلسطينيين في عكا ، حيث يفحصول الهاجس الوطني ، الى ممارسة مسلحة ، مليئة بالبطولات والتضحيات ، تكشف مما يختزنه شعبنا من طاقات تستطيع أن تنفجر ، اذا تمكنت من الوصول الى حد أدنى من التنظيم . فوزي نمر احمد ، عبد حزبوز ، محمد حسين غريقات ، فتح الله السقا ، يوسف ابو الخير ، رامز توفيق خليفة . هذه أسماء ستبقى في ذاكرة شعبنا ، عنوانا للتضحية والنضال ، وللحس الوطني المسؤول ، الذي يتحول الى فعل سياسي — عسكري .

توفيق فياض ، لا يقدم لنا ، سوى تحقيق يروى على لسان قائد المجموعة ، بلغة بسيطة ، لا تريد شيئا . تريد فقط ان تكون أداة اتصال مباشرة . لغة لا تحفل في داخلها ، أدنى طموحات اللغة الادبية بالمعنى المتعارف عليه . انها فقط وسيلة لنقرأ من خلالها ما سبمه توفيق فياض في السجن ، تفاصيل وممارسة .

الدهش في هذا التسجيل الروائي ، هو التفاصيل اليومية . تحول مجموعة من الشباب

رسالة موسكو

والبلدان العربية الى التخلي عن النضال العادل في سبيل حقوقها المشروعة ، وتوكل امر الوساطة الى دولة عرفت بعلاقتها « الخاصة » مع اسرائيل ، وبالتالي فانه ليس بوسعها ان تكون وسيطا يتحلى بالموضوعية . وعلاوة على ذلك فان هذه الافكار تنطلق ، بصمت ، من أن المشكلة الفلسطينية لا وجود لها .

وتجدر هنا الاشارة الى ان الكتاب السوفييت لم يعودوا يقتصرون على التنويه الى « المشكلة الفلسطينية » او « العدوان الصهيوني » بل انهم أخذوا يعودون بالقضية الى جذورها الاصلية محاولين اعطاء صورة متكاملة لكل جوانبها التاريخية وابعادها المعاصرة .

فعلى سبيل المثال تعكف مجموعة من كبار المستشرقين السوفييت على اعداد مؤلف ضخم يقع في جزئين بعنوان « تاريخ فلسطين » يتوخى واضعوه الانطلاق من مواقع طبقيّة ، والاستناد الى المادية التاريخية في تحليل جذور المشكلة وما وصلت اليه اليوم كما صدر في موسكو في اواخر العام الماضي كتاب بنفس الروحية كان عنوانه « الطريق نحو السلام في الشرق الاوسط » ، وآخر في جينسك بعنوان « الانعامي المعادية للثورة » جاء في مقدمته ان « أعضاء منظمة البوند السابقين ، الذين كانوا قد تسللوا الى مناصب مرموقة في بلادنا استطاعوا ان يمرروا السى الحراسات التاريخية السوفييتية مخاهيم موالية للصهيونية ، كما أنه ما زالت توجد حتى الان مطبوعات تتضمن اتجاهات تصور الصهيونية وكأنها حمل بريء » . ويتصدى العديد من الكتاب السوفييت لتفنيد المزاعم التي تحاول استثارة العطف على الصهيونية مدعية ان اليهود « شعب بل أرض احل أرضا بلا شعب » . فيؤكد الكاتب فلاديمير سكس في مقال نشرته مجلة « الحياة الدولية » على ان الشعب العربي الفلسطيني « بوصنه وحدة قومية تكونت تاريخيا ، لم ينصهر ولم يتخل عن حقوقه المشروعة بل انه يخوض في سبيلها نضالا بطوليا ، بشكل

طرا ابان الاونة الاخيرة تصاعد ملحوظ في عرض ومعالجة شؤون الشرق الاوسط في الصحف والمطبوعات السوفييتية . ولئن كان التوسع في التغطية الاخبارية امرا منطقيا ، تفرضه خطورة وتطورات الوضع بالمنطقة ، فان ما يستلفت النظر كون اجهزة الاعلام السوفييتية لم تتمد تقتصر على هذا الجانب من المسألة ، بل انها تحاول استقراء الاحداث واستباقها ، وتنبه باستمرار الى خطورة الانجراف وراء خطوات قد تبدو مغرية على صعيد حل القضايا الانية ، ولكنها تؤدي الى طمس ونسيان المحركات الاساسية للنزاع .

ويجدر بالذكر ان هذا الموقف يتضح في المجالات والمطبوعات الشهرية المتخصصة بجلاء اكبر مما هو عليه في الصحف اليومية .

فصحيفة « ازغستيا » مثلا ، تشر في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٥/٣/٣ الى ان « البحث عن حل لمشكلة الشرق الاوسط لا ينبغي ان يعتمد سبيل الاجراءات الجزئية ، بل ان الطريق نحو ضمان السلم الحقيقي في المنطقة يمر عبر الاستئناف العاجل لمؤتمر جنيف بمشاركة الفلسطينيين » . هذا في حين نجد مجلة « الحياة الدولية » توسع في طرح المسألة مؤكدة على ان « أساليب الاتفاقات المنفصلة والطول الجزئية تهدف الى طمس الاتاق النهائية للتسوية ... ويحاول خصوم التسوية استخدام هذه الاساليب لخلق انطباع زائف بان ثمة حركة الى الامام وبغية اخماد يقظة الشعوب العربية ، وللتلمس من الطول البناءة للقضايا الجذرية » . وتؤكد المجلة ذاتها في عدد اخر صدر في شهر اذار على ان « بعض السياسة العرب يرتاون توسط الولايات المتحدة لتحقيق فصل جديد بين القوات . ومثل هذا الرأي انها يجسد ، عن تصد او من غير قصد ، الافكار التي توحى بها اجهزة الدعاية الصهيونية الامبريالية ، وتجسد مناصرين لها في أرجاء من العالم العربي ، وتزعم ان مفتاح التسوية في يد الحكومة الامريكية . وفي واقع الحال فان هذه الافكار انها تدعو الشعوب

الدرس لدى الهيئات المختصة بشؤون الهجرة حاليا ١٤٢٠ طلبا فقط ، علما بأن ١٥٠٠ مواطن يهودي سوفييتي كانوا قد حصلوا على ترخيصات بالسفر عامي ٧٣ / ٧٤ ، رفضوا التمتع بها . وإذا استثنينا ما جاء في المقال من ارقام فانه عموما يدرج ضمن ما ينشر هنا من مواد يمكن اعتبارها موجهة بالدرجة الاولى الى اليهود الراغبين بالهجرة ، حيث انها تركز على توضيح الاوضاع المعاشية السيئة التي يعاني منها اليهود الوافدين الى اسرائيل ، وخاصة القادمين من الاتحاد السوفييتي حيث يتعرضون الى اضطهاد مزدوج بوصفهم « صنفنا أدنى » من السابرا ويهود اوربوا الغربية . وكانت سلسلة تحقيقات ومقالات تناولت هذه المسألة تفصيلا قد ظهرت بعد الزيارة التي قام بها صحفيون سوفييت الى اسرائيل في اواخر العام الماضي .

ان هذا التفصيل في طرح القضايا المتصلة بالشرق الاوسط يعكس في ظاهرة اخرى حرية بالتسجيل ، فالى جانب الدراسات النظرية المكثمة لبحث الشؤون الفلسطينية علميا ، أخذت الصحف السوفييتية تنشر تحقيقات ضافية عن اوضاع الفلسطينيين والنضال الذي يخوضونه .

وتجدر في هذا المقام الاشارة الى سلسلة من الريبورتاجات ظهرت في صحيفة « كسمولسكيا برافدا » تباعا بعنوان « المشردون » ، وريبورتاج اخر للاديب انور عليمانوف بعنوان « محمود بحاجة الى وطن » نشر في « الصحيفة الادبية » الواسعة الانتشار .

وتكمن أهمية هذه المواد في أن كتابها لم يقتصر على مخاطبة عقل القارئ بايراد براهين تثبت حق الفلسطينيين في ارضهم ، بل أنهم حاولوا ايضا استثارة تعاطفه الانساني مع الفلسطينيين كي يعمقوا من احساسه بعدالة القضية التي حمل الفدائيون السلاح في سبيلها ، ليدحضوا مزاعم الدعاية الغربية والصهيونية عن « الارهاب الفلسطيني » .

من حيث جوهره واهدائه حركة تحرر وطني . وانطلاقا من هنا يذكر فلاديميرسكي بأن « هيئة الامم المتحدة كانت قد اعترفت بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٤٧ ، عندما اتخذت قرارا بانشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين » . ان العودة الى قرارات التقسيم مع التأكيد على التركيب الاتوغرافي الذي نصت القرارات على اقامته في الدولتين يشكل سمة هامة لآخر الدراسات السوفييتية حول انشاء الدولة الفلسطينية .

ويتبغى هنا التنويه الى ان خطاب القيادة السوفييت والمقالات التي تنشر في الصحف تستخدم في الغالب تعابير : الكيان القومي والسلطة الوطنية (يستخدمه المستعمرون) وكلمة « غوسودا رستفونست » وهي تعني « كيان دولة » . بيد ان اندريه غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفييتي قال في خطاب القاها بدمشق في الثاني من شباط « اتنا نؤيد مطالب البلدان العربية ... حول ضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، طبقا لمطامحه القومية ، وصولا الى انشاء دولته » ، وهذه على الأرجح ، المرة الاولى التي يستخدم فيها تعبير « الدولة » .

ومن نافلة القول ان المسألة ليست مجرد مصطلحات بل أنها ، في الغالب ، انعكاس لموقف سياسي ، خاصة وان أجهزة الاعلام السوفييتية معروفة بدقتها وحرصها الشديد على انتقاء التعابير وصياغة التعليقات بروح تلائم الموقف السياسي .

ومن الدلالات البليغة الاخرى ظهور مقال في مجلة « العصر الحديث » بعددها الخامس للعام الحالي وكان بعنوان « الهرب من أرض الميعاد » ، وربما كان هذا المقال اول مقال تنشره صحيفة او مجلة سوفييتية وتضمنه ارقاما عن عدد اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفييتي . ورغم ان الكاتب قد قال بالانتماء « تفيد معطيات الصحف ان عدد اليهود الذين وصلوا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي قد بلغ عام ١٩٧٤ زهاء ستة عشر الفا الى أقل بمرتين عما كان عليه عام ١٩٧٣ » ، فاننا نجد في موضع اخر يقول ، ان « عدد طلبات الهجرة في تمسبر ، ويوجد قيد

رسالة لندن

تعيش وتبقى اذا توافرت الشروط التالية: ١ - اذا استطاعت ان تتنح «جبهة الرفض» بسياسة التعايش السلمي مع إسرائيل ، ٢ - ان تحصل على مساعدة وتشجيع من قبل الجامعة العربية والدول العربية ، ٣ - ان تنجح في جذب الفلسطينيين في الخارج للذهاب والغيش فيها ، وخاصة المتعلمين منهم ، ٤ - ان تبقى مستقلة سياسيا عن الدولتين العظميتين . وختم السير جون ورقته قائلاً :

اذا عاشت هذه الدولة الفلسطينية فانها ستقوم بوجودها باعطاء ضمانات أكيدة لبقاء إسرائيل على المدى القريب ، وستقوم كذلك باعطاء الفرصة لاتحاد « اليهود الاسرائيليين » والفلسطينيين العرب في دولة واحدة على المدى البعيد .

بقي الحوار بعد ذلك متعلقاً « بالخيار الاول » وقدمت ورقة عن الاقتصاد الكامن لدولة فلسطينية في الضفة والقطاع وكانت النتيجة بان الدولة الفلسطينية سيكون لها اقتصاد ذاتي متوازن بعد خمس سنين من انشائها اذا قام العالم وبالأخص الدول العربية المنتجة للنفط من تمويل اقتصاد هذه الدولة بـ ٤٠٠٠ مليون دولار لمدة خمس سنوات .

انتقل الحديث بعد ذلك عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وقال مقدم هذه الورقة «جون ريدوي» بانه لا يوجد هناك حل عادل لهذه المشكلة . لكنه اقترح بأن تقوم إسرائيل بالسماح لـ ٢٠٠٠٠٠ لاجيء فلسطيني بالعودة الى ديارهم سنويا ، مع الاحتفاظ لإسرائيل بايقاف هذه الاتفاقيات اذا رأت انها تهدد أمنها الداخلي!!! وتكلم ايضا عن دور الأمم المتحدة في الاعتراف بالدولة الفلسطينية وتقديم الضمانات لها مع مساعدتها في انشاء اقتصادها وتعليم ابنائها كما تفعل الآن ١١٠٠

انتقل الحديث بعد ذلك عن « الطريق المسدود » وطرح عدة احتمالات هي ١ - ان تمتص إسرائيل جميع سكان الأراضي المحتلة وتضهم لها ٢٠ - ان تمتص بعض سكان المناطق المحتلة ٣٠ - ان تطرد غالبية سكان الارض المحتلة ٤٠ - ان تنسحب من بعض الأراضي المحتلة عام ٦٧ .

٥ - ان تجبر إسرائيل وبقوة السلاح ان تنسحب

في الفترة الواقعة ما بين ٢٠ - ٢٢ من شهر اذار الماضي ، عقدت حلقة دراسية في لندن لبحث مستقبل القضية الفلسطينية ، بتنظيم واشراف مجلس تعزيز التفاهم البريطاني العربي المعروف باسم كابو . وقد استهلّت الحلقة بعرض تاريخي للقضية تبعه عرض للرؤيا الفلسطينية للقضية وهذا العرض مأخوذ من محاضرة للدكتور - يوسف صايغ القاها في لندن عام ١٩٧٠ .

بعد ذلك قدم مندوب م . ت . ف . في لندن ، السيد سعيد حامي ورقة بعنوان « استراتيجية فلسطينية للتعايش مع إسرائيل » طرح فيها «الحل» للمشكلة الفلسطينية ، وهو « انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وفتح حدود هذه الدولة مع إسرائيل » ، ومن ثم ، ومن خلال التعايش السلمي بين الدولة الفلسطينية وإسرائيل ، تزول الشخصية الصهيونية لإسرائيل بقرار ارادي صادر من مستوطني الارض المحتلة ومن ثم يتم ادماج الدولتين في دولة واحدة هي فلسطين العثمانية . ومن الجدير بالذكر بان السيد حامي عندما سئل ان كان يتكلم باسم م . ت . ف . اجاب : « نعم » واصر ان ورقته قد ارسلت لقيادة م . ت . ف . وتم تعديلها والموافقة عليها قبل ان يقدمها كما هي .

بعد ذلك وتبعاً للبرنامج ، وضع امام القضية خياران : - الاول هو تسوية سياسية عن طريق جنيف ، والثاني هو استمرار المضي في « الطريق المسدود » بالنسبة للخيار الاول ، قدم السير جون ريشموند الحاضر في جامعة درام والسفير سابقاً في الكويت والسودان) ورقة بعنوان « إمكانية قيام دولة فلسطينية من ناحية سياسية » . ولخص افكاره بالنتائج التالية :

ان قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع يمكن ، اذا توافرت الشروط التالية : ١ - ان يعترف الفلسطينيون « بحق إسرائيل في العيش والبقاء » ، ٢ - ان توافق إسرائيل على قيام مثل هذه الدولة ، ٣ - ان تكون هناك ضمانات من هيئة الأمم المتحدة والدولتين العظميتين .

واضاف المتحدث ان مثل هذه الدولة يمكن ان

الترقية هو أحسن ما يتوقعه الفلسطينيون .
 وسواء ذهبوا الآن لجنيف أم لم يذهبوا فسيضطرون
 بالنهاية الى الذهاب الى مؤتمر سلام مشابه .
 ومن ثم يخرج المتداولون بقرار وهو الطلب من
 م . ت . ف . بجمع فصائلها بان توقف جميع
 العمليات العسكرية ضد اسرائيل وحلفائها لمدة ستة
 شهور على ان يكون هناك الاستعداد لتحديد هذه
 الفترة لسنة شهور اخرى اذا ادت المهلة الاولى
 الى اي نتائج ايجابية نحو السلام . . . !! كل
 ذلك تحت عنوان « الفلسطينيون يتحدون
 الاسرائيليين لاحلال السلام وليس الحرب » .

مأمون ثلبي

من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . ٦٠ - اسرائيل
 ترفض ان تنسحب ومن ثم ينجح العرب في تجميع
 قوى سياسية واقتصادية وعسكرية تؤدي للقضاء
 على دولة اسرائيل . ٧٠ - « نهاية شمشون » وفيها
 تدمير اسرائيل وجميع جيرانها ويمكن « اخرين » .
 وقد اصر المشتركين في النقاش على ان الاحتمالين
 الاكثر معقولية هما ٢ - امتصاص جزئي للشعب
 الفلسطيني في الارض المحتلة عام ٦٧ او ٥ - هو
 جبر اسرائيل بقوة السلاح على الانسحاب .
 والاول لن يقبل من جانب العرب وسيقود بالنهاية
 الى حرب جديدة .

ويرجع المتداولون في الحلقة الى القول بان
 « جنيف » هو الحل الوحيد ، والدولة الفلسطينية

تحليل لاتجاهات الدعاية الصهيونية — فبراير (شباط) ١٩٧٥

الدول العربية في الوقت الراهن . فلما القوة المالية فقد بدأت الان فقط بترجمة تأثيرها في القطاع المصرفي الغربي ، حيث تتزايد دعوة الاموال العربية للمشاركة في اصدار القروض في القطاعين الخاص والعام في أوروبا . تطبيقا لبندود واجراءات المقاطعة العربية ، رفض عدد من المصارف العربية التي هي في الغالب وكالة لعدة حكومات عربية ، المشاركة في هذه العمليات المالية ، حيثما كانت المصارف والمصالح المالية المعنية ذات العلانية الوثيقة بإسرائيل ، شريكة فيها . وبكلمات أخرى ، أصبحت المشاركة المالية العربية تتوقف على استبعاد المؤسسات الصهيونية . ولقد أوضح الوكلاء العرب على النطاطين العام والخاص عزمهم على رفض أية مشاركة تشترك فيها المؤسسات المالية والتجارية المساندة للصهيونية بصورة صريحة (في ضوء نشاطاتها المموسة) .

بدأ الرد الصهيوني على هذه السياسة في وقت مبكر من هذا الشهر ، بعد أن أعلن مصرف فرنسي مملوك لليهود وعلى صلات وثيقة بإسرائيل ، وهو مصرف « الاشقاء لزار » ، انه منع من المشاركة في اصدار قرض بضمانة مصرف « كريدبه ليونيه » الذي تملكه الدولة . لقد اشتمل القرض المراد تقديمه لشركة « اير فرانس » على أموال قدمتها شركة « انترا للاستثمار » التي يملكها العرب . وأصرت انترا على ابقاء مصرف « الاشقاء لزار » بعيدا عن الصنفقة . ولقد ظهرت مفاجآت مماثلة غداة ذلك في فرنسا وبريطانيا ومانيا الغربية والولايات المتحدة ، وفي غضون أيام قلائل اتسع الجدول ليشمل القضية الاكبر المتعلقة بالمقاطعة العربية للشركات والمؤسسات التي تورطت في تاريخها بعمليات مالية مسع الاقتصاد الاسرائيلي والصهيوني .

في غضون أيام معدودة ، شن الناطقون والمعلقون المساندون للصهيونية ، والذين لم يكن معظمهم طرفا مباشرا في قضايا الاعمال والمصارف ، حملة

سوف نكرس القسم الاعظم من تقرير هذا الشهر ، لقضية المقاطعة العربية لاسرائيل . منذ مطلع شباط (فبراير) ، أصبحت هذه القضية محل تعليقات كثيرة ومرخات مدوية في وسائل الاعلام الصهيونية والغربية ، وزودت انصار اسرائيل بفرصة جديدة لتوجيه التهمة المألوفة « بمعاداة السامية » ، في العالم العربي . وبما ان قضية المقاطعة أثارَت فجأة كل هذا الاهتمام الكبير والتعليقات المتعددة ، بما في ذلك تصريح لرئيس الولايات المتحدة الامريكية ، ناننا سنطرحها فيما يلي بشيء من الاسهاب .

وسنكرس القسم المتبقي من هذا التحليل لقضية أثارناها في تقرير الشهر الماضي ، أعني قضية يهود سوريا . وسوف نعالج في تقرير هذا الشهر مقالة مهمة ظهرت مؤخرا في بريطانيا ، كشفت بموضومية عن الوضع الحقيقي للمجتمع اليهودي السوري ، من قِبل مراسل متعاطف . ولسوف نقارن تلك المقالة بتقرير تشويهي يتناول المسألة ذاتها كتبه مشرع امريكي زار دمشق في الآونة الأخيرة . ومن ثم فاننا سنتناول القضايا المثارة حول مشكلة المرابين والصحانيين الاجانب .

المقاطعة العربية لاسرائيل : قضية « الالسامية »
تعود المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل الى عدة سنوات خلت ، لكنها لم تثر — باستثناء الفترة الاخيرة — سوى القليل من التعليقات نسبيا . ومع ان انتقادات وشكاو متفرقة ترددت بين وقت وآخر من جانب الصهيونيين والدوائر المؤازرة لهم ، الا انه لم تصدر أية مادة اعلامية يمكن مناظرتها بالدعاوة المحسوبة والمنظمة التي انهمرت في الشهر الماضي .

والسبب بالطبع ، هو ان المقاطعة العربية لاسرائيل بدأت تأخذ معنى جديدا وقوة جديدة في اعقاب القوة المالية المتضخمة لعدة دول عربية ، وبسبب الدرجة الاكبر من التنسيق النسبي بين

معادة اليهود . ويلاحظ هؤلاء ان عددا من المصارف التي أسسها يهود وديرها يهود لا تعاني أية متاعب في تعاملها مع العرب .

وتهمي المقالة الى تعداد بعض المشروعات اليهودية التي لا علاقة لها مع اسرائيل ، والتي تتعاطى اعبالا مع المصالح المالية العربية .

وفي آخر الامر ، ظهرت سلسلة من البيانات أدلى بها ناطقون عرب ونشرت في الصحافة الغربية ، مما أتاح على نطاق واسع توضيح ان اسرائيل هي هدف المقاطعة العربية . وعلى سبيل المثال ، نشرت « نيويورك تايمز » رسالة من القاهرة (٢/٢٧) حيث كانت جامعة الدول العربية تعقد مؤتمرها الذي تعيد النظر فيه في الشركات المسجلة على اللائحة السوداء ، قالت الصحيفة فيها « ان الرسميين العرب المتصلين بعمليات المقاطعة أنكروا بقوة اليوم اتخاذ اية تدابير للمقاطعة لاسباب دينية » ، وان « الملكية اليهودية لم تكن موضوعا مطروحا » .

أثناء ذلك ، وبالرغم من هذه البيانات المشورة على نطاق جيد وغيرها ، استمر الموضوع بأشغال حيز كبير للغاية في الصحافة الغربية ، حيث ان الناطقين المناصرين للصهيونية والاسرائيليين والمتعاطفين معهم كانوا قد نجحوا في ادامة تهمة « اللامسامية » . لقد كانت اسرائيل هي بالطبع القوة الدافعة وراء هذه الحملة الصهيونية ، اذ أدركت القيمة الدعوية المحتملة للموضوع فتشبتت به سريعا . وفي ٢/١١ كانت « هارتس » الاسرائيلية ، تدعو الصهيونيين الى شن « حملة مضادة » ضد المقاطعة . وفي مقالة افتتاحية تكاد تطابق نغمتها ما يقوله العديد من صحف الغرب المؤيدة للصهيونية ، زعمت هارتس في وقت لاحق من الشهر :

« هناك ما يدعو الى الاعتقاد ان الرأسماليين العرب سوف يحاولون فرض عقوبات على المؤسسات المصرفية التي يملكها يهود . اذا ما قبل العالم الغربي فرضية عدم وجود مصارف يهودية في العمليات المالية التي تشترك فيها الاموال العربية ، اذا سلم بهذا على انه أمر مفروغ منه ، فان هذا سيشكل تهديدا لحق اليهود في المساواة في الحقوق في بلدان الشتات » (خطوط التشديد من عندنا) .

رسمت بحيث تترك انطبعا بأن المقاطعة العربية هي في حقيقتها « معاداة للسامية » ، وان مقصدها الحقيقي لم يكن دولة اسرائيل والمؤسسات التابعة لها ، بل مقاطعة يهود العالم جميعا . والأشد اذاء في هذا الصدد ، النغمة التي ترددت في مقالات شتى في الصحافة الغربية ، والتي ، بتجاهل يستهدف التشويه ، تركت انطبعا في أذهان قرائها ان المصارف التي يملكها اليهود هي بالذات التي يعتمد المال العربي مقاطعتها .

وهكذا ، بعد ان كان الموضوع قد أثر على الصعيد الصحافي ، نشرت « نيويورك تايمز » تقريرا من لندن (٢/١١) يقول انه كان هناك جدل في مجتمع لندن المالي « حول ما اذا كان ينبغي تأليف جبهة مشتركة للتصدي للمقاطعة العربية للمصالح المصرفية اليهودية » في أوروبا (التشديد من عندنا) . وفي المقالة كلها لم تظهر مرة واحدة كلمة « صهيونية » أو حتى « اسرائيل » . وبالمثل فان « التايمز » اللندنية الواسعة النفوذ ، نشرت مقالة في ٢/١٠ ذكرت فيها ان الفرسة التجارية الانجلو - اسرائيلية تعد قائمة بالشركات البريطانية الموضوعة على اللائحة السوداء ، أو تلك التي مورست عليها ضغوط كي تهتنع عن التعامل مع « مصالح يهودية » .

هذا الادعاء الضمني بمعاداة السامية ، الذي عكسته التقارير (ناهيك عن التعليقات) التي نشرتها الصحافة الغربية ، مغمضة عينيها عن الحقيقة ، بل ولاجئة الى التشويه المفضوح ، ربما كان عائدا في بعض الحالات الى مجرد الجهل بمقاصد المقاطعة ، لكنه كان في حالات اخرى وليد تعمد مغرض بالتاكيد . ومر الوقت حتى حوالي منتصف الشهر ، عندما بدأ الناطقون العرب بالرد بصورة كاشفة للاتهامات والايحاءات بمعاداة السامية .

لكن بعض الصحف عالج المسألة بروح موضوعية حقا . ففي ٢/٢٨ ظهرت مقالة في « الإنترناشيونال هيرالد تريبيون » أوضحت بجلاء ان المقاطعة تستهدف اسرائيل وليس المصالح اليهودية . وبناء لما ذكرته :

« ان المصريين الذين يعرفون المواقف العربية يؤكدون ان الدافع هو معاداة الصهيونية وليس

ان نيويورك تايمز (٢/١٤) تشير في افتتاحيتها الى « الابتزاز التهديدي في السوق المالية » في مستهل تطبيقها حول اللائحة المصرفية العربية السوداء . وبينما تذكر الافتتاحية فعلا في احدى النقاط ان المقاطعة تستهدف « المصانع والمؤسسات المؤيدة لاسرائيل » ، فانها تمضي بعد ذلك لتصف الاجراءات المصرفية العربية بأنها « بشعة وتمييزية » ، على ضوء المعنى المضمن بوضوح وهو ان ضحايا هذه التدابير هم اليهود . ويقول التعليق بعد ذلك انه لا بد من تخفيف المقاطعة العربية الشاملة لاسرائيل ، « كدلالة على موقف لاقتتالي » ، اذا كانت الدول العربية ترغب بصدق بتحقيق التسوية السلمية التي يسعى اليها دكتور كيسنجر . ومما يثير الاهتمام ، ان هذا المنطق يماثل الخط الحكومي الاسرائيلي ، كما أدلى به ناطقون رسميون ، وبينهم آلون ، والقائل ان اي تحرك باتجاه السلام في المنطقة ينبغي ان يشمل تعاملًا اقتصاديا بين اسرائيل والدول العربية . (ويذكر ايضا مراجعة جيزوزاليم بوست لمسي افتتاحيتها يوم ٢/٢٧) .

ان الافتتاحية التي ظهرت في واشنطن بوست يوم ٣/١ تمضي الى أبعد من ذلك في مواكبة خط التشويه الذي تنهجه الدعاوة الصهيونية . ان الصحيفة تقوم بتعمية متعددة لطمس الفرق بين مقاطعة ليهود العالم ، وبين مقاطعة لاسرائيل ، اذ انها تشير الى « مقاطعة لاسرائيل او للصهيونيين أو لليهود » . من هذا يتضح ان الصحيفة تعرف جيدا ان هناك تمييزا فعلا بين اسرائيل واليهود فيما يتعلق بالسياسات الحقيقية لاجهزة المقاطعة العربية . لكنها آثرت تضليل قارئها بخلط الموضوعين معا لاثارة الالتباس . وتتابع الافتتاحية مزاعمها :

« .. يريد أصحاب المقاطعة ان يجعلوا الاجانب يوافقون على ، ويتبنون .. مفاهيمهم البشعة . انهم يحاولون تقسيم الامريكيين الى عدة فئات عرقية .. ان المقاطعة تمثل اكثر من مجرد صفة لاسرائيل . انها ضربة لبدا المساواة الاساسي الذي قامت عليه الولايات المتحدة .. ان العرب والامريكيين يدخلون مرحلة جديدة ونشيطة من العلاقات الاقتصادية ، وانه لمن الحيوي منذ البدء عدم ارساء هذه العلاقات على النزعات المعادية

وتدعو المقالة يهود أوروبا والولايات المتحدة الى المبادرة بنشاط هجومي ومستقل .

هذه المناشدة شبه الرسمية ، تعززت رسميا بتصريح لوزير الخارجية يجال آلون بعد ذلك بنحو اسبوع . ولقد أسهبت ملاحظاته أمسام أعضاء الكنيست الاسرائيلي ، والتي نقلتها الصحافة الغربية ، في التركيز على الفرية الاساسية الزاعمة ان المقاطعة العربية معادية لليهود . وبناء لما نشرته الجيزوزاليم بوست (٢/٢٠) ، وصف آلون التدابير المصرفية العربية بأنها « تمييز عنصري صارخ » . ومضى الى حد القول بصراحة « ان الضغوط العربية على المؤسسات المالية التي يملكها يهود ، لم تكن بسبب علاقتها باسرائيل ، بل لانها بكل بساطة تتعلق باليهود » . وكان من الممكن التنبؤ بأنه سوف يستحضر شبح « النازية » في تحذير كتيب للغرب من « العنصرية الجديدة » ، المتسلحة بدولار النفط بدلا من معسكرات الإبادة .

هذه الموضوعات المألوفة والمبتذلة تتردد بلا انقطاع في تحليلاتنا الشهرية ، لكن استخدامها في قضايا جديدة يدل الى اعطائها ما كان يمكن ان تفقده من جدة وحيوية . ولهذا السبب لا ينبغي اهمالها أو المرور بها بخفة . هذه هي القضية بالذات ، لانها كالعادة تتردد وتكرر باستمرار في القطاعات المحيطة للصهيونية في صحافة الغرب على ان أكثر ما يؤدي المركز العربي هو تكرار هذه الاكاذيب الصهيونية في اطار التعليقات الافتتاحية .

لقد كانت وسائل الاعلام الامريكية متحيزة بشكل خاص لوجهة النظر الاسرائيلية ، في تعليقاتها الافتتاحية حول المقاطعة العربية . وان صحيفتي الولايات المتحدة الاوسخ نفوذا ، اعني واشنطن بوست ونيويورك تايمز ، تقدمان نماذج مشوشة من الدعاوة الصهيونية المتحالفة التي ظهرت على نطاق واسع في غيرها حول هذا الموضوع . وكلاهما ، نيويورك تايمز و واشنطن بوست ، للمصادفة ، يهوديتا الملكية . ورغم ان كليهما توجهان بعض النقد لاسرائيل أحيانا ، وخاصة حين يكون المفهوم ان هذا ما تقضي به المصالح الامريكية ، الا انهما على العموم تخليان عن اي ادعاء بالموضوعية حين تنتخ اسرائيل في سوق « اللاسامية » .

لاسرائيل والمعادية لليهود .

أمرًا متعمداً أم لا ، إذ أن فورد — كما هو معروف جيداً — يعتبر جاهلاً إلى حد كبير بكثير من الشؤون المتصلة بالقضايا الخارجية . وعلى أي حال ، ومهما كانت الدوافع الذاتية ، فإن التأثير الموضوعي لتصريحاته غني عن البيان .

وأخيراً ، هناك ردود فعل المجتمع اليهودي الأمريكي كما عبرت عنها صفحتها الخاصة . وكما هو متوقع ، لقد اقتنفت هذه آثار الخط الإسرائيلي الرسمي بشأن الموضوع . وأن بعض الأمثلة تفي بالغرض . أن افتتاحية في جويش بوست أند أبيتون ، وهي صحيفة تصدر في مدينة نيويورك لكنها مقروءة على نطاق جميع يهود الولايات المتحدة ، أشارت إلى « الجبهة بين العرب واليهود في قطاعات الأعمال والتجارة » (٢/٢٨) . وطبيعي أن الصحيفة لا تقوم بأي تمييز بين إسرائيل ويهود العالم . لكن هذا العجز عن التمييز يتجلى تماماً في عدد ٢/٢٨ من الصحيفة ، في مقالة بقلم معلق ثابت فيها هو الحاكم موريس ديفيس . لقد تشبث ديفيس بكل قوة بإمكان فرض الخرافة الصهيونية بشأن « معاداة العرب للسامية » ، على عقول قرائه . ومنذ أمد بعيد تعتقد المؤسسة الصهيونية الأمريكية على هذه الخرافة لدفع يهود الولايات المتحدة لتقديم مزيد من الدعم لإسرائيل . إن الأحداث الأخيرة ، مثل الإعلام العظيم الذي أحاط بمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها لإقامة دولة علمانية ديمقراطية في فلسطين ، وجهت تحدياً لهذه العقيدة في الخط الصهيوني ، وجعلت بعض الأمريكيين اليهود يطرحون تساؤلات . لكن ألخام ديفيس يؤكد :

« إن يقول العرب لأمم العالم إن المال العربي لن يأتي حيث تشارك « المصارف اليهودية » . . . أن العالم بدأ يرى ما كنا نعرفه منذ أمد طويل . أن الشعار العربي القائل أنهم ليسوا ضد اليهود بل ضد إسرائيل فقط ليس إلا كذبة . أن اليهود هم هدفهم » . (خط التشديد من عندنا) .

هذا هو بالضبط ما تريد إسرائيل أن يقتنع به يهود العالم والرأي العام العالمي . إنما لحسن الحظ ، كما مر بنا آنفاً ، أن عدة ناطقين عرب تصدوا لهذا الخط وعروه على النطاق العام ، مثلما تصدى له كذلك المراقبون المستقلون

لا حاجة بنا للكشف عن لا منطقية ولا معقولة ما ورد آنفاً . يكفي أن نلاحظ أن هذه الأقوال منشورة في الصحيفة الثانية على الأرجح من حيث الأهمية بين صحف الولايات المتحدة (في القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية) ، وأن هذه الأقوال نموذج ممتاز للكيفية التي يوجه بها مخطوطو الإعلام الصهيوني وسائط الإعلام الأمريكية . إن الواشنطن بوست في عزم تاطع على إثارة أقوى ما يمكن إثارته من المشاعر المعادية للعرب ، تنهي هذه المقالة اللافتنة للنظر بالعبارة الاستفزازية التالية : « إن الولايات المتحدة لا يمكن أن تبغ شرفها مقابل الذهب العربي » .

لسوء الحظ ، أن هذا العرض المشوه لغايات المقاطعة العربية ، بدأ واضحاً في أشكال متنوعة ، في تصريحات عدة قادة ورؤساء أمريكيين . وعلى سبيل المثال ، أن الادمي العام (وزير العدل) لولاية نيويورك ، حيث تتركز غالبية المؤسسات المالية والمصرفية الأمريكية ، أعلن شروعه في تحقيق حول اتهامات تتعلق بضغط مزعومة « مارستها المصادر العربية » على مؤسسات نيويورك المالية . وادعى « أن هذا هو أول مثال أعلم به بشأن احتمال وقوع سوقنا الحرة في مجال السندات المالية تحت ضغط ممكن وتكتيكات قسرية تنطلق من تعصب أعمى . . . » (انظر نيويورك تايمز ٢/٢٤) . وخط التشديد من عندنا) . وأمر مجلس الشيوخ الأمريكي بإجراء تحقيق مماثل على مستوى الأمة . ووعده رئيس اللجنة المختصة بسن تشريع إذا اقتضى الأمر ، « لضمان معاملة متساوية ل مواطنينا » .

وربما كانت أخطر من كل هذا ، بسبب ما لاقتته من تغطية واسعة على صعيدي الصحافة والتلفزيون ، تصريحات الرئيس الأمريكي جيرالد فورد نفسه يوم ٢/٢٦ . لقد هاجم فورد التدابير العربية ضد المصارف المتعاملة مع إسرائيل ، ووصفها بأنها « مناقضة كلياً للتقاليد الأمريكية ، وكريهة في اعتبار المبادئ الأمريكية » . ولقد أخفق فورد أيضاً في إجراء أي تمييز بين إسرائيل واليهود ، مما ساعد تماماً على فرض الخط الصهيوني . وليس من الواضح ما إذا كان هذا

الزاهن بظلم اجنبيين قاما بزيارة سوريا مؤخرا . وسوف يكون هذان المثلان المباينان بصورة كبيرة في تقديم الموقف ، فرصة لطرح مشكلات المعلومات ونقص المعلومات عن يهود سوريا .

في الحالة الاولى ، عقد عضو في الكونجرس الامريكي ، هو ستيفن سولارز من نيويورك ، مؤتمرا صحافيا في الولايات المتحدة ، غداة عودته من زيارة لسوريا ، حيث كان قد توجه لمناشدتها « اطلاق سراح » السكان اليهود . لقد عقد المؤتمر الصحافي برعاية « المؤتمر اليهودي الامريكي » ، الذي كان المؤسسة الصهيونية المسؤولة بصورة رئيسية عن نشر المعلومات المغرضة والمفلوطة بشأن حالة اليهود السوريين . وفي تقرير عن المؤتمر الصحافي نشر في جهوراليم بوست (٢/٢٣) نقل عن سولارز قوله ان اليهود السوريين يعيشون « في حالة من الرعب » ، وانهم « التجمع اليهودي الذي يقاسي من افظع اضطهاد وجود في العالم » . وادعى سولارز الذي كان قد اجتمع بالرئيس الاسد ، ان الاسد منع اي يهودي سوري من مغادرة البلاد ، لانه اذا سمح بحدوث ذلك لما كان سيصبح في وسعه الضغط على البيوفيات لمنع هجرة مماثلة من روسيا .

والاخطر من ذلك ، ان سولارز يعدد التدابير المتعددة المزعومة التي « وجد » انها تتخذ ضد يهود سوريا :

« .. لقد حرّموا من حق الهجرة ، وفرضت على سفرهم داخل سوريا قيود قاسية ، ويطلب اليهم حمل بطاقات للتعريف على انهم يهود ، كما انهم ممنوعون من تولي وظائف حكومية ، وكثيرا ما يلقي القبض عليهم ويضربون ، وليس مسموحا لهم باقتناء اجهزة هاتف سواء في منازلهم او في سياراتهم » .

لقد ذكر سولارز انه لم يتحدث الى اي يهودي خلال اقامته في سوريا ، الامر الذي يدفعنا الى طرح السؤال : من اين اذن حصل على معلوماته؟ من الواضح ان مسألة موثوقية روايته لم تطرح في المؤتمر الصحافي .

ما يثير اهتمامنا في هذه الواقعة ، انها تكشف عن المشكلات المطروحة حين يطلب مراقبون اجانب التحقيق في اوضاع ما على ارض الواقع . لقد كان

الموضوعيون . ومع ذلك ، فان من المحتمل ان تكون هذه الحملة الصهيونية الاخيرة على « عداء العرب للسامية » قد حققت بعض ما استهدفته من تأثير خاصة في الولايات المتحدة الامريكية حيث لقي الموقف الصهيوني دعما قويا .

ومهما كان الاذى الذي سببته هذه الحملة للعرب ، فان من الممكن معالجته بسياسة ثابتة لمكتب المقاطعة العربية ، وكذلك بواسطة المؤسسات العربية الحكومية وغير الحكومية المعنية بهذه المسألة : ينبغي ان يكون هناك تركيز حاسم وواضح على عداء المقاطعة العربية للصهيونية ، بما في ذلك الاشارة عند الاقتضاء ، الى المنظمة ملهوسة لمشاركة يهودية غير صهيونية مع المال العربي . ان هذا سوف يخدم بالتالي هدفا ابعد ، وهو ان يرسخ في الذهنية العامة الفارق الموضوعي بين الصهيونية واليهود ، سواء اعرفت اسرائيل بهذا أم لم تعترف .

اضافة حول اليهود في سوريا : مشكلات المعلومات والدعامة

تبرز مسألة « معاداة السامية » في الموضوع الثاني في تقريرنا الشهري الحالي ، والمتعلق باليهود في سوريا ، وهو الموضوع الذي كنا قد عالجنه في تقرير الشهر الماضي ، وذلك حين شرحنا المساعي الصهيونية الجارية للربط بين الاضطهاد المزعوم لليهود في سوريا وبين برنامج منظمة التحرير الفلسطينية في سبيل دولة علمانية ديموقراطية في فلسطين . وكنا في التقرير السابق اياه قد بينا كيف ان مختلف المعلقين الصهيونيين وانصارهم ، يجهدون للتشكيك في برنامج منظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك بالقياس الافتراضي بين اوضاع اليهود الاضطهادية المزعومة في سوريا وبين الوضع المستقبلي لليهود الاسرائيليين في دولة فلسطينية لا صهيونية عاد اليها سكانها العرب .

الى جانب هذا الخط المحدد ، لقضية يهود سوريا اهمية معينة في ذاتها ، من ناحية للطريقة التي تصور بها حكومة وشعب سوريا ، ومن ناحية ثانية لثبيتها المحتملة لمقابلتها بوضع الفلسطينيين في ظل الحكم الاسرائيلي . وسنعمد في تقريرنا الان ، الى المقارنة بين مقالتين تعالجان وضع اليهود في سوريا ، وفي كليهما وصف لوضعهم

الى يهود سوريا ، وأنهم يتكلمون بحرية وبغير رعب . « . انه يلاحظ « انه برغم معاناتهم من بعض القيود المؤسفة ، واستيائهم الشديد منها » ، فان هذه القيود « تتبع من الاعتبارات السياسية والامنية لبلد يعتبر نفسه في حرب ... وان هذه القيود لا تبلغ حد الاضطهاد » . ويعدد هيرست بعض هذه القيود ، بما فيها الحاجة لانون سفر داخلية ، وحظر العمل في سلك الجيش ، لكنسه بدرجتها في سياقتها الملائم حين يضيف ان القيود على يهود سوريا أقل قسوة من القيود المفروضة على العرب في اسرائيل ، « وهناك القليل من ذلك التمييز الاضافي الناجم عن الايديولوجية الاساسية للدولة ، والتي يعانى العرب (في اسرائيل) بسببها » .

ويضفي هيرست ليقتر بصراحة ان ما يقوله المؤتمر اليهودي الاميركي وغيره من الجماعات الصهيونية حول يهود سوريا « كاذب » . انه يشرح هذه النقطة بالاشارة الى :

« انهم ليسوا ممنوعين من اقتناء السيارات واجهزة التليفزيون . لا صحة لحظر تجولهم عند الساعة العاشرة ... ان ملكية اليهود لا تؤول الى الدولة عند الوفاة ... ان الكثيرين منهم [اليهود] يديرون اعمالا رابحة في احياء حديثة من المدينة ... وان التعاليم الدينية ليست ممنوعة وكذلك تدريس العبرية ... وان اليهود ليسوا ممنوعين من دخول الجامعات السورية ... وانهم يؤكدون في الغالب ان وضعهم بدل أن يسوء ، قد تحسن » .

ويعالج هيرست مسألة قيود السفر الى الخارج بصورة دقيقة ، مشيراً الى ان معظم اليهود الراغبين بالسفر الى الخارج هم الشباب والمتعلمون ، وان هؤلاء يخضعون للقيود عنها التي يخضع لها جميع الشباب والمتعلمين في سوريا . ويذكر المراسل ان بعض اليهود يسافر فعلا . وينقل عن شاب يهودي طالب في الجامعة قوله : « اذا سمح لنا بترك البلاد ، فان ٨٠٪ سيرغبون في البقاء ، واني لعلى ثمة ان الاقلية ستختار الذهاب الى اسرائيل » .

لقد أسهبنا كثيرا في عرض هذه المقالة (رغم اننا لم نذكر العديد من النقاط الايجابية الاخرى) ، وذلك لتؤكد القيمة المحتملة لثل هذه التقارير

سولارز يعرف مقدما ، وقبل ان يغادر الولايات المتحدة ، ماذا يتوجب عليه ان « يكتب » حول يهود سوريا ، وربما لم يكن هناك سوى القليل مما يمكن عمله لتغيير آرائه القائمة على نهج ايديولوجي . ومع ذلك ، فلم يكن منح سولارز من دخول سوريا ، بسبب علاقاته مع المنظمات الصهيونية ، امرا مجددا . (وبالطبع كان سيؤدي منعه من دخول سوريا ، وهو عضو الكونجرس الاميركي ، الى زيول دبلوماسية) . على اي حال ، ان من الصعب عادة معرفة القناعات السياسية لمراتب ما ، بصورة مسبقة .

لا جدال مع ذلك في القيمة العظيمة للسماح للبراقبين والصحافيين الاجانب ، بالتحقيق في هذه القضية وميلائتها بصورة مباشرة ، بالرغم من مخاطر التشويه الصهيوني في اعقاب ذلك . ان هذا الامر يتبدى بجلاء في مقالة اخرى حول اليهود السوريين ، وهذه المرة بقلم صحافي غربي هو ديفيد هيرست مراسل « الجارديان » البريطانية في الشرق الاوسط . ويذكر المراسل في مقالته انه كان محظورا عليه دخول سوريا لمدة عامين ونصف العام لاسباب لا يوردها . وبعد ذلك سمح له بالدخول ، ولقد نشرت له الصحيفة عدة مقالات موضوعية حول سوريا ، تصدى في بعضها بقوة لعديد من الخرافات الصهيونية والمناهيم المخلوطة . ومثل هذا تماما مقالته حول يهود سوريا (٢/٢٧) التي احتلت ثلث الصفحة الرابعة من الجريدة .

ان تياول هيرست لموضوعه يتسم بالدقة والذكاء . انه يلاحظ ان النظام السوري يهتم كثيرا بالدعاوة الصهيونية المحيطة بالقضية ، كما يصف بعض تجارب السوريين السلبية مع مراسلين غربيين بشأن يهود سوريا . ومن الطريف انه يقتبس في مطلع مقاله بعض ما ورد مؤخرا في منشور للجوتمبر اليهودي الاميركي حول يهود سوريا ، وهو المؤتمر نفسه الذي رعى المؤتمر الصحافي لعضو الكونجرس سولارز ، والذي - كما يبدو بوضوح - زود سولارز « بعلوماته » في القضية . ويشعر هيرست بدحض اكاذبيهم واحدة واحدة .

يقول هيرست « انه ليس من العسير الوصول

هيرست ، يحتمل ان يكتشفوا وان ينشروا بعض نواحي المسألة من التي قد تصدم القراء الاجانب باعتبارها غير عادلة او مؤسفة ، الا ان الانطباع العام الذي ينفرس في الذهن في النهاية ، هو انطباع ايجابي ، خاصة اذا ما تورن الوضع بأحوال الفلسطينيين الموجودين في ظل الحكم الاسرائيلي .

ولا بد من الاشارة في هذا المقام ، الى انه لم يفت الصهيونيين ملاحظة خطورة تقرير هيرست . ذلك ان هذا التقرير وسواه من التقارير التي بعث بها هيرست اثارت ضجة عظيمة في بريطانيا ، كما نستدل من المناقشات وخطابات الرأي التي ظهرت في الرسائل الموجبة الى محرر الجارديان ، والتي تنشر تباعا في الصحيفة . ولقد لاقى هيرست حملة من الانتقادات الحاقدة والشتائم من جانب القراء والناطقين المساندين للصهيونية الذين كانوا يتابعون مقالاته . واذا سمح لنا المجال ، فسنعرض لشيء من هذا في تقرير الشهر المقبل .

ادريس الخالدي

الاجنبية الموضوعية في التصدي للدعارة الصهيونية . ان ظهور مقالة كهذه ، في صحيفة بورجوازية ذات شأن كالجارديان ، بسبب للخصية الصهيونية اذى يصعب معالجته . لقد اوضح هيرست بكل جلاء ، ان سوريا ، نظاما وشعبا ، الموصوفة بالتمصيب في الغرب ، عاملت يهودها بطريقة تثير الاعجاب ، على الرغم من الاعتبارات الامنية والتخريص الاسرائيلي المتواصل ماضيا وحاضرا . فاذا كان هذا هو حال اليهود الطيب في بلد عربي في زمن الحرب ووطأتها السياسية والنفسية المائلة ، فما الذي يبرر رفض تجريد اسرائيل من الصهيونية ، ورفض دولة علمانية ديموقراطية في فلسطين ؟

اسئلة كهذه تثيرها مقالة هيرست في الذهن العام . انها تحضر الدعاء الصهيونيين في الزاوية . ولهذا السبب ، ينبغي تشجيع صحافيين مستقلين اخرين على التحقيق في وضع يهود سوريا بحرية ، مع المخاطرة بالسماح لأولئك الذين يتبنون موقفا مساندا للصهيونية باغتنام الفرصة لينشروا بالتأكيد مزيدا من الدعارة الصهيونية حول المسألة . ومع انه حتى المراقبين الاكثر موضوعية وتعاطفا ، مثل

مقابلة مع المسؤولين في الاتحاد العام لعمال فلسطين / فرع لبنان حول بعض القضايا النقابية

المثال ، الاخوين صلاح صلاح وأحمد البيهاني (أبو ماهر) . كما كان نشاط الفرع محصورا في مناطق معينة . وقد استمر وضع الاتحاد على هذه الصورة حتى اواخر عام ١٩٦٨ . ففي هذا العام ، ومع تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان ، بدأ عمل الاتحاد يأخذ طابع العلنية . وقد تشكلت هيئة ادارية على اساس صيغة ائتلافية بين حركة التحرير الوطني (فتح) وبين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وكان أمين سر الفرع آنذاك زيد وهبه ونائب أمين سر الفرع صلاح صلاح .

أما المهمة الرئيسية التي واجهتها الهيئة الادارية فهي الاعداد للانتخابات . وقد جرت هذه الانتخابات في شهر ايار عام ١٩٧١ . الا ان الملاحظ ان هذه الانتخابات لم تأخذ طابعا نقابيا صرفا ، بل اتخذت طابع الصراع والمنافسة السياسية بين التنظيمات السياسية الفلسطينية . وقد خاضت الانتخابات قائمتان متنافستان الاولى تمثل فتح تحت شعار قائمة « انصار الثورة الفلسطينية » (وقد تحالف وقتها مع هذه القائمة جبهة التحرير العربية في منطقتي طرابلس وصيدا) ، والثانية ضمت كافة فصائل المقاومة الفلسطينية الاخرى تحت شعار قائمة « الوحدة الوطنية » .

وقد أسفرت الانتخابات عن فوز قائمة « انصار الثورة الفلسطينية » في كافة المناطق اللبنانية ، باستثناء منطقة صور التي فازت فيها القائمة المنافسة الاخرى . واثرت هذه الانتخابات معقد المؤثر الرابع لفرع الاتحاد ، الذي بلغ عسدد أعضائه ٨٤ عضوا حضر منهم المؤتمر ٦٦ عضوا . وقد أسفر المؤتمر عن انتخاب هيئة ادارية من ١١ عضوا يمثلون ثلاثة تنظيمات فلسطينية (فتح ، الجبهة الشعبية ، الصاعقة) ، وكذلك انتخب الاخ موسى جريس (فتح) أمينا لسر فرع الاتحاد .

أجرت « شؤون فلسطينية » هذا اللقاء مع الاخ زيد وهبة أمين سر فرع الاتحاد العام لعمال فلسطين في لبنان وعضو اللجنة التنفيذية والمجلس الاعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين ، والاخ موسى جريس مسؤول العلاقات الخارجية في فرع لبنان وعضو المجلس الاعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين ، وذلك بمناسبة عيد العمال العالمي في أول ايار الذي هو ايضا عيد للطبقة العاملة الفلسطينية . وقد حرصنا ، في هذا اللقاء ، ان نركز على القضايا النقابية . وقد طرح الاخوان خطة عمل فرع الاتحاد في المرحلة الحالية على ضوء التجربة السابقة متناولين مختلف الظروف السياسية والاجتماعية والنقابية للعمل الفلسطيني في لبنان .

وقد لفت انتباهنا ان هناك محاولة جادة من قبل فرع الاتحاد في لبنان باتجاه تعميق التجربة النقابية وتطويرها عن طريق تشكيل ما يسمى « باللجان النقابية المهنية » و« اللجان المحلية » التي ستؤدي ، في حال نجاحها ، الى تكوين النقابات الفلسطينية على اساس مهني بحيث يكون الاتحاد العام لعمال فلسطين هو اتحاد نقابي فعلي لجموع النقابات الفلسطينية . وهذه المحاولة — البادرة جديرة حقا بالاهتمام والتشجيع من جميع فصائل المقاومة المشاركة في الاتحاد ، والى النصف العناصر النقابية المخلصة حولها ، على مستوى القاعدة العمالية ، بهدف النضال من أجل ارسائها وتطويرها على أسس ديموقراطية ونقابية صلبة .

— هل لكم ان تقدما لنا بإيجاز لمحة عامة عن نشاط الاتحاد العام لعمال فلسطين / فرع لبنان ؟

بدأ نشاط الفرع في عام ١٩٦٤ ، ونظرا للظروف السياسية التي كان يعاني منها الفلسطينيون في لبنان ، اتخذ عمل الاتحاد في تلك الفترة الطابع السري نسبيا . وكان أعضاؤه يتعرضون للاعتقال والملاحقة المستمرة ، نذكر منهم ، على سبيل

بمطالب الجماهير الفلسطينية في المخيمات من وكالة الغوث ، كما وقف بحزم ضد السياسة التعليمية التجهيلية التي تبناها .

أما أبرز إنجازات الفرع في المخيمات فهي المساهمة مع الأهالي في بناء الجارير في مخيمي تل الزعتر وبرج البراجنة . ومن خلال التعاون المشترك مع أهالي مخيم جسر الباشا تم إنشاء مدرسة تكميلية في المخيم . وقد بلغت تكاليف البناء ٥٧ ألف ليرة لبنانية وساهمت حركة فتح والاتحاد العام لعمال فلسطين / فرع الكوييت بالمساعدة المالية . وفي مخيم الجليل (ويفل) ببعلبك قام الاتحاد بالاشتراك مع فصائل حركة المقاومة في المنطقة بجمع تبرعات مادية لبناء خزان للمياه داخل المخيم . ويقوم الاتحاد ، أيضا ، بتقديم مساعدات مالية لبعض العمال المحتاجين اليها . هذا ، بالإضافة الى دفع مساهمات مالية أخرى لبعض أبناء العمال في حال المعالجة الطبية لهم .

ما هو وضع الفرع وكيف تطور نشاطه بمعد المؤتمر الخامس ؟

بتاريخ ٧٤/٨/١٦ عقد المؤتمر الخامس للفرع في سوق القرب بحضور اعضاء المؤتمر الذين بلغ عددهم ١٣٩ عضوا . وهم يمثلون كافة فصائل المقاومة الفلسطينية .

والواقع ان المؤتمر الخامس لم يعقد نتيجة انتخابات نقابية عامة ، بل على أساس صيغة ائتلافية ضمت كافة فصائل المقاومة المتواجدة على الصعيد الشعبي في المخيمات . وقد جرت الصيغة الائتلافية حسب نسبة تمثيل كل فصيل سياسي من عدد العمال لفرع الاتحاد ، (٧٥ عضوا لحركة فتح و ٦٤ عضوا لكافة المنظمات الفلسطينية الأخرى . هم عدد اعضاء المؤتمر الخامس للفرع) . وانتخب المؤتمر هيئة ادارية مؤلفة من ١٥ عضوا . (٧ لبحركة فتح و ٨ للمنظمات الأخرى) . وجرى انتخاب النقابي زيد وهبة امينا لفرع الاتحاد في لبنان . والجدير بالذكر ان الاخوين النقابيين اللذين قادا عمل الاتحاد طيلة السنوات الخمس الماضية (زيد وهبة وموسى جريس) كانا قد أكدا على ضرورة الائتلاف الجبهوي بهدف مشاركة كافة التنظيمات في العمل النقابي ، وذلك على ضوء تجربتها السابقة في العمل .

وبعد المؤتمر مباشرة عقدت الهيئة الادارية لفرع

كيف تطور نشاط الفرع بعد المؤتمر الرابع في مختلف الأصعدة ؟

كانت القضية الاساسية هي العمل على بناء الهيكل التنظيمي النقابي للاتحاد . وقد واجهت هذه القضية الكثير من العقبات . فأولا ، لم يكن هناك عدد من الكوادر النقابية الكفؤة والمتفرغة للعمل النقابي فقط . ثانيا ، عدم تعاون فصائل المقاومة المشاركة في الاتحاد والتي بقيت خارج جسم الاتحاد بنتيجة الانتخابات التي كانت استفتاء سياسيا أكثر مما كانت استفتاء نقابيا ، ذلك الى حد ان بعض التنظيمات ، بعد الانتخابات ، صممتها على اعضائه بعدم الالتزام بنفع الاشتراكات . وبالرغم من كل هذه الصعوبات فقد استطاع الفرع ، ضمن الإمكانيات المتوافرة القليلة ، ان يخوض نضالات نقابية ناجحة وتحقيق العديد من الانجازات . ونذكر من النضالات النقابية عام ١٩٧٣ العمل على زيادة أجور عمال الزراعة في الجنوب والبقاع من ٥ ل.ل. الى ٧ ل.ل. يوميا على أساس ان تكون اجرة الطريق على رتب العمل . وفي عام ١٩٧١ ناضل الفرع من أجل فرض الحد الأدنى للأجور للعمال الفلسطينيين في محطات البنزين بمنطقة صيدا . كذلك النضال من أجل زيادة أجور عمال الرض من ١٣ ل.ل. الى ١٥ ل.ل. يوميا في نفس منطقة صيدا . وفي ١٠/٩/١٩٧١ تمت زيادة أجور عمال البساط في صيدا وصور بمعدل ٢٥٪ . هذا بالإضافة الى تحصيل حقوق العمال الفلسطينيين المنفصلين من العمل في كافة المناطق اللبنانية .

وبالنسبة لتحرك عمال غندور تشرين الثاني ١٩٧٢ فقد شارك عمال الاتحاد في المصنع جنباً الى جنب مع العمال اللبنانيين . وقد تعرض سبع من العاملات الفلسطينيات الى الاعتقال . وحاولت وقتها بعض الجهات في السلطة ان تزج بالمقاومة في قضية ذات طابع نقابي . ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل واصدر الفرع بيانا نشر في معظم الصحف اللبنانية حذر فيه من محاولة زج المقاومة وشرح فيه اسباب المشاركة في الاضراب وكاننت النتيجة طرد ٦ من العاملات الفلسطينيات في المصنع نتيجة لموقف الفرع الصلب من هذه القضية النقابية .

ومن جهة ثانية ، أولى الاتحاد اهتماما واضحا

ونرى أن العمل في الفرع قد بدأ يأخذ الشكل الديمقراطي والنقابي الصحيح في الروابط الخمس الممثلة بالهيئة الادارية . وذلك من طريق تشكيل العديد من اللجان المهنية النقابية واللجان المحلية القائمة على اساس الوحدة الانتاجية (مصنع ، مؤسسة ، ورشة) .

وقد جرى تشكيل لجان نقابية مهنية لكل من : عمال القطاف في الجنوب ، وعمال المحروقات (محطات البنزين) ، وعمال الميناء ببيروت ، وللسائقين في وكالة الغوث ، وعمال البناء ، وعمال المصايغ ، وللعاملين في المهن الطيبة (ممرضون بشكل خاص) . كما تم تشكيل عدد اخر من اللجان المحلية في بعض المؤسسات ، التي يعمل بها العمال الفلسطينيون ، في بيروت . وتقوم ، حاليا ، اللجان النقابية المؤلفة باعداد دراسات نقابية مهنية عن مجال عملها . وتلعب اللجان النقابية المذكورة دورا واضحا في النضال النقابي لتحقيق العديد من المطالب العمالية . وقد كان اخر نضالاتها الناجحة ، خلال شهر نيسان ١٩٧٥ ، تحسين شروط العمل والاجور لعمال قطاف الليمون في الجنوب .

وهناك عدد من النضالات النقابية البارزة التي قامت بها اللجان النقابية ، نذكر منها : تحقيق بعض مطالب عمال محطات البنزين في الجنوب والبقاع لجهة زيادة الاجر وتحديد ساعات العمل وبعض الضمانات الصحية والاجتماعية . هذا بالإضافة الى تحقيق بعض مطالب العمال والممرضين والمسائقين العاملين في وكالة الغوث . وفي رابطة الشمال (طرابلس) تولت اللجان النقابية في الرابطة مهمة توزيع السكر للمواطنين الفلسطينيين في المخيمات بشكل منظم . وتجري حاليا الدراسات حسب سلم الاولويات ، لتبني مطالب اللجان النقابية الأخرى .

وعلى صعيد المطالب الاجتماعية لجهاهير المخيمات ، يقوم الفرع بنشاط واضح ، من خلال الروابط واللجان النقابية المؤلفة ، لانتاج عدد منها . ففي مخيم تل الزعتر تم انجاز مشروع اللجان والمستشفى والمسجد وقاعة العمال في مبنى واحد . كما تجري ، حاليا ، عملية حفر بئر ارتوازية لمياه الشرب في نفس المخيم .

الاتحاد اجتماعها الاول حيث جرى توزيع المسؤوليات ووضع الخطوط العريضة لعمل فرع الاتحاد للفترة من ١٩٧٤ — ١٩٧٧ حيث تحتل المهمة المركزية مسألة بناء الهيكل النقابي في الروابط (تتشكل كل رابطة على اساس المنطقة) وتشكيل مكاتب ادارية في كل رابطة تتولى مباشرة الاتصال بالعمال وتشكيل لجاتهم النقابية المهنية وذلك انسجاما مع الخطة الزامية لتنفيذ مهام الفرع المتمثلة بـ :

أ — ضرورة العمل الجاد لتشكيل اللجان النقابية المهنية واللجان المحلية بغية ترسيخ أسس نقابية صحيحة حتى يصبح الاتحاد العام لعمال فلسطين « اتحاد نقابات عمال فلسطين » . وفي حال نجاحنا في مهمة تأسيس مثل هذه اللجان تجري عملية تطويرها لكي تصبح نقابات مهنية فعليه ومعنية مباشرة بالانتخابات والتثيل في الاتحاد وليس المنظمات السياسية كما هو الحال الان .

ب — النضال المشترك بين قيادة العمال والاتحاد من اجل الفاء اجازة العمل في لبنان وبالتالي تعميق الوحدة العمالية والنقابية بين العمال اللبنانيين والفلسطينيين وذلك سواء من خلال القواعد العمالية او النقابات اللبنانية التي تمثل العمال اللبنانيين تمثيلا صحيحا .

ج — النضال من اجل رفع مستوى العامل الفلسطيني نقابيا واجتماعيا وسياسيا . ونحن نلاحظ ان اعمال الهيئة الادارية الجديدة قد انتظمت بشكل ممتاز من خلال الاجتماعات الدورية التي تعقد كل ١٥ يوما لمناقشة كيفية تنفيذ خطة العمل والاشراف المباشر عليها . وقد حاولنا ان تطور أسس علاقاتنا بالتنظيمات السياسية من خلال رسائل رسمية توجه الى كل تنظيم لتبيان دور ممثله في الهيئة الادارية ، كما نعرف بانجازاتنا النقابية وبالعمقيات التي تواجه الفرع . وذلك لكي يكون واضحا امام كل تنظيم سياسي الدور الذي يمارسه الاتحاد .

ومن جانبها ، تحرص الهيئة الادارية ، في الوقت الحاضر ، على حضور جميع الاجتماعات التي تعقد في الروابط ، والاشراف ، بالتالي ، على تشكيل اللجان النقابية وحضور الاجتماعات الدورية الموسعة في كل مخيم .

متفرغان فعليا وكليا للعمل النقابي في الفرع .

٣ - الفرع بإمكانياته الحالية لا يستطيع ان ينجح كليا ببناء اللجان النقابية ، طالما ان قيادة الاتحاد العام لعمال فلسطين المثلة في الامانة العامة لا تقوم بالدور التوجيهي ، وبالتالي ، المشاركة الفعلية من قبل المسؤولين في قيادة الاتحاد . وذلك يرجع ، حسب تصورنا ، للأسباب التالية :

١ - عدم وجود معهد نقابي تابع للاتحاد العام لعمال فلسطين . ب - افتقار الاتحاد الى وجود أجهزة متفرغة للعمل النقابي . فعلى سبيل المثال ، نجد ان المسؤول الاعلامي في الاتحاد العام لعمال فلسطين يعمل بصورة فردية بدون جهاز اعلامي . وهذا الواقع ينسحب على جميع الامناء العامين المساعدين بحيث انه عندما يسافرون لتمثيل الاتحاد في البلدان العربية والاجنبية الصديقة لا يوجد هناك من يقوم بدورهم . وهم ، بالنتيجة ، يقضون معظم اوقاتهم بعيدا عن هوم ومشاكل فروع الاتحاد المختلفة .

٢ - هل نستطيع ان نستنتج من حديثكما ان النشاط الاساسي للامانة العامة للاتحاد ينصب على النشاط الاعلامي الخارجي اكثر مما ينصب على الاهتمام بمشاكل العمل النقابي الداخلي ؟

٣ - هذا صحيح .

٤ - هل هناك عقبات اخرى ، غير نقابية ، تحول دون تنفيذ خطة الفرع النقابية بفعالية ؟

١ - هناك ظاهرة عدم تجاوب كافة التنظيمات السياسية . فمن المؤسف انها حتى الان لم تتجاوب بشكل فعال لفهم الدور النقابي للاتحاد ودعمه وتطويره لكي يكون على مستوى مسؤولياته . فمن مجموع الرسائل التي وجهها فرع الاتحاد الى جميع فصائل المقاومة مؤخرا ، لم يصل سوى رد مشجع من الجبهة الشعبية ورد اخر من فتح ولم يصلنا شيء من سائر التنظيمات الاخرى . كما انه منذ انعقاد المؤتمر الخامس للفرع وحتى اليوم نجد ان التنظيمات تستبدل يوميا الاعضاء المرزوين للعمل في الروابط . وهذا نتيجة لعدم تفريغهم من قبل تنظيماتهم للعمل النقابي من جهة ، وعدم محاسبة تنظيماتهم لهم عن دورهم النقابي . ونحن نجد ايضا ان كل اعضاء الهيئة الادارية الذين يمثلون مختلف التنظيمات السياسية يشكون ويتذمرون من

وفي رابطة البقاع شرعنا بحفر بئر ارتوازية اخرى في حديم الجليل (ويذل) وتصلل التكاليف الى حوالي ١٥ الف ليرة . وفي رابطة صور تم الاعداد لحفر بئر ارتوازية ، ايضا لاهالي مخيم القاسمية .

وهنا نرغب ان ننوه باهتمام فرع الاتحاد بملاحقة مسألتي اجازة العمل والضمان الاجتماعي للعمال الفلسطينيين فقد تقدم الفرع مؤخرا بمذكرة لرئيس الوزراء ولوزير العمل والشؤون الاجتماعية في ٧٥/١/٣ طالبنا فيها بضرورة الفاء اجازة العمل للفلسطينيين وافادتهم من صندوق الضمان الصحي والاجتماعي اسوة باخوانهم العمال اللبنانيين .

٥ - هل لكما ان تشرحا لنا خطة الفرع لتطویر عمل اللجان النقابية والمحلية ؟

١ - اننا نسعى ، الان ، لتعميق الوعي النقابي لدى عامل منتسب للاتحاد من خلال اللجان النقابية المهنية او المحلية . ويتم ذلك :

١ - بعقد المحاضرات والاجتماعات الموسعة بين اللجان واصدار التعميم النقابي الشهري ، والاعداد لدورات نقابية في الخارج عن طريق الامانة العامة للاتحاد العام لعمال فلسطين . كما اننا نحاول ، الان ، اعداد دورات نقابية محلية على صعيد الفرع .

٢ - العمل على اعداد دراسات مهنية تقوم بها كل لجنة من اللجان النقابية المؤلفة وذلك من خلال استشارات تفصيلية .

٣ - العمل على ان تنتخب اللجان النقابية والمحلية المؤلفة ممثلها الفعليين بشكل ديمقراطي يضمن لتتسلسل التنظيمي النقابي دوره الفعال واطاره الديمقراطي الصحيح .

٤ - لكن ما هي العقبات التي تقف ، حسب تصوركما ، دون تطوير خطتكم لتطویر عمل اللجان النقابية ؟

٥ - أهم العقبات هي :

١ - عدم وجود الكادر النقابي الكئوف والمنتزغ لهيئته النقابية .

٢ - عدم امكانية فرع الاتحاد المالية لتفريغ المزيد من الكوادر . فحاليا لا يوجد سوى عضوان

اللسطينيين في لبنان « اجانب » . والغاء هذا التشريع يحتاج الى اعادة النظر في القرار من قبل اغلبية نيابية . وطالما ان هذه الاغلبية غير متوفرة فان حجة السلطة ستظل قائمة !

وانطلاقا من قناعنا بان هذا الموقف هو موقف سياسي بالدرجة الاولى ، وعلى ضوء التفسيرات والمعطيات الجديدة للثورة يحق لرئيس الجمهورية ولجلس الوزراء استصدار تشريع جديد بالغاء اشتراط اجازة العمل .

ومن الملاحظ انه في جميع مؤتمرات منظمة العمل العربية هناك قرارات وتوصيات تطالب جميع الدول العربية الاعضاء ببسواوة العمال الفلسطينيين بالعمال العرب في كل بلد عربي . ولبنان ، بالطبع ، ضمن هذه الدول التي التزمت بقرارات هذه المؤتمرات . ولكنه لم ينفذ منها شيئا .

لما دورنا في هذا المجال فهو الاستمرار بالنضال الداخلي ، من خلال التلاحم مع العمال اللبنانيين والاتحادات اللبنانية الصديقة للوقوف بحزم ضد هذه التشريعات الجائرة التي تجاوزتها وحدة الدم الفلسطيني اللبناني على ارض لبنان . كما اننا سنناضل ، ايضا ، من خلال المؤتمرات العربية والدولية للضغط على الدولة اللبنانية لكي تعيد النظر في هذا التشريع الجائر .

ولكن يبقى التركيز الاساسي في هذا المجال هو العمل على تصليب قاعدتنا العمالية التي تعتبر الركيزة الوحيدة القادرة بنضالها للتلاحم مع النضال العمالي اللبناني والعربي على تجاوز كل ما يحول دون تحقيق مطالبها العادلة .

هاني مهندس

عدم تجاوب تنظيماتهم في مجال عملهم النقابي . ولكننا نأمل ان تتحسس المنظمات السياسية هذه المشكلة وتوليها الاهتمام الكافي .

— كيف تفسران مشكلة جمع الاشتراكات وهناك

حوالي ٢٣ ألف منتسب لفرع الاتحاد في لبنان ؟!

— هناك بالواقع مشكلة مزمنة بالنسبة للالتزام اعضاء الاتحاد في دفع الاشتراكات . وهذا يرجع الى هامشية الاسس النقابية لارتباطاتهم السابقة بجسم الاتحاد . ولكننا نلمس الان بشكل اولي ومن خلال اللجان النقابية والمحلية المؤلفة بسوادر التحسن في مسألة جمع الاشتراكات الشهرية من الاعضاء . وهذه العملية لا بد ان تسرع جنبا الى جنب مع تحسن الهيكلية النقابية في بناء فرع الاتحاد .

— ما هي علاقة الفرع بالنقابات اللبنانية ؟

— لقد أولى الفرع اهتماما خاصا بالعلاقة مع بعض الاتحادات اللبنانية . وقد جرى عدد من اللقاءات الهامة بين الفرع والاتحاد العمالي العام ، كما تشكلت لجنة تنسيق مع الاتحاد الوطني للعمال والمستخدمين في الجنوب . وكذلك تألفت لجنة تنسيق مماثلة مع اتحاد عمال الشمال . هذا بالإضافة الى عدد من اللقاءات على مستوى القواعد العمالية في جميع المناطق اللبنانية وتبني القضايا العمالية المشتركة مع العمال اللبنانيين .

— ما هي حسب تصوركم ، اسباب رفض

المسؤولين في لبنان الغاء اشتراط اجازة العمل للعمال الفلسطينيين ؟

— يستند هذا الرفض من قبل المسؤولين الى صيغة تشريعية صادرة عن مجلس النواب تعتبر

(١) المقاومة الفلسطينية

الفشل والبديل

صيغة تقابل منا بالموقف الحازم الذي تعرفونه ، بل ان الامر بلغ بهم حد ان طالبوا مصر بالامتناع عن الدخول في عمليات عسكرية تشنها دولة اخرى على اسرائيل مع ان قادة اسرائيل واثقون من ان مجرد اثاره مثل هذه المسألة يعتبر دموع صريحة للرفض ونسفا لكل غرض الاتفاق » .

تحددت اذن عناصر الموقف الجديد كما يلي : ان اسرائيل تتحمل وحدها مسؤولية الفشل ، بسبب اصرارها على ربط الاتفاق حول سيناء بانتهاء حالة الحرب ، بينما كان الموقف المصري كما اوضحه فهمي « ان الاتفاق لا يمكن ان يكون الا خطوة عسكرية محدودة تتضمن الانسحاب الشامل للقوات الاسرائيلية الى شرق الممرات ومن كل حقول النفط » . واستنادا الى ذلك فلم يجر تحميل اميركا اي تسط من المسؤولية ، مسؤولية الفشل ، وبذلك فكما صرح السيد تحسين بشير ، المتحدث الرسمي المصري ، (٣/٢٢) فان فشل كيسنجر لن يؤثر على العلاقات المصرية - الاميركية ، كذلك اعلن الموقف نفسه وزير الخارجية المصري (في مؤتمر صحافي عقده في اسوان في ٣/٢٢) اذ اشار الى ان العلاقات المصرية - الاميركية لن تتأثر نتيجة انهيار جهود كيسنجر . وقال « ان هذه العلاقات التي تحسنت كثيرا منذ حرب ١٩٧٣ مستقر » . غير ان هذه النتيجة التي اصبحت احد مكونات السياسة المصرية في الاونة الاخيرة تجد لها تفسيراً آخر في الموقف الفلسطيني من الجهود الاميركية التي بذلت لتحقيق تسوية طلى جبهة سيناء . فقد صرح السيد عبد المحسن ابو ميزر ، الناطق الرسمي الفلسطيني ، اثر اجتماع عقده اللجنة التنفيذية لنظمة التحرير الفلسطينية في رئاسة الاخ ابو عمار

سياسة الخطوة - خطوة كانت اخر خطواتها المرطبية مساء ٢٢ آذار (مارس) الماضي عندما اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية في القدس ان الدكتور كيسنجر فشل في تحقيق اتساق حول سيناء وانه نتيجة ذلك « علق مهيمته » ، وسيعود الى واشنطن لاطلاع الرئيس فورد والكونجرس على تطورات الوضع ، فقد « تبين ان المواقف الاساسية لمصر واسرائيل لا يمكن التوفيق بينها ، والمسألة تحتاج الى فترة من التفكير واعادة التقييم لاعداد اتفاق يؤدي الى سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » . كما اعلن السيد اسماعيل فهمي ، وزير الخارجية المصري ، في الوقت نفسه ان سياسة التصرك خطوة - خطوة « انتهت » بعد فشل الوزير الاميركي « بسبب تعنت الحكومة الاسرائيلية » . وذكر فهمي « ان الحكومة الاسرائيلية تتصلل وحدها مسؤولية الفشل وكل المضاعفات الناجمة عن موتفها » . وقد حدد فهمي في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية الذي عقد في القاهرة في ٣/٢٤ على مستوى وزراء الخارجية ، اسباب فشل كيسنجر في تحقيق اتفاق حول سيناء ، فقال ان مصر اصرت في المفاوضات على رفض انتهاء حالة الحرب ، واضاف « حين تمسكت مصر بموقفها الجدي الذي يقوم على رفض هذا الانهاء غير المنطقي لحالة الحرب وارضا محطلة واخوتنا في الضفة الغربية يرزحون تحت اسوأ صور الاحتلال ، لجأت اسرائيل كمهددا الى المناورة والتلاعب فطرحت صيفا متعددة تدور كلها حول فكرة انهاء الحرب صراحة او ضمنا ، وكانت كل

الممارسات الفلسطينية إزاء جهود كيسنجر والموقف من مصر الذي تصاعد في شهر شباط الماضي وفي الفترة من آذار التي شهدت محادثات كيسنجر في مصر واسرائيل ، الى درجة الازمة في العلاقات الفلسطينية - المصرية . غير ان فشل التوصل الى تسوية منفردة على الجانب المصري ، وهو الامر الذي رفضته منظمة التحرير الفلسطينية ، وضع هذه الازمة على عتبة الانفراج بعد ان زالت اسبابها المباشرة التي كانت تشكو منها القيادة الفلسطينية . وقد كان وصول ابو عمار الى القاهرة مساء ٤/٦ ومباحثاته خلال اليومين التاليين مع الرئيس السادات وعدد من المسؤولين المصريين مؤشرا على بداية الانفراج في العلاقات الفلسطينية - المصرية . وقد علقت « الاهرام » ٤/٨ على محادثات ابو عمار - السادات بقولها ان هذه المباحثات « اتسمت بالصراحة الكاملة وشملت ، بعد المناقشة الكاملة للعلاقات الفلسطينية - المصرية ، دراسة احتمالات المرحلة المقبلة بكل ابعادها السياسية والعسكرية » وقالت الصحيفة ان ابو عمار اكد في حديثه انه « اذا كانت العلاقات المصرية - الفلسطينية مرت خلال الفترة الماضية بسحابة صيف ، الا ان الجانب الفلسطيني يدرك تماما ان قدر الغضبية العربية برمتها ان تكون المقاومة الفلسطينية مع مصر ، ذلك ان اي مكابح لا يستطيع ان يتنكر لدور القاهرة الرائد والقائد ، بل ان لا حل للقضية العربية في فياب مصر كما ان لا حل ايضا لمشاكل مصر بعيدا عن العرب » .

ان فشل مهمة كيسنجر ففتح الباب للبديل : مؤتمر جنيف العتيد . ففي الوقت نفسه الذي اعلن فيه فهمي هذا الفشل أكد (في مؤتمر صحافي عقده في اسوان في ٣/٢٣) ان مصر ستطلب خلال الايام القليلة المقبلة عقد مؤتمر جنيف وان ذلك سيتم بموجب مذكرة تبعث بها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بوصفهما الرئيسين المتناوبين مؤتمر جنيف . وعلى الرغم من ان جنيف كانت سابقة مهمة الوزير الاميركي الا ان المؤتمر ظل احتياطيا ومشروعا في الظل بانتظار ما تسفر عنه سياسة الخطوة خطوة . وبمد الفشل فهو يمثل الان اداة مزدوجة لتحقيق هدفين اثنين : الاول ان يمنع سيطرة الركود على الجهود السياسية الرامية الى ايجاد تسوية ما للصراع ، والثاني ، وهو هدف

في دمشق في ٣/٢٣ ان اللجنة درست في اجتماعها « التطورات السياسية الناشئة عن فشل مهمة كيسنجر في المنطقة ولاحظت ان ذلك يثبت من جديد ان السياسة الاميركية القائمة على دعم العدو عسكريا وسياسيا وماديا وتشجيع استمرار عدوانه واحتلاله وتجاهل الوجود الفلسطيني وحقوق شعبنا ومحاوله شق وحدة الموقف العربي ، ان هذه السياسة هي السبب الرئيسي وراء غطرسة العدو وتهاديه في عدوانه » . وقد أكدت « فلسطين الثورة » (٣/٣٠) هذا التفسير بقولها ان « القول بأن الولايات المتحدة قد فعلت ما في مستطاعها للضغط على العدو ولكن دون جدوى ، وبالتالي فهي بريئة من الجرم اما المتهم الوحيد فهو العدو الصهيوني ، انما هو للتغطية على الخداع الامبريالي وعلى القوى المتواطئة التي تعمل من اجل سيطرته على المنطقة . غلامة العربية تعرف ان القاعدة الصهيونية قامت بفعل سيطرة الولايات المتحدة واستمرت وقامت بالعدوان المستمر بالسلح الامبريالي ، ولا احد يصدق ان العدو الصهيوني شيء والولايات المتحدة شيء اخر . فبدون دعم الولايات المتحدة لا يمكن لاسرائيل ان تعيش سنة واحدة فكيف تروج القوى العميلة والمشبوهة (براءة) الولايات المتحدة في الوقت الذي تعرف فيه الامة العربية ان اسرائيل هي قاعدة عدوانية للامبريالية الاميركية » .

ان هذا التفسير الفلسطيني لفشل كيسنجر هو جزء من الفهم الشامل للمهمة نفسها ، وقد عبر الاخ فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، عن هذا الفهم في تصريح « لوكالة تونس - اغريقيا للانباء » (نقلته « وقا » في ٣/١٠) قال فيه « نحن نرفض سياسة الخطوة خطوة لانها عملية مباطلة من جانب الامبريالية الاميركية واسرائيل لتعطيل كافة المساعي التي تهدف الى اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة ... ونحن لا نق بكيسنجر ولا بخطواته ولا بسياسته ، فالسياسة الاميركية ما زالت معادية بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وما زالت الولايات المتحدة تتقف موقف المتجاهل للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، ولذلك فاننا نرفض سياسة الخطوة خطوة ، ونعتقد انها صورة من التآمر على الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة » . هذا الفهم حدد

المؤتمر استنادا اليه . غير ان شمة ما يشير الى ان هناك بداية تحرك فلسطيني - عربي (سوري في الدرجة الاولى) لتعديل القرار ٢٤٢ بحيث يصبح مؤتمر جنيف مكانا صالحا لبحث الحقوق الفلسطينية . وقد ظهرت بوادر هذا التحرك في مؤتمر هافانا لدول عدم الانحياز اذ قدمت سوريا (رئيس وندها الى المؤتمر عبد الحليم خدام ، وزير الخارجية السوري) مشروع قرار ووفق عليه تضمن الفقرة التالية « تؤكد دول عدم الانحياز ضرورة طلب دعوة مجلس الامن الى الانعقاد لاعادة النظر في قراره الرقم ٢٤٢ في ضوء القرار رقم ٣٢٣٦ الصادر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في ١٩٧٤/١١/٢٢ ، او اتخاذ قرار جديد ينسجم مع قرار الجمعية العمومية المذكور من حيث ضمان حقوق الشعب الفلسطيني » (النهار ٢٢/٣) . وقد ذكر ابو عمار في تصريح ادلى به الى الصحافيين في الكويت (النهار ٤/٣) « ان سوريا تدرس حاليا، بواسطة دول عدم الانحياز ، المطالبة بتعديل القرار ٢٤٢ بحيث يأخذ في الاعتبار قرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة التي كرست الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » . ومن جوانب هذا التحرك ايضا لتعديل القرار ٢٤٢ الزيارة التي قسام بها ابو اللطف الى بلغاريا (اختتمت الزيارة في ٤/٨) والبيان المشترك الصادر في اثرها . فقد ورد في البيان الفقرة التالية : « يؤكد كلا الطرفين دعوة مؤتمر جنيف الى الانعقاد على وجه السرعة ، لكي يناقش ويسوي بشكل شامل كل جوانب ازمة الشرق الاوسط وقضية فلسطين على وجه التحديد على اساس القرار ٣٢٣٦ الذي اصدرته الدورة التاسعة والعشرون للجمعية العمومية للامم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ . وهما يعتبران ان مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية بكامل الحقوق في مؤتمر جنيف شرط ضروري لنجاحه » . ويعتبر هذا الموقف من جانب بلغاريا الذي تدعو فيه دولة من دول الكتلة الاشتراكية الى عقد مؤتمر جنيف على اساس قرار غير القرار ٢٤٢ مؤشرا الى اتجاه جديد في سياسة دول الكتلة الاشتراكية وبالتالي موقف الاتحاد السوفياتي . وقد علق رئيس الدائرة السياسية في المنظمة على هذا البيان المشترك بتصريح لصحيفة « النهار »

مكمل ، ان يجسد الانجراف نحو الحرب او الاستعداد لها او الاتجاه نحو اعتبارها بديلا للجهد السياسي ، وذلك بالتلويح بأمل سرايبي بإمكانية العثور على حل دون اللجوء الى استخدام القوة .

ومع تصاعد الحديث عن مؤتمر جنيف وما يبدو في الافق من احتمالات عقده اخذت منظمة التحرير الفلسطينية تعلن من موقتها من المؤتمر في شكل اكثر تحديدا ففي تصريح ادلى به ابو اللطف لوكالة تونس - افريقيا للانباء (نقلته وفا ٣/١٠) قال : « ما زالت جنيف مسألة خاضعة للبحث والمناقشة من الجانب الفلسطيني ، لكن القضية ليس في ان نذهب او لا نذهب ، او نشترك او لا نشترك ، ولكن القضية لماذا نذهب ؟ وهل هناك اسباب تستوجب ان نذهب الى جنيف ؟ هل بإمكان جنيف ان توفر للفلسطينيين الحد الأدنى من المتطلبات الفلسطينية ؟ سؤال لا بد ان نطرحه على الاطراف المعنية حتى نتأكد من اخذ قرار بالنسبة لجنيف . ويجب ان يكون معروفا لدى الجميع ان منظمة التحرير الفلسطينية لن تكون شاهدا زورا بالنسبة للاتفاقات التي تتم داخل هذا المؤتمر ، ولن نصبح غطاء يمرر توقيع هذه الاتفاقات من جانب الاطراف العربية . هذا هو موقفنا من جنيف . وقد حدد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة بالقول اننا نرفض التعامل مع مؤتمر جنيف على اساس القرار ٢٤٢ » . هذه التساؤلات المشروعة اجاب عنها الاخ ابو عمار بقطع في تصريح ادلى به لتلفزيون الكويت (نقلته وفا ٤/٣) يقول « قبل ان نتحدث عن جنيف يجب ان نعرف اي جنيف يقصدون ؟ هل جنيف كيسنجر ؟ هل جنيف العدو الصهيوني ؟ هل جنيف قرار ٢٤٢ ؟ اذا كان هذا هو جنيف فانا نقول لا . اما اذا كان جنيف بحث جذور القضية الفلسطينية فنحن نتنظر جدول اعمال بحث القضية وجذورها ، عندها نقرر الذهاب او عدمه » .

ان المسألتين اللتين سوف تحددان ، بالتأكيد ، الموقف الفلسطيني النهائي من جنيف تتعلقان اولا بالاساس الذي يستند اليه المؤتمر في انعقاده وثانيا بالتبثيل الفلسطيني في المؤتمر . اما بالنسبة للمسألة الاولى فمن المعروف ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو الاساس - حتى الان - الذي يُعتقد

رئاسة الاخ ابو عمار ٢/١٥ انها « قررت الترحيب الكامل بهذه المبادرة واعربت من تقديرها الكبير للسيد الرئيس حافظ الاسد على مبادرته القومية هذه التي تجسد الالتزام القومي والوحدة النضالية بين سوريا الشقيقة والثورة الفلسطينية على طريق التحرير والعودة وتعميق التضامن العربي الذي جسده حرب تشرين المجيدة» . كذلك اعلن المجلس المركزي للمنظمة في ختام اجتماعه يوم ٣/٢٠ انه « يبارك هذه الوحدة النضالية التي سوف يأتي قيامها تجسيدا رسميا لما هو قائم فعلا منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية من التحام عضوي بين سوريا وفلسطين » . وقرر المجلس المركزي « ان تباشر اللجنة التنفيذية الاتصال بالقيادة السورية واجراء المباحثات اللازمة بلورة صيغة متكاملة ومناسبة لوضع هذه المبادرة موضع التنفيذ » .

مباحثات ابو عمار - ماكغفرن : مساء ٣/٢٨ استقبل ابو عمار في بيروت جورج ماكغفرن ، رئيس اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الاوسط في مجلس الشيوخ الاميركي وابرز زعماء الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة . وهو اول اجتماع يتم مع مسؤول اميركي على هذا المستوى . وقد ذكرت انباء صحافية ان ابو عمار شرح في اللقاء موقف منظمة التحرير وسياستها وشرح المنطلقات الاساسية التي يركز عليها التحرك الفلسطيني ، كما عرض بالتفصيل واقع الشعب الفلسطيني من ١٩٤٨ وما قبل ذلك الى الان ، مشيرا في شكل خاص الى الاعتداءات الاسرائيلية الوحشية على هذا الشعب بهدف ابادته . كذلك شرح القرارات التي اتخذها المجلس الوطني الفلسطيني الاخير ومنها اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية ، ووضح لماكغفرن المفهوم الفلسطيني للسلطة الوطنية وتحدث عن مقررات قمتي الجزائر والرباط التي اكدت ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وعرض ابو عمار مفهومه للدولة الديمقراطية في فلسطين . اما ماكغفرن فقد اكد النقاط التالية كما ذكرت المعلومات الصحافية: لم يعد هناك امكان لتجاوز الواقع الفلسطيني او تجاهله . هذا الواقع موجود وقد غرض نفسه على العالم . لا بد للسياسة الاميركية ، بعد فشل مهمة كيسنجر ، من ان تتجه الى معالجة المعضلة الاساسية وهي القضية الفلسطينية . السياسة

(٤/٦) قال فيه ان « ما جاء في البيان هو انتصار جديد نحققه في المجال الدولي وفي علاقاتنا مع الدول الصديقة ودول المعسكر الاشتراكي ... وهذا تهديد لزيارة موسكو وللحادثات التي ستجريها مع المسؤولين السوفيات » .

اما بالنسبة للتمثيل الفلسطيني في المؤتمر فان الامر الجدير بالانتباه هو ما اقترحته مصر عن « الوفد العربي الواحد » وقد علق « الازهر » (٢/١٨) على الاقتراح بقولها ان « الذهاب الى جنيف وفدا واحدا يحل الكثير من المشاكل ، سواء على الصعيد العربي او بالنسبة الى المحادثات التي ستجري في جنيف على الصعيد العربي ، نحن نعلم ان الاردن بعد مؤتمر الرباط اتخذ موقفا خاصا بالنسبة الى مؤتمر جنيف . ولا شك في ان الاردن طرف من الاطراف المعنية وذهابه الى جنيف يفيد قطعيا في التفاهم على نقاط كثيرة مثارة لان ... وعلى صعيد المواجهة المباشرة في المحادثات ورفض اسرائيل التحدث مع الفلسطينيين فان ذعابنا في وفد موحد يضيق على اسرائيل فرصة المساومة والتهرب وزرع العقبات في طريق تحقيق التسوية النهائية » . وكاجراء اقترح الرئيس السادات في تصريح له لجلة « التاييم » « ان يمثل المنظمة وفد من الجامعة العربية . واني احاول تسهيل الامر كله من خلال تجربة اساليب عدة حتى لا نصل الى حالة الجمود . لكن ينبغي ان نحظى الصيغة بموافقة الفلسطينيين في نهاية الامر » . اما موقف المنظمة المعلن من هذه المسألة فهو ما صرح به ابو اللطف (النهار ٤/٣) بقوله « اذا قرر المجلس الوطني الفلسطيني لتنظمة التحرير ، بعد توافر كل الشروط المطلوبة ، ان يحضر الفلسطينيون مؤتمر جنيف ، فلا بد ان يحضروا هذا المؤتمر كوفد مستقل يمثل منظمة التحرير . لقد عمل الفلسطينيون طويلا من اجل ان تصبح لهم شخصية مستقلة وكيان دولي معترف به ، فلا يجوز ان تمثل الفلسطينيين الا منظمة التحرير ، في اي مجال او محفل دولي » .

القيادة الفلسطينية - السورية : ابرز التطورات التي حدثت في الفترة التي اعقبت اعلان الرئيس حافظ الاسد في ٨ آذار الماضي عن استمداه لتشكيل قيادة سياسية عسكرية فلسطينية سورية ، كان اعلان اللجنة التنفيذية لتنظمة التحرير الفلسطينية اثر اجتماع عقده في

هذا ، واثاء زيارة ماكغفرن الى فلسطين المحتلة بعد مغادرته بيروت اوردت وكالة اسوشيتدبرس للانباء (٤/٧) ان الشيخ الاميركي اعلن في تل ابيب انه يؤيد مشروع سلام للشرق الاوسط مؤلفا من ثلاث نقاط : يجب السماح للفلسطينيين باقامة وطن لهم في الضفة الغربية للاردن ، ويجب ان تنسحب اسرائيل الى حدود العام ١٩٦٧ ، ويجب على جميع الدول العربية ان تعترف باسرائيل . وقالت الوكالة ان ماكغفرن ابلغ الجنرال ارييل شارون الذي برز اسمه خلال حرب ١٩٧٣ في اثناء اجتماعه به ان على الولايات المتحدة الا تعرض علاقاتها مع العالم العربي للخطر بدعمها المفرط لاسرائيل .

عصام سخيني

الاميركية يجب ان تأخذ في الاعتبار جديا مسألة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . لا بد من قيام كيان وطني فلسطيني . من الصعب ان يحدث استقرار في المنطقة اذا لم يتمكن الفلسطينيون من ممارسة وجود سياسي فاعل ، واذا لم يكن للفلسطينيين كيان سياسي .

وقد وصف ابو عمار في تصريح لتلفزيون الكويت (نقلته وما ٤/٣) مباحثاته مع ماكغفرن بأنها « كانت مثمرة ومهمة لان ماكغفرن زعيم الاغلبية في الكونجرس الاميركي » و اضاف « لقد شرحت له موقفنا من السلطة الوطنية وحق شعبنا في تقرير المصير والعودة في اطار الدولة الديمقراطية » وذكر ابو عمار ان ماكغفرن ابلغه ان اقامة الدولة الفلسطينية اصبح شيئا مهما بالنسبة للتفكير الاميركي .

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

وبين فهمي ان مصر عازمة على ان تطلب رسميا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي دعوة مؤتمر جينيف للانتعاد في المستقبل القريب وذلك بعد التشاور مع باقي الدول العربية ومنظمة التحرير . وجاء هذا الاعلان اثناء وجود كيسنجر في القدس المحتلة . أما الجانب الاميركي فقد عبر عن فشل مهمة كيسنجر على لسان ناطق رسمي باسم بعثة التفاوض الذي قال بأن « الدكتور كيسنجر فشل في تحقيق اتفاق حول سيناء وسيعلق مهمته لانه ثبت لديه ان المواقف الاسرائيلية والمصرية الحالية غير قابلة للتوفيق » . وبين الناطق الاميركي بان هناك حاجة الى فترة من التفكير واعادة التقييم لاعاداد اتفاق يؤدي الى السلام العادل والدائم في

بالنسبة للتطورات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية طفت التحركات والذبول الناتجة من انهيار مهمة كيسنجر على كل شيء اخر . ويمكننا القول ان الاعلان الدراماتيكي عن فشل مهمة الوزير الاميركي جاء كمفاجأة غير متوقعة بالقياس الى اجواء التفاؤل الكبير التي عمدت اجهزة الاعلام والتصريحات الرسمية المصرية (على اعلى المستويات) على نشرها قبل بدء جولة كيسنجر وخلالها . وجاء الاعلان عن فشل المهمة في ٢٣ اذار على لسان وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي حيث اعلن انتهاء سياسة التحرك خطوة خطوة نحو التسوية السلمية في المنطقة وذلك بسبب تعنت الحكومة الاسرائيلية وتصليبها وعنادها .

المنطقة . وفي الوقت نفسه أعلن ناطق باسم البيت الأبيض في واشنطن ان الرئيس فورد آسف لتعليق مهمة كيسنجر ولكنه يريد ان يؤكد تصميم بلاده على مواصلة جهودها لتحقيق السلام في المنطقة .

وواضح ان فشل هذه المهمة الامريكية يعني بالدرجة الاولى فشل المراهنة المصرية على تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية بالاعتماد الكلي على الدبلوماسية الامريكية في المنطقة . لقد جاء فك الارتباط الاول في سيناء والجولان كنتيجة مباشرة للنتائج الايجابية التي افرزتها حرب اكتوبر ، في حين ان فك الارتباط الثاني المزمع عقده في سيناء كان سيجيء نتيجة الاعتماد على السياسة الامريكية على اعتبار ان « مفتاح حل » الازمة هو بيدها وحدها فقط ، وعلى الرغم من ان التفسيرات والتصريحات الرسمية المصرية قد ادانت اسرائيل باعتبارها مسؤولة عن الفشل ، وبرأت حتى الان حكومة الولايات المتحدة من تبعات ذلك لا يعقل ان يصدق انسان مطلع (أو حتى غير مطلع) ان حكومة الولايات المتحدة قد عجزت فعلا في الضغط على اسرائيل للتوصل الى فك ارتباط جديد في سيناء . يبدو لنا ان الولايات المتحدة لم ترد ان تضغط حقا على الحكومة الاسرائيلية فتنثر في وجهها المزيد من المتاعب وتضعف مركزها الداخلي والخارجي في فترة تظهر للعيان وبدون ادنى ريب التفسخ الذي يخضع له النظام الامبريالي العالمي والانتخابات التي تضربه في فيتنام وكوبا كما في البرتغال واليونان وتركيا وقبرص . وقد اشارت تصريحات كيسنجر نفسها الى هذا العامل والمحت الى دوره في فشل مهمته أو بمباراة اخرى في امتناعه عن ممارسة اي ضغط حقيقي على الحكومة الاسرائيلية . يضاف الى ذلك ان العلاقة العضوية بين الامبريالية الامريكية واسرائيل تعني ان الولايات المتحدة تحتاج الى اسرائيل بصورة حيوية تامسا كما تحتاج اسرائيل الى الدعم الامريكي المتعدد الوجة . وهذا يعني بدوره ان أي ضغط امريكي على اسرائيل يجب الا يتعدى حدودا معينة بحيث لا يتحول الى تهديد للارتباط الاستراتيجي العضوي بين الطرفين . فبالخلاف يجب ان يبقى محصورا داخل اقلية معينة وفي مستويات معينة لا يتعداها والا فتافم وزرع اسس علاقة لا مصلحة لاي من

الطرفين في المساس بها على الاطلاق . بل ان المصلحة الحيوية للطرفين هي في تعزيز هذه الاسس حتى ولو على حساب فشل مهمة اعطيت اهمية كبيرة بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط .

جدير بالذكر ايضا أن النظام المصري على الرغم من كل التسهيلات التي قدمها لكيسنجر وكل المرونة والتسامح والتساهل التي ابداهها خلال المفاوضات لم يتمكن من تقديم الثمن السياسي الباهظ الذي طلبه العدو ، أي اعلان حالة انتهاء الحرب صراحة في مقابل الحصول على اتفاق فك الارتباط . وقد ذكرت انباء في الصحافة اللبنانية ان ضغوطا كثيرة مورست على الرئيس السادات وخاصة من جانب ضباط الجيش المصري لكبح جماح نزعة التساهل والتسامح المشار اليها فقد كان للجيش مطالب هامة على ما يبدو تتعلق بالانسحاب الاسرائيلي لا بد من تحقيقها اذا كان للجيش ان يعتبر فك الارتباط خطوة مقبولة . وذكرت هذه الانباء ان الجيش المصري كان متشددا جدا بالنسبة لموضوع مرور « البضائع » من اسرائيل واليه عبر قناة السويس اذ ان اتفاقية القسطنطينية التي تنظم مرور البضائع في القناة ايام السلم والحرب تعطي مصر الحق بمنع مرور المواد الاستراتيجية الى الدولة العود . وهذا يعني تدخل السلطات المصرية في تحديد المواد الاستراتيجية وفي تفتيش السفن للتأكد من عدم تهريبها الى اسرائيل .

على الصعيد الامريكي كان اهم رد فعل لفشل مهمة كيسنجر اعلان البيت الأبيض عن عزم الرئيس فورد اعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط مع التلميح بان مسؤولية هذا الفشل تقع على اسرائيل وان اثار اعادة النظر هذه ستمس اسرائيل اكثر من اي دولة اخرى من دول المنطقة . ويبدو واضحا ان امتناع الحكومة الامريكية عن الضغط المباشر والفعل على اسرائيل لاتجاه مهمة كيسنجر لا يعني عدم ترك الاسرائيليين « يركبون رأسهم » قليلا ولفترة محددة لانهم سيجدون بعد ذلك انه لا بد لهم من العودة صافرين الى طلب مساعدة الولايات المتحدة للتخفيف من المآزق الذي تعاني منه الدولة الصهيونية على العموم . وبماكاننا ان نعتبر التصريحات الامريكية حول اعادة النظر بسياسة البلاد في المنطقة على انها نوع من الضغط على اسرائيل ضمن الحدود

قبل انتهاء الرئيس فورد من إعادة تقييمه للسياسة الأمريكية في المنطقة . لكنه استدرك قائلاً ان الشحنات الكبيرة من الاسلحة التي تلقته اسرائيل حتى أول شهر نيسان تضعها في مركز افضل عسكرياً مما كانت عليه في اي وقت سابق . ولم تفت وزير الدفاع فرصة توجيه التهديد مجدداً الى الدول العربية في حال قيامها بحظر النفط مجدداً حيث قال ان رد الفعل الأمريكي على مثل هذه الخطوة « سيكون هذه المرة اقوى من المرة الماضية » . كذلك طلبت الولايات المتحدة تأجيل الزيارة التي كان ينوي القيام بها وزير الدفاع الإسرائيلي شمعون بيريز الى أمريكا باعتبارها « سابقة لاوانها » بسبب اتهامك الحكومة الأمريكية في إعادة تقييم سياستها . وقد حلق وزير خارجية اسرائيل السابق إبا إيبان على كل هذا بقوله أن الخلاف الحالي بين اسرائيل وأمريكا هو اعمق مما كان يظن ولكنه لا يشكل ازمة بل مجرد سوء تفاهم لان العلاقات الحسنة مع الولايات المتحدة اهم بكثير بالنسبة لاسرائيل من تسوية الخلافات مع العرب .

ورداً على بعض الانباء التي تردت حول عزم كيسينجر تجديد مهمته بالمودة في المستقبل القريب الى البلدان المعنية في الشرق الاوسط ، أعلن الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية أنه لا أساس من الصحة لهذه الانباء كما أكد ان الانباء التي تردت حول قيام مصر واسرائيل بإرسال مندوبين عنهما الى واشنطن لإجراء مباحثات هناك غير صحيحة . وبين ان حكومته لم تحصل على اية اقتراحات جديدة من اسرائيل تسمح باستئناف مهمة كيسينجر على الرغم من ان الاطراف المعنية ما زالت تريد من الولايات المتحدة مواصلة مساعيها السلمية .

أما على الجانب المصري فقد تلخص رد الفعل على انهيار مهمة كيسينجر بالنقاط التالية :

١ - كان الترقب كبيراً بالنسبة للاتجاه الذي ستأخذه السياسة المصرية نتيجة فشل مهمة كيسينجر . وكان التساؤل المطروح هو ما اذا كان الرئيس السادات مستمتر في السياسة ذاتها التي يفترض انها فشلت مع فشل المهمة الأمريكية ام أنه سينهج نهجاً مغايراً كما هدد بأنه سيفعل في أكثر

التي تسمح بها الارتباطات الاستراتيجية الكبرى بين البلدين « لمساعدة » اسرائيل على التخلص من مرحلة « ركوب رأسها » بأسرع ما يمكن والعودة الى الحضيرة الأمريكية بشكل كامل وتام كالمسابق . وقد أوضحت عدة مصادر أمريكية حدود إعادة النظر هذه وطبيعتها في اكثر من مناسبة . فقد أعلن الناطق باسم الوزارة الخارجية الأمريكية في معرض توضيحه للمراجعة التي ستخضع لها العلاقات الأمريكية الإسرائيلية بان « موضوع استمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية لاسرائيل امر مغرور منه » وأن درجة هذا الدعم هي التي تد تتأثر فقط . كذلك أكد الناطق أن برنامج أمريكا في مساعدة اسرائيل « سيمر عبر اقتية الكونغرس المعتادة » وفي هذا تطمين كبير لاسرائيل إذ ان عنف تأييد الكونغرس لها شهر من ان يعرف . وحول الموضوع ذاته أعلن كيسنجر نفسه ان بلاده لا تنوي القيام بأية عمليات تأديبية او تخفيض المساعدات الخارجية إلى اسرائيل ومصر بسبب فشل مهمته . وأكد ان مسألة قطع المساعدات غير واردة ابداً في عملية إعادة النظر في السياسة الأمريكية . وفي ٢٧ آذار ١٩٧٥ عاد كيسنجر الى مناقشة هذا الموضوع في مؤتمر صحافي أكد فيه ان إعادة تقييم السياسة الأمريكية « ليست موجهة ضد اسرائيل » ولا تهدف الى « خفض المعونات لاي من دول المنطقة » بل الغاية منها تحقيق السلام في المنطقة . أما بالنسبة للمستقبل القريب فقد وجه الوزير الأمريكي نداء قويا الى الدول المعنية كي « تتحمل مسؤولية الاعتدال في اقوالها وافعالها وتبتنع عن اصدار التهديدات » . كما أوضح التصور الأمريكي لاعتقاد مؤتمر جينيف بقوله ان بلاده تؤيد اجراء محادثات منفصلة في جينيف عوضاً عن محادثات تشترك فيها كل الاطراف في آن واحد . وفي الواقع فقد وردت انباء تفيد انه تم تأجيل زيارة الطيارين الاسرائيليين الذين كان يفترض ان يذهبوا الى أمريكا لتجربة طائرة « ف- ١٥ ايفل » والتدريب عليها . كما جرى ارجاء اتهام بعض اتفاقات المساعدات العسكرية لاسرائيل ريثما تنتهي عملية إعادة النظر الأمريكية في سياستها في المنطقة . كما أعلن وزير الدفاع الأمريكي ان بلاده ملتزمة بأمن اسرائيل ولكنها لن تدخل في التزامات عسكرية جديدة معها

هذا ما كان قد اكده في السابق وهو انه لن يفتح القناة للملاحة الا بعد انسحاب اسرائيلي جديد يضع القناة خارج مرمى المدفعية الاسرائيلية . (و) أوضح انه بما أن اسرائيل ترفض اشتراك منظمة التحرير في اعمال مؤتمر جينيف من جهة والمقاومة الفلسطينية ترفض في ان يمثلها النظام الاردني في المؤتمر من جهة اخرى فقد عرض على القيادات الفلسطينية اقتراحا مفاده ان تقوم امانة جامعة الدول العربية بتمثيلهم في مؤتمر السلام . (ز) أعلن بأن مصر ستوافق على تجديد مدة عمل قوات الطوارئ الدولية في سيناء لمدة ثلاثة اشهر اخرى (بدلا من ستة اشهر) وذلك لانه « لا يريد ان يضع المجتمع الدولي امام ازمة مفاجئة » .

٢ - صدرت اخبار عن مصادر رسمية مصرية تفيد بأن السادات يتوقع قيام الولايات المتحدة بهبادرة جديدة لتحقيق فصل القوات في سيناء وذلك بعد انتهاء الرئيس فورد من اعادة التقييم التي يجريها للسياسة الامريكية في المنطقة . ويبدو ان هذه المعلومات تستند الى رسالة وصلت الى السادات من الرئيس فورد والى تأكيدات نقلها نائب الرئيس الامريكي روكفلر الى الرئيس المصري اثناء مأتم الملك فيصل في الرياض . ويبدو ان السياسة المصرية تراهن الآن على ان اعادة التقييم التي تجري حاليا لسياسة امريكا ستؤدي بالفعل الى نتائج مأموسة على صعيد تحريك الجمود الذي يلف في الحاضر مفاوضات السلام بين مصر واسرائيل . أي تراهن السياسة المصرية على ما سمي بأنه « نوع من فك الارتباط » في العلاقات الوثيقة والقوية بين امريكا واسرائيل . ومع ان المصادر المصرية الرسمية اكدت ان بوادر « فك الارتباط » المذكور ستظهر في الخطاب الهام الذي سيلقيه الرئيس فورد في ١٠ نيسان فان الاحداث بينت ان شيئا من هذا لم يقع ، اذ التقى الرئيس فورد خطابه الموعود ، الذي تناول فيه السياسة الامريكية على الصعيد العالمي ، فكان كل ما جاء فيه حول مشكلة الشرق الاوسط عاديا وتقليديا جدا اذ لم يتجاوز الاشارة الى اهمية الشرق الاوسط بالنسبة لمصالح امريكا الحيوية ومصالح حلفائها والقول بان الحكومة الامريكية تريد ان تمنع اندلاع الحرب في المنطقة وانها ستعود الى القيام بدور نشط في البحث عن السلام المنشود .

من مناسبة . وكان التوقع المنطقي هو ان يلجأ الرئيس السادات الى تعزيز علاقاته بالاتحاد السوفياتي مجددا وتحسينها واتخاذ كافة الاجراءات المترتبة على مثل هذه الخطوة باعتبار ان في ذلك الرد الطبيعي على فشل مهمة كيسنجر وفشل المراهنة العربية على الدبلوماسية الامريكية . الا ان شيئا من هذا لم يحدث في الواقع . بل اتجه الاعلام المصري الى تبرئة الحكومة الامريكية من مسؤولية اخفاق مهمة كيسنجر وتبعاتها مشرا بذلك الى الخط الذي ستمسره فيه السياسة المصرية في هذه المرحلة وهو الاستمرار في السياسة السابقة المراهنة على الجهود الامريكية في المنطقة وتجديد الثقة بها . وقد اتضح هذا الواقع عندما التقى الرئيس السادات خطابه الرئيسي بعد فشل مهمة كيسنجر حيث برزت الامور التالية : (ا) حمل السادات اسرائيل مسؤولية فشل الجهود الامريكية وازاح المسؤولية في ذلك عن الولايات المتحدة كليا . (ب) لم يعين الرئيس المصري اي موعد ولو تقريبي - لانتعقاد مؤتمر جينيف على الرغم من ان كل التوقعات كانت تشير الى ان استئناف المؤتمر هو البديل الوحيد الباقى بعد فشل مهمة كيسنجر باستثناء اللجوء الى الحرب . وظهر واضحا في خطاب السادات ان مصر غير مستعجلة وغير ملحة في الوقت الحاضر على انعقاد مؤتمر جينيف . (ج) طالب الرئيس السادات بضرورة التنسيق الكامل مع سوريا ومنظمة التحرير الا انه لم يوجه أية دعوة لانتعقاد مؤتمر عربي على مستوى القمة بصورة طارئة ومستعجلة لمناقشة السياسة العربية الجماعية التي يجب اتباعها على اثر فشل المراهنة على الدبلوماسية الامريكية . وكانت مصادر مطلعة كثيرة تتوقع ان يدعو الرئيس السادات الى انعقاد مثل هذا المؤتمر . (د) لم يذكر الرئيس السادات الاتحاد السوفياتي الا بصورة عابرة وفي معرض نيته بذل الجهود اللازمة لوضع علاقات مصر مع السوفيات في مكانها الصحيح اذ ان هذه العلاقات ليست قائمة « على مجرد انتهاز القرمس أو صداقة الظروف » . (و) انه أمر بفتح قناة السويس امام الملاحة الدولية في ٥ حزيران المقبل واكد ان مصر قادرة على حمايتها وحماية مدن القناة في اي اعتداء اسرائيلي . وقد خالف الرئيس السادات بقراره

نريد السلام» . (و) بالنسبة لعملية تقييم السياسة الأمريكية في المنطقة قال السادات بأنه يتوجب على الولايات المتحدة أن تجيب ، عبر إعادة تقييم هذه على سؤال مهم جدا هو : هل مستحي الولايات المتحدة إسرائيل ضمن حدودها أم ضمن حدود الأراضي التي احتلتها بالقوة ؟ وأكد أن توصل الحكومة الأمريكية الى الإجابة على هذا السؤال سيكون نقطة تحول مهمة في مصير المنطقة . فإذا كانت أمريكا تريد حماية إسرائيل ضمن حدودها الأصلية فلا اعتراض لمصر على ذلك وهو أمر مقبول منها لان معنى ذلك ضرورة عودة هذه الأراضي الى أصحابها الشرعيين . أما اذا ارادت السياسة الأمريكية حماية إسرائيل على اساس حدودها التوسعية فان هذا سيعني انه على مصر إعادة تقييم مواقفها من الولايات المتحدة . (ز) أكد ان حكومته سائرة بالفعل نحو السلام والدليل على ذلك إعادة فتح قناة السويس وامره باعادة تعبئ مدنها ولذلك غانه يتوقع ان يسر مؤتمر جينيف عن تسوية سياسية لمشكلة المنطقة . أما ما تطالب به إسرائيل من فتح ابواب التبادل الثقافي والتجاري بين البلدين فهو مسألة متروكة للأجيال المقبلة بسبب الفترة الطويلة التي مرت وهي مليئة بالكراهية والمرارة والعنف مما لا يمكن ازالته بضربة واحدة .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي لم تصدر اية ردود فعل رسمية على فشل مهمة كيسينجر الا ان الاعلام قد عكس جو ارتياح قيادة البلاد لهذا الفشل . وفي نهاية الاسبوع الاول من شهر نيسان بعث ليونيد بريجينيف برسالة هامة الى الرئيس السادات ذكرت الانباء الصحافية ، استنادا الى مصادر دبلوماسية مطلعة ، ان الرسالة وجهت دعوة الى وفد مصري لزيارة موسكو قريبا لاجراء مباحثات حول المرحلة المقبلة من تسوية النزاع في المنطقة . وان الرسالة اوضحت موقف الاتحاد السوفياتي من مسألة استئناف مؤتمر جينيف وتحديد موعد له . ويخصص الموقف السوفياتي على ما يبدو بالقول أنه بعد انهيار مهمة كيسينجر لا بد من الاعداد بكل عناية لانعقاد المؤتمر اذا كان له ان يحقق اي نجاح . ويجب ان يشمل هذا الاعداد التحديد الواضح للطراف التي ستشارك في المؤتمر وجدول الاعمال الذي سيناقشه المجتمعون . وهنا

٣ - قامت مصر بطلب إعادة تكوين مؤتمر جينيف بحيث لا يقتصر على وجود الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بل يضم ايضا دولا اخرى هي فرنسا وبريطانيا ودولة واحدة من دول كتلة عدم الانحياز . وقد توجهت مصر رسميا بهذا الطلب الى الدولتين العظيمين كجزء من الاتصالات الجارية لعقد مؤتمر جينيف . وواضح ان دخول فرنسا وبريطانيا سيعزز مواقع المعسكر الغربي عموما داخل المؤتمر . وقد اشارت الولايات المتحدة الى انها تدرس حاليا الطلب المصري ويستقوم باتصال بالاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع . وبعث الرئيس السادات برسائل خطية هامة الى عدد من زعماء الدول الاعضاء في هيئة الامم من بينهم الرؤساء تيتو وجيسكار ديستان وانديرا غاندي وهارولد ولسون وشرح فيها تطورات الوضع في الشرق الاوسط ورغبة مصر في توسيع اطار المشاركة في اعمال مؤتمر جينيف .

٤ - عاد الرئيس السادات الى تأكيد المواقف التي اشرفنا اليها اعلاه في مقابلة اجرتها معه مجلة « تايم » الأمريكية في آخر الاسبوع الاول من شهر نيسان . وكان اهم ما ذكره في هذه المقابلة هو : (أ) ترحيبه بقرار أمريكا تأجيل تزويد إسرائيل بالسلاح خلال فترة إعادة التقييم الجارية للسياسة الأمريكية في المنطقة . (ب) الاشارة الى احتمال دعوة الجمعية العمومية للامم المتحدة لعقد جلسة خاصة تكرس لمناقشة أزمة الشرق الاوسط . (ج) توتمعه انعقاد مؤتمر جينيف حالما تكون الدولتان الكبريان على استعداد لذلك وتكون الدول العربية قد توصلت الى قرار حول اشتراك منظمة التحرير بالمؤتمر وبين السادات انه سيطالب لاشتراك كل من الاردن ولبنان في اعمال المؤتمر لانهما من دول المواجهة ولا يمكن الاستغناء عن وجودهما . وبهذا الصدد عاد السادات الى طرح فكرته في ان يجري تمثيل الشعب الفلسطيني في المؤتمر على يد الجامعة العربية . (د) أكد ان مصر لن تتردد في دخول الحرب اذا هاجمت إسرائيل سوريا . (هـ) انه يعتبر قراره تجديد مدة عمل قوة الطوارئ الدولية لثلاثة اشهر اخرى « بمثابة رسالة الى أمريكا وأوروبا والعالم ليدرك الجميع ان هناك حدودا للصبر » . كما ان فتح قناة السويس ايضا « رسالة اخرى للعالم تقول بأننا

تعديل القرار ٢٤٢ . ومن الدلائل على ذلك ان البيان المشترك الذي صدر عقب زيارة وفد فلسطيني الى بلغاريا في النصف الاول من شهر نيسان تضمن اشارة واضحة الى قرار الجمعية العمومية رقم ٣٢٣٦ كأساس لحل المسألة الفلسطينية وهذا أمر يحدث لأول مرة .

اخيرا لا بد من الاشارة ، في غمرة الانتصارات التي تحققتها حركات التحرر الثورية في جنسوسب شرقي آسيا ، الى التصريح الذي أدلت به وزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام حيث قالت معلقة على اخفاق مهمة كيسينجر ان فشل الوزير الامريكي لم يأت كمنجأة بالنسبة لحكومتها لان السياسة الامريكية غير صادقة كما بينت تجربة الحكومة الثورية لفيتنام الجنوبية مع الولايات المتحدة بالنسبة لاتفاقات السلام الموقعة في باريس . وأكدت الوزيرة ان السياسة الامريكية لا يمكن ان تنجح لسبب بسيط هو انها لا تحترم حقوق الشعوب وتمثل خط الاستعمار الجديد .

على صعيد آخر لا بد من الاشارة الى الاعلان الذي صرح به السناتور جورج ماكغفرن بعد جولته في عدد من بلدان المنطقة قابل خلالها الرئيسين السادات والاسد وباسر عرفات والقيادة الاسرائيلية . ففي مؤتمر صحافي عقده في اسرائيل اعلن تأييده لفكرة اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة . ولم يعارض فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي تضم العرب واليهود في اطار واحد بل قال أن هذه الفكرة لا تشكل هدفا آتيا لمنظمة التحرير بل هي « حلم سيحقق في المستقبل على أثر ثورة فكرية » . وتأتي أهمية هذا التصريح من كون ماكغفرن أحد أبرز الوجوه التي عارضت دخول ياسر عرفات الى هيئة الأمم وقد اعلن صراحة في مؤتمره الصحافي بأنه سحب اعراضه هذا ولم يعد يؤيد ذلك الموقف السابق .

يلقى الموقف السوفياتي أهمية كبرى على اشراك منظمة التحرير في اعمال المؤتمر مما يعني انه يجب بت هذه المسألة بصورة مسبقة لان تركها للمؤتمر نفسه سيؤدي الى عرقلة أعماله والى مفاوضات لا طائل منها . لذلك يرى الاتحاد السوفياتي انه من الضروري قيام مشاورات مصرية - سورية - فلسطينية حول هذه النقطة بالذات . كذلك يشدد السوفيات على ضرورة اعداد جدول اعمال مفصل للمؤتمر اذا كان لمحدثاته ان تؤدي الى تسوية شاملة تضمن الانسحاب الاسرائيلي الكامل وحقوق الشعب الفلسطيني وعلى رأسها حقها في اقامة كيانه المستقل .

جدير بالاشارة هنا أن سوريا كانت أول دولة من الدول الموافقة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تقترح دعوة مجلس الامن للانعقاد من أجل تعديل هذا القرار لسد ثغرة معينة فيه وهي اهماله المعروف للحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ونظرته الى القضية الفلسطينية على انها ليست أكثر من مشكلة لاجئين . ومعروف ان منظمة التحرير ترفض الاشتراك في مؤتمر جينيف على اساس القرار رقم ٢٤٢ . وقد تقدمت سوريا بهذا الاقتراح الى مكتب التنسيق التابع لدول عدم الانحياز خلال اجتماعه الاخير في كوبا . واخذت صياغته صورة مشروع قرار تؤكد فيه « دول عدم الانحياز ضرورة طلب دعوة مجلس الامن الى الانعقاد لإعادة النظر في قراره الرقم ٢٤٢ على ضوء القرار رقم ٣٢٣٦ الصادر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ وذلك لضمان حقوق الشعب الفلسطيني » . وجدير بالاشارة ان قرار الجمعية العمومية يؤكد الاحترام الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة وتأمينها كضرورة لا غنى عنها لحل القضية الفلسطينية . ويبدو ان الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية الأوروبية تتعامل مع الموقف السوري ومع فكرة

(٣) المناطق المحطة

في اتجاه واحد . فتمس منهم يؤيد النظام الاردني حتى الآن ، واخرون كانوا في الماضي من مؤيدي الملك حسين وغيروا رأيهم وانضموا لصف مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية . ومن بين الذين اجتمعوا بالوزير الاسرائيلي اشخاص لا يؤيدون المنظمة او الاردن ، ويحبذون حلا مستقلا للمناطق المحتلة بدون اشتراك الاردن او م. ت. ف. ومعظم الذين تحدث معهم وزير الدفاع ابدوا تحفظهم من فكرة الادارة الذاتية .

وفي الحديث مع احد رؤساء البلديات من الضفة الغربية بحث مشروع منح «صلاحيات ادارة ذاتية» لمناطق نابلس والخليل وغزه ، تركز في « جهاز عام » فوق مستوى البلديات ، وهذا الاطار تكون له صلاحيات ومسؤوليات وميزانيات . وكما يبدو عرضت في الاجتماع مسألة اندماج سكان القدس العربية في نطاق الادارة الذاتية .

ويبدو على الرغم من الرد غير المتحمس من قبل معظم الاشخاص الذين تحدث معهم بيرس ، قرر الاخير عدم ترك الموضوع .

وعرضت « هارتس » لمراحل فكرة هذا المشروع فقالت : قبل عدة اشهر بحث في وزارة الدفاع اقتراح بتعيين سكان من المناطق المحتلة في مناصب ضباط قيادة في الشؤون المدنية في الحكم العسكري . وفق هذا الاقتراح يكون ضباط القيادة هؤلاء مسؤولين عن مجالات التعليم والصحة والداخلية وما شابه ، في الاطار العام للحكم العسكري الاسرائيلي .

ومن بين الاقتراحات بحث اقتراح منح صلاحيات ادارية في المجالات المدنية للعاملين فيها بصورة تدريجية . وحسب هذا الاقتراح تمنح في البداية صلاحيات في مجال التعليم وبعد ذلك في مجال الصحة وهكذا .

وبحثت امكانية اخرى هي منح صلاحيات في جميع المجالات المدنية مرة واحدة وبصورة تدريجية . وخلال مدة محددة تنقل جميع الصلاحيات في المجالات المدنية الى السكان المحليين . اما بالنسبة لمشروع اقامة « اطار عام » فوق مستوى البلديات والذي

اعادة احياء مشروع الادارة الذاتية

عن المحاولات الرسمية الاسرائيلية لاعادة بحث فكرة الادارة المدنية في الاراضي المحتلة اوردت صحيفة الشعب نص التقرير التالي ، نقلا عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية : « كما يبدو سيعرض وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس على الحكومة الاسرائيلية في الاسابيع القليلة القادمة ، مشروعاً لمنح صلاحيات ادارية ذاتية في مجالات مختلفة لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد بحث الوزير مؤخراً مع مساعديه اقتراحاً لم يبلور نهائياً حتى الان ولكن يبدو ان عدة اشكال بالنسبة لشكل الادارة الذاتية وطريقة تصريفها ستتمصل في الاقتراح » .

وكان بيرس قد بدأ بعد توليه منصبه دراسة الفكرة مع مساعديه في البداية وبعد ذلك مع اشخاص من المناطق المحتلة . وقد جرت سلسلة اللقاءات مع الاشخاص من المناطق المحتلة بعد مؤتمر الرباط . ويمكن القول ان قرارات المؤتمر خلقت « فراغاً » ، طلب وزير الدفاع ان يملأه بواسطة منح صلاحيات ادارية ذاتية لسكان المناطق المحتلة . وان « تنازل » الاردن الشكلي عن الضفة اجبر وزارة الدفاع والحكم العسكري على طرح حلول عملية للوضع الجديد . وعندما كان بيرس وزيراً للمواصلات اقترح فكرة تقسيم اسرائيل والمناطق المحتلة الى اقاليم - كانتونات - ويقوم كل كانتون بادارة معظم شؤون الحياة بمسورة مستقلة بينما تكون الحكومة المركزية مسؤولة عن مجالات الخارجية والامن .

وفي اللقاءات التي اجراها بيرس مع بعض رجالات المناطق المحتلة ، عرضت في احداها فكرة التقسيم الى كانتونات ، ولكن يبدو ان الوزير قرر في هذه المرحلة عدم عرض فكرة الكانتونات كمشروع حل عملي خوفاً من ان لا يقبل كثيرون بهذه الفكرة . وقد طلب بيرس استقصاء مدى استجابة « زعامة » المناطق المحتلة لفكرة الادارة الذاتية . ولهذا الغرض اجتمع مع عدد من البارزين منهم . وهؤلاء الاشخاص من الصف الاول « للزعامة » لا يفكرون

المناطق التي تقع فيها هبة المدن ، وبالتالي فانهم سيقومون بدور المحافظين .

واوضح بيرس ان هذا المشروع اداري بحت ولا يجب في اي حال اعتباره بمثابة مبادرة سياسية من اجل انشاء دولة فلسطينية . ولكن من المحتمل ان يثير بعض المشكلات على الصعيد القانوني — كما ذكرت يديعوت ارونوت — اذ ان القانون الاردني الذي ما زال معمولاً به في الضفة الغربية يحدد بدقة دور رؤساء المجالس البلدية .

واشار خبير الشؤون العربية في صحيفة يديعوت ارونوت الى انه يتحتم في هذه الحالة ادخال تعديلات على هذا القانون بشكل او باخر . وقال ان الخطوط العريضة لهذا المشروع معروفة في الاراضي المحتلة على رغم انه لن يتم عرضه الا بعد موافقة الحكومة الاسرائيلية عليه . كما اوضح ان المشروع قابل بفتور . وقال ان عدداً من الاشخاص يرون فيه فرصة لاقامة ادارة من ابناء الضفة الغربية فقط « قد تصبح في الوقت اللازم قاعدة لاقامة دولة فلسطينية » . لكن البعض الاخر يعربون عن شكوكهم فيما يتعلق بالاهداف الحقيقية للحكومة الاسرائيلية (جريدة النهار اللبنانية ١٠/٤/٧٥) .

ردود الفعل لفشل كيسنجر

تحت عنوان ساحر وشامت بسياسة وزير الخارجية الامريكية ، خصصت صحيفة الشعب افتتاحيتها الرئيسية والمعنونة : « وانقلب السحر على الساحر » ، كتعليق على فشل سياسة الخطوة فخطوة التي انتهجها الدكتور كيسنجر لتسوية الصراع العربي — الاسرائيلي . فقالت : ماتت سياسة الخطوة خطوة ووصل هنري كيسنجر الى نهاية الطريق المسدود وكان عليه ان يحمل عصاه ويرحل وهو يلحق جراحه بعد فشله في تحقيق هدفه في « تركيع » الامة العربية . ثم طرحت الصحيفة تساؤلاً : ثم ماذا بعد ؟ واجابت ، « هل يعني فشل كيسنجر ورحيله عن المنطة ، ان القوى المعادية قد اغلقت خرائطها واستسلمت ؟ وهل كانت اسرائيل او الولايات المتحدة تقف مكتوفة الايدي طوال الفترة بانتظار الاستسلام العربي ، دون ان تضع في اعتبارها ارادة الامة العربية وتصميمها على الوصول الى حقوقها كاملة ؟ » . واضافت

ياخذ بيده صلاحيات ادارية في مجالات مدنية موجودة الان بيد الحكم العسكري ، فهو اكثر تعقيداً من ناحية التنفيذ . والشرط لاقامة هذا الاطار هو مبادرة من جانب « الزعامة المحلية » التي معظمها لا يميل الى ذلك في هذه المرحلة . وكما ان اقامة جهاز كهذا سيصطدم بمعارضة شديدة من جانب م. ت. ف. وعناصر اخرى في العالم العربي » .

وقد لاحظ احد الاشخاص الذين تحدث معهم بيرس — كما قالت هارتس — بان مبادرة الوزير الاسرائيلي قد جاءت متأخرة ، وان في اسرائيل من يقول بهذا الرأي ايضا .

وكانت « الزعامة المحلية » قد طلبت في الماضي — رؤساء البلديات — موافقة الحكم العسكري على عقد اجتماعات يشترك فيها ممثلون من جميع مدن الضفة الغربية . ولكن ووفق على ذلك مرة او مرتين فقط . اما الان ، فان وزير الدفاع الاسرائيلي يطرح اقتراحات لتعيين سكان محليين في وظائف عالية وكبيرة في الحكم العسكري ويدرس امكانية اقامة اطار عام فوق مستوى البلديات .

ووصفت الآراء التي اعرب عنها الاشخاص الذين تحدثت معهم بيرس ، بانها تعبر عن الآراء الحالية السائدة بين الزعامة التقليدية في الضفة والقطاع ، وان معظمهم يخشون من اتخاذ مبادرة مستقلة . وانهم حتى ولو وافقوا على اخذ صلاحيات ادارة ذاتية ، فانهم سيصطدمون بصعوبات كثيرة ، داخلية وخارجية ، في تنفيذ الخطة . وقالت الصحيفة ايضا ، يبدو ان وزير الدفاع الاسرائيلي في هذه المرحلة سيضطر الى العمل بصورة ضعيفة بين وزراء الحكومة الاسرائيلية وبين « زعماء » الضفة والقطاع ، قبل ان يستطيع البدء في تنفيذ الخطة . (الشعب ٧/٣/٧٥) .

وفي وقت لاحق ، نقلت وكالات الأنباء عن صحيفة يديعوت ارونوت الاسرائيلية ان سمعون بيرس سيقدّم قريباً مشروعاً لاقامة ادارة مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة الى الحكومة لتوافق عليه . واوضحت الصحيفة النقاط الرئيسية في هذا المشروع فقالت : يقضي المشروع بمنح سلطة متزايدة لرؤساء البلديات مع الحد من تدخل الحكم العسكري في الحياة المدنية الى ادنى درجة . وسيكون رؤساء البلديات مسؤولين عن مدتهم وعن

البريد ، ينقل رسائل ، لا حول له في تحريرها ولا رأي له في صياغتها، ولم يكن هذا هو الدور المنتظر الذي توقعته الشعوب العربية التي « صدقت لفترة قصيرة ان اميركا قررت اخيرا اتباع سياسة متوازنة» (القدس ٧٥/٣/٢٤) .

غير ان صحيفة الفجر ، كتبت مبكرا عن فشل كينسجر وقبل ان يعلن عن ذلك من قبل الاطراف المختلفة ، وذلك اعتمادا على الاخبار التي كانت تنقلها وكالات الانباء على مواقف الطرفين ، المصري والاسرائيلي . فقد جاء في افتتاحية « الفجر » في عددها الصادر يوم ٧٥/٣/١٨ ، تحت عنوان : « فشل كينسجر وانصرت ارادتنا » ، انه ليس غريبا هذا الفشل الذي تحدث عنه وكالات الانباء ، فكل المراقبون كانوا يتوقعون له هذا الفشل ، لان مصر لا يمكن ان تخرج عن الإرادة العربية من ناحية ، ولان اسرائيل لا تريد ان تخرج عن استراتيجيتها الاساسية « قطعة ارض مقابل قطعة سلام » .

وقالت « الفجر » لقد كانت خطة كينسجر تستهدف « تفقيت الجبهة العربية وتحقيق نصر سياسي لاسرائيل وضرب مقررات مؤتمر القمة ، وعزل الحركة الفلسطينية نهائيا ... ولقد فشل كينسجر في مهمته المباشرة بإجراء فصل جديد للقوات المصرية والاسرائيلية ، وهو حتما سينشل في كل خطته الكبرى ، لان الوعي العربي العام والذئع الجماهيري للاحداث ، سيفوت على المتخاذلين تخاذلهم وسيهتج السقوط حتى عن اولئك الذين في نفوسهم شيء من المرض الكينسجري » .

واضافت الصحيفة ، غير ان مؤامرة كينسجر دعت بالحركة الوطنية الفلسطينية الى الامام ، فاعلنت وحدتها المصيرية مع سورية وتلاحمها مع الجماهير اللبنانية ، وفتحت العيون على ضرورة التمسك بالتضامن العربي ، وتأكيد مقررات القمة .

وعندما تحدثت عن آثار فشل سياسة كينسجر على الساحة العربية ، قالت الصحيفة ان هذه الآثار « ليست في صالح اسياك كينسجر او تابعيه ، ولكنها كانت لصالح الانسان العربي بشكل عام ولصالح الانسان الفلسطيني على الخصوص . وبرزت القيمة الكبرى لهذا الانتصار ، مبلورة في

الصحيفة مستنتجة ان وصول كينسجر الى الطريق المسدود يعني انه لم يعد هناك غير خيار واحد ، ملهجة بذلك الى الخيار العسكري ، ووصفت هذا الخيار بخيار « التحدي » وقالت : من هنا يجب ان تتف الغوى العربية جعيما امام خيار واحد لا بديل عنه وهو ان تقبل التحدي . واذا كانت نهاية الصراع تقضي بانتصار الحق فلا بد من الاعداد للاستمرار في مسيرة التحدي بوحدة صف وهدف ، بقلب واحد ويد واحدة .

وختتمت « الشعب » تعليقها قائلة ، ان نواة هذه الوحدة «تتبلور في القيادة الفلسطينية - السورية» التي يجب ان تتسع لتضم كل القوى العربية الاخرى وفي مقدمتها مصر والعراق وليبيا ... وعندها تستطيع القوى العربية ان توصل المسيرة مطمئنة الى تأييد جماهير امتهما العربية والقوى الدولية المؤيدة للحق والمساندة لحرية الشعب وقضاياها المعادلة (الشعب ٧٥/٣/٢٤) .

اما صحيفة القدس فكتبت تحت عنوان « لم يكن الفشل مفاجأة » تقول : ان اسرائيل لا تريد السلام ضمن حدود معترف بها ، لان هذا السلام في رأيها ، لا يحقق لها الاهداف التي تتطلع اليها ، وهي ان تصبح دولة شرق اوسطية تتمتع بالاعتراف الدبلوماسي والعلاقات الاقتصادية وحرية المرور عبر العواصم العربية والتبادل التجاري ورفع قيود المقاطعة وتوطين اللاجئين الفلسطينيين ضمن البلاد العربية التي تأويهم حاليا ... وهي في سبيل الوصول الى هذه الغايات مستعدة ان تنسحب ، لا الى خط ١٩٦٧ ، بل الى خط يقع بين الوضع القائم والوضع الذي كان عليه الحال قبل حصر حزيان .

وتدترت « القدس » ان الدول العربية مستعدة للسير في خطوات الصلح ، وتناطت : هل اسرائيل مستعدة ان تدفع الثمن الذي يتطلبه هذا الصلح واقبله العودة الى خط التقسيم لسنة ١٩٤٧ . واجابت الصحيفة ، ان الجواب بالتأكيد هو النفي .

واضافت الصحيفة قائلة : بقي ان نسال عن الدور الذي قامت به الولايات المتحدة الامريكية . بالتأكيد ، لم تمارس الولايات المتحدة الضغط الكافي بل اكتفت بالتلويح باشارات غامضة على ما يبدو من رسالة الرئيس نورد . وقامت بدور ساعسي

والقدس . وقالت الصحيفة الاسرائيلية ان القنصلية الاميركية تد حددت الاشخاص والمكان لهذه الاجتماعات . وان السفاتور اجتمع بثلاث مجموعات صغيرة من الشخصيات العربية وان بعضها جرى في بيوت افراد منهم طلبوا عدم كشف الآراء التي طرحوها او الذين اشتركوا في هذه الاجتماعات . وقالت « معارف » ان رؤساء بلديات الخليل ورام الله وبيت لحم لم يشتركوا في هذه الاجتماعات . كما ان القنصلية الاميركية اختارت « شخصيات » ليست لها « مناصب عامة رسمية » وان الذين اشتركوا في الاجتماعات جميعهم من الذين يؤيدون اقامة دولة فلسطينية والانفصال عن الاردن . وقالت ان ماكففرن التقى بالدكتور شوكت الكيلاني « المعروف بتأييده للحزب الشيوعي » ومع مدير كلية بيرزيت الدكتور غابي برامكي ومع عزيز شحادة حيث جرى في بيت الاخير أحد الاجتماعات . وقالت انه في احد اللقاءات حضر ١٥ شخصا بينهم رئيس الغرفة التجارية في رام الله . واضافت الصحيفة ان الحضور من الاجتماعات مع الدكتور كيلاني ومع رؤساء كلية بيرزيت قالوا بانهم يؤيدون اقامة دولة فلسطينية بقيادة م. ت. ف. واضافت ان اقوال عزيز شحادة كانت اكثر اعتدالا وان ماكففرن القى اجتماعا كان مقررا ان يحضره عدد من الشخصيات المعروفة بتأييدها للاردن (الشعب ، العدد نفسه) .

ونقلت « الشعب » عن صحيفة يدبوعات احرونوت ان احد الاشخاص الذين اشتركوا في الاجتماعات مع ماكففرن قد ذكر انه اعرب عن تأييده للمحسب لفكرة اقامة دولة فلسطينية . وقالت ان القنصلية الاميركية هي التي رتبت هذه اللقاءات واحاطتها بالسرية وطلبت من مشتركيها العرب عدم التحدث عن اجراء اللقاءات ولا عما دار فيها (الشعب المصدر نفسه) .

اما صحيفة القدس فقد نقلت هي الاخرى بعض تفاصيل اللقاءات مع السيناتور الاميركي . فقالت على لسان الدكتور شوكت كيلاني رئيس اطباء في وكالة الغوث ، انه قد عرض القضية بصورة واضحة ، وكان من أبرز النقاط التي اثارها ، ان ما سمعه ماكففرن من السيد ياسر عرفات اثناء اجتماعه به مؤخرا ، كان يمثل نفس الرأي والاتجاه

شكل قدرة الجماهير العربية على رؤية المخططات الابريالية الاثمية ، وقدرة هذه الجماهير على التصدي الواعي لهذه المخططات ، وانشالها وارغام كل الاطراف المشاركة فيها على الركوع امام الارادة الجماهيرية الجبارة » (الفجر ١٨/٣/٧٥) .

زيارة السناتور ماكففرن

كانت الضفة الغربية احدى المحطات الهامة التي توقف فيها السناتور جورج ماكففرن خلال جولته الشرق اوسطية . ونقلت صحف الضفة الغربية والصحف الاسرائيلية بعض انباء هذه الزيارة واللقاءات والاحاديث التي دارت فيها ، والتي رتبت لها القنصلية الاميركية العامة بالقدس وتكثبت مختلف المصادر حول ما جرى فيها من احاديث . ومع ذلك فقد ذكرت صحيفة الشعب بعض تفاصيل الزيارة قائلا : ان اغلبية العرب الذين اجتمع معهم السناتور الاميركي اكدوا له واصروا على ان منظمة التحرير هي الممثل الوحيد لهذا الشعب ، وانهم يؤيدون المطالب والحقوق التي تنادي بها وتعمل من اجلها منظمة التحرير وخاصة قيام السلطة الوطنية في الاراضي المحتلة . واضافت الصحيفة ان ماكففرن عقد سلسلة لقاءات واجتماعات خاصة لم يذكر شيئا عما دار فيها ولا اسماء الشخصيات التي التقى بها . وذكرت عن ماكففرن قوله بما يخص مؤتمر جنيف « ان امريكا لا يهتما من سيمثل الفلسطينيين فيه ، انما يهتما ان يكون الممثل يحظى بتأييد غالبية الشعب الفلسطيني » . وقالت ان من بين الذين اجتمع بهم السناتور ، الحامي عزيز شحادة الذي ذكر لماكففرن رأيه المعلن والقائل باقامة دولة فلسطينية بعد الانسحاب الاسرائيلي ووضع المنطقة تحست الوصاية الدولية . كذلك اجتمع ماكففرن مع الدكتور شوكت الكيلاني وغابي برامكي وانور الخطيب . واضافت انه اجتمع قبل ذلك الى كل من حمدي كنعان والحامي وصفي المصري . (الشعب ٧٥/٤/٤) .

ونقلت « الشعب » عن الصحف الاسرائيلية ما نشرته الاخرى من جوانب هذه اللقاءات . فقالت نقلا عن صحيفة معارف ان ماكففرن اجتمع « بوجهاء » عرب من المناطق المحتلة وان الاجتماعات استمرت حوالي ثلاث ساعات حيث جرت في رام الله

اعتراف بممثلينا الشرعيين وتشكك في مقدرتنا على اقامة سلطتنا الوطنية وادارة شؤونها . ومعناها في النهاية الخوف من سلطة الجماهير والخوف من الفكر الاجتماعي الذي تطرحه الحركة الفلسطينية . معناها عدم الإيمان بالجماهير باي حال والانفلاق داخل الاحلام الذاتية ، ومعناها مقاومة ارادة الجماهير وحركتها . ان الوصاية الدولية مرفوضة تقولا وعملا ، وهي في شكل اخر من الاحتلال واغراق البلاد في الفوضى والتفسيخ وجعل بلادنا بؤرة مفتوحة للنشاط الامبريالي والجاوسمية العالية . انه احتلال من نوع جديد لا نرضى به ولا نقبله ونرفض كل من يقول به وترى فيه عدوا لحركة الجماهير ... » (الفجر ٧٥/٤/٥) .

اما صحيفة الشعب فقد تناولت من جانبها التعليق على مهمة السناتور الاميركي برمتها وقالت: ان الطريق الى معرفة الحقيقة عن مشكلة الشرق الاوسط اذا شاء ماكغفرن ان يطلق عليها هذا الاسم — باعتباره لا يستطيع فهم الابعاد الحقيقية للقضية الفلسطينية ولن يستطيع — هذا الطريق كان باستطاعته ان يبدأ به من حيث اتى .. من نيويورك التي تضم ملفات الامم المتحدة وفيها كل ما يتعلق بالقضية ، وترسم عبر اكثر من ربع قرن صورة شبه شاملة لكل تطورات القضية واحداثها ، منذ ان تعامى العالم عن الخروج بها عن نطاق قضية لاجئين يحتاجون الى الخيمة وكسرة الخبز ، الى ان اضطر للاعتراف ثم الاقتناع بحقيقة كونها قضية شعب له ارض ووطن وحقوق كاملة .

واختتمت « الشعب » تعليقها قائلة : « لنفرض ان ماكغفرن جاء ينشد الحقيقة من افواه اصحابها فنظن انه بالتقاءه بالمثليين الحقيقيين لهذا الشعب ، سواء كان عبر اجتماعه بياسر عرفات، او محادثاته مع المسؤولين واللاجئين في المخيمات الفلسطينية على ارض لبنان ، قد وجد هذه الحقيقة بكل تفاصيلها وابعادها » (الشعب ٧٥/٤/٤) .

عيسى الشعيبي

لكل مواطن في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان الشعب الفلسطيني الذي يبلغ تعداداه اكثر من ثلاثة ملايين نسمة ، قادر على انشاء دولته وحكم نفسه بنفسه وان هذا الشعب الذي يضم الالوف من الاطباء والمحامين وعشرات الالوف من المثقفين ، والذين عمروا العالم العربي بثقافتهم ونهضوا بدوله من كافة النواحي الصناعية والاقتصادية والاجتماعية ، قادرون الان على اقامة دولتهم في هذا الجزء من العالم . واكد ان الفلسطيني يتطلع الى السلام لا الى الاستسلام ، وان الافكار التي تمع الشعب الفلسطيني هي الإيمان بتنفيذ مقررات مجلس الامن والامم المتحدة ، وانه لن يكون هناك سلام في هذه المنطقة بدون ذلك .

ومن ناحية اخرى نفى حكمت المصري انه قد قابل السناتور ماكغفرن ، وقال ان رأي السكان في الضفة الغربية معروف ، واكد ان كل مواطن يحمل نفس اراء منظمة التحرير والسيد ياسر عرفات . وقال في حديث ادلى به لبعض الصحفيين الذين زاروه ، ان الشعب الفلسطيني يتطلع الى اقامة دولته الديمقراطية . واكد انه لا يمكن لاي فئة في الضفة الغربية ان تقف ضد رغبة الجماهير الفلسطينية المثلة في قيام دولة فلسطينية مستقلة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية وتنفيذ مقررات هيئة الامم المتحدة (القدس ٧٥/٤/٤) .

وانتقدت صحيفة الفجر المقدسية بعض الاراء التي نادى بها بعض الذين اشتركوا في هذه الاجتماعات حول الوصاية الدولية على الدولة المقترحة ، فقالت : « ان وجود امثال هؤلاء ليس غريبا ، وليس ظاهرة فريدة نادرة لا يجود بمثلها الزمان . نعم انها ظاهرة ولكن ليست عربية . انهم شوك كل عصر ، وهذيانهم لا يبدل الا على انهم فئة تقول فقط بما يخالف اجماع كل الناس » . ثم اضافت : « باسم من يتكلم هؤلاء ؟ . ان مثل هذا القول يخرج عن اجماع الناس الذين يرون في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلهم الشرعي والوحيد . وقد اعترفت بذلك كل الجماهير الفلسطينية ... ما معنى ان يقول البعض بالوصاية ؟ . معناها تنكر لارادة الجماهير وعدم

(٤) اسرئيليات

[١]

اسرائيل تسعى لضمان استمرار التأييد الاميركي
بعد فشل المفاوضات مع مصر

مصر منها ، بعد ان اصبح الانسحاب من سيناء ومداه « امرا ثانويا » .

تطرق اكثر من معلق اسرائيلي الى مضمون الطلبات التي قدمتها اسرائيل لمصر ، فأشار احدهم (يشعياهو بن - بورات - يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/٧) الى ان اسرائيل لا تزال تعتبر نفسها سائرة على طريق التسوية الجزئية ، لا الشاملة ، وتسمى - رغم الطلبات التي تقدمت بها - للوصول الى «تسوية جزئية واسعة وذات مغزى» مع مصر ، تكون « خطوة جدية نحو تسوية سلمية » ، و « ذات طابع سياسي واضح » ، يميزها عن اتفاقية فصل القوات السابقة ذات الطابع العسكري ، ولهذا لا بد لكل من اسرائيل ومصر من القيام بخطوات عملية - لا كلامية - تثبت نيتها هذه من جهة ، وتمنعها من التراجع عنها من جهة اخرى . وانطلاقا من هذا الموقف ، تطالب اسرائيل مصر - اولا وقبل كل شيء - بتقديم « تعهد ... علني ، خطي ورسمي ، غير قابل للتنازل ، بشأن استعدادها للتنازل ، من الان فصاعدا ، عن استعمال القوة ضمن اطار النزاع المصري - الاسرائيلي ... ولا يعني هذا - ومن الخاسب ان نوضح هذه النقطة جيدا - تعهدا مصرية ، شفويا وخطيا ، تجاه الولايات المتحدة ، الرئيس فورد او الدكتور كيسينجر ، وانما تعهدا علنيا - اي تجاه مصر نفسها ، والعالم عامة واسرائيل خاصة » . وفي اطار هذا التعهد يسمح لمصر باستعمال القوة في حالة هجوم اسرائيلي عليها « فقط » . كذلك ينبغي ان ينص هذا التعهد على التزام « بحل الخلافات ، من الان فصاعدا ، بواسطة مفاوضات سياسية ، مباشرة او غير مباشرة » ، شرط ان ترافقتها ، بحسب رأى اسرائيل ، « سلسلة من الخطوات العملية ... تشير الى انتقال تدريجي ... من حالة الحرب الى حالة اللاتحارب بين البلدين » . وتضم هذه الخطوات ، مثلا ، « فتح قناة السويس امام

مع الاعلان عن فشل وزير الخارجية الاميركي كيسينجر حمل مصر واسرائيل على تحقيق تسوية جزئية اخرى في سيناء ، انهك الاسرائيليون ، من رسميين ومعلقين ، في كشف تفاصيل المفاوضات التي دارت بينهم وبين مصر ، بواسطة كيسينجر ، لتبرير مواقفهم ، على الصعيدين الداخلي والخارجي ، بينما ارتفعت الاحداث الداعية الى اعادة تقييم الموقف الاسرائيلي وتخطيط سياسة « جديدة » للمراحل القادمة ، خاصة بمسئد ان اعلنت الولايات المتحدة عن نيتها « اعادة النظر » في سياستها في الشرق الاوسط . ومع حماس الاسرائيليين في الحديث عن موقفهم وموقف مصر ، والمواقف التي اتخذها الطرفان اثناء المفاوضات ، واتجاههم الى تحميل مصر مسؤولية فشل مساعي كيسينجر بسبب « تصلبها » ، اتضح ايضا ان الموقف الاسرائيلي بقي على وضعه السابق ، يهدف الى فرض تسوية شاملة ضمن التسوية الجزئية مع مصر ، وان اي تغيير لم يطرأ عليه ، رغم الزيارات المتبادلة والمحادثات التي تمت خلالها ، التي كان بعض المسؤولين الاسرائيليين قد قاموا بها لواشنطن من جهة وزيارات كيسينجر للمنطقة من جهة اخرى ، منذ الخريف الماضي .

وقبل الحديث عن الاسباب التي اعلنتها اسرائيل لفشل مهمة كيسينجر ، لا بد من استعراض مضمون الاتفاق الذي كانت اسرائيل تسعى للوصول اليه والذي اتضح من التعليقات والانباء التي نشرت في اسرائيل ، خلال الاسبوعين اللذين سبقا بدء زيارة كيسينجر . لقد تبين ان الاتفاق الذي تطالب اسرائيل مصر بالتوقيع عليه ، مقابل موافقتها على الانسحاب من سيناء ، يضم عددا من الطلبات تكاد ، عند الاستجابة لها ، تشكل عمليا اتفاق سلام ، ينقسه الاسم فقط . ومن ناحية اخرى ، تشير معظم الانباء الواردة من اسرائيل ان المفاوضات الحالية بين اسرائيل ومصر ، بواسطة كيسينجر ، تدور اساسا حول هذه الطلبات وموقف

وبين التأييد السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية. كذلك ينبغي ان تحدد بالتفصيل اية امور تعتبر سببا للحرب ، واعداد قوائم مفصلة حول الاضطرابات المهكئة على الجبهات الاخرى والاشارة صراحة الى الحالات التي تمتنع فيها مصر عن القيام بأي عمل . والاساس - ينبغي ان تقام لجنة مفاوضات مشتركة تباشر دراسة كل المشاكل المتعلقة بين الدولتين لانهاء الخلافات ، من خلال تنازلات متبادلة (المصدر نفسه ، وانظر ايضا اريئيل غيناي - يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٥ وماتي غولان - هآرتس ، ٧٥/٣/١١) .

من الواضح ان الاقتراحات التي قدمتها اسرائيل تركز اساسا على الوصول الى اتفاق مع مصر وحدها ، ومن الواضح ايضا ان هذا الاتجاه لا يهدف الا الى السير على طريق التسوية الجزئية ، وان كانت المرحلة المقترحة حاليا « كبيرة » ، وهو الخط الذي تعلن اسرائيل عن تمسكها به منذ عدة اشهر ، منذ بدأت زيارات الدكتور كيسينجر للمنطقة في خريف العام الماضي . وفي هذا الصدد ، ورغم كثافة واتساع المفاوضات مع مصر واستمرار اسرائيل في الاعلان صراحة عن نياتها ومواقفها ، لم يطرأ اي تغيير على الموقف الاسرائيلي من سوريا او الفلسطينيين . وبالنسبة لسوريا ، عاد المسؤولون الاسرائيليون واكدوا ، رغم الاتباء التي اشارت الى امكانية حدوث انسحاب اخسر في الجولان ، انه لا مكان لتسويات جزئية اخرى على الجبهة السورية ، وان اسرائيل قد تنسحب من بعض المناطق هناك ضمن اطار اتفاق سلام نهائي مع سوريا . وبالنسبة للفلسطينيين ، عادت اسرائيل واكدت انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، لان هذه المنظمة ، بحسب رأي هركابي ، مستشار بريس (في مقابلة مع هل همشمار ، ٧٥/٢/٢٨) ليست الا مجموعة من المتطرفين ، منهم « متطرفون اقل ومتطرفون اكثر » ، وكذلك لان مشكلة المنظمة ، بحسب رأي يتسحاق نافون ، رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست (في مقابلة مع دانار ، ٧٥/٣/٧) هي في « عقيدتها » التي تدعو الى « ابادة اسرائيل » بطرحها شعار الدولة الديموقراطية العلمانية في فلسطين . وابدت دوائر اسرائيلية مختلفة ، من ناحية اخرى ، اهتماما باقتراح الرئيس الاسد اقامة قيادة عسكرية

البضائع الاسرائيلية - وفي مرحلة لاحقة ، امسام السفن الاسرائيلية ، العمل على صد المقاطعة العربية ضد اسرائيل وتخلي مصر عنها » (ويبدو ان نشاط المقاطعة العربية ، الذي ازداد مؤخرا ، يضايق الاسرائيليين في اكثر من مجال) ، و« عدم تأييد مصر لاعمال الفدائيين العسكرية » (المصدر نفسه) .

كذلك تضم الطلبات التي تقدمت اسرائيل بها شروطا بشأن مدة الاتفاق بين البلدين ، ومدة الانسحاب من سيناء ايضا . وفي هذا الصدد ، لا تزال الانباء متضاربة ، اذ ان هناك احاديث عن سنة وستين وثلاث وخمس و ٧ - ١٠ سنوات . أما بشأن المدة الضرورية لتنفيذ الانسحاب من سيناء ، فهناك شبه اجماع على ان اسرائيل تطالب بفترة سنة اشهر . من خلال الافتراض ان دورة جديدة لمؤتمر جنيف ستعقد خلال هذه الفترة ، بحيث تستطيع اسرائيل التاكيد من « نوايا » مصر ، خاصة خلال انعقاد المؤتمر من جهة ، وبنسباء تحصينات للخطوط الجديدة التي ستنسحب اليها داخل سيناء من جهة اخرى .

ويبدو ان هذه ليست الطلبات الوحيدة التي تقدمت بها اسرائيل ، اذ كشف آخر (يوثيل ماركوس - هآرتس ، ٧٥/٣/٥) . للكتاب عن طلبات اخرى ، يظهر انها مكتملة لما اردناه ، منها مطالبة مصر بتخفيض قواتها المسلحة ، بحيث « يتم تحويل جزء من الجيش المصري النظامي الى الاحتياط ، لكي يصبح وضعه شبيها بذاك القائم في اسرائيل تقريبا » . وتحدث البعض ايضا عن امكانية فرض قيود في المستقبل ، على تسليح كل من اسرائيل ومصر . « كذلك ينبغي ان تكون جسور مفتوحة لنقل البضائع ولحركة السياحة [وطالب اخرون ايضا بايجاد خدمات بريدية بين البلدين] ، بينما ينبغي ان تكون المنطقة منزوعة السلاح [التي ستنسحب منها اسرائيل في سيناء] باشراف وحدات مصرية اسرائيلية مشتركة . وينبغي على الطرفين ايضا التنازل عن رد الفعل العسكري على اي انجاء يقوم به الطرف الاخر (مثلا ، تسليح طائراته) ، وعلى ديبلوماسيا وليس نارا مضادة للطائرات) . وعلى مصر ان : . . . توفد تايددها العسكري (للتمييز بينه

تشمل أيضا سوريا والفلسطينيين ... لقد وصل وزير الخارجية [كيسينجر وغروميكو] الى هذا التفاهم في جنيف [عند اجتماعها خلال الشهر الماضي] . وعلى اساس تفاهم كهذا يمكن فقط دفسح سوريا والفلسطينيين نحو الاعتدال « (المصدر نفسه) .

لماذا فشلت المفاوضات ؟

كان أول المتحدثين الاسرائيليين من فشل المفاوضات رئيس حكومة اسرائيل نفسه ، يتسحاق رابين . فبعد بضعة ساعات من مغادرة كيسينجر المنطقة ، عقد رابين مؤتمرا صحفيا اوضح فيه موقف اسرائيل ، بقوله : « عرضت اسرائيل ، خلال الاسبوعين الاخيرين ، بدلين اساسيين للتقدم نحو السلام على مراحل » ، اولهما ان توافق مصر على الغاء حالة الحرب ومقابل ذلك تنسحب اسرائيل ... الى ما وراء ممرات الملا والجدي ... وحصول النفط في ابو رديس وجنوبها « (داغار ، ٧٥/٣/٢٤) . وعندما رفضت مصر ذلك « اقررنا ان توافق على فرض قيود معينة بشأن استعمال القوة ، بحيث تكون اسرائيل مستعدة [مقابل ذلك] للانسحاب الى منتصف الممرات ... واعداد حقول النفط في ابو رديس » . ولكن مصر رفضت هذا الاقتراح ايضا ، بحيث اوضح ان هناك « خلافات في الرأي ، جوهرية وجغرافية » . اما الخلافات « الجوهرية » فمردها ان مصر اصرت على اعتبار اي اتفاق جديد ، اتفاقا عسكريا فقط ، « بينما اصرت اسرائيل على ان يكون الاتفاق ذا طابع سياسي ... يضم اسسا يمكن ان تعتبر تعبيراً عن التقدم نحو السلام . ولكن مصر لم تبد اي استعداد .. للتقدم نحو السلام .. مثل الجسور المفتوحة للسواح وفرض قيود - لا الغاء - على الدعاية المعادية والمقاطعة الاقتصادية وما شابه » . واهض رابين ان مصر رفضت ايضا اقامة اية هيئة اسرائيلية - مصرية مشتركة ، « عدا عن لجنة هدنة ، من العسكريين ، تكون مرتبطة بقوة الطوارئ لمراقبة المنطقة ... التي تفصل بين الطرفين » ، ولكنها وافقت على تجديد عمل قوة الطوارئ من نصف سنة الى سنة ، على ان يتم تجديد الفترة بعد ذلك مرة كل سنة . كذلك اعلن رابين ان طلبات مصر تلخصت « في انسحاب اسرائيلي كامل من

- سياسية مشتركة بين سوريا والفلسطينيين ، وكانت تجمع على ان الهدف من وراء ذلك هو احياء مشروع « سوريا الكبرى » ، اولا ، واقامة « جبهة من الضعفاء » تضم كلا من سوريا والفلسطينيين والاردن ثانيا ، بعد ان اتضح لهم ان مصر « تفضل مصالحها الخاصة » ومصممة على السير في طريق التسوية الجزئية .

كذلك اشارت مصادر اسرائيلية اخرى الى ان الهدف من وراء اقتراح الرئيس السوري قد يكون محاولة التغلب على عقبة حضور الفلسطينيين لمؤتمر جنيف ، وان اسرائيل قد لا تعارض ذلك ، وان كانت تصر على ان « لا تمثل الفلسطينيين م . ت . ف . فقط » (اربيل غيناي - يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/١١) . وفي الوقت نفسه كشف النقيب عن محاولات عديدة تقوم بها وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ويشرف عليها بريس ، لمخ الضفة الغربية حكما محليا (هارتس ، ٧٥/٣/٦ ، وداغار ، ٧٥/٣/١٦) .

لم تكن الدوائر الاسرائيلية المختلفة بالحديث عن طلبات اسرائيل من مصر ، للموافقة على انسحاب اخر من سيناء ، وانما تتحدث ايضا عن الخطوات المقبلة التي ستتخذ على صعيد حل مشاكل المنطقة - اذا نجحت المحادثات حول المرحلة الحالية من التسوية بين اسرائيل ومصر - مشيرة الى انه « اذا تم الوصول الى تسوية جزئية ، سينعقد مؤتمر جنيف في الربيع دون ان تدعى اليه م . ت . ف لان القضية الفلسطينية غير ملحة الان » ، وفي « مرحلة متأخرة » يظهر الفلسطينيون في الصورة » . ولهذا « سيكون مؤتمر جنيف في الربيع اجتماعا قصيرا ، مخصصا اساسا لعرض التطورات [المتوقعة] » (يوسف حاريف - معاريف ، ٧٥/٣/٧) . وبعد انتهاء المؤتمر ، تنتقل الطبقة الى الدولتين الكبيرتين ، « والقصد تجديد المحادثات الثنائية بين واشنطن وموسكو ، مثل المحادثات التي جرت اساسا سنة ١٩٦٩ بين جوزيف سيسكو واثانولي دوبرينين ، التي ادت فيما بعد الى تفاهم بين روجرز وغروميكو بشأن ماهية التسوية الشاملة » ، ذلك لانه « لا يمكن ان نتوقع تسوية دون ان تلعب الدولتان الكبيرتان ادوارا مكملة » . وعندما نتحدث عن تسوية تحظى ببركة الدولتين الكبيرتين ، من المفهوم انها

بينما يستطيع الجيش المصري ان يشكل تهديدا نحو ايلات (العقبة) او متسيبه ريمون [في النقب المحتل منذ ١٩٤٨] لو احتل الممرات . وبهذا كانت مصر ستحصل على مواتع استراتيجية مهمة ، مقابل عبء استراتيجي ثقل وصعب للغاية على جيش الدفاع الاسرائيلي وعلى اسرائيل . وكانت اسرائيل قد صرفت اموالا طائلة في تحصين الخطوط التي انسحبت اليها في سيناء بعد اتفاقية فك الارتباط على جبهة السويس وخاصة منطقة الممرات في سيناء ، وعلينا ان نذكر « ان خط دفاع قوي ليس اموالا منقولة » (المصدر نفسه) .

واعلن بيريس ايضا ان مصر رفضت الاجابة على بعض الاسئلة التي وجهتها اليها اسرائيل : « اذا هاجمت سوريا اسرائيل ، هل ستضم مصر للحرب ام لا ؟ وماذا ستفعل مصر اذا اشتركت سوريا في حرب ضد اسرائيل بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية ؟ وماذا سيحدث ، نظريا ، اذا هاجمت اسرائيل سوريا ؟ » (المصدر نفسه) .

ويلاحظ انه على الرغم من كثرة الحديث حول فشل المفاوضات مع مصر ، بقي وزير خارجية اسرائيل يغال المون ، صامتا ، مما قد يؤيد الانتباه المشيرة الى وجود خلافات في الرأي بينه وبين رابين وبريس من جهة ، وبين هؤلاء « الثلاثة الكبار » والحكومة الاسرائيلية باسرها من جهة اخرى . وقد اتضح ، بعد الاعلان عن فشل المفاوضات ، ان « الثلاثة الكبار » كانوا على استعداد في مرحلة ما من المفاوضات لتقديم « تنازلات » لمصر والاستجابة لبعض طلباتها ، الا ان اكثرية الوزراء (باستثناء وزيرى مباب) صوتوا ضدهم ، بعد ان انضم الوزراء الذين يؤيدون الاتجاه نحو تسوية شاملة مع جميع الدول العربية ، ان تم ذلك بواسطة مؤتمر جنيف او بدونه ، الى الوزراء « الصقور » المعارضين للتسوية .

الحكومة تحظى بالثقة .. وبالانتقادات

بعد الاعلان عن فشل المفاوضات ، قدمت الحكومة بيانا سياسيا بشأن موقفها الى الكنيست، حيث حظيت بالثقة باكثرية ٩٢ صوتا (من ١٢٠) ، ضد ٤ (اعضاء اراكان) وامتناع ٦ اعضاء عن التصويت . وظهر لأول وهلة وكان موقف الحكومة، التي تتمتع باكثرية ٦٦ صوتا فقط ، قد ازداد قوة

منطقة الممرات باسرها . انسحاب من حقول النفط في ابو رديس وجنوبها ، حتى منطقة الطسور ، وتسليم المساحة [الواقعة] بين مدينة السويس وحتى الطور ، على طول خليج السويس « لها (المصدر نفسه) .

وعاد رابين وتطرق الى ناحية اخرى من موقف مصر اثناء المفاوضات بقوله (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ٢٦/٢/٧٥) : « كان واضحا سلفا ان مصر لن توافق على اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل . لقد درس الامر جيدا خلال المفاوضات مع مصر ، واتضح انه غير قابل للتنفيذ . اما الامكانية الثانية التي كانت ، ولا تزال ، قائمة فهي الوصول الى انتهاء حالة الحرب » .

كذلك تحدث وزير الدفاع الاسرائيلي ، شمعون بيريس ، عن المفاوضات وغشها مطولا (في مقابلة مع معاريف ، ٢٦/٣/٧٥) ، ملخصا « تجربته » بقوله : « اتضح ان كل ما يريده [المصريون] هو ، ببساطة ، انسحاب اسرائيل عبيق في سيناء دون اي مقابل » ، مضيفا « ان التصلب المصري ظهر ... في اربعة مجالات : [رفض] اي تغيير في جوهر العلاقات [بين مصر واسرائيل] ، ماهية الانتفاضة ومدتها ، مصر الممرات ومساءلة حقول النفط . في المجالات الاربعة هذه كان الموقف المصري متصليا ، غير قابل للمساومة ، غير معقول ومخيبا للامال ... » واضاف بيريس ، معلقا على موقف مصر ، كما يراه ، بقوله : « كان من المفروض ان تثبت مصر للعالم العربي ، وفقا لموقفها ومغايبيها ، انه لم يتم علينا اي اتفاق [مع اسرائيل] ولم يعط اي مقابل مصري ، بل ان مصر ، بحكمتها وقدرتها الكبيرة وعنادها واصرارها في المحافظة على المصلحة العامة ، استطاعت اجبار اسرائيل على الانسحاب من مناطق ومواتع عسكرية واقتصادية ، من الدرجة الاولى ، دون اي تنازل مصري من اي نوع كان » . واضاف بيريس ، مبررا رفض اسرائيل الاستجابة لطلب مصر الانسحاب من الممرات بقوله : « ان التفسير الحقيقي للاقتراح المصري ليس ابتعادا [اسرائيليا ومصريا] متساويا عن جهتي الممرات ، وانما اقترابا مصريا منها وابتعاد الجيش الاسرائيلي عنها . ولو وافقتنا على هذا الاقتراح لوجد الجيش الاسرائيلي نفسه في منطقة مكشوفة ،

اسرائيل غير ملزمة بالاستجابة لطلبات الانسحاب
مئة بالمئة» .

وعلق ايبن على موقف اسرائيل من الفلسطينيين
بقوله : « لست من انصار صيغة » نلتقي نسي
ساحة القتال « فقط ، خاصة اذا كانت ساحة
القتال قري وشوارع وشواطئ اسرائيل . ان
رفض التباحث مع منكري وجود اسرائيل وسيادتها
يبدو لي منهوما ومعتولا ، ولكن بسبب هذا بالذات
ينبغي التفتيش عن خيارات ايجابية ، والسعي
وراء ممثلين فلسطينيين تكون مستمدين للقائم في
غير ساحات القتال » (المصدر نفسه) .

كذلك انضم وزير الدفاع السابق دايان الذي
منقدي الحكومة (في مقابلة مع معاريف ، ٢١/٣/٧٥)
« رغم انه ايد موقفا خلال المفاوضات مع
مصر ، وذلك لانها وافقت على اتباع سياسة
المرحل ، التي لا يجدها ، وحاولت الفصل بين
مصر وسوريا ، وهذا بحسب رأيه غير ممكن .
وبعد ان لمح دايان الى ان حكومة راين « تحظى
بثقتهم » حاليا ، وتسترشد بآرائه ، مكذبا بذلك
الانباء السابقة المشيرة الى انه يقربص بها
لاستقاطها ، كبر قوله مرات اخرى بوجود التخلي
عن سياسة المراحل ، واعتبار مصر وسوريا جبهة
واحدة . اما بالنسبة للفلسطينيين ، فقد ذكر
دايان انه « لا مشكلة لنا الان مع الاردن او مع
الفلسطينيين . انها ليست ملحة ... لا على طول
الضفة [الغربية] ولا على عرضها ، ولا في اي
مدى اخر اردني - فلسطيني ... ولن نفاوض
حسين ... ولا عرفات » . والسبب ؟ - « ان
نايلس لا تستطيع اجراء تسوية نهائية معنا دون
الاردن ، والاردن لا يستطيع القيام بذلك دون مصر ،
ومصر لا تستطيع القيام بذلك دون سوريا ، والاثنتين
لا تستطيعان القيام بذلك دون السعودية - ولهذا
ليست هناك حاليا مشكلة حل شامل » . وحتى
ذلك الوقت « على اسرائيل الابقاء على وضع
تستطيع معه تأمين مصالحها ، وهي اساسا ثلاثة :
الاستيطان - عن حق وليس مئة في كل مكان في
الضفة . عمليا ، ينبغي ان نستوطن على ظهور
الجيال ، في اطار معسكرات جيش ونقاط استيطان
مدني محاذية لها ... وكذلك ، تأمين مصالحنا
الابنية ، من خلال تقوية الاجهزة بالتحصينات
والطرق ، ثم عدم منح ادارة ذاتية لسكان المناطق

بناء على هذا التصويت ، ولكن سرعان ما اتضح
ان هذه القوة كانت « للحظة عابرة » فقط ، اذ ان
المعارضة صوتت الى جانب الحكومة ، بعد ان
طلب راين ذلك من بيغن ، الذي وافق بدوره على
هذا ليحرب عن « عدم ثقة » جماعته بكيسنجر ،
بينما اراد راين الابقاء على وحدة حكومته او منع
سقوطها ، ليعاود الاتصال بكيسنجر بعد ان يقوم
الطرفان « باعادة النظر » في مواقفهما . كذلك
ارتفعت بعد ذلك التصويت اصوات ، صدر معظمها
عن الحزب الديني القومي (المجدال) المشترك في
الائتلاف ، تدعو الى اقامة حكومة تكمل قومي الا
ان موشي برعام ، الرجل القوي في فرع حزب
العمل في القدس ، سرعان ما اعلن عن معارضة
حزبه لذلك .

ومع اعلان اسرائيل عن مواقفها تلك ، اتجه
معظم المعلقين الاسرائيليين الى اللقاء مسؤولية
ميشل المفاوضات على مصر ، لانها « اصررت على
التمسك بخيار الحرب » ، ورفضت « باصرار »
طلبات اسرائيل بشأن « انتهاء حالة الحرب » معها ،
رغم ان اكثرهم لم تبد ارتياحا للوضع الجديد ،
الذي نشأ بعد وقف المفاوضات . غير ان حكومة
اسرائيل لم تسلم - كالعادة - من توجيه النقد
لها ايضا ، وكان اول المنتقدين وزير الخارجية
السابق آبا ايبن الذي اعلن (في مقال له في
هارتس ، ٢٨/٣/٧٥) « ان اسرائيل قد بدأت
[المفاوضات] بطلبات سياسية بعيدة المدى :
ان « الغاء حالة الحرب » ، بطبيعة الحال ،
ليس الا مرحلة متأخرة ومتقدمة جدا في مسار صنع
السلام » . وازاف راين : « اشعر ان واشنطن
والقدس اقامتا نموذجا مغريا لسياسة مصرية
مطلوبة ، ولكنها غير موجودة . وعلى اي حال ،
لقد حظيت الاقتراحات الملائمة للرغبات والامال
بتقل مبالغ به ، بينما دفع الواقع نحو الزاوية » .
وعاد ايبن الى رأيه السابق المطالب بعقد مؤتمر
جنيف ، فدعا اسرائيل الى الاستعداد لحضوره ،
« دون ان ننسى ان عدالة [موقفنا] تظهر على
اكثر ما يكون وضوحا عندما تخين الفرصة لنا لنقل
مركز النقل من المسألة الاقليمية الى مسألة
السلام » ، خاصة وانه « واضح ومعروف ان
الغرب لا يتصدون سلما مئة بالمئة . ان توضيح
هذه الحقيقة قد يقنع بعض الجهات المرتبكة لماذا

وعلق احدثهم على النتائج المتوقعة من اعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة في المنطقة بقوله، « يبدو ان الاميركيين يعتقدون الان انهم اخطأوا عندما اعتقدوا انه كلما قويت اسرائيل ، ستكون اكثر مرونة ، واكثر استمدا للتنازلات » ، ولهذا فقد يخلصون مساعدتهم ، على اختلاف انواعها ، لاسرائيل ، وفي مقابل ذلك قد تزداد مساعدتهم لمصر (اريئيل غينساي - يديعوت اchronوت ، ٧٥/٣/٢٨) . كذلك قد يتنازل الاميركيون عن اتجاههم للعمل منفردين في الشرق الاوسط ، بحيث يتجهون الى التعاون مع الاتحاد السوفييتي ، مما يضر بمصالح اسرائيل ، وقد يقومون ايضا بادخال تغيير ما على موقفهم من حل القضية الفلسطينية (المصدر نفسه) .

ويتضح ان الاسرائيليين يحاولون التصدي لاي « انزلاق » في السياسة الاميركية في المنطقة بالعمل على محورين . اولهما تحسين علاقتهم بالادارة الاميركية ، ومحاولة تجديد اتصالهم بكيسينجر ، وثانيهما دعوة يهود الولايات المتحدة ، البالغ عددهم نحو ٦ ملايين ، الى التصدي لاي تغيير في سياسة حكومتهم ، يضر بمصالح اسرائيل . وعلن في هذا الصدد عن ارسال وفد اسرائيلي الى الولايات المتحدة ، من بين اعضائه آبا ايبن وموشي دايان ، لشرح سياسة اسرائيل للشرأي العام الاميركي والاشراف على « المعركة اليهودية المضادة » . وكان آبا ايبن قد اعلن قبل سفره الى الولايات المتحدة (هارتس ، ٧٥/٣/٢٧) انه « لا يجوز اعتبار رسالة رئيس الولايات المتحدة [الى حكومة اسرائيل] وكأنها انفجار عابر في ساعة غضب . ليست هذه هي الرسالة الاولى من نوعها ، وانكر رسائل اخرى اتبى منها . ولكن الخلفية تخطف عن كل ما عرفناه في السابق . اننا نواجه امريكا اكثر مصيبة ، واقل وثوقا بنفسها ، واقل تحكما في تيار التاريخ . امريكا تضيرة النفس ، تنوء تحت ثقل جمولتها » . ومن ناحية ثانية ، حذر آخر (دان مرغلوت - هارتس ، ٧٥/٣/٣٠) من مقبة « التحرش » بكيسينجر وفورد ، « اللذين قد يبقيا في البيت الابيض لست سنوات اخرى » .

المحتلة ، حيث «لا نائدة منها» (المصدر نفسه) . كذلك اعلن وزير المواصلات جاد يعقوبي ، زميل بيرس ، عن « عدم رضاه » عن الوضع الذي نشأ في المنطقة بعد فشل المفاوضات بين اسرائيل ومصر (في مقال له في يديعوت اchronوت ، ٧٥/٣/٢٦) رغم انه كان من مؤيدي الموقف المناهض لعدم تقديم « تنازلات » لمصر . وحذر يعقوبي من ان هذا الوضع يؤدي الى « تقوية التكتل في العالم العربي واضعاف مركز الولايات المتحدة في المنطقة وعودة الانحداد السوفييتي الى القيام بدور فعال في التسويات في المستقبل » .

الموقف من الولايات المتحدة والعلاقات مع اليهود الاميركيين

مع انهيار المفاوضات بين اسرائيل ومصر، ازداد اهتمام الدوائر الاسرائيلية على اختلاف انواعها ، بالموقف الذي قد تتخذه الولايات المتحدة من أزمة المنطقة في المستقبل ، خاصة بعد ان اعلن الرئيس فورد ان بلاده ستقوم باعادة النظر في موقفها من دول المنطقة من جهة ، بينما كشف النقاب عن رسالة كان فورد قد بعث بها الى راين ، قبيل انهيار المفاوضات ، وقيل انها رسالة « تأنيب » لاسرائيل ، من جهة اخرى .

وتبدي اكثر من جهة اسرائيلية قلقها من امكان حدوث تغيير في سياسة الولايات المتحدة في المنطقة ، يكون في غير صالح اسرائيل ، لان فشل المفاوضات بين مصر واسرائيل - بحسب رأي العديد من الاسرائيليين - يضر بمصالح الولايات المتحدة في المنطقة قبل غيرها ، ولان تدم اسرائيل ، على حد قول راين ، « ليس الاجزاء من المصلحة الاميركية » ، خاصة وان « هناك خوفا من ان السياسة الاميركية ، التي نجحت خلال السنتين الاخيرتين ، في دعم مركزها في عدة دول [في المنطقة] وعلى رأسها مصر ، منيت الان بضرية قوية وان مركز واشنطن في المنطقة تضعف بشكل يثر القلق » (ارييه تسيموكي - يديعوت اchronوت ، ٧٥/٣/٢٨) . ومما يزيد في هذه المخاوف الصعوبات التي تواجهها امريكا في فيتنام وكوبا من جهة والمشاكل على الصعيد الداخلي من جهة اخرى .

[٢]

مخطط ايجاد ((بديل)) لمنظمة التحرير الفلسطينية في المناطق المحتلة واقامة القيادة السورية — الفلسطينية المشتركة

الون حول اقامة « الحكم الاداري الذاتي في يهودا والسامرة » ، بعد ان نطقت عن الون قوله : « ان النجاح يعتمد على اقتناع السكان ان لا امكانية للاعتراف بـ م. ت. ف. او للتفاوض معها ... » .
وظهر بعد ذلك ان وزارة الدفاع الاسرائيلية هي التي تولت وضع الخطة لخلق مثل هذا « الحكم الاداري » ، وان وزير الدفاع شمعون بيريس تولى بنفسه مهمة الاتصال بشخصيات الضفة الغربية وغزة ، وان اتصالاته هذه احييت بالسرية التامة .

الزعماء لبيريس : فانك القطار

يبدو ان اتصالات بيريس مع زعماء الضفة الغربية بشأن اقامة « بديل لـ م. ت. ف. » لم تحظ بنجاح كبير ، لان معظم « اولئك الزعماء قالوا لبيريس : فانك القطار ... » (يدبعوت احرنوت ، ١٩٧٤/١٢/٥) . ولكن يبدو ايضا ان بيريس لم يقطع اتصالاته نتيجة لهذا الموقف ، « ولكنه لا يتحدث الآن عن بديل لـ م. ت. ف. بل يتحدث عن ضرورة تولي السكان العرب ادارة انفسهم بهدف ان يعيشوا حياة افضل ... وهناك اوساط اسرائيلية كثيرة تؤمن انه بهذه الطريقة يمكن ، بالتدرج ، خلق قيادة سياسية ، تستطيع في الوقت المناسب ان تتفاوض مع اسرائيل بدلا من م. ت. ف. » (المصدر نفسه) .

وبعد ذلك بأيام كتب أحد المرسلين الاسرائيليين ان « شمعون بيريس يواصل محادثاته مع زعماء المناطق [المحتلة] حول الإدارة الذاتية ، ولكن لا شيء ينشر عما يجري في هذه المحادثات . والمشاركون فيها لا يتحدثون عنها ... » (داني روبنشتاين — داغار ، ١٩٧٤/١٢/١٢) . وازداد المرسل نفسه في اليوم التالي ان « بيريس يلتقي مع زعماء المناطق [المحتلة] ويتحدث معهم حول الوضع الاقتصادي ومواجهة البطالة . وهناك تعقيد حول هذه المحادثات ... » (المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٢/١٣) .

ويبدو ان اسرائيل تركز ، في نشاطها هذا ، على الشخصيات المعروفة بتأييدها للاردن اولا ، وذلك لان « الزعامة التقليدية تستطيع امتداح

كانت اسرائيل قد اعلنت ، بعد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر القمة العربي في الرباط وفي الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، باعتبارها ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، انها ستعمل على ايجاد « بديل » للمنظمة في المناطق المحتلة ، باعتباره احد الاجراءات الهادفة الى عرقلة « انفرادها » في تمثيل الشعب الفلسطيني .
واعلنت الحكومة الاسرائيلية حينذاك ، على لسان وزير خارجيتها ليفئال الون ، عن وجوب وضع خطة لاقامة « ادارة ذاتية في يهودا والسامرة [الضفة الغربية] ، وذلك بعد ان تهدأ العاصفة التي اثارتها مقررات الرباط والامم المتحدة . واقترح الون في الوقت نفسه توسيع الاستيطان اليهودي [في المناطق المحتلة] ... » (داغار ، ١١/١٣/١٩٧٤) .
ويظهر من متابعة التحركات الاسرائيلية ، منذ ذلك الوقت ، ان العمل بدأ فعلا في هذين الاتجاهين ، مرفقا بنشاط يسعى الى طمس قضية اللاجئين في المناطق المحتلة ، بواسطة « توطيئهم » .

التحرك الاسرائيلي بدأ بعد مؤتمر الرباط

خلال سنوات الاحتلال ، تمعت السلطات الاسرائيلية — كما هو معروف — كل محاولة للتنظيم السياسي في المناطق المحتلة . بل ان سلطات الاحتلال تمعت حتى النشاطات الاجتماعية والثقافية ... فالحكم العسكري يمنع حتى اقامة اللجان الثقافية بهدف المحافظة على المراث الفلسطينية ... » (بشير البرغوثي — نقلا عن هاعولام هازيه ، ١٩٧٥/٣/١٩) . ولكن بعد مقررات مؤتمر الرباط بشأن المنظمة ، بدأ الحديث عن اقامة « حكم اداري مستقل » في الضفة الغربية .
ففي ١٠/١١/١٩٧٤ كتبت صحيفة داغار شبه الرسمية : « بدأت المعركة على مصر يهودا والسامرة ... هذه المعركة ستستمر اثناء محادثات كيسنجر ... وعلى جيش الدفاع الاسرائيلي ان يمنع اعداد المناطق [المحتلة] لتسليمها الى عرفات ، عن طريق تمع الارهاب ووضع حدود للاستيطان ... » وبعد ذلك بثلاثة ايام (١١/١٣/١٩٧٤) نشرت الصحيفة نفسها اقتراحا ليفئال

بيريس لم يياس

رغم الصعوبات التي واجهها شمعون بيريس في محاولاته التدريجية والصابئة لاتامة نوع من الحكم الاداري الذاتي ، ذكرت المصادر الاسرائيلية مؤخرا انه يعمل على صياغة خطة تعطي بموجبها « صلاحيات ادارية » لسكان المناطق المحتلة ، « وهذه الخطة ستقدم الى الحكومة بعد انتهاء جولة كيسنجر الحالية ... » (يهودا ليطني - هارتس ، ١٩٧٥/٣/٢) .

ويستفاد من الانباء ان خطة بيريس ترتكز ايضا الى نواح اخرى ، منها : (١) تعيين موظفين عرب في مناصب ادارية في الحكم العسكري ، وهي مناصب شغلها ، حتى الآن ، اليهود . (٢) اقامة هيئة مركزية تكون صلاحياتها اعلى من صلاحيات البلديات . وعلم انه « رغم الرد البارد من قبل السكان ، فان بيريس يواصل جهوده . ويبدو انه سيحتاج الى جهود مفضية لافتتاح الزعماء المحليين ، وكذلك اعضاء الحكومة » . (المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٣/٦) .

ومر احد المرسلين الاسرائيليين ، من جهة اخرى ، « عدم ياس » بيريس في محاولاته بقوله : « ان المشكلة القومية تزجج السكان اقل مما تزججهم مشاكل الخدمات العامة ، وعلى هذه الارضية يمكن رؤية خطط وزير الدفاع بشأن اعضاء صلاحيات ادارية الى سكان المناطق ... ان عرب الضفة عانوا اقل من غيرهم ، فهم ما زالوا يقيمون على ارضهم ، والقضية القومية لا تسري في عظامهم ، كما هو الحال لدى اللاجئين وبقية الفلسطينيين ... ولديهم استعداد اكثر للتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، فعلى اسرائيل استفلال ذلك بدون ان تكون له علاقة بالمسائل السياسية ... ان معظم قسرى الضفة تخلو من الماء او الكهرباء ... واقسامة الحكم الاداري الذاتي لا يتخلب اعتبارات سياسية ، لان هذا الحكم الاداري لن يشمل شؤون الخارجية والامن ... » (داني روبينشتاين - داغار ، ١٦/٢/١٩٧٥) . ويبدو ان البعض استمد تشجيعا من ان « ثلاث قرى في السامرة ، هي سيدا وبيتا والظاهرية ، طلبت من الحكم العسكري اجراء انتخابات بلدية فيها . وتم ذلك بجهود ... وتدل تجربة الانتخابات في القرى الثلاث على ان عملا

م.ت.ف. وحسين يستطيع ان يتهاى « بالتخلي » عن الضفة . ولكن عندما ستحين ساعة الجسم سيقتف الى جانب الزعامة التقليدية ضد م.ت.ف. » (داغار ، ١٩٧٤/١٢/٢٢) .

ويظهر ، من ناحية ثانية ، ان تحركات اخرى راقتت مساعي ايجاد مثل هذه الزعامة « البديلة » ، وذلك لدعمها من جهة ، ولتكريس الاحتلال من جهة اخرى . ومن بين هذه التحركات (١) القضاء على كيان اللاجئين وتصفية قضيتهم ، اذ اعلن شمعون بيريس في الكنيست يوم ١٩٧٥/١/١٢ ، ان الحكم العسكري الاسرائيلي يصرف « ٥٠ مليون ليرة في السنة لتوطين اللاجئين وان هناك خطة شاملة لتوطين ١٧٥ الف لاجيء في غزة حيث سيقام لاجلهم ١٩ حيا سكنيا ... » (معاريف ، ١٤/١/١٩٧٥) . واعلن ايضا بعد ذلك « ان ١٥٠٠ عائلة من اللاجئين نقلت للسكن في حي الشيخ رضوان الذي اقيم خصيصا [لتوطين اللاجئين] في رفح ، وان رفح ضمت الى بلدية غزة ، وان هذا الحي سيكون واحدا من عدة احياء [مماثلة] ... » (هارتس ، ١٩٧٥/٢/٥) . وصرح بيريس ايضا ان توطين لاجئي غزة يتم في القطاع بعد فشل خطة نقلهم الى الضفة الغربية « لانه تبين لنا ان اخلاص العربي لمكان اقامته يأتي بالدرجة الاولى ، وبعد ذلك يأتي اخلاصه لبلاده ... » (هارتس ، ١١/٢/١٩٧٥) .

(٢) تصفية القوى الوطنية في المناطق المحتلة بواسطة الاعتقال والطرء ، وخاصة الجبهة الوطنية الفلسطينية . وقد تبين ان الحكم العسكري « يجابه المصاعب » في محاولات تصفية هذه الجبهة (داغار ، ٢/٢/١٩٧٥) .

(٣) الضغط الاقتصادي ضد السكان ، بهدف « اقناع » زعامتهم بتولي مهام الادارة لاصلاح الوضع المتردي ، فقد نشرت ابناء مختلفة عن خطر البطالة في الضفة الغربية ، ودعوات لغلاق « الجسور المفتوحة » وقطع المساعدات المالية العربية عن السكان والبلديات في الضفة الغربية (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١١/٢٤) . وقد راقتت هذه التحركات ، وغيرها ، محاولات اقامة الحقائق الاستيطانية في المناطق المحتلة .

الى امكانية استغلال مثل هذا الاقتراح من قبل اسرائيل لعرقلة الانسحاب من المناطق المحتلة .

انطلاقا من هذه المواقف ، جاء قول الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد (مزاريف ، ١٤/٣/٧٥) في معرض تعليقه على انشاء القيادة المشتركة ، ان « هناك خسارة للفلسطينيين في هذا الاقتراح ، اذ ستكون لدى الاسرائيليين الذين عارضوا قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية حجة جديدة ، وهي ان الضفة الغربية ستصبح محافظة سورية ، وستكون بمثابة تقريب للحدود السورية الى اسرائيل ... » وقد يبدي سكان الضفة تحفظهم على مثل هذه الخطوة ... » . واضاف بيليد ، بعد ان اشار الى المخطط الموسوم « في الحكومة » ، او في وزارة الدفاع بالذات ، حول اعطاء الحكم الاداري المستقل لعرب الضفة الغربية ... » ، ان اقامة القيادة السورية الفلسطينية المشتركة قد « تطمس القضية الفلسطينية في مآهات الصراعات العربية ، وهذه ستكون فرصة للتأكيد على القيادة الواقعية في الضفة ... » . وختم بيليد مقاله قائلا : « ... اذا حدث التطور المذكور : خضوع م. ت. ف. للبنائيات السورية من جهة ، واعطاء نوع من الاستقلال لعرب الضفة الغربية من جهة اخرى ، فان هذا التطور قد يضع الموضوع الفلسطيني على أساس ايجابي جدا بالنسبة للاسرائيليين والفلسطينيين » (المصدر نفسه) .

والواضح ان اسرائيل في ربطها بين اقتراح القيادة المشتركة وبين مخطط « الحكم الاداري الذاتي » ، تأمل في ان « تعود الكرة الفلسطينية الى أيدي الدول العربية ... كما كان الامر قبل حرب حزيران ١٩٦٧ » (المصدر نفسه) . وبهذا سيزيد عدد « الاطراف المطالبة » بالضفة الغربية وقد تظهر فيها بينها تناقضات جديدة ، مما سيؤجل الحسم حول مصيرها . والواضح ان اسرائيل تسعى الى استغلال هذا التأجيل لغرض المزيد من الحقائق التوسعية في هذه المناطق ، « ... فالمسافة بين اقتراح مشروع القيادة المشتركة وبين تحقيق هذا الاقتراح طويلة . والمسافة بين تحقيق القيادة المشتركة وبين مؤتمر جنيف طويلة ايضا » (اريئيل غيناي - يديعوت احرونوت ، ١١/٣/١٩٧٥) .

على أية حال ، نرى من المناسب رمذ مختلف

محليا يتم بهدوء لصالح السكان يمكن ان ينجح . ان التنازع على الضفة الغربية بين الاردن وم.ت.ف. واسرائيل قد يؤجل الحل السياسي الى سنوات طويلة ... واستمرار الحكم العسكري قد يكون ثقلا على السكان وأما الادارة الذاتية فقد تكون أسهل بالنسبة لهم وللحكم العسكري ... » (المصدر نفسه) .

وتفيد آخر الأنباء ، التي نشرت حول هذا الموضوع ، « ان خطة اقامة الحكم الاداري الذاتي ستدخل طورا عمليا ... فقد تم تعيين مدراء عامين عرب في مكاتب الحكومة في المناطق [المحتلة] ، وبعد ذلك تمت اتصالات معهم من قبل رجال الحكم العسكري بهدف اقتناعهم بتولي مناصب ضباط ادارة في مكاتب الحكومة المختلفة . وقد تردد هؤلاء خوفا من منظمات التخريب ، ولكن بعد ذلك ، وافق جزء منهم ... وسيجري تنفيذ هذه الخطة بالتدرج ، ومن خلال أخذ الجو السياسي في المنطقة بالاعتبار ... وفي المرحلة الاولى سيتم التأكيد على فترة حيث ان امكانية التنفيذ فيها أسهل ... » (توفيق خوري - يديعوت احرونوت ، ١٧/٣/١٩٧٥) . ولكن على الرغم من ذلك ، لم تذكر المصادر الاسرائيلية - وعلى غير عاداتها في مثل هذه الاحوال - اسما واحدا من بين الذين « وافقوا » على تولي هذه المناصب .

مخطط الزعامة « البديلة » والقيادة السورية - الاسرائيلية المشتركة

اثار اقتراح الرئيس السوري حافظ الاسد ، يوم ٨/٣/١٩٧٥ ، اقامة قيادة سورية - فلسطينية ، سياسية وعسكرية ، مشتركة ردود فعل عديدة لدى مختلف الدوائر الاسرائيلية . ويبدو ان بعضهم راح يبحث في هذا الاقتراح عن مبررات لتشيط جري اقامة الزعامة « البديلة » في المناطق المحتلة من جهة ولتقوية الاستيطان في تلك المناطق من جهة اخرى . كذلك حاول اكثر من معلق اسرائيلي اللبس بين سوريا والفلسطينيين ، بينما أعلن بعضهم انه حتى وان كان هدف الاقتراح الثقل على عقبه تمثيل الفلسطينيين في جنيف ، بواسطة الحاقهم بالوفد السوري ، فان الفلسطينيين لن تمثلهم منظمة التحرير الفلسطينية وحدها . وفي الوقت نفسه اشارت بعض المصادر الاسرائيلية

وأكد هذا الموقف معلق آخر بقوله : « ... ان موقف اسرائيل هو أن الاتفاق مع مصر ليس من شأن سوريا ، وأنه اتفاق سياسي . ولكن اسرائيل تعلم أنها لن تنجح مع مصر ، إلا اذا نجح كيسنجر ، بشكل أو بآخر ، في اضعاف معارضة سوريا . ولكن « الامريكين يرون [أيضا] ان اقامة قيادة سورية - فلسطينية مشتركة ستساعد على حل مشكلة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف » اما « اسرائيل فتوافق على اشراك فلسطين في وفد عربي على الا يكونوا جميعا من م.ت.ف. ، لان ذلك سيمطيها صفة الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ... » (اريئيل فيناي - يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/١١) .

وأيد معلقون آخرون ايضا الرأي القائل ان هدف سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية المباشر من فكرة اقامة القيادة المشتركة هو « لغم التسوية المنفردة » بين مصر واسرائيل (متياهو بيليد - معاريف ، ١٩٧٥/٣/١٤ وعوديد غرانوت - معاريف ، ١٩٧٥/٣/٢٠) .

« شراكة الثور والبعوضة »

هذا من حيث النظرة الاسرائيلية الى موقع فكرة القيادة المشتركة من مفاوضات التسوية بين مصر واسرائيل ، إلا ان تعليقات الاسرائيليين لم تقتصر على هذه الناحية فقط ، بل تحدثت بشيء من الشك او التشكيك حول الاهداف الاثية والمستقبلية لهذه الخطوة ، وكذلك عن طبيعة العلاقات بين الطرفين اللذين سيشكلانها ، السوري والفلسطيني .

نقد « اتهم » معظم المعلقين الاسرائيليين سوريا انها تريد « استغلال » القضية الفلسطينية لاهدافها . فذكر اهود يعري ، مراسل دافار (١٩٧٥/٣/١١) للشؤون العربية ان لسوريا اهدافا على المدى القريب والبعيد ، « فعلى المدى القصير تريد سوريا ضم الورقة الفلسطينية السى اوراقها فتسيطر على م.ت.ف. عن طريق عناق الدب ، وبهذا تعزز اوراق المساومة السورية ، وتعرقل خطوات السادات ضد المنظمة ، ويفقد هرفسات قدرة المناورة تجاه الدول الكبرى واسرائيل ، ويزداد مطلب سوريا باعادة الجولان تصلبا ... وتحول م.ت.ف. الى ذراع لحزب البعث ... وعلى المدى الطويل تريد سوريا ان تبقى الباب

التعليقات الاسرائيلية حول مشروع القيادة المشتركة ، وبالتالي امكانات تأثيرها على موقف اسرائيل تجاه سوريا والفلسطينيين .

هدف القيادة المشتركة المباشر : افشال التسوية المنفردة مع مصر

يرى معظم المعلقين الاسرائيليين ان الهدف الرئيسي المباشر من طرح موضوع القيادة المشتركة هو عرقلة التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل . فقد جاء ، مثلا ، في افتتاحية الصحيفة الهستدروتية شبه الرسمية (دافار ، ٧٥/٣/١٠) تعقيا على خطاب الرئيس حافظ الاسد في ٨ آذار ، وعلى اجتماعه بالذكور كيسنجر في دمشق : « لا يوجد في كلام الاسد ما يستهل عملية الوساطة الامريكية بين مصر واسرائيل . فنتي حين يمكن اعتبار ما جليه كيسنجر من السادات مساومة اولية ، فان شروط الاسد المعلنة تبدو اكثر رسوخا لان اهدافه اكثر تطرفا ... » . وازافت الصحيفة « ... ان معنى ما قاله الاسد اثناء زيارة كيسنجر هو رفض للاتفاق المنفرد مع مصر ... وقد تحدث معه عن اقتراحه باقامة قيادة سورية - فلسطينية مشتركة ، وان عرفات رحب بالاقتراح ، ولانه ربما سيقترح على مصر الانضمام الى القيادة المشتركة . فكل هذا ، مضافا اليه عملية سافوي التي ثبت بتأييد من سوريا ، يعتبر اكثر ما يمكن عمله للغم امكانية التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل ... والواضح ان سوريا وروسيا وم.ت.ف. قرروا منع السادات حتى من تقديم الحد الادنى من التنازل السياسي ، الذي ربما كان مستعدا لتقديمه ... » .

وأيد هذا الرأي معلق آخر في الصحيفة نفسها ، عندما كتب في اليوم التالي « ... ان سوريا تخشى من اتفاق اسرائيلي - مصري قد يؤدي الى غرض قيود على مصر بشأن وقف اطلاق النار . ولذلك شنت حرب اعصاب ضد السادات ، وكان اقتراح القيادة المشتركة مع م.ت.ف. جزءا من هذه الحرب ... ان اسرائيل تريد ان تضمن عدم اشتراط التسوية مع مصر بالتسوية مع سوريا ... والاتفاق مع مصر ممكن فقط اذا لم يصل السادات الى الطريق المسدود الذي يدفعه السوريون اليه ... » (يهوشواغ تدمور - دافار ، ٧٥/٣/١١) .

مقتوحا أمام مشروع « سوريا الكبرى » ووضع احتمال الوحدة الفلسطينية - السورية في مقابل الوحدة الفلسطينية - الأردنية ، مما يشكل تهديدا للاردن ... » . وأضاف يعري انه يقول هذا رغم عدم تجاهله « التزام سوريا الثابت بتحرير فلسطين ... » (المصدر نفسه) ، محاولا « تفسير » ترحيب عرفات بالاقتراح السوري ، بقوله انه « ليس واضحا اذا كان عرفات » بترحيبه [بالمبادرة السورية] يريد ان يميثها بالقبلة الغائلة ، او انه يريد ان ينشبت بها بكتنا يديه ... » (المصدر نفسه) وينطلق هذا المعلق في رأيه هذا من موقع ان الشراكة الفلسطينية - السورية هي « شراكة بين طرفين غير متساويين » او كما وصفها متتياهو بيليد « شراكة الثور والبموضة » (معاريف ، ١٤/٣/١٩٧٥) .

وأعرب بيليد عن رأيه ايضا بأن منظمة التحرير الفلسطينية ، بقبولها المبادرة السورية ، تعيد القضية الفلسطينية الى الوراء « فرغبات يعيد الكرة الفلسطينية الى أيدي العرب ... » . وذهب بيليد الى حد القول ان « خطوة الاسد لا تختلف عن خطوة عبد الكريم قاسم ، الذي اراد اقامة جيش تحرير فلسطيني ليقوي مكانته في العالم العربي ... » (المصدر نفسه) .

ومن « نقاط الضعف » التي أشار اليها المعلقون الاسرائيليون أيضا ، بالنسبة للطرف الفلسطيني في القيادة المشتركة « ان سوريا قد يكون لها حق الفيتو (النقض) تجاه تنفيذ عمليات لا تريدها لهذا السبب او ذاك ... » (عوديد فراتوت - معاريف ، ٢٠/٣/١٩٧٥) .

بينما أشار معلق آخر - دافار ، ١١/٣/١٩٧٥) ، بينا أشار معلق آخر الى أن المقاومة الفلسطينية ستستفيد من التنسيق

ومع ان الرئيس حافظ الاسد أكد عند دعوته لاقامة القيادة ان سوريا لا تهدف الى السيطرة على اراض فلسطينية يتم تحريرها ، فان معظم المعلقين الاسرائيليين تعبدوا « التذكير » بأن حافظ الاسد « جدد قبل سنة فكرة جنوب سوريا » (دافار ، ١١/٣/١٩٧٥) .

ولخص احد المعلقين العوامل التي تجعل سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية تقفان في معسكر واحد ، بقوله : « (١) الطرفين يعارضان التسوية المنفردة بين مصر واسرائيل بإشراف كيمسجر ، ويدل على ذلك توقيت الاقتراح . (٢) كلما ضعفت امكانية انسحاب اسرائيلي آخر من الجولان تعززت وحدة الرأي لدى الاسد وعرفات حول وجوب تجديد الحرب . (٣) الرفض الاسرائيلي لمفاوضة الطرفين السوري والفلسطيني هو عامل توحيد بينهما . (٤) عرفات يريد اضعاف التقارب بين سوريا والاردن . (٥) التنسيق العسكري قائم فعلا ... » (عوديد فراتوت - معاريف ، ٢٠/٣/١٩٧٥) .

أما رئيس تحرير يديعوت احرونوت (١١/٣/١٩٧٥) فمضى الى مجرد تقديم اقتراح القيادة المشتركة من قبل الاسد ليس الا مكسبا للفلسطينيين . « في البداية رفضت الدول العربية تحمل المسؤولية علنا عن اعمال م.ت.ف. ، ولكن موقف العالم والامم المتحدة من المخربين شجع الحكومات العربية على ازالة القناع عن وجهها ، وكان المبادر الاول لذلك حافظ الاسد » .

يوسف حمدان

النشاط الاستيطاني مستمر في المناطق المحتلة

تجاوزنا تلك القرارات السابقة ، وبدأنا العمل قبل أن تقرر الميزانية لذلك ، ودون ان يتخذ قرار بهذا الشأن ، مما اثار النقاش مجددا بين « الحمايم » و « الصقور » ، بين مؤيد ومعارض ، وفقا لمواقفهم السياسية .

تعتبر الخلافات في وجهات النظر بين مختلف المسؤولين الاسرائيليين حول الاستيطان في معاليه هادوميم خاصة ، وباتي المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ عامة ، بمثابة « دليل » لمواقفهم تجاه مستقبل تلك المناطق او اجزاء منها ، لجهة الإبقاء على السيطرة الاسرائيلية عليها او الانسحاب منها في المستقبل . ويقف على رأس معارضي بناء المساكن في معاليه هادوميم وزير الاسكان ابراهام عوفر ، ويؤيده في ذلك وزير التجارة والصناعة حاييم بارليف ، ولهاتين الوزارتين علاقة مباشرة بالموضوع . كما يقف الموقف نفسه ، ولكن لاعتبارات مختلفة - منها المطالبة باعطاء الاولوية في مجال الاستيطان لمناطق اخرى ، كالجليل مثلا - كلا من الوزراء راينوفيتش ، تسادوك ، شمطوف ، روزن ، كول وهاوزنر . ولكن باتي الوزراء المعروفين بمواقفهم المتشددة لم يوافقوا على مواقف زملائهم ، وخصوصا وزراء الحزب الديتي القومي (المدال) الذين يعتبرون اقامة المساكن في معاليه هادوميم تنفيذاً لوعده تطعه رئيسس الحكومة اثناء المفاوضات التي سبقت انضمامهم للحكومة . وكان احد وزراء المدال ، وزير الاديان يتسحاق رنائيل ، قد صرح مؤخرا امام طلاب احدى المدارس الثانوية في اشكلون بان « الاتفاق الائتلافي مع الحكومة ، الذي انضم بناء عليه حزب المدال الى الائتلاف يشمل بعض البنود السرية التي لم تنشر ، وذلك للحلولة دون ردود فعل من جانب دوائر معينة في المعراخ » . و اضاف : « ان القرار بشأن معاليه هادوميم هو جزء من تلك البنود التي لم تنشر » (يديعوت احرونوت ، ٢٤/١/٧٥) .

ازاء هذا الوضع اضطر رئيس الحكومة رابين الى طرح تلك الخلافات على الحكومة لاتخاذ قرار بشأنها ، فطرحت للتصويت واتخذ قرار بالاستمرار

عادت الدوائر التوسعية المتطرفة ، التي تدعو الى ضم كل المناطق المحتلة لاسرائيل ، الى تكرار محاولاتها السابقة للاستيطان في تلك المناطق . في محاولة لفرض حقائق واقعة ولتكبير ايدي الحكومة الاسرائيلية والتأثير على قراراتها فيما يتعلق بالانسحاب من هذه المناطق او جزء منها . وذكر انه بسبب الوضع السياسي الحالي وبمناسبة زيارة وزير الخارجية الامركي ، الدكتور كيسنجر الى المنطقة ، قررت جماعة غوش ايونيم القيام بموجة استيطانية جديدة ، ترافق هذه الزيارة ، في الضفة الغربية ، شرقي بيت لحم وفي مناطق نابلس واريحا ورام الله (يهودا ليطني - هارتس) ، وذلك في محاولة « لاجباط الزيارة ومنع حكومة اسرائيل من تقديم تنازلات » . وقد جرت حتى الان ثلاث محاولات ، واحدة قرب مسبطينة والثانية في الخان الاحمر (معاليه هادوميم) ، بينما جرت المحاولة الاخيرة قرب رام الله يوم ١٠/٣/١٩٧٥ ، اذ حضر اعضاء النواة الاستيطانية الى هناك ومعهم مولد كهربائي ومواد لبناء الاكواخ ، وخيم ، ومعدات اخرى . وقام الجيش في الحالات الثلاث باخلاء المستوطنين عنوة من الاماكن التي تمركزوا فيها (داغار ، ٦/٣/١٩٧٥ و رأ ، ١١/٣/١٩٧٥) .

وكانت جماعة غوش ايونيم قد قامت فسي السابق ، بتأييد من قوى حزبية مختلفة وشخصيات من ذوي النفوذ بمحاولات استيطان اخرى ، مرة قبل حوالي ٨ أشهر جنوبي نابلس ، واخرى قبل ٦ أشهر في مسبطينة ، وقد اخلاهم الجيش في الحالتين (المصدر نفسه) . الا ان المحاولة الاخيرة في معاليه هادوميم ، وما رافقها من نقاش شعبي وحزبي وحكومي ، ادت في النهاية الى موافقة الحكومة على اقامة المساكن للعائلات هناك واطرار الميزانية لذلك ، بعد ان كانت القرارات السابقة تقضي باقامة منطقتين صناعية تابعة للقدس واطامة مساكن للعمال فقط . وتم هذا كحل وسط - بعد ان كانت مديرية عقارات اسرائيل والوكالة اليهودية ، بدعم من بعض الوزراء « الصقور » قد

الإدعاءات بانها تحريض لسكان الجليل مضيفا :
« لم يذكروا الجليل طيلة ٢٦ عاما ، ماذا حدث
نجاة » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/١٧) . وكان
هذان النائبان قد قدما مذكرة اخرى تتهم مديرية
عقارات اسرائيل بالقيام باعمال بمليين الليرات ،
في معاليه هادوميم ، بدون موافقة الحكومة . ورشم
ان الخلافات حول الاستيطان في معاليه هادوميم
لا تزال مستورة ، فان الجولات التي تمت حتى
الان اسفرت عن نجاح معين لمؤيدي الاستيطان .

ومن جهة اخرى اخذت تتبلور في اسرائيل ،
نتيجة لهذه السياسة الاستيطانية ، « هويات
اقليمية » تطالب كل منها باعطاء الاولوية لتطوير
منطقتها . وقد وصل الامر الى حد تقديم النائيب
الياهو مويال - من المراح - اقتراحا لجدول
اعمال الكنيست يطلب فيه تشكيل لجنة برئاسة
رئيس الحكومة ، لاعادة توزيع السكان . وحذر
مويال من « الهوية الاقليمية » التي اخذت تبرز
تبعاً للتقسيم الجغرافي وتوزيع السكان (را ،
٧٥/٢/١١) .

النشاط الاستيطاني مستمر

ان الخلافات التي اشرنا لها لا تعني ان الحكومة
مقصرة في مجال الاستيطان ، بل على العكس
من ذلك ، اذ انها تقوم منذ بضعة اشهر بنشاط
استيطاني واسع ، خاصة في المناطق التي تعلن
باستمرار انها لن تنسحب منها ، ضمن اي تسوية
يمكن التوصل اليها . وتضم هذه المناطق قطاع
غزة ومشارف رفح وشريطا من الارض من سيناء
يمتد بمحاذاة حدود فلسطين - مصر الدولية وعلى
الساحل الشرقي من سيناء ، الذي يطل على خليج
العقبة ، حتى يصل الى شرم الشيخ ، بالاضافة
الى الجولان ، او تقسم منه على الاقل ، وجزء من
الضفة الغربية في منطقة الانغوار ، وهو جزء يمتد
بمحاذاة نهر الاردن ، ويحيط بمدينة الخليل ايضا.
وهذا بالاضافة الى القدس وضواحيها التي ضمت
الى اسرائيل منذ ١٩٦٧ . وهناك محاولات لتوسيع
تلك الرقعة من الارض .

من الواضح ان حكومة اسرائيل ، باصرارها
على دعم الاستيطان في المناطق المحتلة ، تسعى
الى تقوية السيطرة الاسرائيلية والصهيونية على
تلك المناطق من جهة ، وتأمل بان تبعد بذلك عن

بالعمل . وقد ايد القرار كل من رابين والوزراء
بيريس ، غليلي ، اوزن ، التون ، بورغ ، برعام ،
هيلل ، حزاني ، يلدن ويعتوبي . ويؤكد القرار
الجديد القرارات السابقة التي تنص على « القيام
بالاعمال اللازمة لتطوير المنطقة » ، وذلك بعد ان
خصص مبلغ عشرة ملايين ليرة من ميزانية سنة
١٩٧٥ لهذا الغرض . وتم الاتفاق ايضا على ان
تشرف على هذا العمل ، حتى اول نيسان ١٩٧٥ ،
مديرية عقارات اسرائيل ، بميزانية قدرها ٣ -
ملايين ليرة ، ثم تنتقل مسؤولية التنفيذ الى وزارة
التجارة والصناعة ، ومنها الى وزارة الاسكان
(يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/١٧) .

استمرار الخلافات العميقة في المراح

لم تقتصر الخلافات حول بناء المساكن للمائلات
في الخان الاحمر على الوزراء الاسرائيليين فقط ،
اذ انها وصلت ايضا الى كتلة التجمع (المراح)
في الكنيست ، حيث قام نائبان من تلك الكتلة
- وربما لأول مرة في تاريخ الكنيست - بتقديم
اقتراحين لجدول الاعمال ، حول هذه المسألة
يناقض كل منهما الآخر . وقد قدم الاقتراح الاول ،
المؤيد للاستيطان ، النائب مردخاي بن - بورات
(رافي سابقا) ، بينما قدم الاقتراح الثاني ،
المعارض للاستيطان ، النائب يهودا يودين (ميام)
(معاريف ، ٧٥/٣/٤) . كما ولا تزال المطالبة
بوقف العمل في تلك المنطقة وتوجيه الجهود الى
مناطق اخرى مستورة ، فقد قدم النائب يوسسي
سريد مذكرة ، باسمه وباسم زميله في ميام ، دوف
زاخين ، الى رئيس الحكومة بشأن معاليه هادوميم ،
اعربا فيها عن قلقها الشديد من التطور السريع
لقضية معاليه هادوميم ، مدعين بان الامر يناقض
توطين الجليل وتقويته وتصنيعه تناقضا خطيرا .
كذلك اشاروا الى ثلاثة مصانع على الاقل ، كان
من المفترض ان تنام في كريات شمونه ، وسيتم
نقلها الى معاليه هادوميم ، وطلبا عدم المصادقة
على مبالغ اخرى لدمم الاستيطان في تلك المنطقة .
وجاء في المذكرة ايضا قول النائبين : « لن نتوقف
عن نضالنا الجماهيري ، ومعنا رؤساء البلديات
والمدن الذين يؤيدون موقفنا ، الى ان يتضح بما
لا يدع مجالاً للشك بان الجليل ، وليس اي منطقة
اخرى ، هو الذي يقف على رأس سلم الاولويات
في التطوير » . وقد وصف الوزير غليلي هذه

الاستثمارات في هذه المصانع بنحو ٥٠ مليون ليرة . وقد خصص في الميزانية الجديدة لوزارة التجارة والصناعة مبلغ ١٠ ملايين ليرة لوضع الاسس لمنطقة صناعية جديدة في معاليه هادوميم ، بالإضافة الى مبلغ ١٦٨ مليون ليرة من ميزانية وزارة الزراعة للقيام بعمليات تطوير مختلفة في شرم الشيخ (المصدر نفسه) .

وفي حين اتفق منذ حرب ١٩٦٧ على المستوطنات الاربعة والاربعين مبلغ ١٠٢ مليار ليرة ، خصص في الميزانية الجديدة لسنة ١٩٧٥/٧٦ مبلغ ٤٣١ مليون ليرة ، وذلك لاقامة ٣٣ مستوطنة جديدة خلال هذه السنة من اصل ٨٠ مستوطنة ، من المقرر ان تتم اقامتها خلال السنوات الثلاث القادمة (هارتس ، ٧٥/٢/١٣) . وقد تمت المصادقة حتى الان على اقامة عدد من هذه المستوطنات ، فقد اعلن وزير السياحة ، ابراهام عوفر ، بان اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان صادقت في جلستها يوم ٧٥/٣/٤ على اقامة ١١ مستوطنة جديدة خلال سنة ١٩٧٥ ، بالإضافة الى تسع مستوطنات كانت قد تمت المصادقة على اقامتها في جلسات سابقة ، وسيبدأ العمل باقامتها باموال ميزانية ١٩٧٥ (معارف ، ٧٥/٣/٥) .

كذلك فان ادارة التخطيط الزراعي برئاسة وزير الزراعة ، اهرن اوزن ، صادقت جديداً يوم ٧٥/٢/٢٧ على الخطط المتعلقة باقامة ٦ مستوطنات اخرى في مشارف رفح ، بالإضافة الى المستوطنات الثلاث القائمة هناك . وكانت اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قد صادقت ، منذ اب ١٩٧٤ ، على اقامة هذه المستوطنات . وقد كلفت ادارة التخطيط لجنة متلصة لاعداد التخطيط المفصل لهذه المستوطنات ، واتفق ايضا على ان تكون اربع من هذه المستوطنات موشافيم ، واثنان كيبوتسات (هارتس ، ٧٥/٢/٢٨) . وقد تم مؤخرا وضع الحجر الاساسي للكيبوتس الاول ، سوكونت ، في مشارف رفح ، بالقرب من الطريق المؤدي الى مدينة يبيت وسينتهي بناؤه في حزيران (دافار ، ٧٥/٢/٢٧) . وكان وزير الاديان يتسحاق رفاثيل قد صرح مؤخرا ، من ناحية ثانية ، ان هناك نحو ٥٠٠ شاب على استعداد للاندماج في المشاريع الاستيطانية في مختلف المناطق .

نفسها ، على الاقل ، تهمة عدم التصرف ومقتسا لمصالح اسرائيل الحيوية وتقديم « تنازلات » للعرب من جهة اخرى . لذا تعمل السلطات المختصة على خلق الحقائق في تلك المناطق بسرعة مستقلة ، بأقصى ما يمكنها ، الوقت الذي يفترض ان يمر حتى الانتهاء من التسوية الجزئية او حتى الوصول الى تسوية شاملة . وتؤكد هذا تصريحات المسؤولين الاسرائيليين المتكررة ، واخرها تلك التي اطلقها رئيس الحكومة رابين عند زيارته مؤخرا للجولان بقوله « ان دور المستوطنات في حال نشوب حرب سيكون محدودا ولكنها تجسد معنى الاصرار على البقاء فيها » (رابا ، ١٧/٢/٧٥) . وجاء ايضا في كتاب تهنة ارسله وزير السياحة موشي كول الى مستوطني فيه اتيف على سفوح جبل الشيخ ، الذين كانوا يحتفلون بتدشين منازلهم الجديدة : « اتنا خلقنا بالمستوطنات في الجولان خريطة جديدة لاسرائيل ، تستعطر سوريا للاعتراف بها » (المصدر نفسه) .

(بداية السنوات السمان)

اتسع النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الاشهر الاخيرة ، كما اشرفنا ، ليشمل معظم المناطق المحتلة ، كما ازدادت المشاريع والخطط ، حتى اصبح هناك من يطلق على هذه السنة « بداية السنوات السمان » بعد ان مرت سبع سنوات عجاف في هذا المجال (د. غورن - عن همشمار ، ١٧/٢/٧٥) . وتشير بعض المصادر الى ان مجموع سكان المستوطنات الاربعة والاربعين ، التي اقيمت حتى الان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ (بعضها لا يزال في طور الانشاء) ، لا يزيد من ٧٦٧ عائلة يبلغ تعدادها ٤١٥٨ نسمة ، يسكن اكثر من ٢٠٠٠ منهم في المستوطنات الثماني عشرة في هضبة الجولان و ١٥٠٠ في الاثني عشرة مستوطنة في غور الاردن ونحو ٦٠٠ في المستوطنات الست في مشارف رفح وسيناء (يديعوت احرونوت، ٧٥/٢/٢٥) .

كذلك يتضح من احصاءات وزارة التجارة والصناعة ان ممولين اسرائيليين اقاموا حتى الان ٦٠ مصنعا وورشة في المناطق المحتلة ، يعمل بها نحو ١٠٠٠ عامل ، منها نحو ٢٠ ورشة في كريات اربع (قرب الخليل) ، وتقدر قياسية

الميزانية تكشف تفاصيل الخطة الاستيطانية

سينفق جزء من الميزانية الحالية المخصصة للاستيطان على بناء نحو ٦٠٠ وحدة سكنية في ٢٣ مستوطنة جديدة في كل من هضبة الجولان و غور الأردن و مشارف رفح ، بتكلفة قدرها ٢٠٠ مليون ليرة ، و سينفق الباقى على تقوية المستوطنات الجديدة . و يتضح ان الجهد الرئيسي موجه الى اربع عشرة مستوطنة في هضبة الجولان التي سينفق عليها مبلغ ٧٢،٧ مليون ليرة لاقامة ١٥٨ وحدة سكنية بالاضافة الى ١٥٨ وحدة سكنية اخرى سينفق عليها مبلغ ٨٥ مليون ليرة و منها اقامة مركز مديني في الجولان . و ستقام في المرحلة الاولى ١٠٠ وحدة سكنية بالاضافة الى سلسلة من المباني الشعبية (المصدر نفسه) . و ذكر بهذا الصدد ان عمليات وضع الاسس و اقامة الابنية في المركز المدني الجديد ، وسط هضبة الجولان سيدخل مرحلة نشطة مع انتهاء موسم الاطار ، و سيبدأ قريبا العمل على شق شبكة الطرق الداخلية ، و في ايار يبدأ العمل على اقامة الوحدات السكنية الاولى و الجاني العامة و المصانع و الادارات (معاريف ، ٧٥/٢/١٤) .

اما مستوطنات قطاع غزة فيخصص لها مبلغ ٦٧،٦ مليون ليرة ، و ذلك لاقامة ٢١٧ وحدة سكنية جديدة . و سيوجه الجهد الرئيسي هناك لاقامة ١٢٧ وحدة سكنية في مدينة بيت - المركز المدني الجديد في مشارف رفح . هذا بالاضافة الى المستوطنات الست التي اشرنا لها ، التي وضع الحجر الاساسي لاحداها .

و ستقام هذه المستوطنات ، بالطبع ، على الاراضي التي صادرتها اسرائيل من البدو . و كانت قد « بدأت سنة ١٩٦٩ ، بناء على امر حكومي ، صادرة الاراضي في الجزء الشمالي من المثلث الذي يمتد من رفح حتى العوجة في الجنوب ، و المعريش في الغرب ، و الذي يضم حوالي مليون دونم من الاراضي الصالحة للزراعة [وهي المنطقة التي تطلق عليها اسرائيل الان اسم « مشارف رفح »] . . . و كان التقرير الرسمي يومها ان المنطقة مهمة من الناحية الاستراتيجية و السياسية ، و هي تقطع اي صلة لقطاع غزة بصر ، و تبر بها الطرق الرئيسية المؤدية الى

شمال سيناء . كما وان مشارف رفح تشكل « حاجزا امنيا » من الدرجة الاولى لتأمين الهدوء في القطاع و في مستوطنات الحدود . . . » (حوتام ، ٧٥/٢/١٤) . و كانت قد وضعت سنة ١٩٧٣ خطة اخرى ، هدفها تفريغ كل المنطقة الكبيرة المكملة للمثلث حتى العريش و العوجة من سكانها البدو ، و تبلغ مساحة هذه المنطقة ستة اضعاف ما صدر سنة ١٩٦٩ (المصدر نفسه) .

و اما في غور الاردن فستقام ١٥٣ وحدة سكنية جديدة ، بتكلفة قدرها ٧٤،٨ مليون ليرة (يدعيوت احرونوت ، ٧٥/٢/٢٥) . كما انتهت وزارة الاسكان من وضع خطة بناء في كريات اربع قرب الخليل ، يتم بموجبها بناء ٥٧٧ وحدة سكنية في الستين القادمين ، حيث تبدأ في ذلك الوقت عملية وضع الاسس لبناء ٢٠٠ وحدة اخرى . و بهذا ستضم كريات اربع ، بعد ثلاث سنوات ، اكثر من ١٠٠ وحدة سكنية بالاضافة الى مؤسسات تربوية و كنيس و مركز تجاري و خدمات مختلفة . و قد زار وزير الاسكان ابراهام عوف ، يوم ٧٥/٢/٥ ، كريات اربع و غوش عتسيون و ادلى بتفاصيل حول خطط الاسكان في المنطقتين ، اتضح منها انه بالاضافة الى الالف وحدة سكنية هذه ، هناك تخطيط للبدى البعيد لبناء ٦٥٠ وحدة في مكان اطلق عليه اسم غفغات تساهال و ٨٠٠ وحدة في غفغات جعبره ، و كلاهما على حدود كريات اربع . و سيخصص مبلغ ٤ ملايين ليرة ايضا لشق الطريق الذي سيصل القدس بالخليل (معاريف ، ٧٥/٢/٦) .

هذا و لا تزال العناصر التوسعية تواصل الضغط على الحكومة لحبلها على الموافقة على خططها ، اذ تجري في كريات اربع و معاليه هادوميم اقامة ابنية كثيرة و وضع الاسس لعشرات من البيوت ، دون مصادقة سلطات الحكم العسكري (معاريف ، ٧٥/٢/٧) . و ذكر ايضا ان ٤٠٠ عائلة اصبحت مستعدة للسكن في معاليه هادوميم (معاريف ، ٧٥/٢/٢٥) .

و بالنسبة لشرم الشيخ تمت المصادقة ايضا على خطة « ابن لك بيتا في اوغره » ، وهي الخطة التي تم في اطارها تخطيط ١٤٨ قطعة ارض للبناء الخاص ، مساحة كل منها نصف دونم . و تتم بالاضافة لذلك عملية وضع الاسس لمنطقة صناعية

امكانية لاستغلال ميزانيات اضافية ايضا . وقد ذكر ارنون غفني ، المسؤول عن الميزانيات في وزارة المالية ، في رده على اسئلة الصحفيين ، بأنه اذا قررت الحكومة انشاء مستوطنات جديدة سيكون من الممكن تمويل انشائها من البنود الاحتياطي في الميزانية الجديدة (يديموت ارونوت ، ٢٥/٢/٧٥) . ومن الجدير بالذكر ان هذه الميزانية موزعة على الوزارات المختلفة .

سهر جريس

ستمتد فوق مساحة ٥٠٠ دونم ، وتمت المصادقة ايضا حتى الان على اقامة خمسة مصانع ، بالاضافة الى خطط اخرى قيد البحث . كما يجري العمل حاليا على تنفيذ مشروعين كبيرين ، هما مد خط مياه الى اوفيره ، تبلغ تكاليفه ٣٠ مليون ليرة ، وشبكة لتزويدها بالكهرباء من ابيلات تستمر اقامتها ثلاث سنوات ، بتكلفة قدرها ٤٠ مليون ليرة .

ومن الجدير بالذكر ، من ناحية اخرى ، انه بالاضافة الى الميزانية المخصصة للاستيطان ، هناك

الاقتصاد الاسرائيلي

[١]

مشروع الميزانية الجديدة للسنة المالية ١٩٧٦ / ١٩٧٥ انعكاس لوضع اسرائيل الاقتصادية

تشكل نقطة تحول في حياتنا كلها . وهكذا ايضا في القطاع الاقتصادي الذي لا يزال واقعا تحت تأثير الحرب منذ انتهائها « . والحقيقة هي ان بوادر « المرض » في الاقتصاد الاسرائيلي ، مثل التضخم المالي والعجز في ميزان المدفوعات ، ظهرت قبل حرب ١٩٧٣ ولكن الحرب زادت تأزما ، وقضت على جميع خطط الإصلاح السابقة . كذلك ساهبت الازمة الاقتصادية في أوروبا والولايات المتحدة ، حيث تشتري اسرائيل منهما المواد الخام لصناعتها والواد الغذائية والاعتدة العسكرية ، في تقوية الازمة الاقتصادية داخل اسرائيل ، اذ ادى ارتفاع أسعار هذه البضائع في تلك البلدان الى زيادة عجز اسرائيل التجاري وانخفاض فائض عملتها الصعبة ، وبالتالي ازدياد ديونها .

على أساس هذه الخلفية ، أعلن رابينوفيتش في خطابه أمام الكنيست ، ان الاقتصاد الاسرائيلي يعاني الآن من ثلاثة مشاكل أساسية ، من المفروض معالجتها ومحاولة إيجاد حلول لها في إطار مشروع الميزانية الجديدة ، وهي : (١) تحصيل عيب الأمن ، (٢) خفض العجز في ميزان المدفوعات ، (٣) خفض ارتفاع الاسعار والطلب (المصدر نفسه) ، وهي المشاكل القديمة نفسها التي كررها المسؤولون

قرر الكنيست مؤخرا تحويل مشروع الميزانية — البالغ ٥٦٤٣ مليار ليرة — للسنة المالية ٧٦/١٩٧٥ ، التي ستبدأ في مطلع نيسان المقبل ، الى لجنة المالية التابعة له ، وذلك بعد ان استوفي النقاش حوله في القراءة الاولى . ويفترض ان يعاد مشروع الميزانية الى الكنيست بعد الانتهاء من بحثه في لجنة المالية ، حيث يتم التصديق عليه نهائيا . ويعكس مشروع الميزانية هذه السياسة الاقتصادية التي رسمتها الحكومة الاسرائيلية للسنة المالية المقبلة ، التي تعتبر استمرارا للسياسة السابقة التي انتهت بعد حرب ١٩٧٣ ، والهادفة الى اعادة بناء اقتصاد اسرائيل الذي شل تقريبا ، بسبب ما تكبدته من نفقات في تلك الحرب ، رغم المساعدات الكثيرة التي وصلتها من يهود العالم والولايات المتحدة . وكان وزير المالية الاسرائيلي ، يهوشوع رابينوفيتش ، قد أكد ذلك في بيانه أمام الكنيست ، عند تقديمه مشروع الميزانية (هارتس ، ٢٥/٢/١٩٧٥) بقوله : « ان ميزانية الدولة لسنة ١٩٧٥ ... ليست الا تعبيراً عن استمرار سياسة الطوارئ الاقتصادية ، التي اضطررنا الى اتباعها بحكم الواقع السياسي والامني الذي فرض علينا منذ الحرب وبعدها ... ان حرب يوم الغفران

من العجز، ثم الحصول على سلفة من بنك اسرائيل بمبلغ ١٤٥ مليار ليرة ، تستطيع تسديدها على مدار السنة . وقد اوضح وزير المالية امام اللجنة المالية في الكنيست السبب الذي دفع الحكومة الى فرض هذه الضرائب بقوله : « كانت هناك ثلاثة بدائل لتغطية العجز في الميزانية : (١) تخفيض ميزانيات الخدمات الاجتماعية . وقد اقتطعت الحكومة من هذه الميزانية في سنة ١٩٧٤ مبلغ ١٤٤ مليار ليرة ، لذلك سيؤدي اقتطاع جزء آخر الى بطالة آلاف العمال ، (٢) زيادة النفقات بدون ايجاد مصادر دخل اخرى ، اي تغطية العجز بواسطة اصدار اموال جديدة ، مما سيؤدي الى زيادة التضخم المالي بسرعة فائقة والى بطالة واسعة وضرر خطير في الاقتصاد ، (٣) غرض ضرائب جديدة وهذه طريقة صعبة ولكنها ضرورية سنحصل بواسطتها على ملياري ليرة سنويا » (دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٧ وانظر ايضا مقابلة وزير المالية مع معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨) . لذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ما يلي : (١) غرض ضريبة بنسبة ٧٤٥٪ على ارباب العمل . وتسري هذه الضريبة على الاجور التي يدفعها ارباب العمل ، ابتداء من شهر نيسان ، يمكن بواسطتها جمع ٩٥٠ مليون ليرة سنويا — الا ان الحكومة عادت وخفضت هذه الضريبة نظرا للمعارضة الشديدة التي واجهتها ، (٢) رفع ضريبة الشراء على البضائع المحلية والمستوردة وعلى الخدمات بنسبة ٧٤٥٪ ، ويبلغ الدخل المتوقع من وراء هذه الضريبة ٩٨٠ مليون ليرة سنويا ، (٣) زيادة رسوم البريد والهاتف بنسبة ٢٠٪ ، (٤) رفع اسعار السجائر المحلية بمعدل ١٥ — ٢٠ قرشا للعلبة الواحدة ، (٥) منع السلطات المحلية والبلديات من رفع ضريبة الارثونه العامة والتعويض عليها بمبلغ ٢٠٠ مليون ليرة ، (٦) اقالة ٧٠٠ موظف مؤقت والغاء ١٥٠٠ وظيفة في المكاتب الحكومية ، و (٧) السماح للوزارات الحكومية باستغلال ٢٠٪ فقط من ميزانيتها السنوية خلال الاشهر الثلاثة الاولى من السنة المالية . ويقدر هذا التأجيل في النفقات بنحو مليار ليرة ، ويفترض ان يساهم في « تهدئة » النشاط الاقتصادي (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤ وهآرتس ، ٧٥/٢/٢٥).

الاسرائيليون أكثر من مرة ، ووضعوا عدة خطط اقتصادية خلال السنة الماضية لإيجاد حلول لها . ولكن يبدو ان التقدم نحو حل تلك المشاكل يمسر ببطء ، بسبب العوامل الناجمة عن الوضع الأمني والسياسي والاجتماعي الذي تعيش فيه اسرائيل . وقبل التطرق الى تفاصيل ما تم تنفيذه حتى الان لحل هذه المشاكل ، وما ينبغي ان يتم خلال السنة المالية المقبلة ، في اطار الميزانية الجديدة ، لا بد من التطرق اولا الى بنود هذه الميزانية ومركباتها ، وما رافقتها من اجراءات اقتصادية جديدة ، يمكن اعتبارها حلقة في سلسلة الاجراءات التي اتخذت خلال السنة الاخيرة .

ميزانية قائمة على العجز

يبلغ إجمالي مشروع الميزانية للسنة المالية ٧٦/١٩٧٥ ، كما ذكرنا ، ٥٦٤٣ مليار ليرة ، منها ٤٤٤٥٢ مليار ليرة للميزانية العادية ، التي تشمل الادارة والخدمات الاجتماعية والدفاع والاعانات والنفوائد المترتبة على الدين ، والباقي ١١٤٧٨ مليار ليرة — مخصص لميزانية التطوير التي تشمل الاستثمارات الجديدة وتسديد الديون . أما الإيرادات فتأتي من ثلاثة مصادر : (١) الضرائب المختلفة والقروض الاجبارية ، بقيمة ٤٤٤٥٢ مليار ليرة ، ومنها مليارا ليرة على حساب الضرائب الجديدة التي غرضت لتغطية جزء من العجز في الميزانية ، (٢) القروض والمساعدات الخارجية ، والقروض الداخلية بقيمة ١٠٤٢٨ مليار ليرة ، (٣) سلفة من بنك اسرائيل بقيمة ١٤٥ مليار ليرة لتغطية العجز المتبقي . وتبلغ نسبة الزيادة في مشروع الميزانية الجديدة حوالي ١٣٪ بالمقارنة مع ميزانية ٧٥/١٩٧٤ (انظر الجدول رقم ١) .

يتميز مشروع الميزانية الجديد بالعجز الوارد به ، البالغ ٣٤٥ مليار ليرة ، وذلك بسبب اضافة ملياري ليرة لميزانية الدفاع ، زيادة على ما كان مخصصا لها حسب الاقتراح الاولي الذي قدمته وزارة المالية ، واطافة ١٤٥ مليار ليرة على ميزانيات وزارات اخرى ، خلال بحث مشروع الميزانية في الحكومة ومع الوزارات المختلفة . لذلك قررت الحكومة غرض ضرائب جديدة تستطيع بواسطتها جباية ملياري ليرة سنويا لتغطية جزء

الجدول رقم ١
مشروع الميزانية للسنة المالية ١٩٧٥/٧٦ (١)

النفقات

| الميزانية المعدلة للسنة المالية ٧٥/١٩٧٤ (آلاف الليرات) | مشروع الميزانية للسنة المالية ٧٦/١٩٧٥ (آلاف الليرات) | |
|--------------------------------------------------------|------------------------------------------------------|------------------------------------------------|
| ٤٠٦٥٠٠٠٠٠ | ٥٦٤٣٠٠٠٠٠٠ | المجموع |
| ٣١٤٩٢٣٤٥٠٠ | ٤٤٤٥٢٠٠٠٠٠ | الجزء الاول : النفقات العادية |
| ٨٤٧٢٦٤٥٠٠ | ١١٤٧٨٠٠٠٠٠ | الجزء الثاني : نفقات التطوير والحسابات المالية |
| | | الجزء الاول |
| ١٤٢٩٨٤١٣٧ | ٢٤٠٢٤٤١١٣ | ١ - الحكم والادارة |
| ١٦٤٢٨٩٤٠٠٠ | ٢٢٤٣٠٦٤٠٠٠ | ٢ - الدفاع |
| ١٤٠١٨٤٥٠٠ | ١٤٧٦٥٤٠٠٠ | ٣ - السلطات المحلية |
| ٥٤١٨٧٤١٢٠ | ٩٤٠٥٨٤٠٠٠ | ٤ - الخدمات الاجتماعية |
| ٢٤٦٢٧٤٦٢٤ | ٣٤٢٦٣٤٢٥٠ | ٥ - النفقات الاقتصادية |
| ٣٤٤٦٥٤٥٠٠ | ٥٤٠٠٠٠٠٠٠ | ٦ - دفع الفوائد |
| ٢٤٠٣٧٤٦١٨ | ١٤١٠٣٤٦٣٧ | ٧ - ميزانيات احتياطية |
| | | الجزء الثاني : |
| ٤٤٥١٦٤٦٥٠ | ٦٤٤٢٠٤٦٥٠ | ١ - نفقات التطوير (البنود ٢ - ٥) |
| ٢٨٤٥٠٠ | ٤٣٤١٠٠ | ٢ - الاستثمارات في الادارة والحكم |
| ٦٠٤٠٠٠ | ٧٨٤٠٠٠ | ٣ - السلطة المحلية |
| ٢٤٩٦٠٤٣٥٠ | ٤٤٤٩٦٤٣٠٠ | ٤ - الاستثمارات في الخدمات الاجتماعية |
| ١٤٤٦٧٤٨٠٠ | ١٤٨٠٣٤٢٥٠ | ٥ - الاستثمارات في غروع الاقتصاد |
| ٣٤٦٥١٤٥٠٠ | ٥٤١٨٠٤٠٠٠ | ٦ - دفع الديون |
| ٥٠٤٠٠٠ | ٥٠٤٠٠٠ | ٧ - فائض اموال (من الميزانية السابقة) |
| ١٠٨٤٣٥٠ | ١٢٩٤٣٥٠ | ٨ - احتياط لنفقات التطوير |
| ٤٠٠٤٠٠٠ | — | ٩ - احتياط مجمد لنفقات التطوير |

الإيرادات

| مقياس الدخل لسنة ٧٥/١٩٧٤ (آلاف الليرات) | توقع الدخل لسنة ٧٦/١٩٧٥ (آلاف الليرات) | |
|-----------------------------------------|----------------------------------------|------------------------------------------------|
| ٤٠٦٥٠٠٠٠٠ | ٥٦٤٣٠٠٠٠٠٠ | المجموع |
| ٣١٤٩١٥٤٥٠٠ | ٤٤٤٥٢٠٠٠٠٠ | ١ - إيرادات جارية من الضرائب والقروض الإيجارية |

نقلا عن هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥ .

— لم تجر عادة نشر تفاصيل الميزانية قبل اقرارها ، الا ان بعض موظفي وزارة المالية قاموا هذه المرة « بتسريب » المعلومات عن مشروع الميزانية الى التلفزيون الاسرائيلي الذي قام بعرضها ، وتناقلتها عنه الصحف .

معارضة للضرائب الجديدة

في الحكومة وبين ممثلين عن المستدروت برئاسة سكرتيرها يروحام ميشل للبحث في اعتراضاتها على هذه الضرائب ، تم التوصل الى اتفاق ، اعتبره الكثيرون فيما بعد تراجعاً من جانب الحكومة أمام ضغط المستدروت ، يرتكز على الاسس التالية :

(١) تشكيل لجنة وزارية لشؤون العمالة ، برئاسة وزير العمل ، بحيث تولي اهتماما خاصا بمشاكل العمل في مناطق الاعمار ، (٢) أعلن وزير المالية انه سيعمل على اقامة قسم خاص في وزارته للاهتمام بتوسيع جباية ضريبة الدخل ومنع اخفائها ،

(٣) يوصي وزير المالية الحكومة بتخفيض نسبة ضريبة ارباب العمل ودمجها في ضريبة القيمة الاضائية عندما يتم فرضها ، (٤) يدرس وزير التجارة والصناعة امكانية اعفاء مواد استهلاكية شعبية من الضريبة الشرائية ، (٥) ينفذ برنامج الاصلاح في الضريبة المباشرة ابتداء من تموز ١٩٧٥ ،

(٦) يعلن وزير التجارة والصناعة عن حملة تخفيض الاسعار للمستهلك بمناسبة الاعياد ، (٧) تعرب المستدروت عن تقديرها لاستجابة الحكومة لطلبات عدم رفع ضريبة الارنونة العامة في السلطات المحلية ، للسنة المالية ١٩٧٥/٧٦ ، (٨) أعلنت المستدروت بانها ستقوم ، خلال شهر نيسان بدراسة الغلاء الناتج عن الضرائب الجديدة ، وتحدد موقفها من التعويض على هذا الغلاء . وقد صادق المكتب التنفيذي في المستدروت ، بصورة اجماعية ، على هذا الاتفاق (دافار ، ١٩٧٥/٣/٣) بينما رفضه اتحاد الصناعيين وقام رؤساؤه بتقديم مذكرة الى رئيس الحكومة ، طالبين منه « التدخل ومساعدتهم في سبيل الغاء ضريبة ارباب العمل ، لانها تمس بقطاع الانتاج وتردع الكثير من المستثمرين من الاستثمار [في البلد] (دافار ، ١٩٧٥/٣/٤) .

اثارت الضرائب الجديدة هذه معارضة واستياء شديدين لدى المستدروت واتحاد الصناعيين والسلطات المحلية ، اذ أعلن سكرتير عام المستدروت يروحام ميشل ان هذه الضرائب تعتبر خرقا للاتفاق الذي وقع ، قبل شهرين تقريبا ، بين الحكومة من جهة والمستدروت وأرباب العمل من جهة اخرى وبموجبه تمتنع الحكومة عن فرض ضرائب جديدة حتى شهر حزيران ١٩٧٥ ، مقابل تجسيد اتفاقيات العمل والاجور لنصف سنة .

ووصف ميشل قرار الحكومة هذا بأنه خطأ كبير سيؤدي الى غليان في أماكن العمل والى انتشار البطالة ، ويقوض الاستقرار الاقتصادي الذي أخذ يتطور بعد تخفيض قيمة العملة في شهر تشرين الاول من السنة الماضية (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) .

كما أعلن رئيس دائرة النقابات المهنية في المستدروت ، اورئيل ابراهوفيتش ان الضرائب الجديدة يمكن ان تؤثر بشكل سلبي على وضع العمالة وتؤدي الى خفض النشاط الاقتصادي ، مما قد يقوي مجرى اقالة العمال وانشار البطالة (المصدر نفسه) . ومن جهة اخرى ، أعلن اتحاد الصناعيين بأنه سيعمل ضد قرار الحكومة بشأن فرض ضريبة ارباب العمل ، لان هذه الضريبة ، على حد قول مدير الاتحاد بيليغ تامر ، تناقض سياسة تطوير الصناعة وتلقي عليها عبئا ثقيلا بدلا من القائه على فروع الخدمات (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . كما أعلن رؤساء الاتحاد عن توقعهم عن الاشتراك في اجتماعات اللجان المشتركة بينهم وبين الحكومة وقطع كل اتصال معها حتى الغاء هذه الضرائب (دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٦) .

وبعد اجتماعات مطولة بين الوزراء الاقتصاديين

الحرب في الحقل الاجتماعي ، « حيث وضعت وبلورت مشاريع كثيرة ومختلفة في مجال تأمين دخل الطبقة الفقيرة من السكان (التي تعيش من الإعانات الاجتماعية) وبوشر بتحسين الظروف السكنية للسكان الذين يعيشون بضائقة اجتماعية ، والتسهيل على الأزواج الشباب في الحصول على مساكن ملائمة . وبوشر أيضا بتنفيذ خطط لزيادة المساعدات في حقل التعليم ، ابتداء من التعليم الابتدائي وحتى الجامعي . كما أعدت خطط واسعة في المجال الصحي « (يدعيوت احرونوت ، ٢/٢٥ / ١٩٧٥) . وقد وصل هذا النشاط الى قمته مع تقديم توصيات لجنة كاتس ، التي عينتها رئيسة الحكومة السابقة لدراسة وضع الاولاد والشبيبة الذين يعيشون في ضائقة اجتماعية . وكانت اللجنة قد قدمت عدة توصيات بهذا الشأن ، ولكن تلك التوصيات ما زالت حبرا على ورق حتى الآن ، بسبب نشوب الحرب ونفقات الامن الباهظة وتحويل الجزء الاكبر من الموارد لتمويلها . ويبدو ان هذه التوصيات لن تنفذ خلال هذه السنة ايضا ، اذ « لن تنفذ أية مشاريع جديدة ، مع التقليل من سرعة تنفيذ المشاريع القائمة ، وحتى الغاء بعضها بصورة نهائية « (المصدر نفسه) . « وسيجد » ، مثلا ، تنفيذ قانون التعليم الالزامي المجاني للصف العاشر مع تخفيض سرعة تنفيذ الاصلاح في مجال التعليم . كذلك سيفلقت نحو ٤٠٠ صف في المدارس الابتدائية ، وسترتفع اجور الدراسة الثانوية وسيقلص ايضا جهاز التعليم العالي ، حيث ستقل مساهمة الحكومة في ميزانيات الجامعات . أما في مجال المعونات الاجتماعية فستلغى مشاريع المساعدات غير الاساسية ، مع المحافظة على مستوى الدخل الحقيقي لذوي الدخل المحدود (من بيان رابينوفيتش في الكنيست - هآرتس ، ٢/٢٥ / ١٩٧٥) . وفي مجال الاسكان ، ستبادر وزارة الاسكان في السنة المالية المقبلة الى بناء ٢٨٨٥٠ مسكنا مقابل ٣١٨٠٠ مسكن في السنة الماضية ، رغم ان ميزانية الوزارة ارتفعت من ٢٤٣ الى ٣٠٥ مليار ليرة ، اذ ان هذه الزيادة لا تكاد تغطي الارتفاع في الاسعار الذي حدث خلال السنة الاخيرة (هآرتس ، ٢/٢٥ / ١٩٧٥) . أما بالنسبة للخدمات الصحية ، فانها ستجدد تقريبا وسترتفع ايضا رسوم العلاج في العيادات .

وتنفيذا لاحد بنود الاتفاق مع المهستدروت ، قررت الحكومة تخفيض ضريبة ارباب العمل من ٧٠٪ الى ٤٤٪ ، وتأجيل البدء في جبايتها مدة شهر ، بحيث تبدأ بذلك اعتبارا من اول ايار . واعلن ايضا ان وزير المالية سيبحث قريبا مع الوزارات الحكومية اقتراحات لتخفيض ميزانياتها بـ ٤٥٠ مليون ليرة ، وهو المبلغ الناتج عن تخفيض قيمة ضريبة ارباب العمل وتأجيل جبايتها (داغار ، ٣/٣ / ١٩٧٥) . ومن ناحية ثانية ، أعلن مدير عام وزارة المالية ، ابراهام اغمون ، « ان قرار الحكومة بشأن تخفيض ضريبة ارباب العمل الى ٤٤٪ هو قرار نهائي » ، وذلك ردا على اتحاد الصناعيين الذي رفض هذا التخفيض ايضا ، معلنا انه سيواصل العمل لالغاء الضريبة بصورة نهائية (معاريف ، ٣/٣ / ١٩٧٥) .

وتعتبر الضرائب المصدر الرئيسي لتغطية الميزانية الاسرائيلية ، اذ أعلن رابينوفيتش عند تقديمه لمشروع الميزانية ان الدخل المتوقع من الضرائب ، خلال السنة المالية ٧٦/١٩٧٥ ، يبلغ ٢٢٤٨ مليار ليرة مقابل ٢٤٤٣ مليار في سنة ٧٥/١٩٧٤ . كما أعلن ان الضرائب ، المباشرة وغير المباشرة ، والقروض الاجبارية التي تجتمعها الحكومة اليوم تشكل ٥٦٪ من الدخل القومي ، واذا اضيفت لها الضرائب التي تحصلها مؤسسة التأمين الوطني والسلطات المحلية ، تصل النسبة الى ٦٤٪ من الدخل القومي . وهذه النسبة غير قائمة في أي بلد في العالم ، عدا اسرائيل (هآرتس ، ٢/٢٥ / ١٩٧٥) .

تجميد خطط تحسين الخدمات الاجتماعية

خصص للخدمات الاجتماعية في مشروع الميزانية الجديدة نحو ٩ مليارات ليرة ، ورغم ذلك يتوقع تقليص هذه الخدمات ببدى كبير خلال هذه السنة . فقد أعلن وزير المالية رابينوفيتش في بيانه امام الكنيست انه « في السنة المقبلة لن تنفذ مشاريع جديدة في حقل الخدمات الاجتماعية » (هآرتس ، ٢/٢٥ / ١٩٧٥) . وكانت الحكومة قد بدأت باتباع سياسة التقليل في النفقات الاجتماعية بعد حرب تشرين وهي السياسة التي وصلت الى قمتها مع اقتطاع جزء من ميزانيات الوزارات الاجتماعية يقدر بـ ١٤٤ مليار ليرة ، في سنة ١٩٧٤ . ويعتبر هذا الاتجاه مناقضا لسياسة الحكومة قبل

اسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ . وقد ربط رابينوفيتش في بيانه امام الكنيست (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) بين هذه النفقات الامنية المتزايدة وبين ما تكبدته اسرائيل من خسائر اثناء الحرب والوضع الامني بعدها ، معلنا ان حرب تشرين قد كلفت اسرائيل خسائر تقدر بقيمة انتاجها القومي خلال سنة ،

« وتشمل هذه الخسائر الاعتدة الحربية وثمان تجديدها، ونفقات اعادة تنظيم قوات جيش اسرائيل وخسارة الانتاج والصادرات خلال اسابيع الحرب وما بعدها » . ووضح ايضا ان اتفاقات فصل القوات التي تحققت بعد الحرب لم تخفف عبء الامن على الاقتصاد ، « فنحن الان نعيش في ظل التهديدات . لذلك علينا الاستمرار في زيادة قوتنا والمحافظة على نسب قوى ملاتمة بيننا وبين جيراننا » . ولم ينشر سوى القليل من الاهداف التي تستغل هذه الميزانية من اجلها ، ولكن من خلال الارقام التي سمح بنشرها ، نرى ان نحو نصف هذه الميزانية معتمد بالعملة الاسرائيلية ومخصص للنفقات المحلية ، والنصف الاخر بالعملة الصعبة ومخصص لشراء المعدات في الخارج . ومن النظر للجدول رقم ٢ يمكن معرفة المهام التي انفتحت عليها ميزانيات الدفاع خلال السنتين الاخيرتين ، وما يتوقع صرفه خلال هذه السنة . أما المهام التي ستمولها الميزانية خلال هذه السنة، كما وردت في شروح الميزانية (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) فهي : (١) استيعاب المعدات الكثيرة التي سيتم الحصول عليها في اطار خطة تقوية الجيش، والتي تم تمويل جزء منها بواسطة قسروض ومساعدات الولايات المتحدة ، (٢) اعادة تنظيم قوات الجيش الاسرائيلي وانتشارها في ضوء دروس الحرب ، (٣) تدريب القوات المتزايدة وتجهيتها لاستيعاب المعدات الجديدة ، (٤) مواصلة عملية اصلاح المعدات القتالية (راجع ايضا « قضايا اسرائيلية » ، العدد ٣ (١٠) ، ١٩٧٥/٢/٦ ، ص ٨٢ - ٩٠) . ولهذه المهام انعكاسات مباشرة على بعض الفروع الاقتصادية مثل (١) البناء، حيث سيقبل حجم البناء والتحصينات، مع تحويل الجهد الاساسي نحو صيانة التحصينات والمعسكرات القائمة وبناء وحدات ومخازن طوارئ لاستيعاب المعدات والقوات المتزايدة في الجيش ، (٢) المواصلات - وسيخفض عدد السيارات المدنية

وإذا اخذنا بالحسبان ارتفاع الاسعار المتوقع خلال هذه السنة نتيجة الضرائب الجديدة، واحتمال حدوث بطالة واسعة فان الظروف المعيشية لسكان اسرائيل خلال هذه السنة لن تكون افضل من السنة السابقة ، حيث بلغ ارتفاع الاسعار ٥٦٤٢٪ مقابل ٢٦٤٤٪ في سنة ١٩٧٣ .

انخفاض بنسبة ١٣٪ في الاستثمارات

طراً في مشروع الميزانية الجديدة انخفاض حقيقي بنسبة ١٣٪ على الاستثمارات الحكومية في ميزانية التطوير ، حيث ستبلغ هذه الاستثمارات ٣ مليارات ليرة فقط . وقد اعلن رابينوفيتش في بيانه في الكنيست « ان الحكومة ركزت عند اقرار ميزانية التطوير على متطلبات سياسة توزيع السكان . لذلك زيدت بمدى معين الاعتمادات لاعداد مساحات من الارض للبناء ولاقامة مراكز صناعية جديدة قرب مدن الاعمار في الجليل والنسب ... والاستثمارات في الجليل حيوية من أجل ايجاد مصادر عمل لاستيعاب عدد أكبر من السكان في هذه المنطقة » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) . ويتلاءم هذا الاتجاه مع سياسة تهويد الجليل التي توليها الحكومة الاسرائيلية حالياً عناية فائقة . أما بالنسبة لسياسة الاستثمارات عامة ، فقد علم ان الحكومة ستواصل انتهاز سياسة تشجيع الاستثمارات لتطوير الاقتصاد وخاصة توسيع الانتاج الصناعي ، كما ترحب بالاستثمارات من الخارج . وتتوقع وزارة المالية ان يبلغ مجموع الاستثمارات في الفروع الاقتصادية في سنة ١٩٧٥ ، نحو ٢٢ مليار ليرة . ويعلق رابينوفيتش ، في هذا المجال ، أهمية على الاتفاق التجاري الذي ستوقعه اسرائيل قريباً مع السوق الأوروبية المشتركة ، اذ انه سيكون حافزاً قوياً للاستثمار في اسرائيل . أما بالنسبة لقروض التطوير التي تمنحها الحكومة فقد أعلن وزير المالية ان سياسة الكبح التي تتبعها حكومته تلزم التشدد في منح مثل هذه القروض ، في المناطق المختلفة من اسرائيل .

ميزانية الدفاع : العبء الأكبر

تحتل ميزانية الدفاع ٤٠٪ من مشروع الميزانية الجديدة ، إذ خصص لها مبلغ ٢٢٤٤ مليار ليرة مقابل ١٦ مليار في السنة الماضية . وتشير هذه الميزانية الى الاستمرار في تزايد نفقات الامن في

تحصل عليها اسرائيل من الولايات المتحدة أساساً، والتي يحول الجزء الأساسي منها لتمويل مشترياتها من الأسلحة والمعدات . وقد طلبت اسرائيل خلال هذه السنة مساعدات بمبلغ ٢٤٥ مليار دولار ، من الولايات المتحدة ، ولكنها أخذت بالحسبان في ميزانيتها مبلغ ٢٤١ مليار دولار فقط . وعلى حد قول بعض المسؤولين في وزارة المالية الإسرائيلية «أتضح من تجربة الماضي، انه في كل مرة صادقت بها واشنطن على ارسال أسلحة الى اسرائيل، قامت وزارة المالية الأميركية بتخصيص المبلغ المطلوب لتمويل شراء هذه الأسلحة . والافتراض السائد في القدس ، ان هذا الأمر سيتكرر هذه المرة أيضاً، والا سيسوء وضع اسرائيل جداً ، اذا صادقت وزارة الدفاع الأميركية على ارسال أسلحة الى اسرائيل ، بينما تمتنع وزارة المالية الأميركية عن تخصيص المبلغ المطلوب لتمويلها » (يسرائيل تومار - يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٢٥) . وقد أعلن مدير عام وزارة المالية ابراهام اغيمون، من ناحية ثانية ، « انه حتى اذا حصلنا على كل ما طلبناه من الولايات المتحدة ، ستضطر اسرائيل الى تخصيص نحو ٨٠٠ مليون الى مليار دولار من مواردها الذاتية ، لتغطية الاستيراد الامني » (المصدر نفسه) ، الذي يبلغ ثلثي السورادات الاسرائيلية .

التي يتم تجنيدها الى الحد الأدنى، بحيث لا تجند الا لمتطلبات عمليات التدريب الأساسية . ويبدو ان الازمة التي أصابت المواصلة الإسرائيلية خلال حرب تشرين ، نظراً لاعتماد الجيش على السيارات المدنية ، دفعت السلطات المختصة الى اعادة النظر في هذا الوضع ، (٣) الطاقة البشرية - وسيختص عدد ايام الخدمة الفعلية لقوات الاحتياط في الجيش، بالمقارنة مع سنة ١٩٧٤ ، بحيث يتم استغلال موارد الطاقة البشرية الثابتة في الخدمة الالزامية والدائمة لتعزيز قوة الجيش في الحالات الضرورية فقط (المصدر نفسه) .

تمويل نفقات الامن

تنوي اسرائيل تمويل نفقاتها العسكرية ، خلال السنة الحالية ، من مصدرين أساسيين ، داخلي وخارجي . ويتقسم المصدر الداخلي الى نوعين : (١) تمويل بواسطة الضرائب - وقد وصفه رابينوفيتش في بيانه أمام الكنيست بأنه عبارة عن نقل موارد من الاستهلاك الفردي الى الاستهلاك الامني ، مما يؤدي ايضاً الى تخفيف ضغوط التضخم المالي ، (٢) تمويل بواسطة التخفيض في نفقات الحكومة وفي الخدمات العامة ، أي ما معناه « الانتقال من الاستهلاك العام المدني الى الاستهلاك الامني » (هارتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) . أما المصدر الخارجي فيتمثل في المساعدات والقروض التي

الجدول رقم ٢

تفاصيل ميزانية الدفاع الاسرائيلية (أ)

| مشروع الميزانية | الميزانية النهائية | النفقات الحقيقية |
|--------------------------------------------------|--------------------|------------------|
| ١٩٧٥ | ١٩٧٤ (ب) | ١٩٧٣ |
| مجموع الميزانية (ملايين الليرات) | ١٥٤٨٣٨ | ١٥٤٢٩٢ |
| الميزانية بالعملة الاسرائيلية (ملايين الليرات) | ٨٤٢٣٨ | ٧٤٠٦٨ |
| أجور | ١٤٩٠٠ | ٢٤٠١١ (ب) |
| اعانات ، مكافآت وتأهيل | ٦٠٠ | ١٩٦ |
| بناء وتجهيزات | ١٤١٠٠ | ٥١٩ |
| مشتريات محلية ، بضائع وخدمات | ٤٤٦٣٨ | ٤٤٣٤٢ |
| ميزانية بالعملة الصعبة (ملايين الليرات) (ب) | ٧٤٦٠٠ | ٨٤٢٢٤ |

| الميزانية بالعملة الصعبة (ملايين الدولارات) | ١٩٦٤٨ | ١٩٦٨٥ | ١٩٥٨٩ |
|---------------------------------------------------------------|-------|-------|-------|
| عملة صعبة نقدا (ملايين الدولارات) | ٣٠٠ | ٢٨٥ | ٣٦٠ |
| قروض امريكية ، بما في ذلك فائض القرض الخاص (ملايين الدولارات) | ١٤٣٤٨ | ٩٠٠ | ١٤٢٢٩ |

- ١ - نقلا عن هارتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥ .
- ٢ - يشمل التخفيض في الميزانية .
- ٣ - يشمل الاجور المباشرة ، والاجر الاضافي للذين يخدمون في الاحتياط في فترة الطوارئ .
- ٤ - تصرف بصورة غير مباشرة على شراء المواد الخام التي تستعمل في الصناعة العسكرية .

العجز في ميزان المدفوعات والديون الخارجية

« تضايا اسرائيلية » ، العدد ٣ ، ٧٤/١٠/٣١ ، ص ٨٩ - ٩٨ والعدد ٧٤/١١/٢٨٥٥ ، ص ١٦٣ - ١٦٦) . وذكر وزير المالية في بيانه امام الكنيست ان هناك ثلاثة عوامل سببت هذا الارتفاع في العجز ، الذي ارتفع من ارا مليار دولار في سنة ١٩٧٢ الى ٣ر٤ مليار دولار في سنة ١٩٧٤ : اولها الاستيراد الامني الذي زاد بنسبة ضعفين ونصف بين ١٩٧٢ و ١٩٧٤ ، « وقد خصصنا لهذه الغاية مبلغ ملياري دولار سنفة ١٩٧٥ » ، ثانياها استيراد المواد الغذائية

تشير معظم التوقعات الى احتمال حدوث انخفاض في العجز في ميزانية المدفوعات في اسرائيل خلال السنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ ، اذ يتوقع انخفاضه من ٣ر٤ مليار دولار الى ٣ر٢ مليار دولار . وقد وصل هذا العجز الى ذروته في سنة ١٩٧٤ (انظر الجدول رقم ٢) حيث اضطرت الحكومة الاسرائيلية الى اتخاذ عدة اجراءات اقتصادية لتغطية جزء منه ، خاصة وقد رافقه انخفاض سريع في فائض العملة الصعبة (انظر

الجدول رقم ٣

| ديون اسرائيل بالعملة الصعبة (أ) | العجز في ميزان المدفوعات (ب) | النسبة |
|---------------------------------|------------------------------|--------|
| (ملايين الدولارات) | (ملايين الدولارات) | |
| ١٩٠٢٤٣ | ٦٦٢ | ١٩٦٨ |
| ٢١٢٣٤٦ | ٨٧٨ | ١٩٦٩ |
| ٢٦٢١٤٧ | ١٢٧٤ | ١٩٧٠ |
| ٣٤٢٩٤٧ | ١٢٢٧ | ١٩٧١ |
| ٤٠٨١٤٥ | ١١١٠ | ١٩٧٢ |
| ٥٠٩٣٤٠ | ٢٥٩٧ | ١٩٧٣ |
| ٦٢٢٣٤٠ | (٣)٢٤٠٠ | ١٩٧٤ |
| (٥)٧٨٥٠٤٠ | (٤)٣٢٠٠ | ١٩٧٥ |

- ١ و ٢ - كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ١٩٧٤ ، رقم ٢٥ ، ص ١٨٤ و ١٩٢ .
- ٣ - حسب بيان وزير المالية في الكنيست (هارتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) .
- ٤ و ٥ - حسب تقدير وزارة المالية الاسرائيلية .

٥٠٠ ٪ في سنة ١٩٧٤ (داغار ، ٧٥/٢/٢٦) .
وبالنسبة للأسعار ، يتوقع مدير عام بنك اسرائيل
اليعيزر شيفر ، انخفاضاً مهماً في سرعة ارتفاع
الاسعار للمستهلك . « ان الغلاء المتوقع لسنة
١٩٧٥ هو بنسبة ١٨ ٪ ، مقابل ٥٦ ٪ في سنة
١٩٧٤ . ويشمل هذا ارتفاع الاسعار الناتج عن
الضرائب الجديدة [وبحسب تقدير وزارة المالية
سترتفع الاسعار بنسبة ٣ - ٤ ٪ فقط نتيجة هذه
الضرائب] وفرض ضريبة مائض القيمة . اما
بالنسبة للاجور فيتوقع ارتفاعها بنسبة ١٧ ٪
خلال السنة . » (معاريف ، ٧٥/٢/٢٦) . ويعتبر
هذا الانخفاض في النشاط الاقتصادي نتيجة حتمية
للسياسة الاقتصادية التي اتبعتها الحكومة في
سنة ١٩٧٤ لمحاربة التضخم المالي ، والتي
ستستمر خلال هذه السنة أيضاً .

البطالة أمر محتم

تتوقع وزارة المالية أيضاً ان تصل نسبة
البطالة في سنة ١٩٧٥ الى ٥٠ ٪ ، اي ما
معناه بطالة ٥٥ الف عامل . ويبدو ان وزارة
المالية لا تستطيع الحفاظ على وضع العمالة
الكاملة في جميع الفروع الاقتصادية في اسرائيل اذا
كانت ترغب في نجاح سياستها الاقتصادية ،
وخاصة في الفروع التي تنتج للاستهلاك المحلي
وفروع الخدمات . وللبطالة سببان رئيسيان ،
اولهما النقص في العملة الصعبة الذي يدفع
وزارة المالية الى خفض الاستيراد المدني ، الذي
يشمل المواد الخام المستخدمة في الصناعة
الاسرائيلية ، وثانيهما الانخفاض في النشاط
الاقتصادي الناتج في الاساس من تخفيض
الاستثمارات وتجديد عدة مشاريع في الحقل
الاجتماعي . وقد أعلن وزير المالية في بيانه امام
الكنيست ان الوزارات الحكومية بالتعاون مع
المستدربين واتحادات ارباب العمل ، تستعد
لاحتفال حدوث حالات باطالة مؤقتة في فروع مهنية
ومناطق معينة . ولذلك اقيمت مكاتب خاصة
لشؤون العمالة تهتم بجمع المعلومات حول وضع
العمالة في المناطق المختلفة ، كما اعتمدت في
الميزانية المبالغ المطلوبة لتقديم الخدمات الضرورية
في هذا المجال ، ومنها توسيع التحديل المهني ،
بهدف التسهيل على انتقال العمال من فرع الى
آخر (داغار ، ٧٥/٢/٢٥) .

الاساسية (الذي سيكلف هذه السنة مبلغ ٧٠٠
مليون دولار) وثالثها غلاء الوقود (الذي سيكلف
استيراده هذه السنة نحو ٧٠٠ مليون دولار أيضاً
- من بيان رابينوفيتش في الكنيست ، هارتس ،
٧٥/٢/٢٥) . ويبدو ان الاجراءات الاقتصادية
التي اتخذتها اسرائيل مؤخراً ، ومن ضمنها
تخفيض قيمة الليرة ، لم تكن كافية لوقف الانخفاض
في العملة الصعبة ، رغم التفاؤل الذي سعاد
اوساط وزارة المالية بشأن المكاسب التي حققتها
تلك الاجراءات . وقد أعلن وزير المالية ان الحكومة
ستعمل جاهدة لتأمين استيراد الاموال المطلوبة
لسد العجز في ميزان المدفوعات ، بحيث تمنسح
الانخفاض السريع في مائض العملة الصعبة .
وتعتمد اسرائيل في الاساس ، في هذا المجال ،
على المساعدات الاميركية والجباية اليهودية وبيع
سندات « اليونديس » (المصدر نفسه) .

أما بالنسبة لديون اسرائيل الخارجية بالعملة
الصعبة ، فيتوقع ان تصل في نهاية السنة المالية
المقبلة الى ٧٨٥٠ مليار دولار مقابل ٢٢٣ مليار
دولار في نهاية ١٩٧٤ (انظر الجدول رقم ٢) .
وبما أنه يتوقع ان يصل عدد سكان اسرائيل في
نهاية سنة ١٩٧٥ الى ٣٤٢٥٠٠٠ نسمة ، فان
الدين الخارجي بالعملة الصعبة سيصل في نهاية
هذه السنة الى ٢٢٥٠ دولاراً للشخص تقريباً
(هارتس ، ٧٥/٢/٢٥) .

محاربة التضخم المالي

تشير التوقعات التي أعدها مكتب المستشار
الاقتصادي لوزير المالية وقسم البحث في بنك
اسرائيل ، والتي رافق إعلانها مشروع الميزانية ،
الى حدوث انخفاض آخر في النشاط الاقتصادي
خلال سنة ١٩٧٥ . فقد أعلن المستشار الاقتصادي
لوزير المالية ، افرايم دفرات ، ان الانتاج القومي
الخام سيزيد بنسبة ٣ ٪ فقط ، خلال سنة ١٩٧٥
مقابل ٦٠ ٪ في سنة ١٩٧٤ و ٩٠ ٪ في سنة ١٩٧٣ .
أما السبب في ذلك فيعود ، بحسب رأيه ، الى
الانخفاض المتوقع بنسبة ١٠ ٪ في الاستثمارات
المحلية ، بالمقارنة مع سنة ١٩٧٤ ، والسبب
الانخفاض في الاستهلاك العام والفردى . أما
الزيادة في الاستهلاك الفردي فلن تتجاوز ٣ ٪ ،
حسب تقدير دفرات ، وذلك بعد ان ارتفعت بنسبة

ميزانية غير ثابتة ، تكون سارية المفعول خلال فترة محدودة فقط » (ابراهام كوشنير - دانمار ، ٧٥/٣/٢) .

وكانت الإجراءات الاقتصادية تحظى ، عادة ، في اسرائيل برودود فعل « معادية » وانتقادات شديدة من قبل دوائر عديدة . غير انه يبدو ان الوضع تغير مؤخرا ، حيث سمعت اصوات تدعو الى الكف عن انتقاد اجراءات الحكومة الاقتصادية ومعارضتها ، لان هذه الاجراءات هي الجواب الوحيد على « استراتيجية التحطيم » التي يتبعها العرب ، « اذ ان هذه الاستراتيجية لا تعتمد فقط على الدروس الفورية لحرب يوم الغفران في المجالات العسكرية والسياسية والمنوية ، وانما في الاساس على مضاعفاتها المتأخرة ، التي تكون الصراعات الداخلية في اسرائيل ، مثل الصراع الحالي ضد الحكومة وضد الضرائب الجديدة ، جزءا منها ... »

« ان من يرغبون في أن يقدم العرب على الاعتراف باسرائيل ، ويؤمنوا بثباتها ، ويبأسوا من استراتيجية التحطيم التي يتبعونها ، ويديروا مفاوضات مع حكومتها ، عليهم أن يمتنعوا عن تقويض صلاحيات الحكومة ... من خلال المعارضة الشرعية لقراراتها وسياساتها . يجب على الحكومة ان تقرر وقتئذ وان تفرض ايضا ضرائب جديدة ، اذ ان الاعتراف بدولة اسرائيل يبدأ من الداخل » (حفاي ايشد - داغار ، ٧٥/٢/٢٧) .

هنه شاهين

ميزانية غير ثابتة
ثبت ان نفقات الامن الباهظة وتكاليف حرب ١٩٧٣ هي السبب الرئيسي للمشاكل الحالية المتأزمة في الاقتصاد الاسرائيلي ، ابتداء من المعجز في ميزان المدفوعات وانتهاء بالبطالة المتوقعة خلال هذه السنة . وقد ادت هذه المشاكل جميعها الى اتباع عدة اجراءات اقتصادية سنة ١٩٧٤ بهدف ايجاد حلول لها ولو مؤقتة . ورغم ان هذه الاجراءات كانت شديدة الوطأة بالنسبة للسكان ، وخاصة بعد التخفيض في قيمة الليرة الاسرائيلية خلال شهر تشرين الثاني من السنة الاخيرة وما رافقه من ارتفاع في اسعار معظم السلع الاساسية يظهر ان السكان في اسرائيل استطاعوا « الثبات » في هذا الوضع الاقتصادي المتقلب . ولكن يبدو ان هذه الاجراءات لم تستطع الاخرة ، فقد رافقت مشروع الميزانية الجديدة اجراءات اخرى ، كما ذكرنا ، تمثلت في فرض ضرائب جديدة . ويتضح من خلال مراجعة بيانات وتصريحات المسؤولين في وزارة المالية ، ان ثبات الوضع الاقتصادي خلال سنة ١٩٧٥ يتوقف على عدة عوامل ، منها وصول المساعدات الخارجية التي طلبتها اسرائيل وخاصة من الولايات المتحدة ، ثم تحقق التوقعات بالنسبة للوضع الاقتصادي الداخلي ، مثل الانخفاض في مستوى المعيشة وفي الاستهلاك الفردي والعام وزيادة الانتاج ، الخ . ويظهر انه اذا لم يتحقق ذلك فان احتمال فرض اجراءات اقتصادية جديدة يغدو امرا غير مستبعد ، ولهذا « يعتبر مشروع الميزانية وثيقة مؤقتة غير

[٢]

مشروع لاصلاح نظام الضرائب المباشرة في اسرائيل

تشكل الضرائب المورد الاساسي لخزينة اسرائيل ، حيث تستغل في تمويل نفقاتها الكثيرة وخاصة الامنية . وقد ارتفع عبء الضرائب منذ حرب ١٩٧٣ بشكل ملحوظ ، نظرا لازدياد نفقات الامن في اسرائيل بعد الحرب بحيث وصل ، بحسب اعتراف وزير المالية في بيانه امام الكنيست ، عند تقديمه مشروع الميزانية للسنة المالية (هارتس ، ٧٥/٢/٢٥) ، الى ٦٤ ٪ من الدخل القومي ،

منذ حرب تشرين ١٩٧٣ واسرائيل ماضية في محاولاتها الهادفة الى تقوية اقتصادها وتحسين اوضاعها ، لاعداده للصبود في حالة حصار طويلة ، تستطيع معها حوض حرب جديدة ، ان نشبت . وكانت آخر هذه المحادثات الاعلان عن مشروع جديد يهدف الى اصلاح نظام الضرائب المباشرة في اسرائيل ، التي يكاد عددها ونسبتها يزيدان عن مثليهما في أي بلد اخر في العالم .

والاستمرار في المحافظة على مستوى معيشة معين بواسطة المبالغ الضئيلة التي تبقى من الدخل ، رغم ارتفاع الاسعار المستجر ؟ ويظهر ان السكان استطاعوا القيام بذلك بطريقتين اساسيتين :

(١) اخفاء الدخل الذي يستوجب دفع ضريبة عليه ، وهي ظاهرة «خطيرة» أدت بحسب اعتراف وزير المالية (في مقابلة له في معارف ، ٧٥/٢/٢٨) ، الى اخفاء ضرائب تقدر بمليارات الليرات ،

(٢) الحصول على مكافآت شهرية تقدر بالآلاف الليرات ، في اماكن العمل ، تكون مفعية مسن الضرائب على أساس نفقات تتعلق بالعمل ، مثل رسوم الهاتف ومصاريف السيارة وشراء الكتب المهنية وما الى ذلك من « اختراعات » لا أساس لها من الصحة احيانا ، فالتلف مالا ، يستعمل لاغراض خاصة معظم الوقت ، وأحيانا لا تكون السيارة موجودة ، أما الكتب المهنية فلا تشتري أبدا . ويرافق هذه الطلبات ، عادة تقديم بيانات كاذبة الى أجهزة الجبائية ، بحيث يحصل مقدموها على مبالغ شهرية كبيرة : مفعية من الضريبة تفوق احيانا كثيرة دخلهم الاساسي . وقد أصبح ذلك مع مرور الوقت ، بمثابة امتيازات للعمال ، لا تستطيع الحكومة المس بها ، رغم اطلاقها الكامل عليها . والنتيجة هي ان الضرائب التي تحصلها المالية ، لا تدفع بحسب الدخل الحقيقي للعامل ، بل من الدخل الاساسي المعترف به رسميا ، الامر الذي لا يؤثر تقريبا على الدخل الصافي للعاملين ، رغم ارتفاع نسبة الضرائب .

ولدت هذه الامور الكثير من العيوب في جهاز الضرائب في اسرائيل ، بحيث بات اصلاحها هدفا اساسيا ، لتقوية الاقتصاد الاسرائيلي ، مما دفع وزارة المالية الى العمل على احدث اصلاح شامل في جهاز الضرائب المباشرة من جهة ، وفرض ضريبة القيمة الاضافية ، بالنسبة للضرائب غير المباشرة ، من جهة اخرى .

لجنة خبراء

عين وزير المالية في ١٥/١٢/٧٤ لجنة من الخبراء برئاسة بروغيسور حايم بن - شاحار وعضوية كل من بروغيسور يورام بن - بورات ، وبروغيسور ميخائيل برونو ، والحامي بوغز ناير ، ومدقق الحسابات شالوم روفائيل ، وذلك لدراسة موضوع الضرائب المباشرة وتقديم توصيات بشأن الطرق التي

وهي نسبة غير قائمة في أي بلد في العالم . ويتوقع وزير المالية جمع مبلغ ٣٢٨٨ مليار ليرة بواسطة الضرائب خلال السنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ (المصدر نفسه) مقابل ٢٤٣٣ مليار ليرة في السنة المالية السابقة ، اي ما يعادله ٥٨ ٪ تقريبا من ميزانية الدولة الشاملة لسنة ١٩٧٥ / ١٩٧٦ ، البالغة ٥٦٣٣ مليار ليرة . وتقسّم هذه الضرائب ، كالعادة ، الى نوعين : ضرائب مباشرة (تفرض على الداخل) وغير مباشرة (تفرض على النفقات من الداخل) ، ولكن الميز لها في اسرائيل هو تعددها وارتفاع نسبها ، كما ذكرنا ، الامر الذي يسبب الكثير من المشاكل لسكان اسرائيل ، ويزيد من تدمرهم ، خاصة وان هذه الضرائب ترتفع من حين لآخر . وكانت الضرائب قد رغمت عدة مرات بعد حرب ١٩٧٣ ، ووصلت الى قمتها بعد تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية في تشرين الثاني ١٩٧٤ ، وفرض ضرائب جديدة على معظم المواد الغذائية الاساسية (انظر « قضايا اسرائيلية » ، العدد ١٤٤٤/١١/٧٤ ص ١٢٤ - ١٣٠) . ولكن الحكومة لم تكف بذلك ، إذ فرضت ضرائب جديدة ايضا خلال هذه السنة - ضريبة على ارباب العمل بنسبة ٧٥ ٪ خففتها فيما بعد الى ٤ ٪ ، وضريبة شراء بنسبة ٧٥ ٪ - بهدف تغطية جزء من العجز الذي رافق مشروع الميزانية الجديدة للسنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ (راجع العدد السابق من « قضايا اسرائيلية ») . اما بالنسبة للضرائب المباشرة على الفرد فقد وصلت خلال السنة الاخيرة الى ٧٨٧٥ ٪ من دخله ، وتشمل هذه النسبة ضريبة الدخل والقروض الالزامية على اختلاف انواعها . ويرافق الارتفاع في الضرائب كل مرة ارتفاع في الاسعار ايضا تزداد معه المطالبة من جانب العمال بتعويضهم على الغلاء ، الامر الذي يقوي مجرى التضخم المالي ، وبالتالي يقضي على الاهداف التي ارادت الحكومة تحقيقها من وراء فرض الضرائب ، مثل جمع مبالغ كافية لتعديل نفقاتها المختلفة ، وامتناص القوة الشرائية من الجمهور بهدف « تهدئة » الاقتصاد وخفض سرعة التضخم المالي .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يستطيع سكان اسرائيل وخاصة الطبقات الفقيرة والمتوسطة منهم ، تحمل مثل هذا العبء ،

حدثت عدة عيوب اتخذت شكلين أساسيين : الأول إخفاء المداخل التي يستوجب دفع ضرائب عليها، وثانيا أسلوب التهرب ، وبعلم من الحكومة وسلطات الضريبة ، على فرار تلك النفقات التي يصعب التمييز فيها بين متطلبات العمل والاستعمال الشخصي . ان عدم توفر تلك المبالغ من الضريبة التي تم إخفاؤها عن خزينة الدولة ، قد ألزم مرض ضرائب جديدة على المداخل المعلنة، وزيادة اللامساواة في تحمل عبء الضرائب « (المصدر نفسه) . وقد توصل اعضاء اللجنة اثناء عملهم الى نتيجة مفادها ان المداخل التي اخفيت عن المالية في سنة ١٩٧٢ تقدر بمليارى ليرة ، وهو المبلغ الذي يوازي ، بحسب الاسعار الحالية ، أربعة أو خمسة مليارات ليرة ، « ولو دفع المواطنون ضرائب على هذه المبالغ ، لخصمت خزينة الدولة على ٢٥ مليار ليرة سنويا ، الامر الذي كان سيحل بالطبع مشكلة العجز في الميزانية» (من مقابلة مع اعضاء اللجنة - معارف ، ٧٥/٣/١٤) .

بعد هذه المقدمة القصيرة تنتقل اللجنة في تقريرها الى سرد توصياتها ، حيث تقسمها الى ثمانية فصول مختلفة ، مرفقة بشرح واف حول أهمية كل توصية والفائدة منها ، وطريقة تطبيقها ، على النحو التالي : (١) الضريبة على الأفراد ، (٢) توسيع قاعدة الضريبة ، (٣) الضريبة على الشركات (٤) . ضريبة ربح رأس المال ، (٥) تقديم كشوفات الدخل ، التحصيل وتنفيذ القانون ، (٦) تعليمات بشأن مرحلة الانتقال ، (٧) حجم العائدات من الضريبة ، (٨) توصيات أساسية .

الضريبة على الأفراد

أوصت اللجنة بأن تكون النسبة الأساسية لضريبة الدخل ٣٥ ٪ ، مع منح إعفاء للمعامل بنسبة ١٠ ٪ على الدخل الذي يحصله بقرع جيبه ، بحيث تكون نسبة الضريبة الفعلية التي يدفعها ٢٥ ٪ ، وذلك من مبلغ اقصاه ٣ الاف ليرة شهريا . اما الحد الاقصى للضريبة فيكون بنسبة ٦٠ ٪ ويسري على اصحاب الدخل الذي يتجاوز ١٠٢ الف ليرة سنويا . وتوصي اللجنة كذلك ببدء فرض هذه الضريبة من اول تموز ١٩٧٥ . وبحسب توصيات اللجنة ستكون هناك خمس نسب للضريبة مقسمة كما يلي : دخل

يجب اتباعها لاحداث اصلاح شامل فيها . وقد أعلن وزير المالية في بيانه امام الكنيست (هارتس ، ٧٥/٢/٢٥) ، ان التعليمات التي طلب من اللجنة العمل بموجبها توجب الاسترشاد بمبادئ التوزيع العادل للدخل ، والوصول الى أسلوب ضرائب يمنع التأثيرات السلبية لنسب الضرائب المرتفعة ويزيد من الانتاج ويحافظ على المعزى الاخلاقي للضرائب ، وكذلك تبسيط أسلوب الضرائب وزيادة فائدة التحصيل . وقد قدمت اللجنة تقريرها الى وزير المالية في ٧٥/٣/١٢ ، بعد عمل متواصل استمر أربعة اشهر تقريبا ، ونشر نص التقرير بأكمله في الصحف الاسرائيلية . وقد استقبله الكثيرون بارتياح في بادئ الامر ، ولكن بدأت تظهر بوادر الاعتراض عليه من قبل بعض الفئات التي ادركت أنها ستتضرر نتيجة تطبيق توصياته .

توصيات اللجنة

جاء في بداية تقرير لجنة بن - شاحار ، انها حاولت ان تحافظ في توصياتها على عدة مبادئ، نظرا لما لجهاز الضرائب من تأثيرات اقتصادية واجتماعية ، بحيث تكون الضرائب المباشرة شاملة في جوهرها ، بدون تفضيل او تمييز اي فئات ، وذات تركيب بسيط قدر الامكان ، وسهل الفهم والتطبيق ، وان تستمر في المساهمة بدور اساسي في اعادة توزيع المداخل وتشجيع زيادة الانتاج وبذل مزيد من الجهد في العمل . كذلك اعلنت اللجنة انها تسعى الى تبسيط تركيب الضريبة ، ليسهل تطبيق القانون وتحصيل ضريبة حقيقية بموجبها ، وان تلائم مركبات الضريبة المباشرة نفسها بصورة اوتوماتيكية مع ارتفاع الاسعار (هارتس ، ٧٥/٣/١٣) . وتطرقت اللجنة كذلك في بداية تقريرها الى مصدر الخطأ في جهاز الضرائب قائلة : « ان العيب الاساسي في جهاز الضرائب كامن في سلم نسب الضرائب المرتفعة ، حيث تعمل الضريبة النهائية الى نسب عالية جدا ، حتى في الدخل المنخفض . وقد تازم هذا المجرى بسبب التضخم المالي السريع الذي ساد خلال السنتين الاخيرة . ان انخفاض القوة الشرائية للعملة وارتفاع الاجور والمداخل تسبب في تهيؤ المداخل التي كانت تعتبر عالية في الماضي ، وفي استطاعتها تحمل عبء الضريبة المباشرة المرتفعة جدا ، الى مداخل منخفضة . وفي هذا الواقع

طبيعي ، الى عدم دفع الاجر الكامل للعامل بصورة علنية . نتيجة لذلك ببرز ما نسيه بالمكافآت الاجتماعية ، وهي في الواقع مجرد وسيلة لدفع اجر اضافي للعامل . ان الحقيقة بان جزءا كبيرا من المأجورين سيدفع [حسب توصية اللجنة] ضريبة دخل لا تتجاوز الـ ٢٥٪ ، سيقضي على ضرورة الاهتمام الخاص بمصادر دخل خاصة ... صحيح ان الهدف من المكافآت الاجتماعية ، كان في نهاية الامر الاهتمام برخاء العامل وزيادة دخله الصافي ، ولكن هذا الامر كان من عمل اللجنة ايضا ، واللحل الذي نقتحه يهدف الى توفير دخل صاف حقيقي للعامل بدون ان تكون هناك حاجة الى اخفائه تحت اسماء اخرى .

ضريبة الشركات وضريبة ربح رأس المال

اوصت لجنة بن - شاحار ايضا بان تكون نسبة الضرائب (ضريبة الدخل وضريبة الشركات) على الارباح غير الموزعة في الشركات المحدودة الضمان ، كما يلي : شركة عادية - ٦١٪ ، شركة صناعية في مرحلة الانتقال - ٥٦٫٨٪ ، شركة صاحبة مشروع سيتم التصديق عليه في المستقبل - ٥٢٪ ، كذلك اوصت اللجنة بالغاء جميع القروض الالزامية على الشركات .

اما بالنسبة لضريبة ربح رأس المال فقد اوصت اللجنة بتوحيدها مع ضريبة تحسين العقارات ، ثم الغاء القروض الالزامية على الضريبيين ، وفرض ضريبة بنسبة ١٠٪ على فائض الربح حسب التفسير في جدول غلاء المعيشة ، ثم دمج الربح الحقيقي مع دخل المكلف ، وفرض ضريبة عادية حسب قيمة مجمل الدخل (معارف ، ٧٥/٣/١٣) .

الكشوفات والتحصيل وتنفيذ القانون

تطرقت لجنة بن - شاحار ايضا في تقريرها الى مسألة اخفاء الضرائب التي يعتبرها البعض اساس العيب في جهاز الضرائب في اسرائيل ، واقترحت اتخاذ سلسلة من الاجراءات الادارية لمكافحة هذه الظاهرة ، منها فرض تقديم كشوفات شاملة بالدخل من قبل المكلفين ، على ان يتم تطبيق هذا على مراحل بين جميع فئات السكان ، واصدار تعليمات منصلة بشأن ادارة الحسابات ، ومنح حوافز كثيرة لمن يبلتها ، وكذلك منح نماذج من تقارير المكلفين واعادة تنظيم جهاز

شهري حتى ٢٠٠٠ ليرة - تفرض عليه ضريبة بنسبة ٢٥٪ ، ٣٠٠١ - ٥٥٠٠ ليرة : ٢٥٪ ، ٥٥٠١ - ٦٥٠٠ : ٤٥٪ ، ٦٥٠١ - ٨٥٠٠ : ٥٠٪ ومن ٨٥٠١ ليرة وما فوق : ٦٠٪ ضريبة .

كذلك تمنح « نقطة اعفاء » قيمتها الاولية ١٠٠ ليرة شهريا ، وتلغى الحسومات القائمة ، وتجزع مخصصات التأمين الوطني بجهاز الاعفاءات والمخصصات الجديدة ، التي ستمنح على الوجه التالي : زوجان - ٣٠٠ ليرة ، الفرد - ٢٠٠ ليرة ، الولد الاول والثاني - ٢٠٠ ليرة ، الولد الثالث وما فوق - ٢٠٠ ليرة مقابل كل ولد (معارف ، ٧٥/٣/١٣) .

كذلك اوصت اللجنة بالغاء جميع القسروض الالزامية التي يدفعها الافراد ، ثم ربط نسب الضرائب والمخصصات بجدول غلاء المعيشة ، بينما تكون علاوة الغلاء هذه ، التي تدفع للعاملين ، خاضعة للضريبة كتركيب من مركبات الدخل (هارتس ، ٧٥/٣/١٣) .

توسيع قاعدة الضريبة

اوصت اللجنة ايضا بتوسيع قاعدة الضريبة ، بحيث تشمل جميع المكافآت والاعفاءات ، على انواعها ، والتي يقدر حجمها بنسبة ١٢٪ تقريبا من مخصصات الاجور عامة . ومثال على هذه المكافآت نفقات الهاتف في منزل المكلف ، والسفر الى الخارج على حساب رب العمل ، والنفقات التي تدفع للعامل مقابل المسافة التي يقطعها بسيارته للوصول الى مكان عمله ، ثم بدل شراء كتب مهنية تدفع له حسب درجته في العمل ، وما الى ذلك من مكافآت تكون معفية من الضريبة عادة ، وتصل الى الالف الليرات شهريا ، ولم توص اللجنة بالغاء جميع هذه المكافآت وانما اوصت بضرورة تقييدها للغاية ، وتقديس تقارير وافية حولها ، ثم دمجها بالاجر الاساسي للعامل لكسي تصبح خاضعة للضريبة (المصدر نفسه) .

وقد نشر احد اعضاء اللجنة ، بومز ناهير (في ندوة مع اعضاء اللجنة اجرتها يديعوت احرونوت ٧٥/٣/١٤) الواقع الذي حثه ورفاقه الى وضع مثل هذه التوصية بقوله : « ان ضريبة الدخل المتبعة في اسرائيل ، تدفع رب العمل بشكل

لذلك لن يكون مجرب امام وزارة المالية سوى رفع الضرائب غير المباشرة ، الامر الذي يتوهمه الكثيرون في اطار فرض ضريبة القيمة الاضافية خلال هذه السنة . وربما سيكون هذا السبب الرئيسي لاعلان الحكومة عن نيتها في تأجيل تطبيق توصيات لجنة بن - شاحار حتى فرض ضريبة القيمة الاضافية ، التي ما زالت مطروحة على جدول اعمال الكنيست .

كذلك اوصت لجنة بن - شاحار بعدم المس بالعمالين في فترة الانتقال ، ومنحهم فترة محدودة لتسديد ديونهم القديمة لضريبة الدخل ، واذا لم يفعلوا ذلك يتم ربط ديونهم هذه بجدول غلاء المعيشة مع فرض فائدة عليها (معاريف وهارتس ، ٧٥/٣/١٣) . وقد اعلن المحامي بوغز ناهسر (خلال مقابلة مع اعضاء اللجنة في معاريف ، ٧٥/٣/١٤) ان اللجنة اكتشفت اثناء عملها ان ثلث العاملين المستقلين فقط قد انهوا دفع ديونهم لضريبة الدخل من سنة ١٩٧٢ ، وان السلف التي يدفعها هؤلاء لصندوق المالية لا تغطي سوى ٤٢٪ من الضريبة المزمين بدفعها على مداخيلهم الحقيقية .

توصيات اساسية

أكدت اللجنة في نهاية تقريرها انها تعتبر اقتراحاتها بشأن نسب ضريبة الدخل الجديدة والاعفاءات بالنسبة للفرد ، وقائمة ضريبة الشركات ، وربط سلم الضرائب بجدول غلاء المعيشة ، وتوسيع قاعدة الضريبة وغرض واجب تقديم الكشوفات الشاملة من قبل العمالين ، وتنفيذ ادارة الحسابات ، وفحص نماذج من التقارير خلال كل فترة وفرض فائدة على الديون لضريبة الدخل - بمثابة توصيات اساسية ، تعتبر مكملة لبعضها بحيث لا يمكن تطبيق جزء منها واهمال الاخر ، كما ان تطبيقها جميعا هو الشرط الاساسي لنجاح الاصلاح المقترح (معاريف ، ٧٥/٣/١٣) .

ردود فعل مقبلة

حظي نشر توصيات لجنة بن - شاحار بالترحيب الشديد في اوساط وزارة المالية والهيئات ، فقد اعلن وزير المالية ، عند تسلمه التقرير ، « ان توصيات لجنة بن - شاحار ستكون بمثابة انقلاب في جهاز الضرائب ، وهناك امكانية لتطبيقها

العقوبات ، ثم فرض فائدة على الديون لضريبة الدخل ، وربطها بجدول الغلاء ، ونشر معلومات كافية ومنظمة بين الجمهور حول تطبيق قوانين ضريبة الدخل (المصدر نفسه) .

وقد اعلن احد اعضاء اللجنة (خلال ندوة مع اعضائها في معاريف ، ٧٥/٣/١٤) ان نسبة الضريبة المنخفضة التي اقترحتها اللجنة ، تستل من ظاهرة اخفاء الضرائب . ووصف خطورة هذه الظاهرة من الناحية الاجتماعية بقوله : « ان الجمهور ينظر الى المواطن ... الذي لا يتعاطى اخفاء الضرائب ويمتنع عن دخله الحقيقي ، وكأنه انسان ساذج ومسكين ، لا يمكن الاعتماد على ذكائه وعلى قدرة تكيفه مع نظام المعيشة السذي يتحكم فيه الكذب والخداع ... »

« لا يمكن ان يقوم مجتمع صالح على هذا النحو . ومن اجل شفاء هذا المرض قررنا تقديم توصية بشأن خفض نسبة الضريبة ... وتوصية اخرى ... بشأن فرض ادارة حسابات جميع العمالين ، باستثناء المأجورين الذين يربحون اجرهم من عرق جبينهم ، وليس عندهم دخل اضافي عدا ذلك ... واستنتاجنا هنا واضح : ان مركز اخفاء الضرائب يدور حول اولئك السذجين لا يدبرون حسابات منتظمة » .

كذلك اعلن وزير المالية رابينوفيتش (في مقابلة معه في معاريف ، ٧٥/٢/٢٨) ان « المالية ستلاحق اولئك الذين يخفون ويتهربون من دفع الضرائب .. وقد قدمت مشاريع الى الكنيست بشأن تشديد العقوبات ضدهم » .

قياس عائدات الضريبة والتعليمات بشأن فترة الانتقال

تدرت لجنة بن - شاحار ان خسارة خزينة الدولة نتيجة خفض الضرائب والغاء القروض الالزامية ستبلغ نحو ٥٠ مليار ليرة خلال السنة الاولى من تطبيق توصياتها . ولكنها اعلنت ايضا ان تعميق الجباية سيؤدي مع الوقت الى زيادة العائدات من الضرائب (معاريف ، ٧٥/٢/١٣) . وقد اطلق هذا الامر عددا من المسؤولين ، لان تطبيق التوصيات سيؤدي الى زيادة العجز القائم في الميزانية الجديدة للسنة المالية ٧٦/١٩٧٥ (انظر « قضايا اسرائيلية » - العدد السابق) .

تكون قد حققت هدفها المعلن (داغار ، ١٣/٣/٧٥) . وكانت الاستدروت قد شكلت ، من ناحيتها ، لجنة خاصة مكونة من دكتور امير برناع مستشار الاستدروت لشؤون الضرائب ، وبروغنور يثير اهروني ، ويزهار كوهين ، وذلك لاعداد مشروع اصلاح في الضرائب . وقد قامت هذه اللجنة بتقديم مشروعها الى لجنة بن - شاحار في اجتماعها الاول . واعلن برناع (في مقابلة مع معاريف ، ١٩/٣/٧٥) « ان هناك تشابها كبيرا بين مقترحاتنا وبين توصيات لجنة بن - شاحار » ، مؤكدا ان اهم نقطة في توصيات لجنة بن - شاحار ، هي توسيع قاعدة الضريبة وتخفيض نسبتها . ويبدو ان الموقف النهائي الذي ستتخذه الاستدروت بشأن هذه التوصيات سيكون له اثر كبير على امكانية تطبيقها خاصة بعد صدور اصوات تدعو الى التروي والامتناع حتى على فرض ضريبة القيمة الاضائية ، وذلك بسبب المعجز الذي سيحدث نتيجة تطبيق هذه التوصيات . ولكن وزير المالية اعلن عدة مرات ، بالرغم من ذلك ، ان ضريبة القيمة الاضائية ستفرض خلال هذه السنة ، ولذلك يتوقع ارتفاع الضرائب غير المباشرة مرة اخرى .

ح. ش

في مطلع شهر تموز من هذه السنة ، اذا حدث تعاون كامل بينا وبين الاستدروت وارياب العمل « (داغار ، ١٣/٣/٧٥) . كذلك اعلن المسؤول عن مداخليل الدولة موشي نويدرفر ان وزارة المالية ستنتهي من اعداد مسودة قانون لتنفيذ الاصلاح في ضريبة الدخل ، بحسب توصيات اللجنة ، حتى نهاية الشهر الحالي . وستوزع هذه المسودة بين الوزارات المختلفة قبل تقديمها الى الحكومة والكنيست للتصديق عليها ، وذلك لكي يكون بالامكان البدء في تنفيذ الاصلاح في مطلع شهر تموز من هذه السنة (معاريف ، ١٧/٣/٧٥) . كذلك رحبت الاستدروت بتوصيات لجنة بن - شاحار وشكلت مجموعة خاصة من هيئة العاملين (« حشرات هاعوفديم ») ومعهد التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، التابعين لها ، لفحص هذه التوصيات . وستعقد اللجنة التنفيذية للاستدروت جلسة خاصة بعد ان تنتهي هذه المجموعة من عملها ، وبعد استكمال المباحثات في المكتب التنفيذي ، لاتقرار موقف عام ورسمي من توصيات لجنة بن - شاحار (معاريف ، ١٤/٣/٧٥) . وكان سكرتير عام الاستدروت ، يروحام ميشل ، قد اعلن انه اذا ادت خطة الاصلاح في الضرائب التي اقترحتها لجنة بن - شاحار ، الى زيادة دخل العائلات الفقيرة والمتوسطة ، فانها

[٣]

« الحرب الاقتصادية » العربية تسبب قلقاً متزايداً في اسرائيل

شن حرب اقتصادية مضادة من قبل اسرائيل ويهود العالم ، (٤) ضرورة اشراك الادارة والكونغرس الاميركيين في « الحرب المضادة » ضد النفوذ الاقتصادي العربي .

اهداف واساليب المقاطعة العربية

حظيت المقاطعة العربية لاسرائيل باهتمام واضح من قبل عدد لا بأس به من المعلقين الاسرائيليين ، وان اختلفت آراؤهم بشأنها . فالبعض يعتقد ان المقاطعة العربية ، القائمة منذ عام ١٩٤٦ ، « لم

شغلت دوائر اسرائيلية عديدة ، خلال الاسابيع القليلة الماضية ، بما سمته « الحرب الاقتصادية العربية ضد اسرائيل واليهود : الجبهة الثانية » (معاريف ، ٢١/٣/٧٥) ، وذلك اثر النشاط المالي العربي المتزايد في امريكا واوروبا . وركزت وسائل الاعلام الاسرائيلية ، في تقاريرها وتعليقاتها ، على المواضيع الرئيسية التالية : (١) اساليب عمل واهداف المقاطعة الاقتصادية العربية ، (٢) خطر الرساميل والاستثمارات العربية على اسرائيل وعلى الرساميل الصهيونية ، (٣) وجوب

المقاطعة في دمشق ، لكي يستوضحوا اساليب عمل المقاطعة ، لكن الفوض العام لمكتب المقاطعة محمد محجوب « اعطاهم تنسيقات مناقضة » . ويعلق ذلك المراسل على هذا بقوله : « ان قوة المقاطعة العربية غير كاملة في تطبيق تعليمات مكتب المقاطعة بدقة ، بواسطة كل الدول العربية ، بل في كون هذه المقاطعة مشوشة وغامضة . فالعرب استطاعوا تخويف شركات كبيرة من طريق القوائم السوداء والتصريحات والاستثمارات ، بدون ان تضطر الدول العربية الى التخلي عن العلاقات الاقتصادية التي تعينها ، حتى لو كانت مع شركات تتعامل مع اسرائيل ... اذن ليست المقاطعة العربية التقليدية هي التي قويت ، بل ارضيتها .

ورجال الاعمال في الغرب بدأوا يتحفنون من اقامة علاقات اقتصادية مع اسرائيل ، مثل الاستثمارات فيها او بيع الخبرة لها ، وهم ليسوا دائماً بحاجة الى تهديدات من محجوب » (المصدر نفسه) .

ومن جهة أخرى ، اشارت بعض الدوائر الاسرائيلية الى أن مقاطعة عدد من البنوك اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة « لم تصل حتى الان الى حد الهجوم الشامل على رأس المال اليهودي ، ولا يمكن رؤيتها في هذه المرحلة كحرب اقتصادية شاملة ، بل هي ضربة جانبية لفحص استحکامات العدو ... فاذا رأى العرب ان ضربتهم نجحت سيثخون هجوماً شاملاً وخطيراً . لذلك هلئى اسرائيل أن ترد الرد المناسب في الوقت المناسب » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . وايد آخرون هذا الرأي بقولهم : « ان رجال البنوك والاعمال اليهود في أوروبا قلقون ، لانهم يعتقدون ان محاولة العرب ادخال بنوك يهودية في القائمة السوداء ، هي مجرد هجة اولى ، قد تتحول الى حرب مالية شاملة ... » (ادفين ايتان — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٦) ، خاصة وان « ضربة » العرب استهدفت حتى الان ثلاثة بنوك يهودية لا تتمتع بالشعبية في بلادها ، هي بنوك روتشيلد وواربورغ في لندن ولازار اخوان في باريس ، « واذا ما نجح العرب في هجومهم الاول ، فسيسمعو القائمة السوداء » (المصدر نفسه) .

ولكن هناك من يعتقد ان المقاطعة العربية لم تعد في طور « الهجمة الاولى » ، بل لا يمكن تسميتها الان « مقاطعة » ، لانها « اصبحت حرباً

تكن الا عقبة ثانوية ، ولم تؤثر على سرعة تطور البلاد ... كما يقول دان هلبين ، مستشار وزير المالية ، والمسؤول عن مكانحة المقاطعة العربية ... » (را ، ٧٥/٢/٣) . بينما يعتقد آخرون ان المقاطعة العربية وان « لم تخفق اسرائيل فقد ادت الى تأخير تطور البلاد ... ويعتقد النائب شموئيل تامير ، عضو لجنة الخارجية والامن في الكنيست ورئيس اللجنة الاقتصادية سابقاً ، ان الارهاب الاقتصادي ، مثل الارهاب « التخريبي » ، ليس الا وباء منتشر ، واذا لم نقتله في الوقت المناسب ، فمن شأنه ان يؤدي قطاعات مختلفة بالغة الاهمية » (المصدر نفسه) .

مع ذلك يجمع معظم المعلقين الاسرائيليين على ان طرق عمل مكتب المقاطعة العربية « لم تتحسن ، ولكنها اصبحت بالغة الخطورة بعد تشرين ١٩٧٣ ، فقبل ذلك كان من السهل محاربة المقاطعة الاقتصادية العربية ، لان الخيار امام اصحاب الاعمال والشركات في الغرب كان اما التعامل مع العرب او مع اسرائيل ، ومعها يهود العالم . ولكن بعد زيادة اسعار النفط ، بنسبة ٤٥٠٪ ، اصبح العرب ذوى نفوذ اقتصادي خطر في الغرب ... » (من افتتاحية دافار ، ١٩٧٥/٣/١٠) . ومنذ حرب تشرين ايضا « اصبح العرب « موجة المستقبل » ، كما يراهم السناتور شارل بيرسي وغيره في امريكا والغرب ... والعرب هم اكبر قصة نجاح في القرن العشرين ، لذلك ليس من شيء افضل من مصادقتهم ... » (يومال اليسور — معاريف ، ٧٥/٢/٢١) .

ويعتقد بعض الاسرائيليين ، من ناحية ثانية ، ان طرق عمل المقاطعة العربية غامضة ومتناقضة ، الا انهم — كما يبدو — يتمسرون ان « الضباب والتناقض هما اسلوب تتبعه الدول العربية في حربها الاقتصادية ضد اسرائيل . وهما جزء لا يتجزأ من سياسة التهديد والضغط التي تتبعها هذه المقاطعة ... » (المصدر نفسه ، ٧٥/٢/٢٣) . ويذكر احد المراسلين الاسرائيليين انه ، مثلاً ، بعد ان قدمت شركة « لازار اخوان » اليهودية الفرنسية شكوى ضد بنك « دى باريس أ — فييا » ، لانه يقطعها في صفقة استثمار دولية ، بسبب المقاطعة الاقتصادية العربية ، توجه بعض المراسلين الفرنسيين والبريطانيين الى مكتب

يطلب منها ذلك « (دان مرغليت - هارتس - هارتس) لجنة مكافحة التشهير » ، التابعة لمنظمة « بني بريت » الصهيونية الامريكية (المصدر نفسه) .

وتركز الدوائر الاسرائيلية ، بشكل خاص ، في معرض تعليقها على « الحرب الاقتصادية العربية » على خطر النفوذ الاقتصادي العربي في الغرب ، الذي قد يتحول الى نفوذ سياسي عربي ، يشكل خطرا على النفوذ الصهيوني الاقتصادي ، وبالتالي السياسي . ويحذر بعضهم من ان « لفوائض النفط العربي المتزايدة نتائج خطيرة . فنتيجة لاستثمارات العرب في الغرب يتقوى نفوذهم السياسي باستمرار . وقد بدأوا يستخدمون رؤوس الاموال الضخمة التي يملكونها في شراء وسائل اتصال مختلفة ، كالراديو والتلفزيون والصحف ، لكي يستعملوها لخدمة دمايتهم المتعاطلة . كما انه يجب النظر بخطرورة بالغة الى السلاح الذي تشتريه دول النفط العربية لسدول المواجهة » (دافيد هوروفيتش - داغار ، ١٩٧٤/٤/٢٨) .

كذلك حذر معلق اخر من « خطر سيطرة العرب على وسائل الانتاج في الغرب ... هناك من يقول ان فوائض النفط مستصل ، حتى عام ١٩٨٠ ، الى ٥٠٠ مليار دولار ، وهناك من يقول انها مستصل الى ٢٥٠ مليار فقط ... ومهما يكن ، لا شك ان الارصدة العربية ستزداد باستمرار ، مما سيؤدي الى كسب قوة سياسية قد تؤدي الى خنق اسرائيل . هناك استثمار خطر وهناك استثمار اقل خطورة ، وخطر شيء هو شراء معامل الالكترونات ووسائل الاتصال والصناعات الائمة وغيرها . ولكن حتى شراء المباني قد يكون له تأثير نفسي ... والعرب يستطيعون التنافس المصنود مع شركات تتعاون مع اسرائيل ، مستغلين الوضع الاقتصادي المتردى في الغرب ... » (يوفال اليتسور - معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٥) .

وادعى مراسل اسرائيلي في واشنطن انه اصبح للعرب بفضل نفوذهم المالي ، « لوبي » (جماعة ضغط) في الكونغرس الامريكى ، هو « لوبي شركات النفط » الذي يعمل لصالح العرب . « وهناك خطر بان تظهر جماعات ضغط جديدة في ردهة الكونغرس الرئيسية تعمل لصالح العرب » (دان مرغليت - هارتس ، ١٩٧٥/٢/١١) .

شاملة يجري تسميقها مع الحركة السياسية « (الياهو سلفطر - هارتس ، ٧٥/٢/٧) . ويرى العديدون ان هذه الحرب الاقتصادية العربية كانت في الماضي موجهة ضد اسرائيل فقط ، ولكنها اصبحت الان موجهة ضد اليهود ايضا . وذهب اخرون الى القول ان « المقاطعة العربية كانت ضد اسرائيل ولكنها اصبحت اليوم مقاطعة لا سامية » (يعقوب كسرور - يديعوت احرونوت ، ٣/٧/١٩٧٥) .

اما بالنسبة لاهداف المقاطعة العربية ، فيعتقد معظم المعلقين الاسرائيليين انها تسعى على المدى البعيد الى « خنق » اسرائيل اقتصاديا وسياسيا ، اذ ان « هناك دلائل متزايدة في مواسم الغرب ، على ان العرب يريدون ، بقوتهم المالية ، تحقيق ما لم يستطيعوا تحقيقه بقوتهم العسكرية : خنق اسرائيل اقتصاديا ، كسر قوتها ، وعزلها عن اصدقائها ونزوح سكانها عنها » (يوفال اليتسور - معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) . ويعتقد ادهم ان هدف مقاطعة رأس المال اليهودي ، هو « عزل اسرائيل اكثر ، عن طريق حرمانها من المال اليهودي » (ادفين ايتان - يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/١٦) ، بينما لخص اخر اهداف المقاطعة العربية بقوله انها تسعى الى (١) اضعاف المؤسسات الاقتصادية اليهودية ، وبالتالي اضعاف مكانتها السياسية في الدول التي يقيم فيها اليهود ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية ، (٢) منع الشركات والمصانع الغربية من تزويد اسرائيل بالمواد والسلع الحيوية ، (٣) عزل اسرائيل اقتصاديا وسياسيا بهدف خنقها (الياهو سلفطر - هارتس ، ٧٥/٢/٧) .

اخطار الرساميل والاستثمارات العربية

في الوقت الذي يتهم فيه المسؤولون والمعلقون الاسرائيليون والصهيونيون العرب ، انهم بواسطة المقاطعة الاقتصادية ، « يحولون الولايات المتحدة الى المانيا النازية » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨) ، ويشنون « حربا دينية » على الارض الامريكية ، فان معظمهم يعترف ان مشكلة اسرائيل ليست المقاطعة العربية اساسا ، بل النفوذ الاقتصادي العربي منذ حرب تشرين ، وان « الشركات الامريكية تنطوع » لمقاطعة اسرائيل دون ان

(الياهو سلفنزر - هارتس ، ١٩٧٥/٣/٢) .

نتائج مقلقة

تشير المصادر الاسرائيلية الى ان النفوذ الاقتصادي العربي، والمقاطعة الاقتصادية العربية، يحققان بعض النتائج المقلقة بالنسبة لاسرائيل ، مما يفسر الحملة الرسمية والشعبية الاسرائيلية والصهيونية ضد « الحرب الاقتصادية العربية » ، تلك الحملة التي اتخذ طابع « قرع أجراس الخطر » .

بدأت هذه الحملة عندما نشر لأول مرة ، مع بداية السنة الحالية ، في فرنسا وبريطانيا ، عن اضرار تعرضت لها بنوك يهودية في الدولتين . ودار الحديث بالتحديد عن اضرار لحقت ببنك لازار اخوان في فرنسا ، وبنكي روتشيلد وواربورغ في لندن . وذكر ان اصحاب هذه البنوك يهودون « اتباع سياسة هادئة ، لان النشر الصاخب قد يكون دلالة ضعف ... رغم أنهم يعتقدون أن التهديد سيظل مستمرا ، طالما بقيت الاموال تتدفق على العرب وطالما يستمر النزاع العربي الاسرائيلي » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . وذكر ايضا ان « التهديد سيثمل دولا اوروبية أخرى ، كالمانيا الغربية مثلا ، خاصة وان العرب سيزيدون من نشاطهم المالي في اوروبا عامة ... » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٦) .

مع ذلك استقبلت بعض المنظمات الصهيونية الاميركية الاتباء الواردة من اوروبا واستخدمتها « كإذار لليهود وكدعوة لهم لشن حرب دفاعية ضد محاولة العرب خنق اسرائيل اقتصاديا » (يوفال اليتسور - معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . ونشرت في هذا الاطار ، اسماء بعض المؤسسات الاقتصادية الاميركية التي « خضعت » للمقاطعة العربية ، بهدف التحريض ضدها ، وضد بعض الشخصيات السياسية - الاقتصادية الاميركية « المنحازة للعرب » ، مثل السناتور شارل بيرسي ونائبه السابق بيتر باترسون « المرشح لخلافة وزير الاقتصاد الحالي سايمون ، وهو الان رئيس شركة لاهمان اخوان ، التي تقلص فيها النفوذ اليهودي الى الصفر ، ونائبه جورج بول عدو اسرائيل اللدود » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) .

كذلك أعلنت منظمة « بني بريت » الصهيونية

وكتب اخر : « ان المعلومات حول استخدام المال العربي ضد اسرائيل واليهود ، لا تشكل ظاهرة جديدة ، ولكن الجديد هو في حجم هذا الاستخدام الناتج عن تعاطف القوة المالية العربية ... يبدو انه ليس من الممكن منع سيطرة العرب على قطاع واسع من السوق العالمية . لذلك يجب محاولة تسير النفوذ العربي في قنوات اقتصادية ، لا تخرج الى المجال السياسي . واذا لم يتم هذا الان ، فقد توفت الفرصة الاخيرة لذلك ... » (ناحوم برناع - داغار ، ١٩٧٥/٢/٢٨) . وأشار البعض الى ان دول النفط العربية ، تقوم بنشاطات في الولايات المتحدة الاميركية خارجة عن المجال الاقتصادي ، ويمكن تنسيبها الى ثلاثة مجالات : (١) اجبار شركات اميركية على قطع علاقاتها مع اسرائيل ، (٢) التمييز ضد شركات يهودية لمجرد ان يهود يملكونها ، (٣) الاشرط ان يكون عاملو الشركات والادارة الاميركية في دول النفط من غير اليهود (المصدر نفسه) . ونقلت احدى الصحف الاسرائيلية عن الرأسمالي الصهيوني ، دافيد روتشيلد في باريس ، قوله : « ان بنوك العرب في اوروبا قليلة وصغيرة حتى الان ، ولكنها ستزداد وستقوى باستمرار ، بسبب واردات النفط ، وعندها ستكون خطرة على كل من يريد العرب مقاطعتهم ... والكويت هي القائدة الخطرة في هذا المضمار » (عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/٢٠) .

وتركز الدوائر الاسرائيلية ، بشكل خاص ، على « خطر » النفوذ الاقتصادي العربي في الولايات المتحدة الاميركية بالذات : « ان التعامل بين العرب واميركا يضر بعلاقات اسرائيل الاقتصادية والسياسية ايضا مع حليفها الرئيسية ... » (من افتتاحية داغار ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . وذكر احد المرسلين ان اقصى ما يقلق اسرائيل هو « ان شركات اميركية كثيرة تقاطع اسرائيل لكي تفوز برضى العرب ، بدون ان يطلب ذلك منها . وهي تجد لذلك مبررات كثيرة ومختلفة ... » (نسيم كفتي - يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٢) ، بينما هبر اخر عن قلق اسرائيل بقوله « تبدو اسرائيل في الولايات المتحدة على انها تجربة فاشلة ، اذ انها ما زالت تعيش على الجبرعات والامانات وهذا ما قاله العرب دائما . واما العرب فينظر اليهم هناك على انهم موجة المستقبل »

حرب اقتصادية مضادة

تشن وسائل الاعلام الاسرائيلية والصهيونية حملة شعواء ضد استخدام العرب لرؤوس اموالهم في معركتهم السياسية، رغم ان اسرائيل والمؤسسة الصهيونية العالمية تستخدمان النفوذ الاقتصادي لخدمة أهداف اسرائيل السياسية منذ زمن بعيد . وقد كشفت مجلة « نايم » الاميركية (١٩٧٥/٣/١٠) جانبا من هذه الممارسة الصهيونية ضد كل سياسي اميركي يدلي بتصريح في غير صالح اسرائيل من وجهة نظر يهودية - اميركية ، كما حدث ، مثلا ، مع السناتور شارل بيرسي من ولاية ايلينوى ، ومع السناتور جوليان بوند من ولاية جورجيا وغيرهما . وبينما تنهم أبنواق الدعاية الصهيونية كل من يؤيد العرب ... « باللااخلاقية » و« بالسجود لدولارات العرب » ، فان المجلة المذكورة تكشف في تحقيقاتها عن الضغوط التي يمارسها ال « لوبي » اليهودي في الكونغرس الاميركي ولدرجة يبدو معها وكأنه « لا يوجد فرق بين جرى رفع الحد الأدنى للاجور وبين تزويد اسرائيل بالسلح » (المصدر نفسه) .

رغم ذلك ، من الملاحظ الآن ان اسرائيل والمؤسسة الصهيونية العالية تمارسان ضغوطا أشد لمحاولة كبح النفوذ الاقتصادي العربي المتزايد في الغرب ، وللدن من تأثير المقاطعة العربية لاسرائيل . ويؤكد معظم المعلقين الاسرائيليين انه « من المهم ان ننظر الى الحرب الاقتصادية العربية على انها معركة ضد مجرد وجودنا ، مثل المعركة العسكرية والمعركة الدبلوماسية » (من افتتاحية هارتس ، ١٩٧٥/٣/٥) .

وأهم ما تعول عليه اسرائيل في هذه « الحرب المضادة » يهود الولايات المتحدة ، اذ « يجب استخدام اليهود في المقاطعة المضادة ويجب ان يوافق ذلك اعلام جيد » (من افتتاحية دانار ، ١٩٧٥/٣/١٠) . وقد اقترح الجنرال المتقاعد حايم هرتسوغ (في مقال له في هارتس ، ١٩٧٥/٣/٦) « اقامة منظمة يهودية اقتصادية لشن هجوم مضاد ضد الحرب الاقتصادية العربية ... فالشعب اليهودي متحمس لئله هذه الحرب ، وعلى اسرائيل ان تزوده بالقيادة وبالتوجيه وان تتف امام التهديد بثقة وكبرياء » .

ويبدو ان ضغط المنظمات الصهيونية في الولايات

قبيل تصريح الرئيس الاميركي فورد ضد « التمييز الاقتصادي المناقض للتقاليد الاميركية » ، ان « عشرات البنوك والشركات الاميركية تمارس اساليب التمييز النازية ضد اليهود ، لكي تتمكن من الاتجار مع الدول العربية ... » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٦) ، وكانت المنظمة قد أعلنت ايضا ان ٧٧ شركة اميركية اتبعت اجراءات ضد اليهود، وهناك أكثر من الف شركة أخرى « يعتقد » انها تتبع نفس السياسة ، وان سلاح الهندسة الاميركي يمتنع عن استخدام اليهود (المصدر نفسه) .

واستمرت « لجنة مكافحة التشهير » التابعة لمنظمة « بني بريت » بعقد مؤتمراتها الصحفية « وكشف ملفاتها [للدلالة] على استعداد واسع لدى رجال صناعة اميركيين لان يكونوا شركاسريين، في مؤامرة عربية لعزل اسرائيل عن حليفتهما الرئيسية ، الولايات المتحدة الاميركية ، ولد « تطهر » شركات ذات علاقة تجارية مع اليهود ، من اليهود العاملين معها ... وهناك شركات كثيرة ، في كل الميادين ، ترفض التعامل مع اسرائيل واليهود ، خارقة بذلك قوانين التصدير الاميركية وقانون حقوق المواطن ضد التمييز لعام ١٩٦٤ » (فيليب بن - معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨) .

ومن الشركات والمؤسسات الاميركية التي تقاطع اسرائيل ، بحسب تقارير « بني بريت » ، والتي نقلت اسماءها الصحف الاسرائيلية : (١) بنك شيز منهان ، (٢) سلاح الهندسة الاميركي (آرمي كوربوريشن اوف انجينيرينغ) ، (٣) شركة الاستخبار الخاصة فيها وراء البحار (اوفر سيز برايفت انفرستمينت كوربوريشن) ، (٤) خدمات المدارس الدولية (انترناشيونال سكول سيرفيس) ، (٥) خدمات الرهن العقاري المضمون (غارانتيد مورتغيج سيرفيس) ، (٦) شركة اسلاند الكيماوية، (٧) باسيفيك بامب كوربوريشن ، (٨) هوسبيتال كوربوريشن اوف اميركا وغيرها (المصدر نفسه) . وذكرت مصادر اسرائيلية أخرى ان هناك أربعة بنوك اميركية تنفذ تعليمات المقاطعة العربية « بدقة » ، وهي (١) فيرست سيتي بانك اوف نيويورك ، (٢) فيرست ناشيونال بانك اوف شيكاغو ، (٣) كيميكال بانك ، (٤) ارفينغ تروست كومباتي ، مشيرة ان بنك شيز منهان يرفض فتح فرع له في اسرائيل (دانار ، ١٩٧٥/٣/٧) .

... « (المصدر نفسه) . كذلك ذكر بعض المعلقين الاسرائيليين ان « هناك مجالا — رغم الصعوبات — لعمل يهودي علني وغير علني ، ضد المقاطعة العربية ... ومن الافضل القيام بذلك الان ، وليس بعد عدة أشهر ، حيث يمكن الان اتهام العرب انهم مسؤولون عن البطالة ، وان النفط هو أهم أسباب الازمة الاقتصادية في الغرب ... » (دان مرغليت — هارتس ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . ويبدو ان العمل « غير العلمي » هذا له علاقة مع نيا نشرته احدى الصحف الاسرائيلية (معاريف ، ٧٥/٢/٩) ، مناديه ان منظمة سرية ، تطلق على نفسها اسم « المرجانة » ، ارسلت مؤخرا الى بعض الدول الاوروبية اذنارات موجهة الى «الطيارين والسائقين والملاحين» ، تحذرهم فيه من استخدام النفط العربي . « لان قوى صهيونية عاملة بالقرب من ابار النفط العربية تعمل على خلط النفط العربي بالسكر ، واستخدام هذا النفط قد يؤدي الى ائتلاف كل محرك يشغل بواسطته» . ودعت هذه «الاذنارات» الى استخدام النفط غير العربي ، كالايراني والنجيري .

واقترح زلمان شوفال ، عضو لجنة المالية قسي الكيمست من قبل كتلة ليكود ، « اقامة » شركة لاسرائيل « جديدة [بعد ان كانت شركة سابقة تحمل هذا الاسم قد انهضت مؤخرا] بسبب الاختلاس [تكون بمثابة مستودع للاموال اليهودية المخصصة لتطوير اسرائيل ، وهذا الصندوق من شأنه ان يقف امام دولارات النفط العربية » (يديعوت اخرونوت ، ٧٥/٣/٤) . ولخص احد المراسلين الاسرائيليين في الشؤون الاقتصادية طرق مكافحة النفوذ الاقتصادي العربي قائلا « هناك ثغرات كبيرة في خطوط العدو . واسرائيل قادرة على رد الحرب بالحرب ... ان اهم ما يجب عمله هو (١) تقوية الاقتصاد الاسرائيلي ، لقد قال اشكول مرة ان اعطاء علاوة فلاح المعيشة هي « هدية لناضر » ، فيجب ان لا نعطي هدايتنا لعرفات ، كالاضرابات والمطالبات بعلاوات فلاح المعيشة ، (٢) يجب ائتماع [الغرب] ان العرب ليسوا « موجة المستقبل » ، فقد تتصدع منظمة اوبيك ، وزبنا تتخفص قيمة دولارات النفط بسبب التضخم ، (٣) محاولة توجيه غضب العاطلين عن العمل الى الغرب ومساعديهم ...

المتحدة الاميركية ، وعلى رأسها « بني بريت » ، أدى الى تحويل المقاطعة العربية الى « قضية ساخنة ... فالولايات المتحدة اكتشفت المقاطعة العربية متأخرة ٣٠ سنة ، والكونغرس يطالب بتشريع ضدها ، والادارة تجري تحقيقات بشأنها ، والرئيس فورد يدلي بتصريحات ضد هذا التمييز المخجل للتقاليد والمبادئ الاميركية ... » (نسيم كيتي — يديعوت اخرونوت ، ١٩٧٥/٣/٢) . وذكر ايضا ان ١٢٠ عضوا في الكونغرس ارسلوا عريضة الى وزير العدل الاميركي يطالبونه فيها بالتحقيق في المقاطعة العربية (معاريف ، ٣/٩/١٩٧٥) . وترغب الامساط الصهيونية ، من خلال حملتها الدعائية ، في « ائتماع دول الغرب ان المقاطعة العربية ليست فقط مشكلة اسرائيلية ، بل ايضا مشكلة اميركية وفرنسية وبريطانية والمالية . وان المقاطعة لا تبس شرف الشركات الخاضعة لها فحسب ، بل تضر باقتصاد هذه الدول ايضا » (يوفال اليتسور — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٣) . وتحاول هذه الحملة الدعائية ايضا « التأكيد على ان العرب لن يكونوا موجة المستقبل الى الابد ... » (الياهو سلفطر — هارتس ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . واقترح البعض عدم تحويل الموضوع الى « مسألة سياسية اسرائيلية ... وفي الوقت نفسه عدم توجيه الاتهام الى العرب جميعا — بل الى بعضهم . فبدلا من القول «محاولات العرب» يجب القول « محاولات بعض العرب » ... (عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/٢٠) .

وعلم ، من ناحية ثانية ، ان الحكومة الاسرائيلية شكلت قبل نصف سنة لجنة خاصة « لرابية تغفل المال العربي في الاقتصاد الاميركي ... ولكن تلك كانت خطوة ساذجة ، لانه من الصعب على لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص القيام بمثل هذه المراقبة ... وفي ذلك الوقت لم تكن ابعاد المشكلة معروفة » (هارتس ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . وذكر ايضا ان وزير الخارجية الاسرائيلي يفتال ألون طلب من وزارة الخارجية الاميركية ، في احدى زيارته الاخيرة الى واشنطن « العمل بصورة مشتركة للبحث عن سبل للحد من تأثير المقاطعة العربية ... ولكن هناك ترددا اسرائيليا في هذا المجال ، اذ من الصعب طلب تشريع ضد اصحاب رؤوس الاموال ، في وقت تعاني اميركا فيه من البطالة والنقص في الدولارات

وأبدوا قلقهم لانه « في ظروف الادارة الاميركية
الجماعية واللامركزية لا تستطيع الادارة والسلطة
التشريعية فرض ارادتها بصورة مطلقة في شؤون
الاقتصاد ... » (مسن افتتاحية دانمار ،
٧٥/٢/٢٧) .

وتشير بعض المصادر الاسرائيلية ، من ناحية
ثانية ، الى ان السلطات الحاكمة في اسرائيل
تسعى الى طرح موضوع المقاطعة في الاتصالات
السياسية الجارية في المنطقة حول التسوية
الجزئية ، وتطالب بالفائها او تضييقها كشرط من
شروط التسوية السلمية . « ... ان ثمن اي
انسحاب [من الاراضي العربية] يجب ان
يشتمل على شيء واضح بخصوص المقاطعة العربية »
(حائوخ برطوف - معاريف ، ٧٥/٢/٢٥) .

يوسف حمدان

وهناك طرق اخرى يمكن استخدامها في الجبهة
الثانية ، ليس من المفيد الاعلان عنها . . .
(يونغال اليتسور - معاريف ، ٧٥/٢/٢١) .

وذكرت مصادر اسرائيلية اخرى ان الحملة
الصهيونية المضادة احرزت حتى الان بعض النجاح ،
« نفي كاليفورنيا استطاع السكان الغاء اتفاق
حول شراء المسعوديين لجزء كبير من بنك في سان
هوزي ، وفي ميشيغن قضى السكان على آمال
العرب بالاستثمار هناك . وفي ديترويت طلب
اليهود مساعدة المحكمة لمنع العرب من شراء جزء
من بنك كومونويلث . . . وغير ذلك » (دان
مرغليت - هارتس ، ٧٥/٢/٢٧) . ولكن رغم ذلك
استمر العديد من المعلقين الاسرائيليين بابداء
قلقهم من المعركة الاقتصادية الصعبة ، وبانتقاد
الحكومة الاسرائيلية والمنظمات الصهيونية ،
« التي لا تعمل بصورة منظمة ومنسقة » ،

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

[١]

عملية سافوي في تل أبيب تكشف عيوب الجهاز الامني الاسرائيلي وتثير النقاش مجددا حول فعالية النشاط الفدائي واهدافه

في بيروت في نيسان ١٩٧٣ وأسفرت عن استشهاد ثلاثة من قادة المقاومة : كمال عدوان وكمال ناصر ومجدد يوسف النجار . ومن الواضح ان المسؤولين الاسرائيليين حاولوا التقليل من حجم الخسائر في البداية ، الا أنهم اضطروا للاعتراف بذلك أخيرا . ولكن على الرغم من ذلك ، هناك دلائل كثيرة وواضحة تشير الى ان عدد الخسائر كان اكبر بكثير من العدد الذي اعترفوا به ، بدلالة ان عدد الرهائن الذين كانوا في الفندق ، عند سيطرة الفدائيين عليه ، كان كبيرا ، وان اجزاء كبيرة منه قد دمرت . كما لحت بعض المصادر الاسرائيلية (هارتس ، ٧٥/٣/١) الى ان « العشرات » قد اصيبوا في هذه العملية . واما الاهداف من وراء هذه العملية ، كما يراها الاسرائيليون ، فتتحدد في أن الفدائيين قد تصدوا بتوقيتها ، في هذه الفترة بالذات ، احباط مهمة وزير الخارجية الاميركي الدكتور كيسنجر ، وهي في مهدها ، كما أنهم تصدوا « توريط » مصر وابعادها عن طريق التسويات السياسية . وكان أحد المعلقين الاسرائيليين قد أشار الى حسن اختيار الفدائيين لموعده قيامهم بهذه العملية ، في الوقت الذي يفادر فيه كيسنجر واشنطن للقيام بجولته الجديدة في الشرق الاوسط ، مؤكدا « انه لا يوجد ادنى شك بان هذه العملية ستضع عقبات جديدة في الطريق نحو حل وسط بين اسرائيل ومصر » (اريئيل غيناي — يديعوت اchronوت ، ٧٥/٣/٧) .

كذلك ربط البعض هذا النوع من العمليات مع الزيارات التي يقوم بها كيسنجر للمنطقة ، مشيراً الى عملية مطوت التي تمت لدى قيام كيسنجر بزيارته للمنطقة لتحقيق فك الارتباط ، وزيارته الحالية لتحقيق تسوية اخرى مع مصر . وكان على رأس هؤلاء المراسل العسكري لصحيفة هارتس ، زئيف شيف ، الذي أعلن ان دمشق

كان للعملية الفدائية الجريئة التي نفذها الفدائيون الفلسطينيون في فندق سافوي ، في تل أبيب ، ردود فعل عنيفة لدى مختلف الجهات الاسرائيلية ، دفعتها الى توجيه انتقادات شديدة الى السلطات المسؤولة لعجزها عن انشغال مثل هذه العمليات وتحميلها مسؤولية ذلك الفشل . كما تجدد ، مثلما يحدث عادة بعد كل عملية من هذا النوع ، « البحث » عن « المسؤولين المقصرين » لتحميلهم مسؤولية « تقصيرهم » . كذلك أكدت هذه العملية ، مرة اخرى للاسرائيليين ، سواء المسؤولين منهم او المواطنين ، بان الادعاء الغائل ان اسرائيل استطاعت قطع دابر الفدائيين ، بعد أن نجحت في اغلاق الحدود البرية والبحرية بواسطة تكثيف الدوريات والقوات الاسرائيلية ليس الا محض هراء ، بحيث اضطر المسؤولون الاسرائيليون على اختلاف مراكزهم ، الى الاعلان بأنه ليس باستطاعتهم اغلاق الحدود بصورة محكمة وانهم يتوقعون تكرار مثل هذه العمليات في المستقبل . كما كان لهذه العملية نصيب نسي كشف نوايا الاسرائيليين الحقيقية حول مسألة التفاوض مع الفدائيين ، في حال احتجازهم لرهائن .

مقتل الضابط الذي قاد عملية فردان في بيروت

قبل أن نشير الى الاهداف التي اراد الفدائيون تحقيقها من وراء هذه العملية بحسب رأي الاسرائيليين ، لا بد أن نذكر ان الخسائر التي سببها العدو قد وصلت ، حسب ادعائه ، الى ١١ قتيلاً ونحو ٢٠ جريحاً . ومن بين القتلى ثلاثة جنود ، اقدمهم العقيد عوزي يثري ، وهو أحد كبار ضباط الاستخبارات العسكرية ، و٨ مدنيين ، منهم ٧ من الخارج (داغار ، ٧٥/٣/٨) . ويتضح من مقابلة اجريت مع العقيد يثري ، قبل مقتله ، ونشرت بعد وفاته (حوثام ، ٧٥/٣/١٤) ، ان يثري كان الضابط الذي قاد العملية الاسرائيلية

ولا بد لنا ونحن بصدد الكلام عن السياحة وتأثير العملية عليها ، ان نشير الى ان السياحة في اسرائيل تواجه خلال الفترة الاخيرة صعوبات كثيرة ، أهمها قلة عدد السواح الى اسرائيل ، وذلك — باعتبار اسرائيليين أنفسهم — لان حالة الامن لا تشجع على هذا . ولهذا جاءت عملية مسافوي لتزيد من خطورة المشكلة . وذكر مؤخرا ان احدى الفرق المسرحية النمسوية ، التي كان من المقرر أن تبدأ بعرض حفلاتها في اسرائيل بعد اسبوع ، الفت رحلتها هذه بسبب مخاوف بعض أفرادها من الوضع الامني في البلاد ، إذ أعلن مدير الفرقة ان المعلومات التي وصلت اليهم تشير الى « ان هناك خطرا دائما في اسرائيل نتيجة لعمليات « التخريب » » (المصدر نفسه ، ٧٥/٣/١٢) .

اطلاق النار في فندق مسافوي يسمع في مباني الاركان العامة للجيش الاسرائيلي

من الجدير بالذكر هنا ان اطلاق النار مع بداية العملية في فندق مسافوي ، الواقع على شاطئ تل ابيب ، سمح في الابنية التي تشغلها الاركان العامة للجيش الاسرائيلي في منطقة هاكرياه ، القريبة من الفندق . ومن الجدير بالذكر ايضا أن فندق مسافوي « المتواضع » كان خلال فترة معينة ، أيام الانتداب ، مقرا للزعيم الازهابي مناحم بيغن ، عندما كان يتولى قيادة عمليات اتسل (الارفون) الازهابية ضد العرب والبريطانيين ، قبيل اقامة اسرائيل .

بعد سماع اطلاق النار في الاركان العامة ، اتجه اليها وزير الدفاع ورئيس الاركان ورئيس الاستخبارات العسكرية ورئيس شعبة العمليات وعدد من كبار الضباط الاسرائيليين . كما حضر الى هناك رئيس الحكومة يتسحاق رابين ، مبديا رايه في « انه يجب العمل بسرعة ، قبيل ان يسود الانطباع في العالم انهم يسيطرون في تل ابيب » . واما بريس فقد قال : « يجب العمل في الليل ، تحت جنح الظلام ، حتى نستطيع التقدم دون التسبب بخسائر زائدة لدى الرهائن » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٩) . وتجدر الاشارة هنا الى ان رابين وبريس وغور اتخذوا سوية القرار باقتحام الفندق .

تتف من وراء هذه العملية ، والى حد ما الكرملين ايضا . « وليس من المستبعد ان اختيار تل ابيب كهدف واعتراف م.ت.ف. بالعملية جاء من أجل جر اسرائيل الى رد فعل عنيف ضد لبنان او ضد اهداف فلسطينية في هذا البلد ، وربما ينتظر السوريون ، وبتشجيع من الروس ، رد فعل اسرائيلي واسع بواسطة سلاح الجو ، او شيئا مشابها ، لاجاد مبرر لارسال قوات الى جنوب لبنان والتسبب في اشتعال الوضع ، مما قد يؤدي الى القضاء على امكانيات التسوية المنفردة بين اسرائيل ومصر » (هارتس ، ٧٥/٣/٧) .

هذا بالنسبة للاهداف التي اراد الفدائيون تحقيقها على المدى القصير ، اما الاهداف الرئيسية — للهدى الطويل — فنحصر في توجيه ضربة لاكبر مركز سكاني في اسرائيل ، وهو مركز اعصابها ، وذلك للاسراع في انهيار قوة صمودها النفسي . « كما ان هذه العملية الازهابية لم تكن معدة فقط لاستطاش الشهداء . ولا شك انها مخططة لاثارة الاسرائيليين ودفعهم الى ردود فعل عاطفية غير مدروسة ، وفقدان توازنهم ، بحيث تهز — حسب العقول المخططة لدى م.ت.ف. — توازن الدولة اليهودية » (داغار ، ٧٥/٣/٩) .

كما أشار البعض ، من ناحية ثانية ، الى وجود هدف اخر اراد الفدائيون تحقيقه من وراء قيامهم بتلك العملية ، الا وهو ضرب السياحة في اسرائيل ، « فالتوقيت الذي حدد عشية عيد الفصح ، يثبت النية بضرب السياح وحركة السياحة في اسرائيل » (معارف ، ٧٥/٣/٩) . كما أبدى رئيس بلدية تل ابيب ، شلومو لاهط رايه في أن العملية كانت موجبة لردع السياح من القدوم الى اسرائيل بمناسبة عيد الفصح . وقد اجتمع اعضاء مجلس البلدية الى وزير الدفاع للتباحث معه في مسألة استخدام مزيد من السياح الى اسرائيل ، والعمل على ابلاغهم بان الحماية مؤمنة لهم هناك . كما قام وزير السياحة موشي كول ، بتوجيه نداء الى يهود العالم بتعزيز الزيارات اليها . كما وجه نداء الى زعماء الجاليات المسيحية في العالم مطالبا اياهم بعدم التسامح مع الازهاب والقدوم لزيارة اسرائيل والاعراب عن استنكارهم لمثل هذه العمليات البشعة » (را ، ٧٥/٣/٨) .

ردود الفعل الشعبية والصحافية

ادت عملية سافوي الى ردود فعل متفاوتة ومختلفة لدى الكثيرين من رجال الفكر والصحافيين وضباط الاحتياط الاسرائيليين ، وقد تفاوتت ردود الفعل هذه بين المهاجة العنيفة للوسائل التي تنتهجها السلطات ضد الفدائيين وعدم فعاليتها، وبين الانتقاد العنيف لعدم وضوح سياسة الحكومة فيما يتعلق بالتفاوض مع الفدائيين في حال احتجازهم لرهائن . كما انتقد البعض المسؤولين الاسرائيليين بشدة لعدم استخلاصهم العبر والدروس الضرورية بعد حدوث كل عملية فدائية، بحيث انحصرت ردود فعلهم في الرد على ما يتمله الفدائيون فقط ، بعد ان انتقلت المبادرة من ايديهم الى ايدي الفدائيين .

لوحظ ان عملية سافوي اثارت نقاشا واضحا — وانتقادات عنيفة — حول موقف الحكومة الاسرائيلية فيما يتعلق بالتفاوض مع الفدائيين ، او عدمه ، في حال احتجازهم لرهائن . وأشار العديدون الى أنهم لا يعرفون سياسة حكومية واضحة بهذا الشأن ، وكل ما يبدو لهم هو ان هناك تناقضات في تصريحات المسؤولين ، فمنهم من يقول انه لا يوجد هناك قرار بعدم التفاوض مع الفدائيين ، ويقف على رأس هؤلاء وزير الشرطة شموه هيلل ، بينما هناك من يدعي وجود قرارات تقضي بعدم التفاوض مع الفدائيين مطلقا ، مما يسبب حيرة وارتباك لدى المواطنين .

يبدو ، استنادا الى مواقف اسرائيل ، خلال العمليات الفدائية السابقة ، ان السلطات الاسرائيلية لا تحبذ التفاوض مع الفدائيين عند احتجازهم لرهائن وانما تسمى النسي -مماطلقهم وايهامهم بأنها تتفاوضهم ، من أجل كسب الوقت . وقد عاد العميد شلومو غازيت ، رئيس الاستخبارات العسكرية وأكد هذا الموقف بقوله : « لم نجر فعليا مفاوضات مع المخربين وانما حوار . اقترحا الاستسلام دون شروط ، وكل ما اردنا معرفته كان عدد المخربين الموجودين وبكم رهينة يحتفظون ... ان اسرائيل لا تؤمن بمفاوضات الابتزاز . اليوم يطلبون عشرة مخربين وغدا مائة . وبعد غد سيطلبون اطلاق كل ابيبي مقابل عشر رهائن . ليس للامر نهاية ولن نجر الى ذلك » (معارف ، ٧/٣/٧٥) . كذلك عاد رئيس الحكومة رايبن وأكد

وفي أعقاب العملية ، قام رايبن بمعدت جلسة استثنائية للحكومة ، قدمت خلالها تقارير منه ومن وزير الدفاع ورئيس الأركان من العملية . وبعد الجلسة أصدرت الحكومة بيانا جاء فيه : « تثبت العملية الاجرامية لرجال فتح في تل ابيب مرة اخرى الاهداف والاساليب الدموية للمنظمات الارهاب ، وتؤكد ضرورة مواصلة النضال ضد تلك المنظمات ، حيثما تصل ايدينا اليهم ... وبلاضافة الى اسلوب الارهاب ، بما في ذلك قتل الرهائن ، جاءت العملية الدموية من قبل المخربين في هذا الوقت لهدف سياسي — لاحتباط كل امكانية للتقدم نحو تسوية سياسية عن طريق المفاوضات . ان النشاط الارهابي لن يردع مواطني اسرائيل ولن يحرف حكومتها عن سياستها التي تشمل الدفاع عن مواطنيها ، وبذل الجهود السياسية للتقدم نحو السلام » (هآرتس ، ٧/٣/٧٥) .

كذلك ملق وزير المواصلات ، جاد يعقوبي ، على العملية بقوله : « يجب ان يعرف كل مخرب يصل الى هنا انه لن يخرج حيا . وان هذه الاعمال لن تعرقل حياتنا » (هآرتس ، ٧/٣/٧٥) . ومن جهة ثانية اشتكى زعيم الكتلة اليميني (ليكود) مناحم بيغن من عدم ضرب منظمات الفدائيين وتواعدهم وتقياداتهم حتى الآن ، موضحا : « انه لا يقصد العمليات الانتقامية ، وانما اجراءات غير منقطعة ضد منظمات القتل ، التي حين وضع نهاية لنشاطهم الاجرامي » (هآرتس ، ١٢/٣/٧٥) . وهاجم النائب مئير ياعيل العملية بقوله « انه يجب عدم السماح للمخربين بلنضم التسوية السياسية ، وعدم الاستسلام لشروطهم ... كذلك يجب الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني » . واما النائب مئير فيلنر (راكاح) فقد ندد هو أيضا بالعملية ، ولكنه طالب بالموافقة على عقد مؤتمر جنيف لتحقيق السلام والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وحمل الحكومة الاسرائيلية مسؤولية هذه العمليات (المصدر نفسه) . ومن الجدير بالاشارة هنا ان رئاسة الكنيست قررت حذف احوال فيلنر هذه من تصويت مجلس الكنيست الرسمي ، بسبب « لهجتها التحريضية » .

يجب اتباع سياسة العين بالعين والسن بالسن .
 وعلق الجنرال (المتقاعد) أبراهام يافيه ،
 « زعيم » ما يسمى حركة العمل من أجل أرض
 اسرائيل الكاملة ، على العملية بقوله : « يبدو ان
 ما حدث في تل ابيب سيعيدنا الى الواقع : عدم
 الانسحاب ، وعدم الجلاء [من المناطق المحتلة] ،
 وان نجهز قبضتنا وننتصب مثل شوك القنفذ «
 (من مقابلة مع معاريف ، ٧/٢/٧٥) .
 والحاخام مئير كهانا ، زعيم عصابة الدفاع اليهودية
 فقد حبل حكومة اسرائيل جزءا من المسؤولية
 حول ما حدث ، وعاد الى المطالبة باستخدام
 الارهاب المضاد ضد المدنيين العرب في المواسم
 العربية . وبحسب اقواله ، يجب على حكومة
 اسرائيل اقامة هيئة يهودية ، تكون مهمتها احباط
 الارهاب العربي والانتقام من عمليات الارهاب
 المضادة لليهود . واضاف : « على اسرائيل ان
 تدرب وتمول هذه الهيئة ، ولكن مع هذا ، يجب
 ان تنكر كل علاقة معها » . واعلن كهانا ايضا
 « ان عصابة الدفاع اليهودية تنوي القيام باعمال
 عنف ضد الدكتور كيسنجر ، لانه ينوي اجبار
 اسرائيل على الانسحاب من سيناء وتسليمها
 للمصريين » (يديعوت اchronوت ، ٧/٢/٧٥) .

اسرائيل « عاجزة » عن اغلاق حدودها امام الغدائين

من أهم النتائج التي ترتبت عليها عملية سافوي
 في تل ابيب ، اعتراف المسؤولين الاسرائيليين ،
 وغيرهم بانه لا يمكن اغلاق اسرائيل امام هجمات
 الغدائين ، « حتى ولو تم اتخاذ كافة الوسائل
 الموجودة في العالم » ، وذلك بالرغم من ادهاء
 الاسرائيليين بان سواحلهم محمية جيدا وان جيشهم
 وحرصهم المدني على اهبية الاستعداد . ومما يلفت
 الانتباه ادعاء الاسرائيليين انهم كانوا يتوقعون
 حدوث مثل هذه العملية ، خاصة في موعد زيارة
 كيسنجر للمنطقة ، ولكن رغم هذا استطاع
 الغدائيون تنفيذ العملية التي خططوا لها .

واتهم احد الملقين المسؤولين الاسرائيليين ايضا
 بانهم لم يقوموا بالحد الامتص من الجهد المطلوب
 للقضاء على هذه العمليات ، رغم ان عملية تل
 ابيب تشذ — بحسب رأيهم — عن نظرية « العمليات
 التي لا يمكن منعها » ، « فقد كانت هذه العملية

مرة اخرى : « ان نتفاوض مع المخربين بأي حال
 من الاحوال ، سنقابلهم غقط في ساحة القتال «
 (هآرتس ، ٧/٢/٧٥) . وكان ديان قد القى
 محاضرة في جامعة بار ايلان ، تطرق فيها الى
 العملية الغدائية بقوله : « انه يجب في كل
 مفاوضات تجري مع المخربين ، ان يكون الهدف
 ربح الوقت للعمل ضدهم » (دانار ، ٩/٢/٧٥) .
 واجه موقف الحكومة هذا ، واجتماعها عن
 اعلان سياستها على الملا بشأن التفاوض مع
 الغدائين او عدمه حملة انتقادات من قبل بعض
 الصحافيين الاسرائيليين ، واعتبر البعض (بوغر
 عفرون — يديعوت اchronوت ، ١١/٢/٧٥) ان هذه
 المسألة مسألة شخصية تهم كل فرد لان « كل
 واحد منا رهينة محتملة . ومن الافضل ان نعرف
 سلفا اننا اذا وقعنا في مصيدة المخربين ، غربا
 ستفضل الدولة المخاطرة بموتنا على الاستسلام
 لمطالبهم . ولكن هل يحق للدولة ان تتخذ قرارا
 مصيريا بهذا القدر دون اجراء نقاش جماهيري
 ودون الاعلان المبني عن ذلك ؟ » . واضاف ان
 هذا الموقف خطير لانه اذا كان هناك قرار كهذا —
 فيجب الافصاح عنه ، لتجنب الوقوع في مأزق يمكن
 ان تحدث في المستقبل ، عندما تواجه شخصيات
 كبيرة في الدولة مثل هذا الوضع ، ويضطرون للقول
 « اننا لم نتخذ قط مثل هذا القرار » . واذا
 فرضنا ، مثلا ، انه « تم أسر رئيس الدولة او
 الحاخام الرئيسي بأيدي المخربين لاستخدامهم
 كرهائن ، فلن تنحرف الدولة عندئذ عن الخط
 الذي انتهجته بالنسبة لاولاد معلوت او ضيوف
 سافوي ؟ » (المصدر نفسه) .

وكان من نتيجة عملية سافوي ايضا ان قام
 بعض كبار ضباط الاحتياط (يوحاي بن نون ،
 قائد سلاح البحرية سابقا ، ومئير زورباغ ، قائد
 شعبة العمليات سابقا) وبعض نساء الجنرالات
 (نحاماد ياريف ، زوجة وزير الاعلام السابق
 اهارون ياريف ، وشوشانا حوريف ، زوجة
 الجنرال عاموس حوريف) وبعض المحامين
 والشخصيات ، بنشر اعلان في الصحف جاء فيه :
 « طالما لم تنجم هناك ضرورة للحرس المدني في
 القاهرة وبيروت ودمشق — فان الحرس المدني لن
 يكفي في تل ابيب وحيفا والقدس » (يديعوت
 اchronوت ، ٧/٢/٧٥) . ويفهم من الاعلان انه

الهدف . وليس من الجالب فيه القول انه لو كان في المنطقة ٣ - ٤ اشخاص من الذين يجيدون اطلاق النار ، فان غالبية المخربين ما كانت لتصل الى الفندق « (المصدر نفسه) .

وأشارت دوائر اخرى ايضا الى ان الهجوم على فندق سانفوي ليس مرحلة جديدة وليس نهاية الخلفاء في « الارهاب » العربي ضد اسرائيل ، وان التجديد فيه هو « التخطيط المتقن » . فقد سبق العملية جمع المعلومات حول الهدف وطرق الوصول اليه . ولهذا ينبغي ان يتولى محاربة « الارهاب » أشخاص كثيرون سواء في الوسائل الوقائية أو في العمليات الهجومية ضد الفدائيين ، وكذلك المبادرة الى ضربات متواصلة ضد مراكز الفدائيين (يعقوب كروز - يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٩) .

ومن القضايا التي اثارت ردود فعل عنيفة لدى بعض الاوساط الاسرائيلية ، اثر هذه العملية ، اكتشاف ان خدمات الانقاذ التي يتولاها الدفاع المدني وكذلك المطافئ وغيرها من الاجهزة ، كانت شائبة وعاجزة ، ولم تستطع تأدية دورها في مثل هذه الحادثة البسيطة نسبيا ، اذا ما قورنت بعمليات اصحح . وتساءل البعض : « ماذا يعني هذا الهجوم بالنسبة لهجمات ضخمة في آن واحد بالصواريخ والقصف من الجو ، الذي يمكن ان يحدث حسب اقوال زعماء الدولة والجيش في الحرب القادمة ؟ ... هناك اربعة مجالات شائبة يمكن ذكرها في طريقة عمل السلطات التي اهتمت بالعملية : الانقاذ والمعلومات والاعلام والسيطرة على الجمهور » (عوزي بنجيمان - هارتس ، ١٩٧٥/٣/١٠) .

وطالب آخرون باستخلاص العبر من هذه العملية مع الاخذ بالحسبان انه لا يمكن اغلاق الحدود بصورة مطلقة . وكذلك عدم الاستخفاف بمثل هذه العملية ، لان ضخماتها لا تسمح بذلك . « يحظر الاستهانة بهذه العملية ، فهي تتطلب من المخططين والتنفيذيين اعدادا دقيقة ابتداء من جمع المعلومات واعداد السفن والتدريب وتجديد خط الابصار والتبويه وانتهاء باتخاذ وسائل امن ميدانية مثل منع تسريب مسبق حول العملية » (المراسل العسكري لصحيفة يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٩) .

من النوع الذي تم التخطيط والاعداد له بعناية خلال اشهر كثيرة . وقد تم اختيار الهدف وخطط السير والتوقيت بعناية ايضا » . وطرح البعض اسئلة عديدة حول هذه العملية : لماذا لم تكن هناك معلومات ، او على الاقل لم يتوقع امكانية حدوث عملية من البحر ضد تل ابيب قبيل زيارة كيسينجر ؟ لماذا لم يتم اكتشاف السفينة الام وقسوارب الكوماندو عندما كانت في طريقها الى الهدف ؟ واذا لم يتم اكتشافها قبل فوات الاوان ، فلماذا لم يكن هناك استعداد من قبل قوات الامن للتحرك السريع من اجل احباط النية في السيطرة على الفندق ؟ وبعد ان سيطروا على المبنى - لماذا مرت فترة طويلة (هناك من يقول ٢٠ - ٦٠ دقيقة) حتى اتضح اي مبنى قد سيطروا عليه ؟ وأين كان الحرس المدني ، الذي يفتخر بوجود ٦٠ ألف متطوع فيه ، ويتجول افراده « مثل الذئباب » هنا وهناك ؟ (يوئيل ماركوس - هارتس ، ١٩٧٥/٣/١٠) .

وانتقد المعلق نفسه اسلوب عمل السلطات في مواجهة هذه العمليات مشيرا الى ان تلك السلطات لا تصبح « ذكية ومجربة » الا بعد « المرة الاولى » من تنفيذ العملية ، ولكنها ما تلبث ان تكتشف ان الفدائيين يغيرون ، في كل مرة ، نوع واسلوب عملهم ، مما يجعله دائما بمثابة « المرة الاولى » بالنسبة للاسرائيليين . والامثلة ؟ - اغلقنا غور الاردن ، فعملوا من الحدود الشمالية . اغلقنا الحدود الشمالية ، فاطلقوا الكاتيوشا المتقلة . اتبعنا الدوريات ، فجلبوا السيارات المغمومة . اتبعنا فحصى السيارات على الطرق من المناطق المحظية ، فخلفوا الطائرات . حمينا خطوط الطيران ، فهاجموا مفاوضات اسرائيل في الخارج . وأشار الكاتب ايضا الى انه كان على اسرائيل ان تتوقع حدوث عمليات من البحر ، على الشواطئ المستوطنة بكثافة ، وخاصة المدن على امتداد الساحل ، واضاف انه « كان يجب على شبكة الرادار ان تكتشف السفن قبل قوات الاوان . وفي حال عدم اكتشافهم كان يجب ان يكون على امتداد الساحل ايضا جهاز اذار فعال ، وكان يجب ان تكون هناك قوات تستطيع ان تصيب غالبية المخربين لدى انتقالهم من القارب الى

اسرائيل وحتى في المناطق ، اذ تخلق بصورة دائمة ، التوتر والحساسية في كل لقاء يهودي - عربي . وضرورة منع هذه العمليات التخريبية واعتقال منفذيها يعرقل روتين الحياة ، بينما تزيد نتائجها من العداوة والمرارة » (المصدر نفسه) .

ولم يخف بعض الملحقين الاسرائيليين مخاوفهم وقتلهم من تصاعد النشاط الفدائي ، وخاصة من انتقال المبادرة الى ايدي الفدائيين . « ان الحرب العنيفة بين اسرائيل والمخربين تتم كلها (وهنا اؤكد : كلها) منذ اشهر عديدة بمبادرة منظمات التخريب . وان اسرائيل بجيشها المتفوق وسلاحها المتطور واستخباراتها المجرية تقوم فقط برد الفعل وتكتفي بالدفاع عن النفس واغلاق « الثقب » (زئيف شيف - هارتس ، ٧٥/٣/١١) . والحقيقة هي ان « هذه الحرب الصغيرة قد سببت لاسرائيل اضرارا كبيرة جدا . واذا توقفنا لحظة وفكرنا فيها حدث خلال السنتين الاخيرتين ، فنستأكد انها غيرت الكثير من اسلوب حياتنا ، وبسببها بالذات تحولنا الى شعب محاصر . وبدلا من ان نقوم نحن بمطاردة الفدائيين ، نحيط انفسنا بحزام من الفولاذ . ان ملايين ساعات العمل تذهب سدى في الحراسة ، المشوك بجذواها ، من قبل الامهات والاباء ... للمدارس ولرياض الاطفال . وقد نجح المخربون بهذه العمليات ، في دفع جهاز كبير من رجال الدفاع المدني الى الاهتمام بهذا الموضوع ، بينما يتمتع اولادنا وشبابنا عن التفرد في كل مكان من هذا البلاد الجليل ، وبصورة اقل مما حدث خلال فترة نشاط الفدائيين في الخمسينات . وقد اضررت هذه الحرب كثيرا في حركة السياح » (المصدر نفسه) .

أما الحل لهذه الحرب - كما يراه احدهم - فينبغي ان يتركز على قيام القيادة الاسرائيلية بتقديم اقتراح حل سياسي للفلسطينيين يشكل ايضا بديلا ومخرجا من الحرب من اجل اولئك الذين لا يريدونها لديهم . ومن جهة ثانية ، على اسرائيل شن حرب ابادة متواصلة ، اذا لم يقبل الفدائيون المخسرج السياسي . كذلك ينبغي ان يصبح الفدائيون المسجناء في اسرائيل ، رهائن بايدي اسرائيل ، تقوم بقتلهم عند قتل الرهائن الاسرائيلية (المصدر نفسه) .

حمدان بدر

العمل الفدائي - الجبهة العسكرية الوحيدة ضد اسرائيل

لاحظت بعض الدوائر الاسرائيلية ازدياد العمليات الفدائية في اسرائيل خلال الالونة الاخيرة ، وحذرت من تفاقم الوضع ومن تحول اسرائيل بأسرها الى جبهة قتال . وذكر ، على سبيل المثال ، ان العمليات الفدائية في اسرائيل قد ازدادت خلال شهر شباط بشكل ملحوظ مقابل الشهر الذي سبقه ، فخلال ٢٨ يوما وقعت ١٧ عملية داخل الخط الاخضر ، مقابل ٥ عمليات في شهر كانون الثاني . وبالإضافة الى العمليات داخل اسرائيل ، نفذت ٦ عمليات في الضفة الغربية واثنان في غزة وواحدة على الحدود اللبنانية (يدعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٥) . كما اشار البعض الى التحسن الذي طرأ على اساليب الفدائيين القتالية بقولهم انه « من الأفضل الان نخفي رأسنا في الرمل ، كما فعل النعام » ، وان نرى الامور على حقيقتها . فقد طرأ تحسن لدى منظمات التخريب ، ومع انه بطيء لكنه مستمر ، في مستوى وسائل القتال - وخاصة الدافع لذلك . فالرجال مستعدون اليوم للمخاطرة اكثر ... وتتجسد هنا الحقيقة المرة ... كسل البلاد - جبهة » (ايتان هابر - المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٣/٧) .

وأشارت دوائر اخرى ايضا الى « انه مقابل السنة التي سبقت حرب يوم الغفران يعتبر هذا [النشاط] بمثابة [ارتفاع خطير . كما تغير شيء ما في طابع العمليات التخريبية ... ان المجموعات داخل المناطق المحتفظ بها هي التي تقوم بتحضير وتركيب المواد المتفجرة باستعمال المواد الكيميائية المختلفة ... ويظهر انه كلما تم اعتقال مجموعة تنظمت مكانها مجموعة اخرى ... وحدث ان تم اكتشاف مجموعة امضت في السجن عدة سنوات ، وعندما اطلق سراحها عادت وتنظمت مرة اخرى ، ونجحت هذه المرة بتنفيذ عمليات تخريبية » (داني روبينشتاين - داغار ، ١٩٧٥/٣/٤) . « من المثير ان العمليات التخريبية من داخل المناطق في دولة اسرائيل هي الان الجبهة العسكرية الفعالة الوحيدة في الكفاح العربي ... والحوادث الوحيدة هي العمليات التخريبية في الداخل ، الاخذة في الزيادة ، وهذه العمليات تثقل على الحياة في

اسرائيل مسؤولة فشل الجهود ، وفي وقت اعلنت فيه واشنطن - الحليف الوحيد لاسرائيل في العالم القادر على اجبارها على الانسحاب) عن نيتها لاجراء تغيير في سياستها وعلاقتها بدول منطقة الشرق الاوسط ، وفي وقت تفهم فيه العالم حقيقة الصراع وادرك ابعاد التحرك العربي وحق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه . في حين تلمس من الناحية الاخرى التصلب في الموقف الاسرائيلي وخطورته على السلام في المنطقة . وفي وقت ابدت فيه اوروبا الغربية وبالذات دول السوق الاوروبية، تفهما للضحايا العربية ، واستعدادها لفتح حوار مع المجموعة العربية لتبادل المنافع المشتركة .

إذا لم يكن القرار مجرد قرار عابر تتخذه مصر لفتح القناة ، فان له دلالاته وابعاده السياسية التي يقصد بها تشديد الخناق على اسرائيل تمهيدا لعزلها حتى عن اقرب المقربين اليها . وعندما اقدمت مصر على تبني هذه الخطوة كانت تعي ابعادها الحقيقية ، وتدرك الفوائد السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ستجنيها من خلال ذلك . فالقناة لا تمثل فقط الشريان المائي الرئيسي الذي يربط اوروبا الغربية والاتحاد السوفيتي بافريقيا والخليج العربي والهند والشرق الاقصى واستراليا ، بل تعتبر ايضا عصب الاقتصاد المصري حيث يتوقع ان تؤمن لمصر دخلا سنويا ثابتا يقدر بـ (٦٠٠) مليون دولار اي نحو ثلاثة اضعاف ما كان عليه في عام ١٩٦٦ قبل اغلاقها . ان مصر لا تعول كثيرا من الناحية العسكرية على فتح القناة وان كسنت اهميتها الاستراتيجية لا تنكر ذلك لانها وضعت حساباتها وبنيت قوتها العسكرية الذاتية وخاضت معركة العبور بدونها واثبتت للعالم انه بإمكانها حاضرا ومستقبلا ان تخوض حربها بدون فتح القناة . صحيح ان فتحها سيحسن موقفها العسكري ويعزز نفوذها في البحر الاحمر ، غير ان هذا الاعتبار لم يكن السبب المباشر وراء فتحها ، ان وراء القرار دوافع سياسية واقتصادية رأت مصر ان الوقت قد حان لاستغلالها لمنفعة الدول ذات المصلحة المباشرة من فتحها . ان الخبراء في العالم يدركون ان المكاسب السياسية والاقتصادية التي ستجنيها مصر والمجموعة العربية من وراء فتح

كان من أبرز تطورات الشهر الماضي خطاب الرئيس السادات الذي اعلن فيه ان القناة ستفتح للملاحة الدولية في ١٩٧٥/٦/٥ وهي الذكرى التاسعة لحرب حزيران ١٩٦٧ واغلاق القناة . وتعتبر قناة السويس للشريان المائي الذي يربط دول اوروبا الغربية والشرقية والاتحاد السوفيتي بدول افريقيا الغربية ودول الخليج العربي الغنية بالنفط ، وشبه القناة الهندية والشرق الاقصى ، واليابان واستراليا . لذلك فان هذا الحدث هو مثار اهتمام عدد كبير من الدول بالنظر الى اهمية القناة التي تعطي دول العالم مزايا لا يمكن انكارها . وستتناول هنا هذا الموضوع بهدف استطلاع تأثير فتح القناة على الصراع .

اعلن الرئيس السادات في الخطاب الذي القاه مساء يوم ١٩٧٥/٢/٢٩ في مجلس الشعب ان مصر ستعيد فتح قناة السويس في الخامس من حزيران ١٩٧٥ . ومما قاله بهذا الصدد « ان البعض قد يتوقع ان تبقى القناة مغلقة ، لكننا سنفعل العكس تماما . ان قرارنا هو فتح قناة السويس للملاحة البحرية في الموعد الذي كنا قد حددناه لفتحها وهو حزيران (يونيو) المقبل . سنفتح قناة السويس لخير شعبنا ولخير العالم لاننا لا نريد لشعوب العالم التي تهتم بالقناة معبرا لتجارتها ان تتصور ان شعب مصر يريد عقابها لذنب لم تفتقره » . (النهار - ١٩٧٥/٣/٣٠) .

ويجيب هذا القرار التاريخي في اعقاب تجميد جهود الدكتور هنري كيسينجر وزير الخارجية الاميركية واتصالاته التي اجراها في كل من اسوان وتل ابيب والتي استغرقت ١٧ يوما كاملة من شهر اذار الماضي .

لقد نسر المراقبون هذه الخطوة من جانب مصر على انها دفعة جديدة نحو السلام . اذ ان الرئيس السادات سارع الى اتخاذ هذا القرار واعلنسه على العالم في اعقاب فشل جهود السلام في المنطقة والتي حملت اسرائيل كامل المسؤولية في فشلها ، وفي وقت تازمت فيه العلاقات بين الادارة الاميركية والكيان الصهيوني بعد الرسالة التي وجهها الرئيس الاميركي فورد الى اسحق رابين والتي حمل فيها

ان القيادة البحرية المصرية تدرك ان البحر الاحمر هو مجال نشاطاتها الحربية ومنطقة نفوذها ذلك لانها الاقوى بحريا من كافة الدول التي لها منافذ عليه ، حتى اسرائيل فلا يمكنها ان تجاري مصر في توتها ونفوذها البحري في هذا البحر . ان فتح القناة سيسمح للقيادة البحرية بتعزيز قوتها المرابطة في قواعدها في رأس غارب ، الفرطقة ، القصير ، بمزيد من المدمرات والغواصات والزوارق لاستخدامها في واجبات حربية . وهذا سيوسع مجال نشاطاتها في البحر الاحمر .

ان ازدياد نفوذ البحرية المصرية في البحر الاحمر يعني توسيع عملياتها ونشاطاتها الحربية ضد المواقع والاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل ، وسيتيح لمصر فرصة لتوجيه ضربات قوية لمسيرة القوات الاسرائيلية بوسائل مختلفة . لقد منعت مصر من ممارسة حقها في هذا البحر طيلة السنوات السبع الماضية ، فكان من المستحيل عليها ممارسة هذا الحق ذلك لان تعزيز او تبديل قطعها كان يتطلب وقتا طويلا ورحلة حول أفريقيا كلها .

لقد تمتعت القوات الاسرائيلية في سيناء بميزة استراتيجية طيلة السنوات التي تلت حرب حزيران حرتها من اعباء كثيرة وساعدتها على الصمود في وجه الهجمات المصرية . ان القاء نظرة على خريطة سيناء تبين بوضوح طبيعة اراضيها الصحيرية في الجنوب والصحراوية في الشمال ، ذلك ظلت مسيرة القوات الاسرائيلية وقواعدها في ابو رديس وابو محمد وشرم الشيخ آمنة وغير مهددة . اما الان فستختلف الاوضاع وسيكون بمقدور القوات المصرية بمساعدة من الاسطول تهديد مسيرة الجيش الاسرائيلي وقواعده في الجنوب مما سيضطر للقيادة الاسرائيلية الى نقل مزيد من القوات للمرابطة في هذه المواقع والقواعد . فينجم عن ذلك اضعاف للقوات الاسرائيلية المرابطة في الممرات الاستراتيجية في حين سيعزز ذلك من الموقف المصري في الشمال . ان هذا الوضع سيتيح للقيادة المصرية فرصة لتطبيق استراتيجية الهجوم غير المباشر بنجاح تام . ان النقطة الاضعف في جهاز الدفاع الاسرائيلي تكمن في الجنوب في شرم الشيخ وايلات ، لذلك فهذه الحقائق بالاضافة الى ضرورات المعركة القادمة تفرض على القيادة العسكرية المصرية تعزيز الاسطول المصري

القناة ستكون انفع واجدى في المدى البعيد من المكاسب العسكرية . غير انهم لا يخفون انه سيكون لفتح القناة في الظروف الراهنة فوائد عسكرية عديدة مستعكس على معركة تحرير سيناء وبالتالي على الحرب برمتها .

لقد حاولت اسرائيل في السنوات السابقة وبتشجيع من الولايات المتحدة استخدام مسألة اغلاق القناة ورقة رابحة وضاغطة على مصر لاجبارها على الاستسلام والتفريط بالقضية الفلسطينية تهييلا لعزلها عن الامة العربية لكن صلابة الموقفين المصري والعربي اغشلا هذا المخطط ان اسرائيل شعرت ان اليوم هو غير الامس فني حين خارت قواها ووهنت تعززت القوة العربية واصبحت اليوم اقوى منها بالامس . وانه مثلما استخدم النفط سلاحا في المعركة سيستفاد من القناة في المعركة .

اذما هي الفوائد التي يمكن ان تجنيها القضية العربية من وراء فتح القناة ؟

الجواب على هذا السؤال يمكن في الحقائق التالية :

١ - ان فتح القناة سيعزز موقف البحرية المصرية ، وسيترك للقيادة العسكرية في مصر حرية العمل في البحرين الاحمر والابيض المتوسط معا . لقد رابطت في البحر الاحمر طيلة السنوات السبع الماضية قوة بحرية مصرية صغيرة محدودة الاهداف القتالية وبقيت هذه القوة طيلة هذه المدة معزولة عن قواعدها الرئيسية لذلك ظلت غير قادرة على العمل ، وبهذا تقلص نفوذ مصر في البحر الاحمر . ان هذا الوضع لم يترك للقيادة المصرية البحرية القدرة على تحريك قطعاتها البحرية بالشكل الذي تتطلبه تطورات المعركة ، ومنعها ذلك من توزيعها في البحرين بما يتناسب والموقف العسكري . لذلك ظلت هذه القيادة بعيدة عن مسرح البحر الاحمر ، في حين تكدست مدمراتها وغواصاتها وزوارقها في ميناء الاسكندرية وظلت بلا واجبات ومهام ، ان حرية العمل في البحر الابيض المتوسط تظل عملية محفوفة بالخطر مع وجود قطع الاسطول الامركي السادس ، لذلك فان نشاطاتها في زمن الحرب تبقى محدودة وهذا ما اجبر الاسطول المصري في الحرب الاخيرة على اتباع الاستراتيجية الدفاعية .

« لقد مضى ذلك العهد الذي كانت فيه المسافات حائلا دون العدوان ، فالامن الآن يرتكز على مقدرة الردع ونحن نملك من قوة الردع ما يجعل عدونا يفكر مرتين وثلاث مرات قبل أن يرتكب أي حماقة» .

إذا ، الموقف المصري سليم وقوي ويسمح بالاستفادة من القناة بدون ما حاجة الى الخوف من ردة الفعل الاسرائيلية . وقد عبر كبير المعلقين العسكريين في صحيفة هآرتس عن هذا الموقف بقوله « ثمة امكانات حقيقية في رؤية مصر تنقل قنوات ومعدات عسكرية بكميات كبيرة الى الضفة الشرقية للقناة بعد اعادتها فتح القناة في ٥ حزيران المقبل» .

واستطرد قائلا « ان مصر قد تقدم في سهولة على هذه الخطوة بحجة انها لا تستطيع حماية القناة اذا لم تفعل ذلك » ثم قال « ان هناك رأيين في اسرائيل الاول يدعو الى مواجهة الوضع الجديد من دون أي تردد والقيام بهجوم ينتهي باحتلال الضفة الشرقية للقناة ، اما الرأي الثاني فانه يدعو اسرائيل الى القيام بانسحاب لمسافة خمسة كيلو مترات في سيناء » لقد خلص معلق هآرتس الى هذه التصورات وهي تصورات منطقية واثنية من وجهة النظر الاسرائيلية وتعبر عن رأي المغالبي العظيم في اسرائيل ، اما على الصعيد الرسمي فاعاد شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي الى الازهان « اننا موجودون في سيناء ليس لان اسرائيل اغلقت قناة السويس ، بل لان عبد الناصر اغلق مضائق تيران » ويشير هذا القول الى ان اسرائيل ان تخلت عن السويس فلن تتخلى عن شرم الشيخ .

٦ - ان فتح القناة يعني الرخاء والفائدة لدول المنطقة وتحديدا جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية المتضررة الاولى بعد مصر من اغلاق القناة . ان ذلك سينعش ميناء عدن ويدب الحياة فيه وبالتالي ينقذ الاقتصاد اليمني الجنوبي ويخرج هذا البلد من الضائقة المالية التي ينوء تحتها . ان تعزيز اقتصاد هذا القطر العربي الذي يسيطر على مدخل بساب المندب سيكون فيه كل الفائدة للقضية العربية وللصراع ضد العدو . ان تعزيز اوضاعه المالية بحصوله على العملات الصعبة لقاء الخدمات التي يقدمها في ميناء عدن للسفن الفاصدة اوروبا والشرق الاقصى واستراليا واليابان سيقضي له فرصة لشراء الاسلحة وبناء قواته على اسس حديثة

في البحر الاحمر . ان اسرائيل لمست خطورة ذلك لهذا ابدت تخوفها في الشهر الماضي من عبور مدمرتين مصريتين القناة في الاتجاهين وفسرت ذلك بأنه انتهاك لنص فك الارتباط واتهمت مصر بانها تستعد لعمل عسكري .

٢ - ان المعركة القادمة ستأخذ بعدا قوميا المشمل بما تحقق في الحرب الاخيرة . لذلك يمكن لمصر ان ارادت تعزيز موقفها العسكري العام الامادة من القواعد الحيوية والبحرية السعودية . ان زيادة نفوذها في منطقة البحر الاحمر سيؤمن خطوط مواصلاتها مع السعودية ويجعل امكانية نقل القوات والاسلحة والذخائر والامدادات والتعزيزات على اختلافها عملية آمنة . كما وانه سيؤمن تزويدها بمادة النفط الضرورية لآلة الحرب . ان هذا الواقع سيعزز الموقف العسكري السعودي وبالتالي يساعد على اشتراك القوات السعودية في المواجهة القادمة بغاطية كبر .

٣ - في حال حدوث تطورات جذرية في الاردن تجعله يدخل حربا قادمة فان فتح قناة السويس يوفر امكانية الاتصال ما بين الجبهة المصرية والجبهة الاردنية وبالتالي الجبهة السورية بحيث يفتح الباب واسعا امام قيام تنسيق اكثر التصاقا وتوصلا ما بين الجبهات الثلاث .

٤ - لقد عاشت مصر في السنوات التي اعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ تحت ثقل ضائقة مالية خانقة . لذلك يصبح فتح القناة ضروريا ليجعلها تتنفس الصعداء وتتنفس ماليا . اذ سيساعدها ذلك في شراء الاسلحة والمعدات الحربية نقدا وبالعملة الصعبة . وان دخل القناة سيؤمن لها فائضا من العملة الصعبة التي هي بأمر الحاجة اليها .

٥ - ان مجال تحرك مصر في البحر الاحمر اصبح موافيا الآن في اعقاب تقليص نفوذ وسيطرة سلاح الطيران الاسرائيلي في اجواء المنطقة ، في حين تستمر قدرات الاسلحة الجوية العربية وخاصة المصري في التصاعد . ان هذا الواقع سيشجع مصر على استغلال القناة والاستفادة منها في الاغراض الحربية مهما ترتب على ذلك من مخاطر . لقد قال الرئيس السادات « سنفتح القناة ونحن تادرون على حمايتها بقدرتنا نفسها على حماية مدن القناة التي تمنا ونقوم بتعميرها » ثم اضاف قائلا

الدول العربية .

٨ - لقد ظل الاتحاد السوفيتي صامتا طيلة هذه السنوات مع انه كسان من اكثر المتضررين استراتيجيا على كافة الاعددة . ان المر يعتبر ذا نائدة استراتيجية للاتحاد السوفياتي وان فتحه سيساعد على تعديل ميزان القوى في المحيط الهندي وسيسمح للسوفييت بتعزيز قطعهم البحرية المرابطة في المنطقة بدون ما حاجة للالتفاف حول الرجاء المصالح . كما وانه سيسمح لهم بالوصول الى شبه القارة الهندية بسهولة . وتعي الولايات المتحدة هذه الحقائق الامر الذي قد يضطرها الى اعادة النظر في سياستها الدولية بما في ذلك سياستها تجاه المنطقة العربية .

هذه هي الفوائد والمنافع التي ستجنيها مصر والدول العربية والصديقة من وراء فتح القناة التي بلا ادنى شك ستعين الاقتصاد المصري وتعزز موقع مصر العسكري ، اما بالنسبة لاسرائيل فهي غير متحمسة لفتح القناة فهي لن تفيدها شيئا فقد اعلنت مصر مرارا انها لن تسمح للسفن الاسرائيلية والسفن الاجنبية التي تحمل بضائع لاسرائيل او بضائع اسرائيلية بالمرور من القناة الا بعد انسحابها من الاراضي العربية واعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في ارضه .

الرائد الطيار حسين عويضة

ويجعله قادرا على الاسهام بالقتال متى اندلج بطريقة ايجابية .

٧ - ان فتح القناة سينفذ أوروبا الغربية ويخرجها من دوامة الازمات الاقتصادية وبالتالي يزيد العلاقات معها وثوقا . ان هذه الاوضاع ستساعد أوروبا الغربية على الصمود في وجه الضغوط الخارجية التي تمارس ضدها والتي تسعى الى ابقائها ضعيفة مفككة . لقد تضررت القارة الأوروبية كثيرا من اغلاق القناة فقطعت خطوطها البحرية السريعة التي تربطها بشرقي افريقيا وجنوب شرقي اسيا . كما انقطع عنها النفط فسبب لها ذلك مشاكل اقتصادية خطيرة . ان فتح القناة سيلقى ترحيبا من المجموعة الأوروبية واكبر دليل على ذلك ما قاله ناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية « ان الحكومة البريطانية ترحب بقرار الرئيس السادات اعادة فتح القناة في ه حزيران » . و اضاف هذا المصدر قائلا « ان القناة تتيح مزايا لا يمكن انكارها . اما في باريس فأعلن ناطق باسم قصر الاليزيه « ان الرئيس فاليري جيسكار ديستان يعتبر ان قرار السادات بشأن فتح القناة يظهر حكمة رجل الدولة ومسؤوليته » ان أوروبا الغربية بتأثير من فرنسا تنجيه الان لتوطيد علاقاتها بالعالم العربي ومهما قيل فسيكون للموقف الأوروبي تأثير على الصراع ودور تؤديه حتى ولو اقتصر ذلك على التأييد السياسي وشحنات الاسلحة التي تبد بها

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٢/١٣ - ١٩٧٥/٤/١٠

| الرقم | تاريخ العملية | المساحة | موقعها | نوع العملية | السلح | البشرية | خسائر العدو | خسائر المقاومة | المصدر : |
|-------|---------------|--------------------------------|-------------|-------------------|----------|--------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------|----------------|-----------------------|
| | | | | | الاستعمل | قتل جريح | الالدية | رقم | البلاغ العسكري تاريخه |
| ١ | ٢/١١ - ٢١٠٠ | طريق نابلس - جنين | مجوم | أسلحة رشاشة | الغمام | قتل جريح | عصاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها | ٢/١٤ | ٧٥/٨١ رقم |
| ٢ | ٢/٢٢ - ٢٢٠٠ | بين سيلة الطاهر والورازية/جنين | تفجير | الغمام | الغمام | تفجير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها | تفجير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها | ٢/١٤ | ٧٥/٨١ رقم |
| ٣ | ٢/٢٨ - | برقة/جنين | تفجير | الغمام | الغمام | تفجير سيارة فورية عسكرية وقتل وجرح من فيها | تفجير سيارة فورية عسكرية وقتل وجرح من فيها | ٢/١٤ | ٧٥/٨١ رقم |
| ٤ | ٢/١٢ - | بيت لحم | تفجير | مبوات ناسفة | الغمام | تفجير | اصابة مبنى بنك لثومى بأفراخ | ٢/١٨ | ٧٥/٨٢ رقم |
| ٥ | ٢/١٢ - | طمون/نابلس | القاء قنبلة | قنبلة يدوية | الغمام | تفجير | اصابة مبنى في ضلع | ٢/١٨ | ٧٥/٨٢ رقم |
| ٦ | ٢/١٧ - | تل ابيب | تفجير | فتوات ناسفة مؤقتة | الغمام | تفجير | الورق في شارع جبوري اسراقل واثت على جميع مختوياته من الالات والرادو الختام | ٢/١٨ | ٧٥/٨٢ رقم |
| ٧ | ٢/١٧ - ١٨٠٠ | تل ابيب | تفجير | مبوات ناسفة | الغمام | تفجير | اصابة مبنى أحد مكاتب المختبرات بأفراخ واغصان الثيران فيه | ٢/١٨ | ٧٥/٨٢ رقم |
| ٨ | ٢/١٦ - | منطقة بيت حنينا | تفجير | مبوات ناسفة | الغمام | تفجير | تم اكتشاف المبوات قرب معسكر لتدريب الجيش وأبطل بمقاولها | ٢/١٨ | ٧٥/٨٢ رقم |
| ٩ | ٢/٢١ - ٧٢٠ | القدس | تفجير | مبوات ناسفة | الغمام | تفجير | تدمر جميع الكورباء المركزي الوراق في حي الثورة بالقدس | ٢/٢٢ | ٧٥/٨٥ رقم |

| | | | | | | | | |
|------|-------|-----|-------|-----|-------|-----|------|----|
| ٣/٢٢ | ٧٥/٨٥ | رقم | ٧٥/٨٥ | رقم | ٧٥/٨٥ | رقم | ٣/٢٢ | ١٠ |
| ٣/٢٢ | ٧٥/٨٥ | رقم | ٧٥/٨٥ | رقم | ٧٥/٨٥ | رقم | ٣/٢٢ | ١١ |
| ٣/٢٢ | ٧٥/٨٧ | رقم | ٧٥/٨٧ | رقم | ٧٥/٨٧ | رقم | ٣/٢٢ | ١٢ |
| ٣/٢٢ | ٧٥/٨٩ | رقم | ٧٥/٨٩ | رقم | ٧٥/٨٩ | رقم | ٣/٢٢ | ١٣ |
| ٣/٢٢ | ٧٥/٨٩ | رقم | ٧٥/٨٩ | رقم | ٧٥/٨٩ | رقم | ٣/٢٢ | ١٤ |
| ٣/٢٢ | ٧٥/٨٩ | رقم | ٧٥/٨٩ | رقم | ٧٥/٨٩ | رقم | ٣/٢٢ | ١٥ |
| ٣/٢٨ | ٧٥/٩٠ | رقم | ٧٥/٩٠ | رقم | ٧٥/٩٠ | رقم | ٣/٢٨ | ١٦ |
| ٣/٢٨ | ٧٥/٩٠ | رقم | ٧٥/٩٠ | رقم | ٧٥/٩٠ | رقم | ٣/٢٨ | ١٧ |
| ٣/٢٨ | ٧٥/٩١ | رقم | ٧٥/٩١ | رقم | ٧٥/٩١ | رقم | ٣/٥ | ١٨ |
| ٣/٣٠ | ٧٥/٩٢ | رقم | ٧٥/٩٢ | رقم | ٧٥/٩٢ | رقم | ٣/٣٠ | ١٩ |
| ٣/٣٠ | ٧٥/٩٢ | رقم | ٧٥/٩٢ | رقم | ٧٥/٩٢ | رقم | ٣/٣٠ | ٢٠ |
| ٣/٣١ | ٧٥/٩٤ | رقم | ٧٥/٩٤ | رقم | ٧٥/٩٤ | رقم | ٣/٣١ | ٢١ |
| ٤/ ١ | ٧٥/٩٥ | رقم | ٧٥/٩٥ | رقم | ٧٥/٩٥ | رقم | ٣/٢٤ | ٢٢ |
| | | | | | | | | |

تل ابيبي (١)

جولون

مسخ

تل باروخ

التقس

على طريق ممسك

جولاس

التقس

بئر السبع

بين مسبخ وجسر

الجامع

اور يهودا/رمات غان

تل ابيبي

اريجا

| الرقم | تاريخ العملية اليوم | موقعها | نوع العملية | الاستعمال | خسائر العدو البشرية | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة البشرية | المصدر : البلاغ العسكري تاريخه |
|-------|------------------------|----------------------------|-------------|-----------------------------|------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------|-----------------------------------|
| ٢٣ | ٢/٢٧ - | منطقة الدوك/ شمال اريحا | مجوم | أسلحة مختلفة | غير محدد | اصابة عدد من اليات العدو | — | ٤/ ١ ٧٥/٩٥ رقم |
| ٢٤ | ٧/٢١ - | العفس | تجبر | عبوات ناسفة | غير محدد | تدمير سيارة عسكرية في شارع بن ميمون ونقل وجرح من فيها | — | ٤/ ١ ٧٥/٩٦ رقم |
| ٢٥ | ٧/٢١ - | الخليل | تجبر | عبوات ناسفة | غير محدد | اصابة مبنى البريد المركزي بأضرار بالغة | — | ٤/ ٢ ٧٥/٩٧ رقم |
| ٢٦ | ٧/٢١ - | دورا | مجوم | أسلحة رشاشة وتنازل يدوية | غير محدد | تدمير مبنى البريد في دورا | — | ٤/ ٢ ٧٥/٩٧ رقم |
| ٢٧ | ٤/ ٢ - | تل ابيب | تجبر | عبوات ناسفة | غير محدد | تدمير أجزاء كثيرة من نادي ماتدي الليلي | — | ٤/ ٣ ٧٥/٩٨ رقم |
| ٢٨ | ٤/ ٢ - | بيت اورتون (أ) | تجبر | عبوات ناسفة | غير محدد | اشغال التران في صهاريج الوقود الاحتياطية التابعة لاحد معسكرات دبابات ومخاضة العدو والمتادها الى المسكر ومخازن الذخيرة | — | ٤/ ٣ ٧٥/٩٩ رقم |
| ٢٩ | ٤/ ٤ - | معسكر كوداني/ جنوب عكا | تجبر | عبوات ناسفة | غير محدد | تدمير مستودع ذخيرة الدبابات ومقر قيادة اللواء الرابع (عاموس) واتلاف كميات كبيرة من المواد الخشبية لمبنى العطن والمبنى في المنطقة | — | ٤/ ٤ ٧٥/١٠٠ رقم |
| ٣٠ | ٤/ ٧ - | المغولة | تجبر | عبوات ناسفة | غير محدد | تدمير واقتال التران في مبنى المخبرات في المدينة | — | ٤/ ٧ ٧٥/١٠١ رقم |

| | | | | | | | | | | |
|------|--------|---|----------------------------------------------------------------------------------|----------|-------------|-------|-------------------------|------|------|----|
| ٤/ ٨ | ٧٥/١٠٢ | — | اصابة بعض اللشقات في المستوطنة | غير محدد | مزارع ثقبلة | تمف | جيش/جنوب بحيرة طبريا | — | ٤/ ٦ | ٢١ |
| ٤/ ٨ | ٧٥/١٠٣ | — | تم اكتشاف السموات وابال مفعولها | — | عبوات ناسفة | تفجير | القدس | ١٨٠٠ | ٤/ ٧ | ٢٢ |
| ٤/ ٩ | ٧٥/١٠٤ | — | الشمال النيران في مخزن تندق اكلدبا واعدادها | غير محدد | عبوات حارقة | تفجير | مريشليا | ١٩٠٠ | ٤/ ٨ | ٢٣ |
| ٤/ ٩ | ٧٥/١٠٤ | — | تم اكتشاف السموة في بنك لثومي وابطل مفعولها | — | عبوات ناسفة | تفجير | الخال | — | ٤/ ٨ | ٢٤ |
| ٤/ ٩ | ٧٥/١٠٤ | — | تم اكتشاف السموات في المنطقة الصناعية وابطل مفعولها | — | عبوات ناسفة | تفجير | القدس | ٧٠٠ | ٤/ ٩ | ٢٥ |
| ٤/١٠ | ٧٥/١٠٥ | — | اصابة بعض اللشقات والشمال النيران فيها | غير محدد | صواريخ | تمف | شمار ماجولان | — | ٧/ ٦ | ٢٦ |
| ٤/١٠ | ٧٥/١٠٦ | — | تدمر سيارة لاحد ضباط العدو في حي سنان هدرنا واصابة الباني والحلات الجاورة بإتشار | — | عبوات ناسفة | تفجير | القدس | — | ٤/١٠ | ٢٧ |

- ١ — اعترف العدو بأن حريقا شب في المصينة وان رجال الاطفاء حاولوا دون امتداد النيران الى مخزن مواد قابلة للاحتراق (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٨٣ ، من ٥٦٦ بتاريخ ٢٢/٢/١٩٧٥) .
- ٢ — اعترف العدو بأن الحريق كان بسبب افعال بعض العيان الذين لم يخذوا النار التي أشعلوها في الحريش بشكل جيد . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٩١ ، الصفحة ٥١ ، بتاريخ ٤/٤/١٩٧٥) .
- ٣ — أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بلاغا رقم ٧٥/٨٨ بتاريخ ٢٣/٢ حول محاولات العدو لاجتول منطقة كفرشوبا اللبنانية وتصدت قوات الثورة له كما أشر البيان الذي توجه الى تمف العدو لذلك المنطقة . وقد استشهد من جراء ذلك خمسة مناضلين .
- ٤ — امتثلت سلطات الاحتلال خلال شهر آذار الماضي بسبعة واربعمين مواطنا عربيا على اثر العمليات التي قام بها ثوارنا وقد ورد ذلك في تقرير مجمل العمليات لشهر آذار الذي يصدر عن الإعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .
- ٥ — القدس ورام الله ١٤ ، فلسطين المحطة عام ٤٨ (٣) ، الخليل ١٢ ، غزة ١٠ .
- ٦ — القدس ورام الله ١٤ ، فلسطين المحطة عام ٤٨ (٤) ، الخليل ١٢ ، غزة ١٠ .

ملاحظة : تضمن التصريحات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالمعلومات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١٣ - ١٩٧٥/٤/١٠

| الرقم | تاريخ العملية | المساحة | موقعها | نوع العملية | السلاح | خسائر العدو البشرية | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة | المصدر | تاريخه |
|-------|---------------|---------|-----------------|-------------|-------------|---------------------|-----------------------------------------------------|----------------|-------------------|--------|
| ١ | ٢/١٦ - | ١٤٠٠ | منطقة بيت حنينا | تفجير | عبوة ناسفة | ٠ | لم تقع أية اضرار | ٠ | ن. عدد ١٧٧٨ ص ٤٢٢ | ٢/١٧ |
| ٢ | ٢/٢١ - | ٦٢٠ | القدس | تفجير | عبوة ناسفة | ٢ | لم تقع أية اضرار | ٠ | ن. عدد ١٧٨٢ ص ٥١٠ | ٢/٢١ |
| ٣ | ١/٢٢ - | — | حوارون | تفجير | عبوات ناسفة | ٠ | وقع الانفجار في الطابق الثاني من مبنى سكني | ٠ | ن. عدد ١٧٨٣ ص ٥٧٣ | ٢/٢٢ |
| ٤ | ٢/٢١ - | — | جبل دوف | الفتيات | أسلحة رشاشة | ٠ | — | ٢ | ن. عدد ١٧٨٤ ص ١٢٤ | ٢/٢٤ |
| ٥ | ٢/٢٣ - | — | جبل دوف | الفتيات | أسلحة رشاشة | ٠ | — | ٢ | ن. عدد ١٧٨٤ ص ١٢٤ | ٢/٢٤ |
| ٦ | ٢/٢٨ - | ١١٢٠ | القدس | تفجير | عبوة ناسفة | ١٢ | اصابة باض بانفجار | ٠ | ن. عدد ١٧٨٥ ص ٢٢٩ | ٢/٢٩ |
| ٧ | ٢/٢٨ - | ١١٢٥ | القدس | تفجير | عبوة ناسفة | ٠ | اصابة دكان بانفجار | ٠ | ن. عدد ١٧٨٥ ص ٢٢٩ | ٢/٢٩ |
| ٨ | ٢/٢٣ - | — | القدس (أريحا) | — | — | ٠ | — | ٥ | ن. عدد ١٧٨٥ ص ٢٢٩ | ٢/٢٩ |
| ٩ | ٤/٩ - | — | القدس | تفجير | عبوة ناسفة | ٠ | تم اكتشاف العبوة في المنطقة الصناعية وابلغ مفروليها | ٠ | ن. عدد ١٧٩٠ ص ٤/٩ | ٤/٩ |
| ١٠ | ٤/٩ - | — | القدس | تفجير | عبوة ناسفة | ٠ | لم تقع أية اضرار | ٠ | ن. عدد ١٧٩٠ ص ١٨٨ | ٤/٩ |

١ - تم اعتقال خمسة فدائيين في مقبرة شمال المدينة .
 ٢ - نفرة رمدة اذاعية اسرائيلية تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

عصام سيخيني

١ - تأملات في الخلفية

القيادية - بحكم مواضعها الطبقية - تسعر الحدّ الطائفي للإنحراف بالوعي الطبقي والحسيس بالاضطهاد لدى الطبقات الفقيرة وتوجيهه نحو نزاع طائفي يحدّر النضال الطبقي ومن ثم يبقى الهرم الاجتماعي على حاله لا يمس . ان حرب الطوائف ، لا تعاشها ، هو أبرز عناوين الطائفية ، وهو الاطار القادر وحده على تجسيد النضال الاجتماعي وحبسه دون التفجر في وجه الطبقات الاستغلالية الاحتكارية في المجتمع التي أبرز رموزها الاطارات الطائفية العليا .

ان هذا الوضع مسؤول عن ان البرجوازية اللبنانية لم تحقق الانجازات التاريخية التي حققها البرجوازيات في المجتمعات الاخرى . فالاستقلال الوطني والوحدة في اطار الدولة القومية يعتبران (بالاضافة الى التصنيع) أبرز الانجازات التي تحققتا البرجوازيات الوطنية ، غير ان البرجوازية اللبنانية ان نجحت جزئيا في تحقيق الاستقلال الوطني بمظاهره العامة ، فقد فشلت في تحقيق الوحدة في اطار الدولة القومية (وحدة الشعب) ، وظل الانتماء الى هذه الوحدة ، والاحساس بها وممارستها غملا ، ادنى بدرجات من الولاء للطائفة .

ان ما سبق يتمثل كثيرا في الكتابات - الطائفية المنشأ والممارسة . وان تأكيد اطاراتها العليا وهي التي رشحت من شرائح البرجوازية الكبرادورية ، وادبياتها على تدعيم النظام الاقتصادي اللبناني (على الرغم من انه اقتصاد رأسمالي مهترء) ، والتعني بـ « التجريبية اللبنانية » يكشف طبيعة البنية الطبقية لهذه الاطارات . وتتأكد هذه الحقيقة بالممارسة في المواقف السلبية التي تنفها الكتابات عادة من النضالات المطالبة للجماهير اللبنانية . غير ان ثمة جانبا آخر تنفيه الكتابات في المسألة الطائفية غير منفصل عما سبق هو التركيز على « خصوصية » الوضع في لبنان ، بسبب وجود الطائفية فيه ، وتفرده عن اوضاع الوطن العربي . واذا وجدت

مذبحة الثالث عشر من نيسان التي ذهب ضحيتها نحو ثلاثين فلسطينيا ، بخلاف مئات القتلى والجرحى الذين افظوا الايام اللاحقة ، لا يمكن تفسيرها الا ضمن اكتشاف المكونات السياسية والاجتماعية - الاقتصادية التي اوصلت الى قيام مجموعة من حزب الكتائب بارتكاب هذه المذبحة التي ستظل أحد أبرز المعالم المناهضة في التاريخ الفلسطيني . فهذا الحد ، لا يجد له تبريرا في الاسباب المباشرة التي زعم انها كانت وراء الحادث ، وانما هو حصيلة تراث يشرش في البنية الاجتماعية - السياسية للحزب ونظراته الشاملة الى ، وبالتالي تعامله مع ، القضايا الاجتماعية والسياسية المطروحة ليس في لبنان فحسب وانما في المنطقة باجمال .

ان الاساس الذي اقيمت عليه بنية الحزب هو الطائفية . وبعيدا عن استرجاع مراحل النشوء فان الطائفية رافعا مرتبطة اشد الارتباط بالوضع الطبقي في لبنان . فالمكون الطبقي هنا بارز المعالم تفضحه النظرة الاستبرارية للاجزاب الطائفية في لبنان التي تكشف ان كوادرها العليا واطاراتها القيادية تسربت من شرائح البرجوازية العسكرية والكبرادورية التي هي في النتيجة المستفيدة الوحيدة من وجود الطائفية التي تركز هيمنتها الاجتماعية والسياسية . ان تسييس الدين ، في الطائفية ، وتحويله من نظام روحي الى مؤسسة سياسية ، يخدم دعاة الطائفية لجهة وضع بديل عن الانتماء للشعب بمفهومه القومي ، بالانتماء الى الطائفة وبالتالي الولاء للزعامات الطائفية وتكريس وضعها القيادي المسيطر . وتستفيد هذه الزعامات داخل الطائفة الواحدة من تنمية الفرعات الطائفية في كبت أي تحرك مضاد لمواضعها من خلال الادعاء بـ « وحدة » الطائفة ومنع انقساماتها الداخلية تحت طائلة التهديد بـ « الخطر » الذي ياتيها من الطوائف الاخرى . ومن جانب آخر ، فان هذه الاطارات

مصالحهم ، ويقدمون مقابلها خدمات « للاجنبي »
 بوضع انفسهم ضمن دائرة ارادته ورهن اشارته .
 ولقد كان استدعاء رجال الاسطول الاميركي في
 الحرب الاهلية في العام ١٩٥٨ أبرز الامثلة الدالة
 على هذه الحقيقة .

غير ان الارتباط بالمؤثرات الخارجية يتجاوز في
 ظل واقع الاقتصاد الرأسمالي اللبناني الراهن
 معطياته التاريخية ويتقوّل بفعل مؤثرات نابعة
 من بنية الاقتصاد نفسه وانعكاساتها على تشكيل
 البرجوازية اللبنانية . لقد نبت الشريحة المؤثرة
 في البرجوازية اللبنانية (نعني الكبرادور) ضمن
 اطار بنية اقتصاد رأسمالي متميز بأنه اقتصاد
 خدمات بالدرجة الاولى . وقد ازدهرت هذه الشريحة
 المؤثرة في ظل هذا الاقتصاد باعتبارها شريحة
 وسيطة بين مصادر البضائع والرساميل في اوروبا
 الغربية واميركة وبين الاسواق المحلية في لبنان
 وبعض الاقطار العربية كذلك . ان اقتصاد
 الاستيراد هذا كون ليس المعالم الاقتصادية
 للبرجوازية اللبنانية فحسب وانما كذلك ملامحها
 السياسية من حيث ارتباطها المصاحي بالسوق
 الرأسمالية الأوروبية الغربية — الاميركية وبالتالي
 تبعيتها السياسية لهذه السوق . واذا أخذت
 المكونات التطبيقية للطائفية في الاعتبار يمكن التوصل
 الى النتيجة التالية : ان ارتباط غلاة الطائفية
 بـ « الاجنبي » محكوم ، في الجانب المؤثر منه ،
 بطبيعة البنية الاقتصادية اللبنانية وافرازاتها
 السياسية .

ان هذا العرض الذي سبق يوضح الموقف
 الكتابي من المقاومة الفلسطينية وعلى أرضية
 هذا التحليل سنعرض لهذا الموقف :

على الرغم من ان حركة المقاومة جعلت أحد
 أسس تعاملها مع الدول العربية عدم التدخل
 في شؤونها الداخلية ، الا ان وجود المقاومة
 نفسه في لبنان — كما في غيره من الاقطار العربية
 حيث الوجود الفلسطيني كثيف — كان لا بد ان
 يفعل في اتجاهين :

الاتجاه الاول ان الحضور الفلسطيني
 (الفلسطيني بمعنى الارتباط بالحركة الثورية
 الفلسطينية) في تماسه اليومي المباشر مع المؤسسات
 المعبرة عن البنية القومية للمجتمع يعمل نحو التأثير

في الماضي معطيات تاريخية نجت عن تدخل الدول
 الاستعمارية في القرن التاسع عشر في شؤون
 الوطن العربي قد شكلت هذه « الخصوصية »
 وسعت الى ترسيخها ، فان القصد منها الان ،
 استنادا الى هذا التراث التاريخي الذي زالت
 مبرراته المباشرة ، هو وضع سد منيع أمام
 التطورات الاجتماعية والسياسية التي تتجتاح
 الوطن العربي لتمنعها من النفاذ الى داخل البنية
 الاجتماعية — السياسية اللبنانية بهدف المحافظة
 على الاوضاع القائمة كما هي والتي تستفيد منها
 بشكل وحيد وبالحصص الطائفية — البرجوازية .
 على هذا الاساس يمكن تفسير المعادلة التي تطرحها
 الفئات المتعزلية في المجتمع اللبناني ، وفي المقدمة
 منها حزب الكتائب ، التي تدعو الى : اللبنانية —
 مقابل — القومية العربية ، بأن « اللبنانية » هنا
 تعني الطائفية البرجوازية التي تهددها بالتأكيد
 التطورات الاجتماعية والقومية في سائر ارجاء
 الوطن العربي . ان « الخوف من العروبة » لا
 يمكن ان يكون له تفسير ديني ما دامت العروبة
 علمانية في الاساس ، كما ان « الخوف التاريخي »
 الموروث من المجازر التي حدثت في لبنان في القرن
 التاسع عشر كانت أسبابه الحقيقية طائفية في
 ظل غياب الوعي القومي . وهكذا فلا يمكن تفسير
 تنمية الاحاسيس الغامضة بالخوف من العروبة
 لدى الكتائب الا بأنه خوف على المصالح الطبقية
 لدى الاطارات العليا وبأنه دفاع عن مواقعها
 وامتيازاتها .

الى أي مدى يمكن ان يرتبط وضع كهذا
 بالمؤثرات الخارجية ؟ في النصف الاخير من القرن
 التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى الحرب
 العالمية الاولى عندما كان « الرجل المريض » يحكم
 الوطن العربي وعندما كانت الدول الأوروبية
 تسعى الى مد نفوذها الاستعماري في وطننا العربي
 ومن ثم تتشوق الى اقتسام تركة « الرجل المريض »
 ظهر تقليد مارسه بعض دول اوروبا يهدف الى
 بسط « الحماية » على الاقليات الدينية في هذا
 الوطن . واذا كان الوعي القومي والنضال الذي
 خاضته الجماهير العربية في تاريخها المعاصر ضد
 أشكال الاستعمار قد ابطأ هذا التقليد ، فقد ورثه
 غلاة الطائفية الذين يجدون ان ارتباطهم بالاجنبي «
 يوغر لهم نوعا من الحماية يحافظون في ظلها على

التطورات الاجتماعية والسياسية العربية . وهكذا فان وثوق الكتاب في وجه المقاومة الفلسطينية انما هو ، في هذا الجانب منه ، صراع للجم البناء القومي في لبنان من خلال ضرب أحد مراكزه الأشد تأثرا .

يضاف الى ذلك ان ما يزيد من « خوف » الانعزالية الكتابية المقولة التي أصبحت جزءا أساسيا في التراث النضالي العربي والممارسة الثورية الفلسطينية الراهنة عن ان خطر الصهيونية يتجاوز حدود الوطن الفلسطيني الى الامة العربية ، وهي مقولة أساسية اشتقت منها اثنتان : الأولى ان مسؤولية الوقوف في وجه الغزوة الصهيونية مسؤولية عربية بالإضافة الى انها فلسطينية والثانية مقولة الامن القومي مقابل الامن الاقليمي . والاثنتان تضعان لبنان باعتباره جزءا من الوطن العربي في قلب الصراع وتلزمانه ، مع تبني الجماهير اللبنانية لها ، باحتضان المقاومة — في ادنى الدرجات — وتقبل النتائج الناجمة عن ذلك . وبجانب ان هذا الامر يصدّم الانعزالية الكتابية في الصميم من ايديولوجيتها الطائفية ، فهو كذلك يعيق نمو الارباح التي تجنيها البرجوازية الكبرادورية التي ازدهرت في ظل اقتصاد الخدمات وهو أكثر انماط الاقتصاد تأثرا بعدم الاستقرار الذي يسببه ولا شك انخراط لبنان في الصراع وتحمل تبعاته . ولان الوطن في عرف البرجوازية الطائفية يقع ضمن حدود مصالحها فقط فهي معنية بصراع وحيد يكفل لها بقاء هذه المصالح دون أن تمس ، تعني الصراع الموجه نحو اخراج المقاومة من لبنان .

الاتجاه الثاني ان حركة المقاومة على الرغم من انها تعلن انها تقيم علاقتها مع جميع القوى العربية على قدم المساواة ، الا انها باعتبارها حركة وطنية تقدمية لا تقف امام مفارق الطرق لحظة لتقيم تحالفاتها العربية التي تتجه بسبب هاتين الصفتين اللازمتين لحركة المقاومة ، نحو الحركات والقوى الوطنية التقدمية العربية . وفي لبنان حدث لقاء طبيعي بين هذه القوى من جهة وحركة المقاومة الفلسطينية من جهة ثانية ، الأولى محكومة بمواقفها تجاه القضية الفلسطينية وضرورة تدعيم حركة التحرير الفلسطينية ، والثانية متطلعة

في هذه البنية التي ، من خلال العلاقة الجدلية ما بينها وبين البنية التحتية ، مستحدث تغييرات فيها بحيث تتأثر تركيبها الاجتماعية — الاقتصادية . وهذه التغييرات الناجمة عن تأثيرات المقاومة بهذا الطريق ستكون محكومة بتطورات المقاومة الجذرائية على الاغلب والتقدمية دائما ، وبذلك فان أي تغيير هنا في الوضع القائم سيكون لخير مصلحة الطبقات المترتبة على قمة الهرم الاجتماعي والتي تكمن مصلحتها في المحافظة على بقاء النظام الاقتصادي الراهن بكل ما يوفره لها هذا النظام من امتيازات ستخسرهما هذه الطبقات مع نمو الوعي الجذرائي / الثوري لدى الطبقات المضغوطة في قاعدة الهرم . ومن هنا فان الكتاب — وهي الرمز الأكثر تعنرا عن البرجوازية الطائفية — في تصديها للحضور الفلسطيني الثوري ، انها هي تسمى — في سبيل المحافظة على مواضعها الطبقية وامتيازاتها — نحو القضاء على بؤرة ثورية تثشر « عدواها » في ما جاورها وتخلق بمجرد حضورها في ثنايا المجتمع اللبناني وعيا ثوريا تقدما هو في حصلته ليس في مصلحة البرجوازية الطائفية ، بتعبير آخر فان تصدي الكتاب للمقاومة انما هو لوأد تجربتها الثورية وكبح هذه التجربة من الامتداد الى داخل البنية الاجتماعية اللبنانية الراهنة التي تضمن للاطارات العالية في الحزب مكاسب طبقية وشخصية واسعة .

نضيف مبررا آخر في هذا السياق هو « الخوف من العروبة » بالتفسير الذي ذكرناه سابقا . والعروبة تراث نضالي للشعب الفلسطيني منذ ان وعى خطورة الحركة الصهيونية ليس على وطنه الصغير فحسب وانما على الوطن العربي والامة العربية بأسرها . والحضور الفلسطيني العربي في لبنان بالافكار العربية والدعوى القومية التي يبثها حوله — بممارستها فعلا ومن خلال المراكز السياسية والمنابر الفكرية والاعلامية والتعبوية — ينمى في الجماهير اللبنانية وعيها القومي ويشد انتماءاتها الى الامة العربية وقضاياها . ومع نمو الوعي التقدمي وتميز الالتزام بالقضايا العربية الاجتماعية والسياسية بشد الخوف لدى الحزب الطائفي الدرجة اذى الذي حققت كوارده العليا مكانتها واستطاعت الحفاظ عليها من التعيش على « خصوصية » الوضع في لبنان وحراستها من

الدفاع عن مجالها ، اقامت تنظيمها فاشيا عباته بالكراهية لكل ما يتعارض مع هذه المصالح . ومن اللافت للنظر ان الكتاب هو الحزب « العربي » الوحيد الذي نهج بانكاره وممارساته أمسكار وممارسات الفاشية التي ظهرت في النصف الاول من هذا القرن ، والتي رافقها نشوء الحزب نفسه ، دون ان يتأثر بالتيارات السياسية والفكرية والعقائدية الحديثة . لقد ظلت أبوابه مغلقة على جمود عقائده وقياداته الثابتة مستقلة الطائفية للحفاظ على استمرار سيطرتها على الفكر والممارسة . وبهذه القيادات المستعدة للقتال حتى الموت في سبيل مصالحها الطبقية والشخصية ، جرى توجيه الحقد نحو المقاومة ، الحقد الفاشي « الاتضابطي » الذي ظهر في مذبحه نيسان وكأنه احتراف الجريمة .

٢ - الاحداث

اليوم الاول ١٢ نيسان : روت لجنة الاعمال المركزية في الجبهة الديمقراطية بداية الحادث كما يلي « صباح اليوم اعترض حاجز اقامه افراد مسلحون من حزب الكتائب في عين الرمانة سبيل المارة وقام افرادهم بقطع الطريق واطلاق النار وترويع المنطقة » واضافت ان هؤلاء اوقفوا «سيارة فولكسفاك تنعود الى الجبهة الديمقراطية ويقودها سائق مدني اعزل وأطلقوا عليه النار فأصابوه برصاصتين » . وقد كانت هذه البداية في نحو الساعة الحادية عشرة . وفي الواحدة بعد الظهر حدثت المجزرة . فقد صرح مصدر مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) ، انه « في المحلة نفسها وانشاء مرور احدى سيارات الباص التي تقل عددا من المواطنين الفلسطينيين الذين شاركوا في الاحتفال بذكرى شهداء الخالصة الإبطال تعرضت السيارة التي كانت في طريقها الى مخيم تل الزعتر لاطلاق كثيف من مكالم تصبغها عناصر من حزب الكتائب بتدبير مسبق » . وقد ذكر بيان للجبهة الشعبية - القيادة العامة انه سقط برصاص الكتائب نحو ٣٢ بين قتيل وجريح (احصاء اولي) . أما البيان الرسمي الذي أصدره وزير الاعلام اللبناني فذكر انه « حصل خلاف بين لبناني ينتمي الى احدى المنظمات الفدائية مع بعض أبناء المحلة [عين الرمانة] مما أدى الى جرح الفدائي

الى الامتاق العربية للنفصال من أجل فلسطين وضرورة زج القوى الوطنية في الصراع الدائر . وقد وجدت حركة المقاومة الفلسطينية في تحالفاتها مع القوى الوطنية اللبنانية دعما لوجودها في لبنان ، كذلك احاط هذا التحالف الوجود الفلسطيني الثوري بسياج شعبي لبناني دفع عنه الاذية في عدد من الصراعات التي فرضت عليه . مقابل ذلك وجدت الحركة الوطنية اللبنانية في الوجود الفلسطيني تعزيرا لمواقفها التضاللية فهو الحليف الاقوى والاكثر قدرة على حماية الذات الوطنية في وجه الحملات المضادة . وعلى الرغم من ان حركة المقاومة تعلن دائما انها لا تتدخل في الصراعات الداخلية في الدول العربية ، وهي صادقة في ذلك ، الا ان حضورها نفسه واشهارها تحالفها مع القوى الوطنية في لبنان يوفر الحماية الكافية التي تمنع القوى المضادة من تجربة حظها في التصدي لتلك القوى . وحتى لو حدث ذلك فان المقاومة لن تتخلى من حلفائها الطبيعيين ، فان الحياء في هذه الحالة هو حياء ما بين السكينة وعنق الضحية الذي هو تواطؤ مع السكينة .

هذه الحقيقة تجعل المقاومة تقع ضمن دائرة الحقد المضاد للحركة الوطنية اللبنانية ما دامت القوى المضادة ، وفي ظلعتها الكتائب ، تدرك ان المقاومة تمثل الظهر الأشد اسنادا لهذه الحركة . وبذلك فان التصدي للمقاومة هو ، في هذا الجانب منه ، محاولة لاضعاف الظهر بهدف الاستفراد نهائيا بالحركة الوطنية اللبنانية وتصفية الحساب معها .

ان هذا التحليل ينبغي الا يتفصل عما يدبر للمقاومة الفلسطينية في الخارج . فاذا كان قد ثبت من خلال مجزرة ايلول ١٩٧٠ وما تبعها من تصفية الوجود المقاوم في الساحة الاردنية ان الايدي « العربية » التي نفذت المجزرة كانت أدوات بأمر امريكى ، فان الاسلحة الكثيرة والمقيلة التي شوهدت في ايدي الكتائب في مذبحه نيسان تشير بالتأكيد الى مصدرها . واستنادا الى التحليل الذي سبق عن ارتباط البرجوازية الطائفية بالمؤثرات الخارجية فلا يبقى مجال للشك فيما وراء المذبحه .

ان الحقد الذي تبدي في المذبحة صنعته بنية الحزب نفسه فطارات الحزب العليا ، من أجل

ومقاطعة هذا الحزب وطنيا وسياسيا وقطع كل حوار معه. ٥ - المشاركة في جميع مظاهر الغضبة الشعبية على مدبري المجزرة ومن يقف وراءهم . ٦ - التناهي الى عقد مؤتمر وطني تمهيدي لجميع القوى الوطنية الحية يوم الثلاثاء ١٥ نيسان لاتخاذ الخطوات التي يقتضيها الوضع المتطور » . وحذر البيان السلطة اللبنانية « من ان اي تقاسم عن معاقبة المجرمين وعزل القوى التي تدعمهم سيضرها لان تتولى بنفسها مسؤوليات الامن الوطني دفاعا عن سلامة المواطنين والمقاومة الفلسطينية » . وبعد منتصف الليل اعلن السيد رشيد الصلح ، رئيس الوزراء اللبناني ، انه طلب تسليم جميع مسببي الحادث ، وطلب من الشيخ بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، تسليم العناصر الكتائبية المشتركة في الحادث وقال ان قوى الامن تطوق مكان الحادث والاوامر مشددة لتنفيذ القانون .

كان موقف الكتائب المعلن هو ما صرح به بيار الجميل بقوله « ان عناصر الكتائب بالفعل اشتبكت مع مجموعة مسلحة لا تعرف هوية افرادها ولا حزبيتهم حتى الان » وقال « ان هذه الاعمال تخريبية ولا يمكن الا ان تكون صادرة عن العدو الاسرائيلي وحده » . وكرر رئيس الكتائب نعمته حول ضرورة قيام السلطة بفرض هيبتها « لانه لا يمكن ان تستمر الفوضى التي تعيش في ظلها » . ويلاحظ من البيانات التي اصدرتها الكتائب عن الحادث ما يلي : ١ - محاولة استثارة النزعات الطائفية ففي البيان الذي روى وجهة نظر الكتائب جرى تأكيد على ان الحادث وقع « بينما كان يحتفل بتدشين كنيسة » وانه جرى اطلاق النار « على جموع المصلين » . ٢ - هناك محاولة الى جر السلطة الى موقع الكتائب وذلك باصرار الجميل « على القول وبالحاح ان على السلطة ان تفرض وجودها لان الوضع لم يعد من الجائز استمراره مطلقا » . ٣ - قد يكون في خطة الكتائب ان تسجل انتصارا سريعا على المقاومة بالقيام بهذه المذبحة الكبيرة وبعد ذلك تسوى المشكلة بعد ان تكون الكتائب قد خرجت منها « بظلة » . بيار الجميل بعد نحو اربع ساعات من المجزرة مسرح للصحافيين « هدينا الحالة وراقت والحمد لله » .

اليوم الثاني ١٤ نيسان : استمرت الاشتباكات

المذكور ونقل الى المستشفى . وبعد فترة وجيزة مرت سيارة فيات في المجلة نيسها فتبادل ركابها اطلاق النار مع المسلحين الذين انتشروا في الشارع نفسه فتتج عن ذلك مقتل اللبناني جوزيف ابو عاصي [كتابي] . توتر الجو في تلك المجلة ومصادف مرور سيارة اوتوبيس تزل بدائمين فاطلقت عليهم النيران وقيل يحطم ركابها وبعض الاشخاص العيارين يبلغ عدد القتلى ٢٢ قتيلًا . غير ان الانباء الصحافية ذكرت ان عدد القتلى بلغ ٢٦ قتيلًا وان مسلحي الكتائب اطلقوا النار على الجرحى وشوهوا الجثث . كما اطلقوا الرصاص بغزارة على سيارة الاسعاف التي جاءت لتقل الجرحى .

على اثر حادث الباص اقيمت حواجز في عين الرمانة وعدد من المناطق في بيروت والضواحي ، واعلنت قيادة الثورة الفلسطينية «تحليل قيادة حزب الكتائب المسبؤلية » . واعرب مصدر مسؤول في م.ت.ف. عن الامل في « ان يوضع حد ثوري لتواجد المسلحين من الكتائب في عين الرمانة وغيرها وان يمنع تعرضهم المجرم للمواطنين الابرياء » . وفي الوقت نفسه وجه الاخ ابو عمار برقية الى الملوك والرؤساء العرب قال فيها : « ان المجزرة الدموية التي نفذتها عصابات حزب الكتائب المسلحة ضد أبناء شعبنا الابرياء العزل هي مؤامرة مكشوفة تقوم بها هذه العصابات بتنسيق وتوجيه من الامبريالية الصهيونية على ارض لبنان الشقيق ، في محاولة مكشوفة لخلق فتنة وضرب الاخوة الفلسطينية اللبنانية . انسا ونحن نشهدكم على مقدمات هذه الفتنة ونتائجها الخطيرة ندعوكم الى التدخل العاجل الفعال لاحباط هذه المؤامرة ودعوة السلطات المسؤولة في لبنان للضرب على ايدي عصابات الكتائب الائمة » .

تطورت الاحداث ليلا فهُوجمت مكاتب الكتائب في عدد من المناطق وجرت اشتباكات في مناطق اخرى كما نسفت عدد من المحلات يملكها كتابيون وعند منتصف الليل امدت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بيانا اثر اجتماع عقته دعت فيه الى « ١ - معاقبة رؤوس ومخططي المجزرة . ٢ - إحتحام المناطق التي تحتلها ميليشيا الكتائب وتطهيرها واعتقال المجرمين جميعهم » . ٣ - حل حزب الكتائب . ٤ - طرد وزراء الكتائب من الحكم

المقاومة لم تطلب اجتماعاً بالسفراء من أجل الوساطة بل لوضع هؤلاء في الصورة « واضاف انه يريد التشديد على نقطتين الأولى ان لا مشكلة بين المقاومة والسلطة اللبنانية ، والثانية ان المقاومة لم تقدم على اي رد فعل « لاننا اردنا ان نترك للسلطة اللبنانية نفسها وضع حد رادع لما يحدث » . وقد اجتمع السيد رشيد الصلح كذلك بالسفراء العرب وحضر شتما من الاجتماع السيد رياض .

على صعيد الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فقد عقدت اجتماعاً برئاسة السيد كمال جنبلاط اصدرت في ختامه بياناً ذكرت فيها انها قررت : « ١ - تشكيل قيادة موحدة لمتابعة تطورات المعركة على اساس موقف وطني واحد . ٢ - اعلان الاضراب العام في كل المناطق اللبنانية من اجل تحقيق مطالب الحركة الوطنية وحركة المقاومة الفلسطينية . ٣ - دعم الدعوة الى المؤتمر الشعبي الذي سيعقد يوم ١٥ نيسان الجاري . . . ٤ - ابقاء الاجتماعات مفتوحة والتنسيق الكامل مع المقاومة الفلسطينية في كل المجالات » . وادلى السيد جنبلاط بتصريح قال فيه « المهم تسليم مسببي الحوادث . فهل توصلت الكتاب الى قناعة انها يجب ان تسلم المجرمين ؟ يجب ان يعودوا الى الشرعية واذا لم يفعلوا ذلك فأنهم يخرجون البلاد على اللاشريعة وعندها يكونون مسؤولين عن ذلك » .

وبالنسبة للاحققة المطلوبين فقد صرح السيد رشيد الصلح بأنه اصدر امره الى قوى الامن بدخول الشوارع التي حدثت فيها الحوادث المؤلمة « ايا كانت العقبات التي تعترضها وتوقيف جميع المطلوبين والمشتبه بهم وتطبيق القانون » واضاف « ان قوى الامن الداخلي دخلت فجر اليوم هذه الشوارع وبدأت تمسيطها وتطبيق القانون وتوقيف جميع المشتبه بهم والمطلوبين وتسليمهم للقضاء » . وقد اوقف ١٤ شخصاً في عين الرمانة وسلموا الى المدعي العام في جبل لبنان . وقد اشار الاخ نايف حواتمه ، الامين العام للجبهة الديمقراطية ، في لقاء مع الصحافيين عقده مع الاخ ابو اياد ان المقاومة لا تعتقد ان الاربعة عشر شخصاً الذين قيل انهم سلموا الى السلطة لمسؤوليتهم عن الحادث ينتمون الى حزب الكتائب .

في عدد من المناطق وذكرت بعض المصادر ان عدد القتلى ارتفع الى ٥٥ . اما على الصعيد السياسي فقد وصل اليوم السيد محمود رياض ، الامين العام لجامعة الدول العربية ، في مسعى للتهنئة واجتماع نور وصوله برئيس الحكومة اللبنانية . كذلك تم اجتماع في مقر الدائرة السياسية في م. ت. ف حضره السفراء العرب المعتمدون في بيروت والسيد رياض والاخ ابو اياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، الذي ابلى السفراء العرب « ان الثورة تحولت من الكتائب ما لم يتحمله انسان . فالكتائب ظلت طوال سنوات ثلاث تتعرض للثورة الفلسطينية بالسباب والشتم عبر صحيفة « العمل » الناطقة باسم الحزب المذكور من دون ان تتخلى الثورة عن ضبط النفس ، ومن دون ان تحاول الانجراف في التيار الصدامي الذي اريد لها . وعلى رغم كل الاستفزات الكتائبية المستندة الى اساس طائفي ، فان المقاومة الفلسطينية عملت في استمرار على تطوير سياسة الحوار مع حزب الكتائب وكان من نتيجة ذلك ان وثيقة وقعت بين المقاومة والكتائب تتضمن تصوراً مبدئية ابرزها ان الاعتداءات الاسرائيلية ليس دافعها وجود المقاومة الفلسطينية وانما دافعها الاطماع الصهيونية في جنوب لبنان ومناخ نهر اللباني ، وان المقاومة الفلسطينية ليست فضيلاً طائفياً يضاف الى الطوائف الموجودة في لبنان كما انها ليست حزياً من الاحزاب اللبنانية » وقال « ان عددا من قادة حزب الكتائب هم جوزيف شادر وجورج سعادة وامين الجميل ، وجميعهم اعضاء في المكتب السياسي للحزب ، وقعوا هذه الوثيقة مع عدد من قادة المقاومة يمثلون كل فصائلها ، غير ان الكتائب اخلت بالالتزام وراوتت ، ثم حاولت ان تنتزع منها فقرة اساسية هي الفقرة التي تقول ان المقاومة الفلسطينية ليست السبب في الاطماع والاعتداءات الاسرائيلية ، مما افرج الوثيقة من مضمونها الاساسي وجعلها غير ذات اهمية » واضاف ابو اياد « اذا لم تغلح الحكومة في السيطرة على هؤلاء القتلة ومعاقبتهم فاننا نكون غير مسؤولين عن تردي الوضع القائم ، لان الدماء التي بسالت من اكثر من ٤٥ شهيدا و ٧٠ جريحاً لا يمكن للجماهير ان تسكت عليها » . وائر الاجتماع صرح ناطق باسم الدائرة السياسية « ان

على طوب الجبيع . نحتكم لاحقاق الحق وچلاء الواتع واجتباب الكوارث وحقن الدماء وايجاد صيغة تنسيق وتوفيق بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية صونا للسيادة الوطنية وللامن وللنظام». . ويلاحظ في هذا « النداء » ان الكتائب نصبت نفسها ناطقة باسم اللبنانيين وانها تحاول ان تصور المشكلة واقعة بين المقاومة واللبنانيين وانها منسبة على ايجاد صيغة تنسيق وتوفيق بين الجانبين .

تجدد الاشارة في هذا الصدد الى موقف البطريركية المارونية من الاحداث التي وقعت موقفا مهدئا ايجابيا . وقد اصدرت امانة سر البطريركية بيانا اعلنت فيه ان صاحب الغبطة البطريرك انطونيوس بطرس خريش « آله أشد الالم ما ترمى اليه من انباء عن اضطراب الامن واطلاق الرصاص واثارة الاستفزازات » وناشد « اولي الامر ان يقبضوا بيد من حديد على زمام الامور ويطبقوا القوانين بالعدالة والمساواة على الجميع أيا كانوا » .

اليوم الثالث - ١٥ نيسان : توسعت دائرة الاشتباكات في العاصمة والضواحي وحدثت سلسلة من الانفجارات دمرت عددا كبيرا من المؤسسات الاقتصادية ، وكانت حدة المعارك مركزة في محور مخيم تل الزعتر - سن الفيل - الدكوانة ، ومنطقة عين الرمانة ، والغبيري والشياح ، كما هوجم عدد من مراكز الكتائب ومكاتب بعض قياديينها . وذكرت انباء صحافية ان عدد القتلى بلغ هذا اليوم ٢٧ قتيلا ، كما ذكرت انباء اخرى ان العدد كان ٢٧ قتيلا . . وقد توسع نطاق العنف فشمّل طرابلس حيث قتل فيها اربعة أشخاص وصيدا ورحلة . وسارت تظاهرات استنكار للكتائب في عدد من المناطق اللبنانية .

على صعيد جماهيري عقدت « الاحزاب والهيئات والنقابات والقوى الوطنية والتقدمية » مؤتمرا شعبيا في مقر جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية في بيروت ، واتخذت توصيات ب « ا - اعتبار قيادة حزب الفتنة (الكتائب) المسؤولة عن تخليط الجزيرة وتنفيذها بالتواطؤ مع العدو الصهيوني . ٢ - ازالة الحواجز الكتائبية ، وجميع المظاهر العسكرية الفاشية من الشوارع والامكنة العامة ، ومداومة مراكز حزب الكتائب حيث يتوارى المجرمون

مع توسع الاشتباكات اقلعت اليوم الاسواق التجارية الرئيسية في العاصمة وكثير من المحلات التجارية في معظم الاحياء كذلك اقلعت المصارف ، ولم يتمكن عدد كبير من العمال والمستخدمين في مختلف القطاعات من الوصول الى مراكز عملهم الامر الذي ساهم في عملية اقفال شبه جامية . كذلك اقلعت مؤسسات التعليم في العاصمة والضواحي ، واعلنت لجنة اتحاد الطلاب في الجامعة اللبنانية الاضراب استنكارا للحادث ودعا رئيس اللجنة الى اعتقال المسؤولين عن المجزرة ومحاكمتهم ، كذلك اعلنت لجنة اتحاد طلاب كلية الحقوق اليسوعية الاضراب ، كما اعلن الاضراب كذلك اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية وطالب بيان اصدره الاتحاد باقتحام المناطق التي تحتلها ميليشيا الكتائب وتطهيرها واعتقال جميع المسؤولين عن حادث الانتبسيس وحل حزب الكتائب وطرد وزيره ونوابه من الحكم ومقاطعته وطنيا وسياسيا . وفي الجامعة الاميركية دعت القوى التقدمية الى مسيرة اطلقت الهتافات المؤيدة للثورة الفلسطينية والمناوئة للكتائب .

على صعيد السلطة نفى السيد رشيد الصلح ان يكون لدى حكومته نية لاعلان حالة الطوارئ كذلك اعلن ان الاستعانة بالجيش غير واردة . وكان الوزيران الكتائبان في الحكومة قد طالبا باعلان حالة الطوارئ . أما بالنسبة للحكومة نفسها فقد قدم السيد خالد جنبلاط ، وزير المالية وعضو الحزب التقدمي الاشتراكي استقالته من الحكومة وندد بكتاب الاستقالة « بالتحديات والاستفزازات التي قام بها وما زال حزب الكتائب اللبنانية » . وقد صرح السيد عباس خلف ، وزير الاقتصاد ، ومن الحزب نفسه كذلك بأن « استقالة الوزير جنبلاط هي استقالتي واستقالته معا ، انما هي استقالة مشروطة باتخاذ التدابير الحاسمة والحازمة التي يقتضيها الموقف لاستعادة هيبة السلطة وحفظ النظام وتوقيف المطلوبين والمسؤولين عن المجزرة » .

أما حزب الكتائب فقد وجه « نداء » الى الملوك والرؤساء العرب قال فيه « اليكم نحتكم للكشف عن الحقيقة كاملة جلية في الحوادث المؤلمة التي وقعت بين الاهلين وبعض عناصر المقاومة في احدى ضواحي بيروت فسقط عدد من الضحايا الغالية

صدر عن امانة سر تجمع « المسيحيين المتزئين » بيان أعلن انه « بعد المجزرة الدموية الرهيبة التي ذهب ضحيتها العديد من الاخوة الفلسطينيين ومن بينهم النساء والاطفال ، لا بد لنا ... الا ان نعلن استنكارنا الشديد لهذه المكيدة التي دبرتها قوى حزب الكتائب الطائفي » .

بالنسبة للمتساعي المبذولة لوقف القتل ، استمر السيد محمود رياض في جهوده واتصالاته ، وكانت جهود التوسط منصبة جئتها على ان تقوم الكتائب بتسليم المظلومين الى السلطة . وفي هذا الصدد استدعى السيد سليمان فرنجية ، رئيس الجمهورية ، رئيس حزب الكتائب واجتمع به وبحث معه في ترتيبات تسليم المظلومين وبحث الرئيس في الموضوع فنتسه مع وزير الدفاع وقائد الجيش وذلك في إطار المساعي المبذولة لتهدئة الاوضاع . وقد استمرت المساعي بالاصافة الى الضغوطات التي مورست من خلال عمليات العنف عن قيام الكتائب بتسليم اثنين من المظلومين . فني الساعة الأولى والنصف بعد منتصف الليل اذاع السيد رشيد الصلح بيانا قال فيه « قرابة الساعة الحادية عشرة ليلا اتصل بي الشيخ بيار الجميل وابلغني انه نزولا عند رغبة فخامة رئيس الجمهورية سيمسلم قوات الامن اثنين من المظلومين في الحادثة المؤسفة ... وقد تسلمت قوات الامن المسؤولة المظلومين الاثنين وهما مازون شيتي وحنا أمين عون » . وقد علقت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) على البيان بـ « ان تسلم الدولة المستؤولين عن المجزرة الدموية التي نفذها حزب الكتائب ضد المواطنين الفلسطينيين المدنيين الابرياء هو امر سيساعد كثيرا على تهدئة الاوضاع وقطع دابر الذين كانوا دائما وراء التصعيد لدفع لبنان الى الفتنة خدمة للعدو الامبريالي والصهيوني » .

اليوم الرابع - ١٧ نيسان : شهد اليوم تصعيدا في أعمال العنف خصوصا في الكوارة وتل الزعتر ، وقد استعلت في الاشتباكات المدفعية والصواريخ وسقط قتلى وجرحى كثيرون . وقد وزعت « وفا » تعليقا لحرزها السياسي جاء فيه انه « لم يكن امام قيادة مليشيا الثورة من خيار سوى الردع القاسي ... وبالفعل قامت قوات مليشيا الثورة وحدها ، خلال الايام الثلاثة الماضية ، بحملات تأديبية محدودة في كل المناطق الكتائبية » . وبالاضافة الى بيروت

وتحزبا الاسلحة . ٣ - توقيت ومناخية مرتكبي المجزرة والمخرضين عليها ، المعروفين من الهيئات الشعبية وأجهزة الامن المختصة . ٤ - طرد وزير بري حزب الكتائب من الحكومة . ٥ - مقاطعة حزب الكتائب وطنيا وسياسيا . ٦ - حل حزب الكتائب وتصفية منظمته العسكرية ومصادرة امواله واسلحته . ٧ - التمسك الكامل مع المقاومة الفلسطينية في وجه جميع اعدائها . ٨ - دعوة القيادات الوطنية المسيحية الى ممارسة دورها القيادي في خدمة الوطن ، وحمائته ، بمنع حزب الفتنة الفاشي المتواطئ مع الصهيونية من الاستمرار في ادعاء تمثيل الرأي العام المسيحي ... » .

على الرغم من ان حركة المقاومة ومعها القوى التقدمية حرصت على اعطاء المعركة طابعا وطنيا موجها ضد الكتائب وحدها ، الا انه جرت محاولات من الكتائب لجر المعركة الى التناق الطائفي ، فقد عقد اجتماع في جونبة حصر في إطار طائفي دعا فيه المجتمعون الى « تخطي الخلافات السياسية والانقسامات الحزبية وحشد الطاقات المادية والمنوية في إطار كسرواني - فتوحى موحد لخدمة لبنان » ، وصدر عن الاجتماع بيان بتوقيع « الحركة الوطنية الكسروانية » جاء فيه انه تالبت لجنة من أبناء كسروان لدعم « الجبهة بالاسلحة والذخيرة والذم والمال والطعام ووسائل النقل وغيرها » وايواء اللبنانيين « الذين تشرذوا في وطنهم » . وقال البيان « ان القضية لم تعد قضية فلسطين انما أصبحت قضية لبنان في ضوء احترام الفلسطينيين لتسيادة لبنان » . غير ان ثمة جهودا بذلت تساعية الى كبت النزعات الطائفية ، ومن تلك الاجتماع الذي عقده ممثلون عن المجلس الاسلامي والرابطة المارونية وحزب الهيئة الوطنية والذي تقرر فيه : « يشجب المجتمعون الحوادث الدامية التي ذهب ضحيتها الابرياء ويطالبون السلطة بتحمل مسؤولياتها والقبض على الفاعلين وتطبيق القانون بحق الجميع . يشدد المجتمعون على الطابع الحصري لهذه الحوادث المؤسفة التي لا يمكن ان تمس وحدة اللبنانيين وتلاخهم وحرصهم الكامل على القضية الفلسطينية الحقبة . كما يحذر المجتمعون اللبنانيين جميعا من كل دس طائفي قد يترسسون له ... » . كذلك

المسلحين من الشوارع والساحات العامة . وان قادة الامن الداخلي مكلفون بهرقابة وتطبيق وتنفيذ هذا الاتفاق ... » وتلا ذلك بيان الشيخ بيار الجميل الذي جاء فيه « ... ان مساعي الخير قد انتهت الى ان يدعو كل فريق من فرقاء النزاع الى وقف اطلاق النار وقفا تاما واخلاء مواقع الاحتكاك من المسلحين بصورة تامة وشاملة ، واعادة هؤلاء الى مراكزهم العادية السابقة واطلاق المحتجزين من قبل الجانبين ... » ثم اذيع بيان من قيادة الثورة الفلسطينية نص على انه « استجابة لنداء رئيس الجمهورية اللبنانية ، ورئيس الوزراء ، ولدعوة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، وتكريما للمساعي الاخوية التي قام بها السيد الامين العام لجامعة الدول العربية والعديد من الشخصيات الروحية والزمنية التي تحركت بدافع الوطنية والحرص على المصلحة القومية ، وحرصا من الثورة الفلسطينية على مصلحة لبنان وسلامة ابنائه ، وحفاظا على روح التأخي بين اللبنانيين والفلسطينيين وتسهيلا لامادة الحياة الطبيعية الى البلاد ، فان قيادة الثورة تعلن موافقتها على وقف اطلاق النار وتطلب من جميع عناصرها واصدقاتها الالتزام التام بهذا القرار والامتناع عن اطلاق النار في جميع المناطق فوراً . » وتلا ذلك بيان من الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية أعلنت فيه « حرصا منها على أمن المواطنين وسلامتهم ومصالحهم الحيوية وادراكا منها لمقتضيات المصلحة الوطنية وما تتطلبه من ترسيخ للوحدة بين جميع أبناء الشعب اللبناني ، ومن تعميق لروابط المصير المشترك بين الشعبين اللبناني والفلسطيني وأمام ما تفرضه المصلحة القومية في مواجهة العدو المشترك تشاهد الجميع وقف اطلاق النار فوراً . »

وعلى الرغم من هذه النداءات فقد شهدت الساعات الطويلة التي أعقبتها اشتداد أعمال العنف ، الا انها هدأت تدريجيا في صباح اليوم التالي . وخلال الايام الثلاثة التي أعقبت الاتفاق على وقف اطلاق النار حدثت حوادث متفرقة في مختلف الانحاء اللبنانية حتى يوم الاحد ٢٠ نيسان عندما أعلن ناطق باسم الامن اللبناني انه لم تقع في ذلك اليوم حوادث مخلة بالامن .

وضواحيها شهدت طرابلس أعمال عنف موجهة الى مؤسسات اقتصادية يملكها كتابيون . وقد أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في طرابلس بيانا أعلنت فيه « ان المعركة هي بين الحركة الوطنية في كل مناطق الشمال ... من جهة وبين الكتائب العميلة من جهة أخرى » ، كما أعلنت انها شكلت قيادة سياسية وعسكرية ومدنية للتنسيق مع المقاومة بكل فصائلها « لتأمين خط المعركة الصحيح وحماية طرابلس والشمال من المؤامرات » . وفي غير طرابلس ، استمر الاضراب في صيدا التي شهدت انفجارات عديدة هزت المدينة . وقد عقد في صيدا ممثلون عن الاحزاب والقوى التقدمية والمقاومة ووفود من القرى المجاورة وعدد من رجال الدين يمثلون طوائف عدة وأصدروا بيانا أكدوا فيه « ان المعركة ليست بين مسلم ومسيحي بل بين قوى وطنية تدافع عن الوطن وقوى لاوطنية عميلة لا تهتمها مصلحة الوطن باعتبار ان الكتائب من القوى المعادية التي تعمل ضد مصلحة لبنان والقضية الفلسطينية » . وفي بعلبك عقد اجتماع ضم الرؤساء المسيحيين والمسلمين في المدينة وعدد من الوجهاء وممثلي العائلات البعلبكية ، وقد أصدر هؤلاء في نهاية الاجتماع بيانا أعلنوا فيه تأييد المقاومة الفلسطينية واستنكار المجزرة التي تعرض لها لبنانيون وفلسطينيون عزل من السلاح والمطالبة بتطبيق القانون وتسليم المسؤولين عن المجزرة . كذلك استمر الاضراب في مرجعيون والتظاهرات في قرى القضاء كما شهدت النبطية تظاهرة ضد الكتائب تخللتها حوادث عنف .

بجانب التصعيد في عمليات العنف استمرت مساعي التهدئة التي كانت منسبة على ايقاف القتال بعد ان سلمت الكتائب اثنين من المطلوبين ، وقام السيد محمود رياض بدور رئيسي في هذه المساعي التي انتهت على ان يصدر كل فريق في وقت واحد بيانا يعلن فيه الموافقة على وقف النار . وفي المساء صدر البيان الاول عن رئيس الحكومة الذي قال فيه « بعد الاتصالات والمباحثات التي قمنا بها مع جميع الفرقاء بتوجيه من رئيس الجمهورية وبالتعاون مع الامين العام لجامعة الدول العربية الاستاذ محمود رياض والسادة السفراء العرب ، تم الاتفاق على وقف اطلاق النار وسحب

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

شباب سوربيا - بناية صمدي وصالحية - الدور الخامس

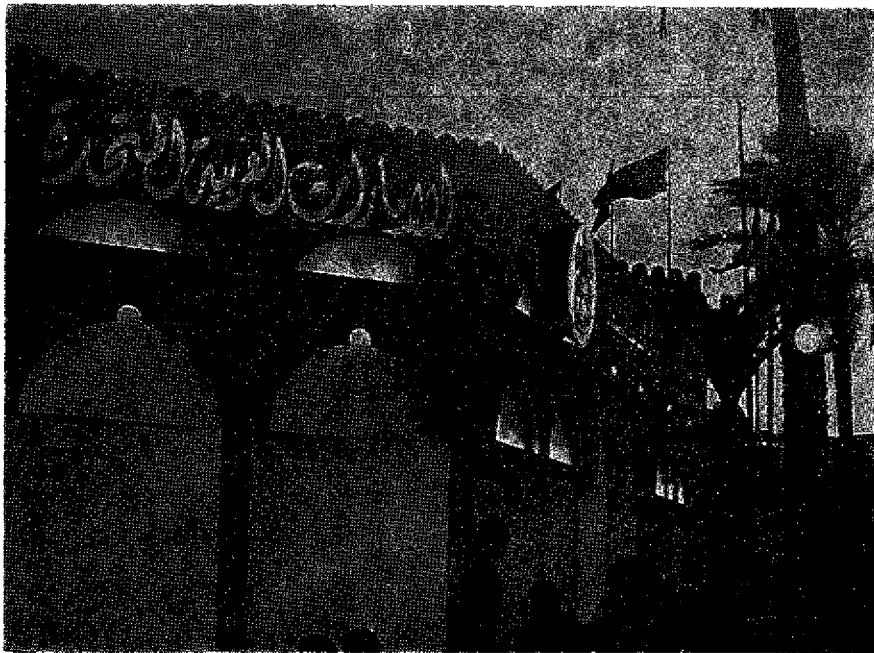
ص.ب. : ٥٤٦-١١، بيروت، لبنان

صدر حديثا

- * هرتزل ، أول دراسة موضوعية عن
مؤسس الحركة الصهيونية
- * تاريخ فلسطين الحديث (طبعة رابعة)
- * الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين
- * قصة ثورة ٢٣ يوليو (مصر والمسكرويون)
- * التوجيز في الحرب
- * الاعمال الكاملة للكواكبي
- * من يحكم في تل أبيب ؟
- * عز الدين القسام (رواية)
- * أشواق الى الابتسام (مجموعة قصص)
- * الفن العراقي القديم ، سومر ،
بابل وآشور
- ديزموند ستوارت
ترجمة فوزي وفاء و ابراهيم منصور
- د. عبد الوهاب الكيالي
- د. عبد الرحمن الكيالي
- احمد حمروش
- كارل فون كلاوزفيتس
ترجمة الهيثم الايوبي وكرم ديري
- تحقيق محمد عمارة
- د. حامد ربيع
- عاصم الجندي
- ابراهيم ابو ناب
- د. ثروت فكاكية

في سلسلة اعلام الفكر العالمي :

- | | | |
|--------|----------------------|------------------------------|
| كانط | تأليف : اوفي شولتز | ترجمة د. أسعد رزوق |
| هوغو | تأليف : هنري غيمان | ترجمة طانيوس فقالي |
| غوته | تأليف : بيتر برنر | ترجمة د. أسعد رزوق |
| توكاكي | تأليف : جورج لختهايم | ترجمة ماهر كيالي ويوسف شويري |
| لوركا | تأليف : فيبر وبارو | ترجمة كميل داغر |
| ارافون | تأليف : عصام محفوظ | |
| متريني | تأليف : جلي ادهم | |



احتفل جناح دولة الامارات العربية المتحدة بيوم بلاده في معرض طرابلس الدولي في الثالث عشر من شهر مارس عام ١٩٧٥ . وقد اقيمت بهذه المناسبة حفلة استقبال حضرها سعادة الاخ حمد سالم المقامي سفير دولة الامارات العربية المتحدة في الجمهورية العربية الليبية ، دعي اليها الاخوة اعضاء السلك الدبلوماسي العربي والاجنبي المقيمين بالجمهورية العربية الليبية وكبار المسؤولين ومدراء الاجنحة .

وبهذه المناسبة ادلى مدير الجناح الاخ محمد علي المناعي بالتصريح التالي :

لقد حرصت وزارة الاعلام والثقافة في دولة الامارات العربية المتحدة على المشاركة لاول مرة في معرض طرابلس الدولي في الجمهورية العربية الليبية ايماناً منها بأهمية الدور الذي تلعبه المعارض الدولية في زيادة حجم التبادل الاعلامي والثقافي والاقتصادي بينها وبين الدول المشاركة في المعرض . وقد ركزت وزارة الاعلام والثقافة جهودها للتعريف بدولة الامارات ، فحاولت ان تجمع في جناحها الذي روعي في تصميمه الطابع العربي الاسلامي . وقد جمع هذا المعرض بين التراث العربي الاصيل المتمثل في بعض المعروضات الاثرية كالمسييوف والخناجر ومعدات صيد اللؤلؤ . وبين بعض المعروضات الاثرية المغرقة في القدم كالوانى الفخارية التي يرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وكذلك تشير الى اهم المنجزات الكبيرة ، التي حققتها دولة الامارات العربية في حقول الامهار والنهضة الشاملة خلال سنوات قليلة من عمرها كإقامة مصانع تكرير النفط والحوض الجاف ومصنع تسييل الغاز ، وخزانات النفط الضخمة في دبي ، وكذلك مصانع الاسمنت .

أما عن التواحي العمرانية فقد عرض في الجناح بعض الصور الملونة الجميلة التي تنطق بواقع التقدم العمراني الذي تشهده البلاد علاوة على الكتب القيمة التي تحكي قصة التاريخ الحضاري القديم والحديث لهذه الدولة الفتية . وقد طبعت هذه الكتب بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والانجليزية . وقد برزت في ركن من الجناح بعض الصناعات التي أسست حديثاً كالحديد والالمنيوم والبلاط والموزاييك والرخام والبوارج بكافة الاحجام .

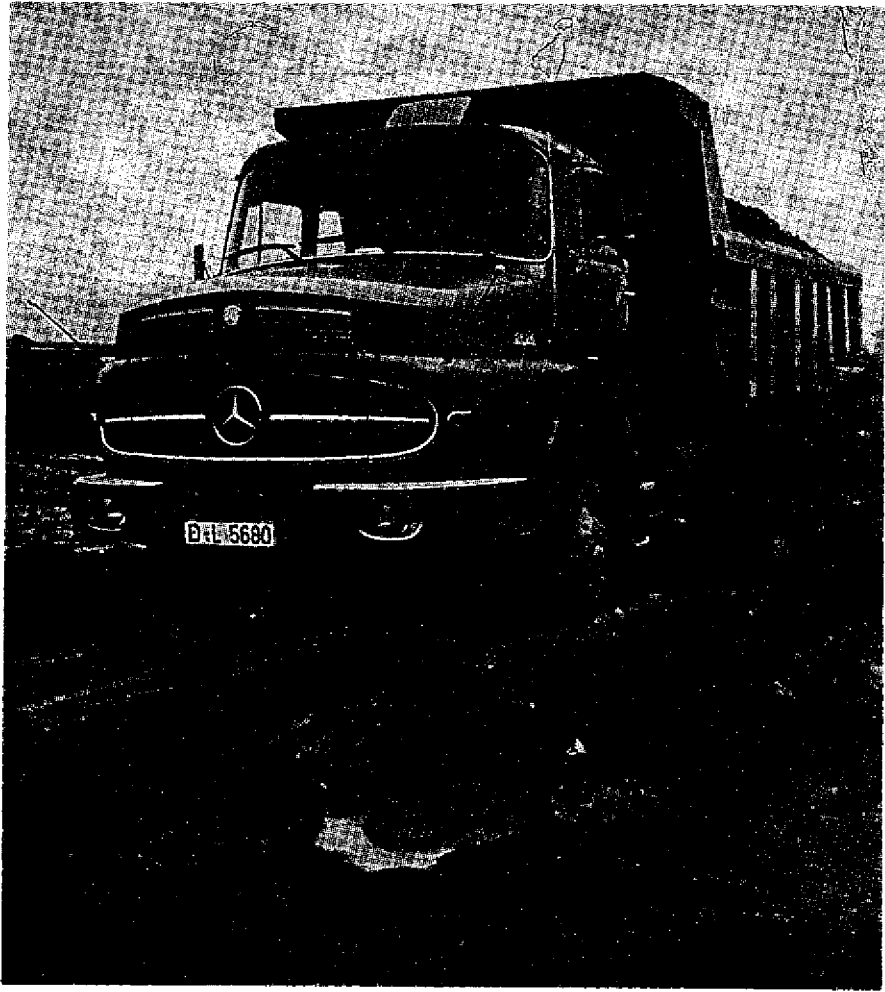
مجلة الفكر المعاصر

((لترصين الفكر العربي التقدمي وتوحيد جبهاته))

في عدد نيسان :

- الحضارة التكنولوجية هي السيطرة على وسائلها وتوجيهها لخير الانسان : د. الياس فرح ، بيروت
- دور الشعر في نهضة العرب الحضارية : د. ميشال سليمان ، بيروت
- تطوير شخصية الانسان الاجتماعي : د. خالد السلام ، بغداد
- الفلسفة والحضارة : انطون مقدسي ، دمشق
- بناء الوجدان الثقافي القومي للامة : الشاعر عبد الوهاب البياتي ، بغداد
- الواقعية في العمل الثقافي : الشاعر سعدي يوسف ، بغداد
- نحو الجدلية الحضارية واستراتيجية المستقبل : مطاع صفدي ، بيروت
- « علم المستقبل » والايديولوجية المستقبلية : سمير كرم ، بيروت
- معطيات الثورة العربية : د. جليل كمال الدين ، بغداد
- ما هي الماركسية الارثوذكسية ؟ : جيورجي لوكاتش
- التجديد ومهمة الشاعر العربي الحديث : لقاء مع الشاعر الدكتور خليل حاوي، بيروت
- النقد والحرية : خلدون الشيمة ، دمشق
- خماسية الامتاع والموانسة (شعر) : الياس لحود ، بيروت
- ثلاث قصائد (شعر) : كاظم جهاد ، بغداد
- لا غيمة للأشجار ولا أجنحة فوق الجبل (قصة) : زكريا تامر ، دمشق
- الوصية (قصة) : محمد سعدون السباهي (بصره ، العراق)
- الحقائق القديمة ما تزال صالحة (قصة) : يحي الطاهر عبدالله ، القاهرة
- اضافة الى « دفاتر الفكر المعاصر » في الادب والفن والعلوم ...
- والمطالعات النقدية والنتاجات الادبية ورسائل الوطن العربي ... الخ .
- ملف العدد بقلم عزيز السيد جاسم ، استقصاءات نظرية عن طبقة الفن .

ثمن النسخة ٢ ل.ل. او ما يعادلها



شركة النهضة للتسويق
عمر وابو بكر المجريس وشركاهم
هاتف : ٤٠٥١٩ / ٣٠٥٦١
ص. ب : ١٣٧٦
شارع سليمان الباروني
طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



فصلية علمية تعنى بشؤون الخليج والجزيرة العربية
السياسة - الاجتماعية - الاقتصادية - الثقافية - العلمية

رئيس التحرير : الدكتور محمد الربيعي

صدر العدد الاول في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥

- يحتوي العدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :
 - مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
 - عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
 - أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبلوجرافيا .
 - ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية .
- ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج .
- الاشتراكات : للانفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ٣ دنانير كويتية في الوطن العربي « بالبريد الجوي » ، ١٥ دولارا امريكيا او ٥ جنيهات استرلينية في سائر انحاء العالم « بالبريد الجوي » .
- للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ٨ دنانير كويتية ، في الخارج ٣٠ دولارا امريكيا او ١٠ جنيهات استرلينية .

العنوان : جامعة الكويت - مبنى ٢ - الدور الثاني - الخالدية - ص.ب ١٧٠٧٣
هاتف : ٨١٦٦١٣ - جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .



مجلة

البيان

مجلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاقلام العربية الاصيلة



للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص . ب . : ٣٤٠٤٣ - العديلية
الكويت



« البيان » ... توزع في معظم الاقطار العربية

قيمة الاشتراك السنوي :

ديناران كويتيان او ما يعادلها

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

رئيس التحرير : صفوان قدسي

المراسلات : باسم رئاسة التحرير ، جادة الروضة ، دمشق ،
الجمهورية العربية السورية

الإشتراك السنوي ، خارج الجمهورية العربية السورية ، ١٢ ليرة سورية أو ما يعادلها ،
يضاف إليها رسوم البريد (عادي أو جوي حسب رغبة المشترك) .

ترسل قيمة الإشتراك حوالة بريدية أو شيكا أو تدفع نقدا الى محاسب مجلة المعرفة ،
جادة الروضة ، دمشق .

يتلقى المشترك كل سنة كتابا هدية من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

ثمن العدد : ١٠٠ قرش سوري ، ١٠٠ قرش لبناني ، ١٢٥ فلسا اردنيا ، ١٢٥ فلسا
عراقيا ، ٢٠٠ فلس كويتي ، ٢٤٥ روبية ، ٢٤٥ شيلن ، ١٥ قرشا مصريا ، ١٥ قرشا
سودانيا ، ١٥ قرشا ليبيا ، ريلان سعودي ، ٣٤٥ دينار جزائري ، درهمان مغربيان ،
درهمان تونسيان .

الطريق

مجلة الثقافة التقدمية والفكر المتحرر
تجدونها في مطلع كل شهر في جميع المكتبات

اشترككم في الطريق مساهمة في نشر الفكر والثقافة التقدميين ومتابعة
الانتاج في الميادين النظرية في الاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والنقد
والادب والفنون والتربية

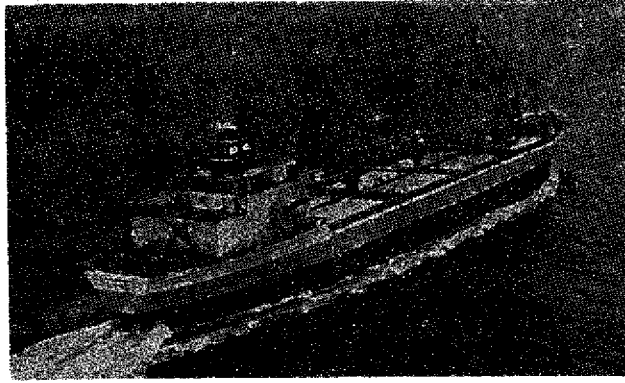
بالارتباط مع الحركة التحررية والثورية في لبنان والاقطار العربية والعالم

| | |
|-------------------|---------------------------------------------|
| الإشتراك السنوي : | ٦ دنائير في العراق والخليج العربي |
| | ٤٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية |
| | ٢٥ ل.ل. أو ما يعادلها |
| | ٢٠ ل.ل. للطلاب |
| | ١٠٠ ل.ل. للدوائر الرسمية والمؤسسات |
| | ٣٥ ل.ل. في كافة البلدان العربية والاجنبية . |
| سعر النسخة : | ٢٥٠ قرشا لبنانيا او ما يعادلها |

■ تقبل الاشتراكات في مكاتب المجلة : بيروت ، كورنيش بشارة الخوري ، بناية جراب
ص.ب ٩١٢٠ ، هاتف ٢٣١٩٧٧

وفي مكتبة دار الفارابي ، بيروت ، بناية سيتي سنتر ، هاتف ٢٥٥٤٩٨

■ تحرر الحوالات البريدية والمصرفية باسم مجلة الطريق حساب المجلة لدى بنك ليتكس
٢١٢٥٨٦



شركة الملاحة الكويتية

شركة

خطوط منتظمة حول العالم

بواخر الشركة

| طن | مرحلة | الصليبية | طن | مرحلة | القادسية |
|--------|--------|------------|--------|--------|-----------|
| ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | الفروانية | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | الصباحية |
| ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | الشدايقية | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | الجابرية |
| ١٣,٦٠٠ | ١٣,٦٠٠ | الصالحية | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | المنصورية |
| ٩,١٠٠ | ٩,١٠٠ | ابن خلدون | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | العديلية |
| ٩,١٠٠ | ٩,١٠٠ | ابن ماجد | ١٦,٦٠٠ | ١٦,٦٠٠ | الشامية |
| ٢٦,٣٠٠ | ٢٦,٣٠٠ | المنباركية | ١٦,٦٠٠ | ١٦,٦٠٠ | الاحمدية |
| ٢٦,٣٠٠ | ٢٦,٣٠٠ | السالمية | ١٦,٦٠٠ | ١٦,٦٠٠ | الرميشية |
| ٢٦,٣٠٠ | ٢٦,٣٠٠ | ابن بطوينة | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | المتريفة |
| ٢٦,٣٠٠ | ٢٦,٣٠٠ | ابن رشد | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | العمرية |
| ٢٦,٣٠٠ | ٢٦,٣٠٠ | ابن حيان | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | الحنفية |
| ٢٦,٣٠٠ | ٢٦,٣٠٠ | ابن طفيل | ١٣,٤٤٠ | ١٣,٤٤٠ | العارضية |

الرحلات المنتظمة

- رحلة واحدة كل عشرة ايام من موانئ شمال اوربا الى المملكة المتحدة الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل ثلاثة اسابيع من موانئ اليابان رهونغ كونغ وسنغافورة الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل شهر من موانئ اريحا « السامال الشرقية » الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل شهر من موانئ الخليج العربي الى موانئ الهند والاندلس والهند وباكستان

التسهيلات والخدمات

- ١- تمديد نقل وتخليص وتغليف مسترمان الجزيرة التي مسترمانكم برافعة شركة النقل العربية « الجزيرة »
- ٢- شحن العرائض التغليف لغاية ٦٠ طن للقطعة الواحدة على اعمى باخرة ١٠٥ طن للقطعة الواحدة على اعمى باخرة من بواخرنا العربية
- ٣- قمرات الطبخ الطويلة لغاية ١٠٠ قدم في الطول
- ٤- عطاوات ايجر النصح من اعمى ميناء في العالم الى موانئ الخليج العربي

للبريد والفاكس يرجى الاتصال بـ : شركة الملاحة الكويتية شركة

توزيع - شارع جمال عبدالناصر - هاتف : ٨١٦٠٣٢ - ٨١٦٠٣١ - ٨١٦٠٣٠ - ص.ب. ٦٦٢٦ - ب.ك. ٢٠١٨
 رؤساء مكاتب : ٤٢٨٩

مجلة الفكر العسكري

أهم الدراسات
الاستراتيجية العربية والعالمية
لأكبر المفكرين العرب والأجانب.

العلوم الحديثة ذات الصبغة الاستراتيجية والادارية العليا .
الأخبار والتعليقات من أعرف المصادر ومن مختلف الاتجاهات .
خبرات المحررين - عرض وتلخيص كتاب جديد ... الخ ...

وفيه تطالع
صدر العدد الأول لعام ١٩٧٥

| | |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <ul style="list-style-type: none"> • اللواء عبد الله حميدني • الدكتور عرب فرزات • الأستاذ محمد صفك • الدكتور صباح الدين البقعه جي • الدكتور محمد عدنان الفجار • الدكتور جورج ج. حميد • الدكتور غيرية قاسمية • الدكتور عادل الزعيم • البروفسور كلاوس كنور | <ul style="list-style-type: none"> • مفهوم الدفاع الوطني • الحرب والحضارة • الصراع القرطاجي الروماني في المتوسط الغربي • اتحاد القران في اطر النماذج الرياضية • الادارة والممارات والقوى القيادية • مفهوم الاستعمار الاستيطاني • مشاريع ميكنة للصحة والاستيطان اليهودي • قرارات حظه تصدير الاسلحة المحرمة • الكمنون المحرطي للدولة |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

مجلة فصلية تصدر عن كلية القيادة والذرائع في الجيش (العربي والسوري)

تباع في المكتبات اللبرية



شركة الابنان اللبنانية
«فورموست»

ش.م.ل.

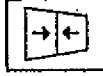
صندوق البريد ١١-٦٣٧٢ - بيروت، لبنان - تلفون ٤٣١٨٣٣ - ٤٣١٩٣٠
مبنى تجاري جبل لبنان ٢٠٦٣ - العنوان الكبري، فورموست - بيروت

Lebanese Foremost Dairies

S.A.L.

KFARCHIMA

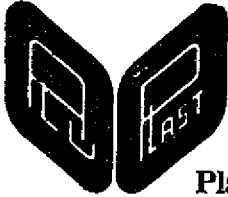
Alumit



الوميت

All Kinds of Aluminium Works

منجور وعموم اشغال الالمنيوم



الوبلاستيك

اشغال بلاستيك فنية - بروفيلين بلاستيك للالمنيوم
Plastic profiles for Aluminium Plastic Technical Works

de ponti

MIDDLE EAST

Meubles de Cuisine

مطابخ حديثة من الميلامين والالمنيوم

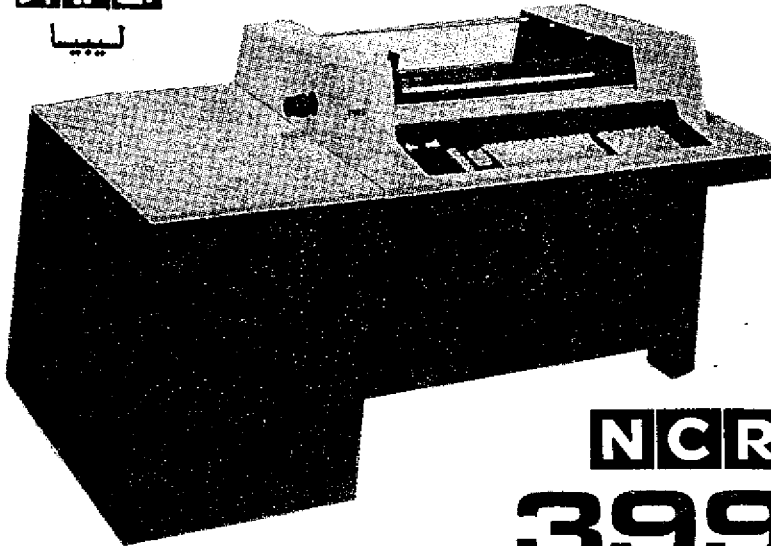
دي پونتي

للشرق الاوسط

Modern Kitchens of Melamine & Aluminium

ان سي آر

ليبي



NCR 399

الخبرة تشكل الفارق
ان سي آر تعني كومبيوترز
ان سي آر - ليبي

ص.ب ٦٩٢ ، طرابلس



الشركة الوطنية للتجارة والآليات تقدم



داتسون ١٣٠٠ الجديدة للنقل

إنما حلت فان سيارات داتسون تقابلك في الطريق

الشركة الوطنية للتجارة والآليات

ص.ب ٢١٧ ، هاتف ٤١٠٠٢

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

الفكر

مجلة الثقافة التونسية الحوت
لا تزال على وفائها ومثابرتها في خدمة القارئ التونسي والعربي



منذ ٢٠ عاماً

تصدر بتونس في مطلع كل شهر

مؤسسها ومديرها المسؤول : محمد مزالي
رئيس تحريرها : البشير بن سلامة
سكرتير التحرير : عبد الواحد براهيم

منذ ان برز العدد الاول من « الفكر » في شهر تشرين الاول ١٩٥٥
والمجلة لا تزال تصدر شهريا و بانتظام ، مساهمة بنشاط دائم في ارساء
دعائم ثقافية عربية اصيلة ، وتكوين جيل جديد من الابداء ، وفي الانفتاح
الواعي على مواطن الفكر الاصيل حيثما كان .

— تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة ، وتحتجب في شهري اوت
وسبتمبر .

— قيمة الاشتراك السنوي : ٣ دنانير تونسية بالنسبة للنسبة لتونس ولسائر
البلاد العربية ، ٣ دنانير ونصف بالنسبة لاشتراكات بقية البلاد .

— اشتراك الانصار : ٥ دنانير .

— الاشتراكات : يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او يصب
في حسابها الجاري رقم ٣٣٧.٦٩ بالبريد ، تونس .

— المراسلات : تكون جميعها باسم مدير مجلة « الفكر » صندوق
البريد عدد ٥٥٦ ، تونس .

الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وسكر السالك منتفع

مجلة شهرية جامعية - تصدرها
المؤسسة العامة للصحافة
والمطبوعات العربية الليبية

رئيس التحرير: محمد علي الشويهدى

من كبار المفكرين
والكتاب والشعراء العرب

يشترك

في تحريرها

تحتوي ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحتوي مجموعة من
المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقرنية
والاقتصادية والعامة، إلى جانب الأبواب
الثابتة من شعر وقصة وفنون.

ليبيا ١٠٠ درهم • ع.م.ع ١٠٠ ملجم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش
الكويت ١٥٠ فلس • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ٥٠ فلس
دبي: ريال ونصف • السعودية: ريال ونصف • أبوظبي: درهمان
مسقط ٢٠٠ عيسه • قطر: ريال ونصف • السودان ١٠٠ ملجم • الجزائر: ديناران
تونس ١٠٠ ملجم • المغرب: درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلس • اليمن ١٠٠ بقشة

شكركم

في الجمهورية العربية الليبية: ١,٢٠٠ درهم ليبي، وفروع الجمهورية العربية
الليبية: ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

الدشراك السنوي

مجلة «الثقافة العربية» ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ع.ع.ل.

العنوان

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria LL 50, other Arab countries LL 60 or equivalent, Africa and Europe LL 80, elsewhere LL 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address*: P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية